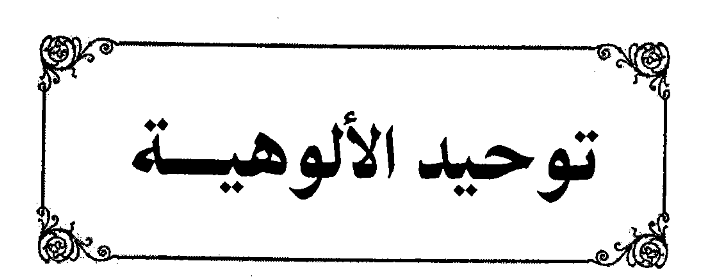
بحوث محكمة في العقيدة الإسلامية

- توحيد الألوهية
- الوسائل القولية المفضية إلى الشرك الأكبر
- الوسائل الفعلية المفضية إلى الشرك الأكبر
- أهل السنة والجماعة
- التوسل المشروع والممنوع
- رسالة في ذم البدعة وأهلها
- حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة

تأليف

الدكتور/ عواد بن عبدالله المعتق





توحيد الألوهيـــة

إعــداد

د. عواد عبدالله المعتق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد :

فإنه لا يخفى على كل مسلم أهمية هذا التوحيد ؛ ذلك أنه من الإيمان بالله الذي هو الأصل الأول من أصول العقيدة الإسلامية ؛ بل لأجله خلق الله الخلق وبعث الرسل إلى أممهم - ولا يختلف مسلمان في أن تحقيق هذا التوحيد ظاهراً وباطناً هو مدار النجاة يوم القيامة .

ونظراً .. إلى أن البعض قد يخطىء في تحقيق هذا التوحيد فيظن أن التصديق بالقلب أو التصديق بالقلب والقول باللسان كاف في تحقيقه . وينسى العمل أو يتناساه .

وإذا أنكرت عليه تقصيراً في العبادة قال : الإيمان بالقلب .

ويخطىء آخرون فيقعون في شيء من نواقضه ، أو في شيء من الوسائل المؤدية إلى ناقض من نواقضه .

لما ذكرت وغيره . رأيت أن أكتب لمحة موجزة حول هذا التوحيد وقد جعلتها في :

مقدمة : في بيان أهمية هذا البحث وبعض الدوافع التي دفعتني إلى

إعداده .

المبحث الأول : في مسائل عامة تتعلق بتوحيد الألوهية .

المبحث الثاني : في العبادة .

المبحث الثالث : في نواقض توحيد الألوهية .

الخاتمة : في بعض النتائج التي توصلت إليها .

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يتقبل صوابه ويتجاوز عن خطئه إنه سميع مجيب .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

المبحث الأول

مسائل عامة تتعلق بتوحيد الألوهية

أ- تعريف توحيد الألوهية :

توحيد لغة : على وزن تفعيل مصدر وحدته توحيداً كما تقول كلمته تكليماً ولهذا الفعل وجهان :

أحدهما : تكثير الفعل وتكريره والمبالغة فيه كقولهم كسّر الإناء وغلّق الأبواب .

ثانيهما : وقوعه مرة واحدة كقولهم غديت فلاناً ، وكلمته .

ومعناه : الحكم بأن الشيء واحد ، والاعتقاد بأنه واحد .

تقول : وحّدت الشيء : جعلته واحداً ، ووحّدت الله أقررت وءآمنت بأنه إله واحد لا شريك له لا جعلته واحداً ؛ ذلك أن وحدانية الله ذاتيه ليست بجعل جاعل . والتشديد للمبالغة في وصفه بذلك .

قال ابن منظور : (التوحيد هو الإيمان بالله وحده لا شريك له) [1].

والألوهية : هي العبادة .

---

(١) انظر : لسان العرب مادة وحد ج٣ ، ص ٨٨٨-٨٨٩ والمعجم الوسيط ، جـ١ ، ص ١٠١٦ .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ الآية [١].

قرأ ابن عباس : (.. ويذرك وإِلهتك ..) بكسر الهمزة أي وعبادتك .

قال ابن منظور : (وهذه الأخيرة عند ثعلب كأنها هي المختارة .

قال لأن فرعون كان يعبد ولا يعبد . . يقوي ما ذهـب إليـه ابـن عبـاس في قراءته ويذرك وإلهتك قول فرعون : أنا ربكم الأعلى ، وقوله ما علمت لكـم من إله غيري ..) [٢].

والإله : بمعنى المألوه أي المعبود [٣].

وتوحيد الألوهية : هـو الاعتقـاد الجـازم بـأن الله هـو المـستحق للعبـادة وحده مع التزام ذلك والعمل به .

وعرف أيضاً بأنه : إفراد الله بجميع أنواع العبادة [٤].

والتعريفان متقاربان .

ب – منزلته من الدين الإسلامي :

لهذا التوحيد منزله كبيرة تتضح فيما يلي .

---

(١) آية ١٢٧ ، الأعراف .

(٢) لسان العرب جـ١ ، ص ٨٨ . وانظر : تفسير ابن كثير جـ٢ ص٢٣٩ .

(٣) انظر : لسان العرب جـ١ ، ص٨٨ .

(٤) الإرشاد الى صحيح الاعتقاد ، ص ٣٠ .

أولاً : أنه هو الغاية المحبوبة لله المرضية له التي خلق الخلق لها قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] .

ثانياً : أنه أول دعوه الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن أجله بعثهم الله إلى أممهم قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ... الآية﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ... الآية﴾[3] .

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ... الآية﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ... الآية﴾[5] .

---

(١) آية ٥٦ الذاريات .

(٢) آية ٥٩ الأعراف .

(٣) آية ٦٥ الأعراف .

(٤) آية ٧٣ الأعراف.

(٥) آية ٨٥ الأعراف .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... الآية﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[٢].

ثالثاً: وهو أول أمر في القرآن قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٣].

رابعاً: أنه أول واجب على المكلف؛ لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن: (فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل...)[٤].

خامساً: أنه آخر واجب على المكلف ينبغي أن يموت عليه الإنسان لما روي عنه ﷺ أنه قال: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[٥].

---

(١) آية ٣٦ النحل

(٢) آية ٢٥ الأنبياء

(٣) آية ٢١ سورة البقرة

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب من حديث ابن عباس.

(٥) أخرجه أبو داود في الجنائز باب التلقين والحاكم في المستدرك جـ١ ص٣٥١ وصححه انظر جامع الأصول حديث ٧٠٠٦ (المتن والحاشية).

ولما روي عنه ﷺ أنه قال (لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله)[١] .

سادسا : أنه هو التوحيد الذي ضلت فيه الأمم وأخل به المشركون في كل زمان .

سابعاً : أن الرسول ﷺ دعا إليه طيلة العهد المكي وأكثر العهد المدني .

ثامناً : أن أغلب آيات القران جاءت في تأكيده والنهي عن الشرك فيه مثل قوله تعالي : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... الآية﴾[٢]، وقوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[٣]، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ...الآية ﴾[٤].

تاسعاً : أن الرسول ﷺ أُمر أن يقاتل الناس عليه وعلى مستلزماته كالشهادتين وبقية أركان الإسلام .

قال ﷺ : (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن

---

(١) رواه مسلم في الجنائز باب تلقين لا إله إلا الله ، وأبو داود برقم ٣١١٧ والترمذي برقم ٩٧٦ وانظر جامع الأصول حديث ٨٥٥٠ .

(٢) آية ٤ سورة الممتحنة .

(٣) آية ٤٥ الزخرف.

(٤) في موضعين في سورة النساء آية ٤٨ ، وآية ١١٦ .

محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلو ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) [١] .

عاشراً : أنه هو المقصود بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[٢].

جـ - أساليب القرآن في الدعوة إليه :

*** من أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية ما يلي :**

١- أمره سبحانه وتعالى بعبادته والنهي عن عبادة ما سواه مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ...الآية ﴾ [٣] .

٢- شهادته سبحانه وتعالى على هذا التوحيد كما شهدت ملائكته وأنبيائه ورسله .

قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٤] .

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان باب فإن تابوا وأقامو الصلاة . ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، انظر جامع الاصول حديث ٣٥.

(٢) انظر : شرح الطحاوية ص٧٤-٧٦ والعبودية لابن تيميه ص٣٩ والتدمريه ص١٧٤-١٧٥ ، ١٩٥-١٩٩ وتيسير العزيز الحميد ص٢٠-٢٢.

(٣) آية ٣٦ النساء .

(٤) آية ١٨ آل عمران .

٣- إخباره سبحانه وتعالى أنه خلق الخلق لعبادته ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١] .

٤- إخباره سبحانه أنه أرسل الرسل بالدعوة إلى عبادته والنهي عن عبادة ما سواه . كما في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ...الآية ﴾[٢] .

٥- الاحتجاج بتفرد الله بالربوبية وكمال التصرف والنفع والضر وغيرها من خصائص الربوبية على استحقاقه وحده للعبادة ووجوب إفراده بالإلوهية .

مثل قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٣] .

٦- التنديد بما يتخذه الناس آلهة من دون الله وإظهار حالها من العجز الشنيع والفقر البالغ والغفلة عمن يدعوها ويفزع إليها .

---

(١) آية ٥٦ الذاريات .

(٢) آية ٣٦ النحل .

(٣) آية ٢١-٢٢ البقرة .

مثل قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[4].

٧- التشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة ورميهم بالضلال والسفه حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يملك لهم ضراً

---

(١) آية ١٩١-١٩٢ الأعراف.

(٢) آية ١٩٧-١٩٨ الأعراف.

(٣) آية ٧٣ النحل.

(٤) آية ٧٣ الحج.

ولا نفعاً ولا تغني شفاعتهم عنه شيئاً ، وذلك مثل قوله تعالى - على لسان إبراهيم عليه السلام في خطابه لقومه - ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾[3] .

٨- ومنها : بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله وبيان مآلهم مع من عبدوهم حيث تتبرأ تلك المعبودات من عابديها في أحرج المواقف .

مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم

---

(١) آية ٦٦ - ٦٧ الأنبياء .

(٢) آية ٥٤ الأنبياء .

(٣) آية ٥ الأحقاف .

بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾[١] .

وقوله تعالى: ﴿... وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[٣] .

٩- الاحتجاج بتفرد الله سبحانه وتعالى بكمال الأسماء والصفات وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين .

مثل قوله تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥] .

وقوله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه : ﴿... يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[٦] .

---

(١) آية ١٦٥-١٦٧ البقرة .

(٢) آية ١٤ فاطر .

(٣) آية ٥-٦ الأحقاف .

(٤) آية ١٦٣ البقرة .

(٥) آية ٢ الفاتحة .

(٦) آية ٤٢ مريم .

وقوله تعالى: ﴿... فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ...الآية﴾(٢).

١٠- الوعد لمن وحده والوعيد لمن أشرك به قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ...الآية ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿... إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿... لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٥).

١١- ضرب الأمثلة التي تبين أن المشرك مهما عمل فلن ينال رضا معبوده؛ ذلك أن إرضاءه أحد الشريكين مسخط للآخر، على عكس الموحد.

---

(١) آية ٦٥ مريم.

(٢) آية ١٤٨ الأعراف.

(٣) آية ٤٨ النساء.

(٤) آية ٧٢ المائدة.

(٥) آية ٦٥ الزمر.

كما قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١) .

١٢- رده على المشركين في اتخاذهم الوسائط بينهم وبينه بأن الشفاعة ملك له سبحانه لا تطلب إلا منه ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه بعد رضاه عن المشفوع له .

كما في قوله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾(٣) .

١٣- بيان أن هؤلاء المعبودين لا يحصل منهم نفع لمن عبدوهم من جميع الوجوه ، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن

---

(١) آية ٢٩ الزمر .

(٢) آية ٤٣-٤٤ الزمر .

(٣) آية ٢٦ النجم .

شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾[١] .

١٤- ضرب الأمثلة التي تصور علو التوحيد والموحد وانخفاض الشرك والمشرك .

مثل قوله تعالى : ﴿... وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ﴾[٢] [٣].

د- تحقيقه :

تحقيق هذا التوحيد يكون بإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة والبراءة من كل معبود سواه ومن كل وسيلة قد تؤدي إلى عبادة ذلك الغير[٤].

قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾[٥].

وقال تعالى : ﴿... قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾[٦] .

---

(١) آية ٢٢ سبأ .

(٢) آية ٣١ الحج .

(٣) انظر : دلائل التوحيد ص ٧٩-٨٤ والمنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية ص ٥٥-٥٨ والتوحيد عفيفي ، ص ٢٩-٣١ والإرشاد ص ٣٩-٤٢

(٤) انظر : دلائل التوحيد ص ٨٥ .

(٥) آية ٢٦-٢٧ الزخرف .

(٦) آية ١٩ الأنعام .

هـ- علاقته بتوحيد الربوبية :

توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعني أن توحيد الربوبية داخل ضمن توحيد الألوهية فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً فلابد أن يكون قد اعتقد أنه ربه ومليكه لا رب له غيره ولا مالك له سواه فهو يعبده لاعتقاده أن أمره كله بيده وأنه هو الذي يملك ضره ونفعه وأن كل ما يدعى من دونه لا يملك ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً كما حكى الله عن إبراهيم عليه السلام أنه قال : ﴿... أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ (٨٢)﴾[1] .

قال ابن أبي العز : (وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً قال تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) ﴾[2])[3] .

---

(١) آية ٧٥-٨٢ الشعراء

(٢) آية ١٩١ الأعراف .

(٣) شرح الطحاوية ص٨٧ وانظر : ص٨١ من نفس الكتاب .

و- فوائده :

من فوائد توحيد الألوهية ما يلي :

١- الخلوص من الشرك بنوعيه في العبادة .

ذلك أن إخلاص العبادة لله يعني الخلوص من الشرك الأكبر الذي توعد الله صاحبه بعدم المغفرة . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ... الآية ﴾[1] .

ومن الشرك الأصغر الذي توعد الله صاحبه بعدم قبول أي عمل فيه شيء منه كما قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[2] .

٢- الخلوص من النفاق بنوعيه :

ذلك أنه متى ءامن العبد بالله وأخلص العمل له أصبح ما يظهره ، يوافق ما يبطنه ؛ لأنه لا يخشى إلا الله ولا يرجو سواه .

---

(١) آية ٤٨ النساء .

(٢) آية ١٥ ، ١٦ هود .

ولم يقدم على فعل محظور أو ترك مأمور ، خوفاً من عقاب الله ورجاء لثوابه . وعلى إثر ذلك فلن يعمل شيئاً من أعمال المنافقين كالكذب والخيانة والغدر والفجور والتخلف عن بعض الصلوات .

٣- وحدة الصف وجمع الكلمة وقوة الأمة بسبب اجتماعها على توحيد الله . ويكفي في ذلك واقع العرب . قبل الإسلام كانوا متفرقين فلما وحدوا الله أصبحوا أمة واحدة وصف واحد .

٤- الحصول على نصر الله وتأييده :

قال تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ ...﴾الآية [١] .

وقال تعالى ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[٢] .

٥- أنه يورث القوة والشجاعة . فلا يخاف الموحد إلا الله ولا يتوكل إلا عليه ولا يسأل غيره ولا يلوذ إلا به ، لإيمانه أن الأمر كله بيده .

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ

---

(١) آية ٥٥ النور .

(٢) آية ٤٠ الحج .

وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[1] .

ومما يؤكد ذلك واقع العرب قبل الإسلام وبعده . قبل الإسلام كانوا محصورين في هذه الجزيرة يخاف أحدهم من ذكر اسم كسرى وقيصر ، وبعد الإسلام خرجوا من هذه الجزيرة مجاهدين في سبيل الله حتى بلغت دولتهم مشارف الهند شرقاً وأسبانيا غرباً .

٦- **توحيد الألوهية يزيل من النفس الكبر والإعجاب** ، ويحمل المرء على التواضع لأمور منها :

أ- إيمانه أن الذي أعطاه الصحة والمال والجاه ومنع غيره قادر أن يمنعه ويعطي غيره ، وأنها نعمة من أسباب بقائها الشكر ومن الشكر التواضع .

ب- إيمانه أنه خلق من ضعف وينتهي إلى ضعف - فأوله نطفة وآخره جيفة - فمن كان هذا حاله كيف ينازع الخالق في شيء من خصائصه . وفي الحديث القدسي (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)[2] .

٧- يحمل المرء على الوفاء والرحمة والشفقة ومراعاة حقوق الجوار

---

(١) آية ١٢٣ هود .

(٢) رواه أبي داود في كتاب اللباس باب ٢٩ برقم ٤٠٩٠ وابن ماجة في الزهد باب ١٦ برقم ٤١٧٥ .

وتوقير الكبير والرحمة بالصغير وعرفان الجميل وغيرها من الأخلاق الإسلامية الفاضلة لإدراكه أنها عبادة يثاب على فعلها وقد يعاقب على تركها وأنها مما يزيد الإيمان (١).

ز- بيان خطأ منهج المتكلمين في خلطهم بين توحيد الألوهية والربوبية.

يقرر عامة المتكلمين أن التوحيد ثلاثة أنواع فيقولون :

هو : واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له .

وأشهر الأنواع عندهم هو الثالث ، وهو توحيد الأفعال .

وهو أن خالق العالم واحد . ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب وأنه هو معنى قولنا لا إله إلا الله حتى قد يجعلوا معنى الإلهية هي القدرة على الاختراع .

وهو قول خاطئ - كما قال شيخ الإسلام - ودليل ذلك أنه لم كن هناك خلاف بين الرسول ﷺ وبين مشركي العرب في الربوبية . بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى أنهم كانوا مقرين بالقدر أيضاً وهم مع هذا مشركون . وإذا كان المشركون معترفين به ومع ذلك هم مشركون كما ثبت في الكتاب والسنة والإجماع . وكما علم في الاضطرار من دين الإسلام

(١) انظر : فقه التوحيد ص ٨٢-٨٥ والقول السديد شرح كتاب التوحيد ، ص ١٧-١٩ .

فقولهم الإلهية هي القدرة على الاختراع ، والإله القادر على الاختراع ، وأن من أقر بأن الله قادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله قول خاطئ مجانب للصواب بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد ، وتوحيد الإلهية هو أن يعبد الله وحده لا شريك له ، والإشراك أن يجعل مع الله إله آخر[(١)].

* * *

(١) انظر : التدمرية ص ١٧٩-١٨٢ ، ١٨٥-١٨٦ .

المبحث الثاني : في العبادة

تمهيد : سبق أن عرفنا عند تعريف توحيد الألوهية أن الألوهية هي العبادة - والآن لنعرف ما هي العبادة ؟ وما هي أركانها ، وشروطها ، وخصائصها ، وأنواعها ؟

فنقول وبالله التوفيق .

أ- تعريفها :

العبادة لغة : الطاعة مع الخضوع ومنه طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء .

ومنه : البعير المعبد أي المهنوء بالقطران . لأن ذلك يذله ويخفض منه[1].

العبادة شرعاً : عرفت بتعاريف كثيرة أظهرها ما قاله شيخ الإسلام ، حيث قال : (العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)[2] .

---

(١) انظر : لسان العرب ، مادة عبد ، جـ٩ ص١٢ ومعجم مقاييس اللغة مادة عبد جـ٤ ص٢٠٦.

(٢) العبودية ص ٣٨ .

ب- أركان العبادة :

يقول شيخ الإسلام (لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية الحب له ... ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما يحب الرجل ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ...) [١] .

وقال ابن القيم وهو يستدل بقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ...الآية ﴾ [٢] على منزلة الرجاء - قال : (فذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه : الحب ، والخوف والرجاء) [٣] .

من كلام شيخ الإسلام وابن القيم اتضح أن العبادة المأمور بها تقوم على أركان ثلاثة وهي المحبة والرجاء والخوف.

الركن الأول : المحبة :

والمراد بها هنا محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم

---

(١) العبودية ص ٤٤ .

(٢) آية ٥٧ الإسراء .

(٣) مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص٣٦ .

وكمال الطاعة وإيثاره سبحانه وتعالى على غيره .

وهي المحبة الخاصة التي لا يجوز تعلقها بغير الله ، ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً أكبر .

قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ... الآية﴾[1] .

ودليلها وعلامتها : اتباع الرسول ﷺ .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

قال أبو سليمان الداراني : (لما ادعت القلوب محبة الله ، أنزل الله لها محنة ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ... الآية﴾[3])[4] .

وقال ابن القيم - وهو يتكلم عن هذه المحبة - : (فدليلها وعلامتها اتباع الرسول ﷺ ..)[5] .

---

(١) آية ١٦٥ البقرة .

(٢) آية ٣١ آل عمران .

(٣) آية ٣١ آل عمران .

(٤) مدارج السالكين ، جـ٣ ، ص٢٢ .

(٥) مدارج السالكين ، جـ٣ ، ص٢٢ .

الثاني : الرجاء :

وهو أن يقوم العبد بالعبادة على نور من الله يرجو ثوابه ، أو يتوب إليه من ذنب فهو يرجو مغفرته وعفوه ويطمع في مزيد إحسانه دون أن يوقعه ذلك في شيء من الأمن من مكر الله وعقوبته .

قال تعالى : ﴿ ... فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(١) .

وهو من مستلزمات المحبة - وعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء . فالعبد أرجى ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه ، كما أنه لا يكون إلا مع الإتيان بالأسباب من فعل الأوامر وترك النواهي .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(٢) .

فذكر سبحانه وتعالى أنهم يرجون رحمة الله مع الاجتهاد في الأعمال الصالحة- أما الرجاء مع الإصرار على ترك المأمور أو فعل المنهي ، فذلك من غرور الشيطان .

الثالث : الخوف :

وهو أن يعبد العبد ربه خوفاً من عقابه وحذراً من ناره دون أن يدفعه هذا

---

(١) آية ٩٩ الأعراف .

(٢) آية ٢١٨ البقرة .

الخوف إلى شيء من اليأس والقنوط . قال تعالى : ﴿ ... إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[1] .

وعلى حسب المحبة يكون الخوف . لكن خوف المحب لا يصحبه وحشه بخلاف خوف المسيء .

وهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله تعالى ؛ لأنه من لوازم الألوهية فمن اتخذ مع الله نداً يخافه كخوف الله فهو مشرك كمن يخاف من صاحب قبر ونحوه . قال تعالى : ﴿... فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] .

وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في آلهتهم ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن كما خوفوا الخليل عليه السلام فقال لهم : ﴿... وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[3][4] .

---

(١) آية ٨٧ يوسف .

(٢) آية ١٧٥ آل عمران .

(٣) آية ٨٠-٨١ الأنعام .

(٤) انظر : العبودية ص ٤٤ ، ١٠٤ ، ومدارج السالكين جـ١ ، ص ٥٤٨-٥٥٤ ، وجـ٢ ،

ونختم الكلام في أركان العبادة بالتذكير بأن هذه الأركان لابد أن تكون مجتمعة وأن يكون بينها شيء من التوازن فمن تعلق بواحد منها أو غلا فيه على حساب الآخر . لم يكن عابداً لله تمام العبادة .

فعبادة الله بالحب فقط طريقة الصوفية .

وعبادته بالرجاء وحده طريقة المرجئة .

وعبادته بالخوف وحده طريقة الخوارج .

وعبادته بالحب والخوف والرجاء طريقة أهل السنة التي يجب أن يكون عليها كل مسلم[1] .

جـ - شروط العبادة :

للعبادة ثلاثة شروط لا قوام لها إلا بها .

الأول : صدق العزيمة .

والمراد به : بذل الجهد في تصديق القول بالفعل في امتثال أمر الله وترك

ص٣٦-٣٧ ، ٤٢-٤٤ ، ٥١ ، و جـ٣ ، ص٩ ، ٢٠-٢٢ ، وشرح العقيدة ، الطحاوية ، ص٣٦٦ ، ٣٧١-٣٧٢ ، وتيسير العزيز الحميد ص ٤١١-٤١٢ ، ٤٢٦-٤٢٨ ، ٤٤٨-٤٤٩ .

(١) انظر : شرح الطحاوية ، ص ٣٧١-٣٧٢ ، وفتح الباري جـ١١ ، ص٣٠٢ والإرشاد ص٢٠ .

نهيه وترك التكاسل عن طاعته عز وجل . ولا يكون هذا إلا إذا كان هناك إيمان ؛ ذلك أن الصدق في الفعل ثمرة التصديق في القلب .

وهذا شرط في وجودها . ومتى اختل فإن العبادة تصبح مجرد تمنيات وآمال لا يكاد يهم بها المرء حتى تخبو إرادته .

من الأدلة على هذا الشرط : قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ...الآية﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾(٣) .

وقال ﷺ : (الكّيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)(٤) .

الثاني : إخلاص النية : وهو أن يكون مراد العبد من عمله وجه الله

---

(١) آية ١١٩ التوبة .

(٢) آية ٢٣ الأحزاب .

(٣) آية ١٢٤ النساء .

(٤) رواه الترمذي برقم ٢٤٦١ في صفة القيامة باب ٢٦ وقال الترمذي هذا حديث حسن وانظر : جامع الأصول حديث ٨٤٧٥ (المتن والحاشية) .

والدار الآخرة.

وهذا من شروط القبول . ومتى اختل هذا الشرط لم يقبل العمل لكونه من الشرك الأكبر أو الأصغر بحسب ما نقص من الإخلاص .

فإن كان الباعث على العمل من أصله هو إرادة غير الله فنفاق ، وإن كان الباعث عليه أولاً إرادة الله والدار الآخرة لكن دخل الرياء في تزيين العمل كان شركاً أصغر ، حتى إذا غلب عليه التحق بالأكبر .

*** من الأدلة على هذا الشرط ما يلي :**

قوله تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ...الآية ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومًا مَّدۡحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورًا ﴿١٩﴾﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[3] .

وقال ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت

---

(١) آية ٥ البينة .

(٢) آية ١٨ - ١٩ الإسراء .

(٣) آية ١١٠ سورة الكهف .

هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [١] .

وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالى (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) [٢] .

الثالث : موافقة الشرع :

والمراد به : أن لا يعبد الله إلا بما شرعه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

وأي عبادة مخالفة لذلك فهي بدعة وشرع مالم يأذن به الله ، وعليه فهي مردودة على صاحبها .

الأدلة: منها : قوله تعالى : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [٣] فإسلام الوجه : إخلاص العمل . والإحسان فيه : متابعة الرسول ﷺ .

---

(١) رواه البخاري في الإيمان باب ماجاء أن الأعمال بالنية ، ومسلم في الإمارة باب قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنية) وانظر : جامع الأصول حديث ٩١٦٣ .

(٢) أخرج مسلم في الزهد باب من أشرك في عمله غير الله ، وانظر : جامع الأصول حديث ٢٦٥١ .

(٣) آية ٢٢ لقمان .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1].

وقال ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[2][3].

د – خصائص العبادة:

للعبادة في الإسلام خصائص فريدة منها ما يلي:

١ – الشمول: ويتجلى في جانبين.

الأول: في أنواع العبادة فقد شملت العبادة جميع أفعال الإنسان القلبية والقولية والجسدية. سواء ما يتعلق بعلاقة العبد بربه أو بما سواه من البشر أفراداً وجماعات.

وقد أشارت النصوص إلى هذا الشمول في أكثر من موضع.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ

---

(١) آية ٨٥ آل عمران.

(٢) أخرجه البخاري في البيوع باب النجش ومسلم في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة. وانظر جامع الاصول حديث ٧٥.

(٣) انظر: معارج القبول جـ١، ص٣٢٥–٣٢٨، ومدارج السالكين جـ٢ ص٩٣، وتفسير ابن كثير جـ١ ص٥٥٩، والفتاوى جـ١، ص٣٣٣ – ٣٣٤.

وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1].

وقال ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان)[2].

الثاني : - في جانب القائمين بها - فإن العبادة تشمل جميع طبقات المجتمع وفئاته لا تختص بطبقة أو فئة دون أخرى .

ولذا جاء الخطاب بها عاماً شاملاً .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[4] .

---

(١) آية ١٧٧ البقرة .

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب ٣ حديث ٩ . ومسلم في كتاب الإيمان باب ١٢ حديث ٥٨ .

(٣) آية ٢١ البقرة .

(٤) آية ٩٢ الأنبياء .

٢ - الاستمرار :

كذلك من خصائص العبادة في الإسلام الاستمرار ابتداءً من سن التمييز تمريناً ومن سن البلوغ تكليفاً وتستمر به حتى الموت .

قال تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[١] .

قال ابن كثير (ويستدل بهذه الآية الكريمة وهي قوله : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتاً ..)[٢] .

٣ - اليسر والسهولة :

كذلك تختص العبادة في الإسلام باليسر والسهولة ؛ لأنها من وضع الرؤوف الرحيم ، ولأنها شرعت من أجل إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة.

قال تعالى : ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

---

(١) آية ٩٨ - ٩٩ الحجر .

(٢) تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص٥٦٠ .

(٣) آية ١ - ٢ طه .

وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ...الآية ﴾[١].

وقـال تعـالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ...الآية ﴾[٢].

وقـال تعـالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ...الآية ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...الآية ﴾[٤].

وقال ﷺ: (بعثت بالحنيفية السمحة)[٥].

وقال ﷺ: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ... الحديث)[٦].

---

(١) آية ١٥٧ الأعراف.

(٢) آية ٧٨ الحج.

(٣) آية ١٨٥ البقرة.

(٤) آية ٢٨٦ البقرة.

(٥) رواه أحمد، جـ٥، ص٢٦٦.

(٦) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب الدين يسر حديث ٣٩.

قال ابن حجر (... سمي الدين يسراً بالنسبة إلى الأديان قبله ؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم . . .)[١] .

٤ - توقيفية :

والمراد بذلك أن العبادة موقوفة على الكتاب والسنة فلا مجال لأحد أن يزيد فيها أو ينقص من عند نفسه .

قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ...الآية ﴾[٢] الآية .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ...الآية ﴾[٣] الآية .

وقال تعالى : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[٤] .

يقول ابن كثير : (يقول تعالى مخبراً عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه ، ولهذا قال ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي في عمله

---

(١) فتح الباري جـ١ ص٩٣ .

(٢) آية ١٣ سورة الشورى .

(٣) آية ٢١ الشوري .

(٤) آية ٢٢ لقمان .

باتباع مابه أمر وترك ما عنه زجر)[١] .

وقال ﷺ : (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)[٢] .

وفي الصحيحين وغيرهما عن عابس بن ربيعة قال رأيت عمر أتى الحجر فقال : (أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك ثم دنا فقبل)[٣].

٥ - التنوع :

والمراد بذلك : أن الشارع قد نوع العبادة إلى أنواع متعددة من حيث حكمها تبعاً لأقسام الحكم التكليفي . فمنها : الواجب ومنها الحرام ، ومنها المندوب ، ومنها المكروه ، ومنها المباح .

وذلك توسعة على العباد ، ومراعاة لأحوال نشاطهم وكسلهم من جهة ، وزيادة في الامتحان من جهة أخرى ففي المباحات توسعة على العباد ، وفي المندوب والمكروه تخفيفاً عنهم وزيادة في الاختبار لهم ؛ ذلك أن الامتحان يكون في الأحكام غير الإلزامية أوضح منه في الأحكام الإلزامية ؛ إذ أن امتثال الواجبات واجتناب المحرمات أهون على ضعيف الإيمان من

---

(١) تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص٤٥١ .

(٢) أخرجه البخاري في البيوع باب النجش ومسلم في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة وانظر : جامع الأصول حديث ٧٥ .

(٣) انظر : كنز العمال ، حديث ١٢٥٠٧ .

فعل المندوبات وترك المكروهات . فإذا قوي إيمان المرء لم يقف عند حدود الواجبات بل يتعداها إلى المندوبات ، كما لا يقتصر على ترك المحرمات بل يتعداها إلى ترك المكروهات[١] .

هـ- أنواع العبادة :

العبادات التي يتحقق هذا التوحيد بها على كثرتها أرجعها البعض إلى ثلاثة أنواع .

فقال : العبادة : منقسمة على القلب واللسان والجوارح[٢] .

وأرجعها البعض إلى أربعة ، فقال :

١ - عبادات قلبية .

٢ - عبادات قولية .

٣ - عبادات بدنية .

٤ - عبادات مالية[٣] .

ومنهم من زاد على هذا التقسيم . فقال : العبادة من حيث تعلقها بالعبد

---

(١) انظر : العبادة ، ص٦٤-٧٤ والفتاوى جـ١ ، ص٣٣٤ ، وفتح الباري ، جـ١ ، ص٩٣ . والعبودية ص ٤٠ ، ٤٣ ، ١٣٦-١٣٧ .

(٢) مدارج السالكين ن جـ١ ، ص١٢٣ ، وفتح الباري ، جـ١ ، ص٥٢ .

(٣) دلائل التوحيد ، ص٨٥-٨٦ .

تنقسم إلى ثلاثة أقسام أساسية هي :

١ - عبادات بدنية .

٢ - عبادات مالية .

٣ - عبادات جامعة .

والعبـادات البدنيـة ثلاثـة أنـواع : عبـادات قلبيـة ، وعبـادات فكريـة ، وعبادات جسدية[1] .

ولعل التقسيم الأول أولى وأوضح للقارئ - ولذا نختاره .

فنقول : العبادة ترجع إلى القلب ، أو اللسان ، أو سائر الجوارح .

منها ما يؤدى بواحد من الثلاثة ، ومنهـا مـا يـؤدى بـاثنين ومنهـا مـا يـؤدى بالثلاثة .

وأحكـام العبوديـة خمسة ، واجـب ، ومستحب ، ومحـرم ، ومكـروه ، ومباح.

وعليه فعبادات القلب ، منها الواجب ، ومنها المستحب ، ومنها المحـرم ومنها المكروه ، ومنها المباح .

ومثلها ، عبادات اللسان ، وسائر الجوارح .

---

(١) العبادة ، ص٤٧ .

وسأقتصر - إن شاء الله - على ذكر أمثلة من الواجب والمحرم في كل نوع من أنواع العبادة ، إيثاراً للاختصار[١] .

فأقول - وبالله التوفيق - :

القسم الأول : العبادات القلبية . وهي العبادات التي تؤدى بالقلب .

فمما يجب على العبد منها ، الإخلاص ، والتوكل ، والمحبة لله وفي الله ، والصبر ، والإنابة والخوف من الله والرجاء له ، والتصديق الجازم ، والنية في العبادة .

ومما يحرم منها ، الكبر والحسد ، والرياء ، والعجب ، والغفلة ، والنفاق والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله .

القسم الثاني : العبادات القولية : وهي العبادات التي تؤدى باللسان .

فمما يجب منها : النطق بالشهادتين ، وتلاوة ما يلزمه تلاوته من القرآن وهو ما تتوقف صحة صلاته عليه ، وتلفظه بالأذكار الواجبة في الصلاة كالتسبيح في الركوع والسجود وقول ربنا ولك الحمد بعد الاعتدال ، والتشهد ، والتكبير . والأذكار الواجبة في الحج ، ونحو ذلك .

ومما يجب أيضاً ، رد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الجاهل ، وإرشاد الضال ، وأداء الشهادة المتعينة وصدق الحديث .

---

(١) ومن أراد التوسع فليراجع مدارج السالكين ، جـ١ ، ص ١٢٣-١٣٧ .

ومما يحرم ، النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله ، كالنطق بالبدع المخالفة لما أمر الله به ورسوله ، والدعاء إليها ، وتحسينها ، وكالقذف وسب المسلم وأذاه بكل قول ، والكذب ، وشهادة الزور ، والقول على الله بلا علم . ونحو ذلك .

القسم الثالث : العبادات العملية :

وهي العبادات التي تؤدى بسائر الجوارح مما سوى القلب واللسان .

كاليدين والرجلين ، والسمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، واللمس .

فمن عبادات اليدين الواجبة :

مباشرة الوضوء ، والتيمم ، وحركاتها في الصلاة ، وفي أداء الزكاة ، وفي الحج . كالإحرام ، ورمي الجمار .

والتكسب المقدور للنفقة على نفسه وأهله وعياله ، وفي قضاء دينه ، وفي أداء فريضة الحج . وإعانة المضطر ، ونحو ذلك .

ومما يحرم قتل النفس التي حرم الله قتلها ، ونهب المال المعصوم وضرب من لا يحل ضربه . ونحو ذلك .

وكأنواع اللعب المحرم – كالنرد ، وكتابة البدع المخالفة للسنة تصنيفاً أو نسخاً إلا مقروناً بالرد عليها .

وكتابة الزور والظلم ، والحكم الجائر ، والقذف والتشبيب بالنساء الأجنبيات وكتابة ما فيه مضرة على المسلمين في دينهم أو دنياهم ، وكتابة

المفتي على الفتوى ما يخالف حكم الله ورسوله إلا أن يكون مجتهداً مخطئاً .

* ومن عبادات الرجلين الواجبة :

المشي إلى الجمعة والجماعات في أصح القولين ، والمشي حول البيت للطواف الواجب ، والمشي بين الصفا والمروة بنفسه أو بمركوبه للسعي الواجب ، والمشي إلى حكم الله ورسوله إذا دعي إليه والمشي إلى صلة الرحم ، وبر الوالدين ، والمشي إلى مجالس العلم الواجب طلبه وتعلمه ، والمشي إلى الحج ، إذا قربت المسافة ولم يكن عليه ضرر ، والوقوف في الصلاة ، ونحو ذلك من الواجبات التي تستلزم المشي .

ومن المحرمة : المشي إلى معصية الله .

* ومن عبادات السمع الواجبة :

الاستماع لما أوجبه الله ورسوله كاستماع الإسلام والإيمان وفروضهما ، واستماع القراءة في الصلاة إذا جهر بها الإمام واستماع الخطبة للجمعة في أصح قولي العلماء . ونحو ذلك

ومن المحرمة : الاستماع إلى الكفر والبدع ، إلا حيث يكون في استماعه مصلحة راجحة ، من رده ، أو الشهادة على قائله أو زيادة قوة الإيمان والسنة بمعرفة ضدهما من الكفر والبدعة ونحو ذلك ، وكاستماع أسرار من يهرب عنك بسره ولا يحب أن يطلعك عليه ما لم يكن متضمناً

لحق لله يجب القيام به ، أو لأذى مسلم يتعين نصحه وتحذيره منه .

وكذلك استماع أصوات النساء الأجنبيات التي تخشى الفتنة بأصواتهن إذا لم تدع إليه حاجة من شهادة أو معاملة أو استفتاء ، أو محاكمة ، أو مداواة ، ونحوها .

وكذلك استماع المعازف وآلات اللهو ، ونحوها .

*** ومن عبادات : البصر الواجبة :**

النظر في المصحف ، وكتب العلم عند تعين تعلم الواجب منها والنظر إذا تعين لتمييز الحلال من الحرام في الأعيان التي يأكلها ، أو ينفقها ، أو يستمتع بها ، والأمانات التي يؤديها إلى أربابها ليميز بينها ونحو ذلك ، والنظر في آيات الله الكونية .

ومن المحرمة : النظر إلى الأجنبيات بشهوة مطلقاً وبغيرها إلا لحاجة - كنظر الخاطب والمعامل ، والشاهد والحاكم ، والطبيب - والنظر إلى العورات ونحو ذلك .

*** ومن عبادات الذوق الواجبة :**

تناول الطعام والشراب عند الاضطرار إليه وخوف الموت ومن ذلك سحور الصائم وإفطاره .

وتناول الدواء إذا تيقن النجاة به من الهلاك في أصح قولي العلماء .

ومن المحرمة : ذوق ما حرم الله - كذوق الخمر والسموم القاتلة -

والذوق الممنوع منه للصوم الواجب، ونحو ذلك .

* ومن عبادات الشم الواجبة :

كل شم تعين طريقاً للتمييز بين الحلال والحرام، كالشم الذي تعلم به هذه العين هل هي خبيثة أم طيبة ؟

وهل هي سم قاتل أو لا مضرة فيه ؟ أو يميز به بين ما يملك الانتفاع به، وما لا يملك ؟ . ومن هذا شم المقوّم، ورب الخبرة عند الحكم بالتقويم ونحو ذلك .

ومن المحرم : التعمد لشم الطيب في الإحرام، وشم الطيب المغصوب والمسروق، وتعمد شم الطيب من النساء الأجنبيات خشية الافتتان بما وراءه، ونحو ذلك .

* ومن عبادات اللمس الواجبة :

لمس الزوجة حين يحب جماعها، واستلام الحجر الأسود والركن اليماني عند الاستطاعة .

ومن المحرمة : لمس ما لا يحل كلمس المرأة الأجنبية[1] .

---

(١) مدارج السالكين، جـ١، ص ١٢٣-١٣٧ (بتصرف) . وانظر : دلائل التوحيد، ص٨٥-١٠١، وفتح الباري، جـ١، ص٥٢-٥٣، والعبادة، ص٤٩-٥٠ .

المبحث الثالث

نواقض توحيد الألوهية

من نواقض توحيد الألوهية :

أ - الشرك

ب - الكفر

جـ - النفاق

أ - الشرك :

تعريفه : لغة :

تقول شاركته في الأمر وشركته فيه أشركه شركاً وشركة بفتح الأول وكسر الثاني فيهما ويخفقان بكسر الأول وسكون الثاني . وذلك إذا صرت له شريكاً وأشركته : جعلته شريكاً والشرك بالتخفيف أغلب في الاستعمال ويكون مصدراً واسماً جمعه أشراك بمعنى النصيب .

والشرَك : حبالة الصائد . والشركة : معظم الطريق ووسطه .

ومرجع مادة الشرك : إلى الخلط والضم [1].

---

(١) انظر : الصحاح للجوهري جـ٤ ، ص١٥٩٣-١٥٩٤ ولسان العرب مادة شرك جـ٢، ص٣٠٦-٣٠٧ والمصباح للفيومي ص٣١١ .

وأما في الشرع : فهو كل ما ناقض التوحيد أو قدح فيه مما ورد في الكتاب أو السنة تسميته شركاً [١] .

أقسامه :

١ - شرك أكبر .

٢ - شرك أصغر .

الأول : الشرك الأكبر : وهو أن يجعل الإنسان لله نداً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته [٢] .

وعرف أيضاً : بأنه تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله [٣] والتعريفان متقاربان .

حكمه : يخرج من الملة وصاحبه حلال الدم والمال وفي الآخرة مخلد في النار .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ...الآية ﴾ [٤] .

---

(١) انظر : عقيدة المؤمن ، ص١٠٥ .

(٢) انظر : معارج القبول جـ٢ ، ص٤٨٣ وفتاوى اللجنة جـ١ ، ص ٥١٦-٥١٧ .

(٣) التنبيهات السنية ص١٢٦ .

(٤) آية ٥ سورة التوبة .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ..الآية ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿... إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[٢] الآية .

ضرره :

لهذا الشرك أضرار كثيرة منها ما يلي :

١ - أنه يحبط العمل قال تعالى : ﴿... وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٣] .

٢ - أن الله حرم عليه الجنة فهو خالد مخلد في النار إذا مات على الشرك.

قال تعالى : ﴿... إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[٤]

٣ - أن الله لا يغفر له إلا بالتوبة :

---

(١) آية ٤٨ سورة النساء .

(٢) آية ٧٢ سورة المائدة .

(٣) آية ٨٨ سورة الأنعام .

(٤) آية ٧٢ سورة المائدة .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ .. الآية ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ..الآية ﴾[2].

٤ - أن المشرك حلال الدم والمال قال تعالى : ﴿... فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ...الآية ﴾[3].

كما تحرم مناكحته لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ...الآية ﴾[4].

كما تحرم ذبيحته لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ...الآية ﴾[5].

ويستثنى أهل الكتاب فحرائر نسائهم العفيفات غير المحاربات[6] وذبائحهم حلال لقوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

---

(١) آية ٤٨ سورة النساء .

(٢) آية ٣٨ سورة الأنفال .

(٣) آية ٥ سورة التوبة .

(٤) آية ٢٢١ سورة البقرة .

(٥) آية ١٢١ سورة الأنعام .

(٦) انظر المغني لابن قدامة جـ٩ ، ص ٥٤٥ ، وفتح القدير جـ٢ ص١٥ وأحكام القرآن لابن العربي جـ٢ ، ص ٥٥٤-٥٥٥ .

ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ...الآية ﴾[١] .

كما أن المشرك لا يرث ولا يورث إن كان مرتداً فماله لبيت المـال ، وإن كان مشركاً أصلياً شرع جهاده فإن قتل في الجهاد فما له غنيمة وإن مـات في غير جهاد فما له لورثته مـن أهـل دينـه . ولا يـصلى عليـه ولا يـدفن في مقـابر المسلمين .

٥ – أن المشرك قد ارتكب أعظم جريمة وأفظع ظلم حيث جعل للخالق نداً من خلقه فهو أظلم الناس وأضلهم .

قال تعالى : ﴿... وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[٢] .

وقـال تعـالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٣].

وقال تعالى : ﴿... وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[٤][٥] .

---

(١) آية ٥ المائدة .

(٢) آية ٤٨ النساء .

(٣) آية ١٣ لقمان .

(٤) آية ١١٦ النساء .

(٥) انظر تفسير ابن كثير جـ١ ، ص ٥٠٨ وفتاوى اللجنة جـ١ ، ص ٥١٧ ، ص٥١٩– ٥٢٠ ومجلة البحوث العدد ٣٧ ص ٢٠٢–٢٠٤ .

أنواعه : من أنواع الشرك الأكبر ما يلي :

١ - شرك الطاعة :

والمراد به طاعة المخلوق في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله عن رضاً واطمئنان قلب .

مثال تحليل ما حرم الله : تحليل الربا ، والخمور ، والسفور .

ومثال تحريم ما أحل الله : تحريم تعدد الزوجات ونحو ذلك مما فيه استبدال لأحكام الله فمن أطاع مخلوقاً في ذلك - غير رسول الله[١] ﷺ - فقد جعله شريكاً لله في التشريع .

قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢] .

يقول الطبري[٣] في تفسير هذه الآية : (عن عدي بن حاتم قال : أتيت رسول الله ﷺ ... وانتهيت إليه وهو يقرأ ... ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال : قلت : يا رسول الله إنا لسنا

---

(١) فإنه لا ينطق عن الهوى .

(٢) آية ٣١ سورة التوبة .

(٣) جامع البيان جـ١٠ ص١١٤ .

نعبدهم . فقال : (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه) قال : قلت : بلى . قال: (فتلك عبادتهم)[(١)(٢)] .

٢ - شرك الدعاء :

الدعاء في القرآن تارة يراد به دعاء العبادة، وتارة دعاء المسئلة، وتارة يراد به مجموعهما . وهما متلازمان فدعاء العبادة مستلزم لدعاء المسئلة ودعاء المسئلة متضمن لدعاء العبادة .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ... الآية﴾[(٣)] ، يتناول نوعي الدعاء ، وبكل منهما فسرت الآية، قيل أعطيه إذا سألني وقيل أثيبه إذا عبدني[(٤)] .

المراد بدعاء العبادة : هو عبادة الله بأنواع العبادات - كالصلاة والصيام والذبح والنذر وغيرها مما شرعه الله لعباده وأمرهم به - خوفاً وطمعاً يرجو رحمة الله ويخاف عقابه .

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير باب ومن سورة براءة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور جـ٣ ص٢٣٠ وقال : أخرجه ابن سعد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه ... عن عدي بن حاتم ثم ذكر الحديث .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٨٢ ، ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٣) آية ١٨٦ سورة البقرة .

(٤) انظر : بدائع الفوائد ، ص٢-٣ والفتاوى جـ١٠ ، ص ٢٣٧-٢٣٩ .

وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب ، وسمي دعاء : لأنه سائل لما يطلبه بامتثال الأمر [١] فهو سؤال بلسان الحال .

ومن صرف شيئاً من تلك العبادات لغير الله كمن ذبح لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [٣] أي لا تعبد مع الله أحداً [٤] ، فسمي مشركاً في دعاء العبادة .

وأما دعاء المسألة : فهو ما يصدر من العبد من توجه بالقلب واللسان طالباً خير أو دفع ضر ، الواجب أن يكون لله وحده لا شريك له ؛ إذ هو المالك للنفع والضر [٥] . قال تعالى : ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ...﴾ [٦] الآية ، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن دعاء الله عبادة له فيكون صرفة لغير الله شركاً [٧] فإذا توجه الداعي إلى غير الله فإما أن يكون

---

(١) انظر : الفتاوى جـ١٠ ، ص ٢٤٠ ، وتيسير العزيز الحميد ، ص١٩٢ .

(٢) آية ١٤ الزمر وانظر فتح المجيد ص١٢٩ .

(٣) آية ١٨ الجن .

(٤) انظر تفسير وبيان مفردات القرآن ص٥٧٣ وتيسير العزيز الحميد ص١٨١ .

(٥) انظر : بدائع الفوائد ص٢ .

(٦) آية ١٠٦ يونس .

(٧) انظر : تيسير العزيز الحميد ص١٩٤ .

حياً أو ميتاً ، إن كان ميتاً فهو شرك على إطلاقه كمن يتوجه إلى صاحب قبر(١) وإن كان حياً وليس في مقدور العبد فهو شرك.

وإن كان في مقدور العبد فليس بشرك .

٣ - شرك المحبة :

المحبة قسمان : مشتركة وخاصة .

القسم الأول : المشتركة ، وهي ثلاثة أنواع :

أحدهما : محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام .

الثاني : محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده .

الثالث : محبة أنس وألف ، كمحبة الشريك لشريكه والصديق لصديقه .

وهذه الثلاثة لا تستلزم التعظيم ، لذا لا يكون وجودها شركاً لكن ينبغي أن تكون المحبة الخاصة مقدمة عليها .

القسم الثاني : المحبة الخاصة : وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثار المحبوب على غيره وهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً .. قال تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ص ١٨٦-١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٥ .

أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ...الآية﴾ [١][٢] .

قال الإمام ابن القيم في تفسير هذه الآية : (أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً) [٣] .

الثاني : الشرك الأصغر :

تعريفه :

هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر وجاء في النصوص تسميته شركاً [٤] .

حكمه :

محرم بل أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر لكنه لا يخرج من ارتكبه من ملة الإسلام [٥] ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [٦] قال مجاهد وسعيد بن جبير وشهر بن حوشب : هم

---

(١) آية ١٦٥ البقرة .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ص٤١١ والفتاوى جـ١ ص٩١-٩٢ ، جـ١٠ ص٢١٦ ومدارج السالكين جـ٣ ص ٢٠ ، ٢٦ .

(٣) التفسير القيم ص١٤٠ .

(٤) فتاوي اللجنة جـ١ ص٥١٧ وانظر الكواشف ص١٨٦ .

(٥) العقيدة في صفحات ص٤١ وفتاوى اللجنة جـ١ ص٥١٨ .

(٦) آية ١٠ سورة فاطر .

المراؤن بأعمالهم ... يمكرون بالناس يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى[(١)] .

وقال ﷺ : «أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر... الحديث»[(٢)] .

ضرره :

من أضراره أنه يبطل ثواب العمل ، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً فإنه ينزل منزلة من لم يعمل .

ومن أضراره أيضاً أنه وسيلة قد تؤدي بصاحبها إلى الشرك الأكبر[(٣)] .

أنواعه :

من أنواعه ما يلي :

الأول : الشرك في النيات والمقاصد .

ومن ذلك : الرياء ، والسمعة ، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا :

١ - الرياء والسمعة .

الرياء : هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها[(٤)] .

وأما السمعة : فيراد بها نحو ما يراد بالرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير جـ٣ ، ص٥٤٩ .

(٢) رواه الإمام أحمد ، جـ٥ ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٣) انظر : الجواب الكافي ص١٥٥ .

(٤) فتح الباري جـ١١ ص٣٣٦ .

والريـاء بحاسـة البـصر[1] مثـل : أن يرفـع صـوته بـالقراءة أو الـذكر أو يعمـل العمل الصالح ويتحدث به ليكسب السمعة الحسنة .

حكمهما : الرياء والسمعة إن دخلا في أساس العمل بمعنى أنـه لم يـأت بأصل العبادة من صلاة أو قراءة أو ذكر إلا لأجل الريـاء والـسمعة فهـو شرك أكبر ، وهو شرك المنافقين وإن دخلا في تحسينه فهـو شرك أصـغر[2] ، ولـذا ورد التحـذير مـنهما في الكتـاب والـسنة . قـال تعـالى : ﴿... فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[3] .

وقال ﷺ : **(من سمَّع سمّع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به)**[4].

٢ – إرادة الإنسان بعمله الدنيا :

المراد به : هو أن يعمل الإنسان أعمالاً صالحة يريد بها الدنيا .

مثاله : كالذي يتعلم ليأخذ مالاً أو ليحتل منـصباً ، كمـن يـتعلم القـرآن أو يواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد ونحو ذلك .

---

(١) فتح الباري جـ١١ ص٣٣٦ .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة جـ١ ص٥١٧ – ٥١٨ وفتح المجيد ص٣٦٩-٣٧٠ .

(٣) آية ١١٠ سورة الكهف .

(٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الرياء والسمعة ومسلم في الزهد بـاب مـن أشرك في عمله غير الله .

والفرق بينه وبين الرياء أن المرائي يبحث عن المدح والثناء . والمريد بعمله الدنيا يبحث عن المادة كالمال والمنصب[١] .

حكمه : إن كان مراد العبد من عمله منحصراً في العمل لأجل الدنيا فهذا ليس له في الآخرة نصيب وإن كان مراده من عمله وجه الله والدنيا والقصدان متقاربان فهذا شرك أصغر . وإن كان مراد العبد من عمله وجه الله وحده لكنه يأخذ على عمله جعلاً يستعين به على العمل . فهذا لا يضر أخذه على إيمان العبد إن شاء الله تعالى[٢].

الأدلة على تحريمه : من الأدلة على تحريمه قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٣].

وقال ﷺ : « **تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة ... الحديث**»[٤] .

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص٢٧٣ .

(٢) انظر : القول السديد ، ص ١٤٢-١٤٣ ومجلة البحوث العدد ٣٧ ص ٢٢٤ .

(٣) آية ١٥-١٦ هود .

(٤) رواه البخاري في الجهاد باب ٧٠ والرقاق باب ١٠ ، وابن ماجه في الزهد باب ٨ ، عن أبي هريرة .

وقال ﷺ : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة »[١] .

الثاني : الشرك في الألفاظ :

ومن ذلك :

١ - الحلف بغير الله . كقول الرجل : وحياتي .

حكمه : من الشرك ا لأصغر إذا لم يعتقد تعظيم من حلف به وكان عالماً الحكم فإن كان جاهلاً عُلِّم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك شركاً أصغر . ومن الشرك الأكبر إن اعتقد تعظيم المحلوف به مثل تعظيم الله وكان عالماً الحكم . أما إذا كان جاهلاً عُلّم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك شركاً أكبر[٢] .

الأدلة على تحريمه : اتفق الكتاب والسنة والإجماع على تحريمه .

من الكتاب قوله تعالى: ﴿... فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

فإن قيل الآية نزلت في الأكبر قيل السلف يحتجون بما نزل في الأكبر

---

(١) رواه أبو داود في العلم باب في طلب العلم لغير الله ، وابن ماجة في المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، وانظر : جامع الأصول حديث ٢٦٤٨ .

(٢) انظر : الجواب الكافي ، ص١٥٨ وفتاوى اللجنة جـ١ ، ص٢٢٤ .

(٣) آية ٢٢ البقرة .

على الأصغر كما فسرها ابن عباس وغيره؛ لأن الكل شرك[١].

ومن السنة ما ورد في الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: « **ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»[٢].

ومن الإجماع ما قاله ابن عبد البر: (لا يجوز الحلف بغير الله إجماعاً)[٣].

٢ - قول ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت ونحوهما مما فيه مساواة بين الخالق والمخلوق.

حكمه: إن قام بقلبه تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله وكان عالماً فهو شرك أكبر، وإن كان جاهلاً عُلّم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك شركاً أكبر، وإن لم يقم بقلبه تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله، وهو عالم بالنهي فهو شرك أصغر، فإن كان جاهلاً عُلّم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك شركاً أصغر[٤].

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٥٢٢-٥٢٣.

(٢) رواه البخاري جـ٣ ص١٢٦ ومسلم المطبوع مع شرح النووي جـ١١ ص١٠٥-١٠٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص٥٢٦.

(٤) فتاوى اللجنة جـ١، ص٢٤٤.

الأدلة على تحريمه :

من الأدلة على تحريم قول ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت ونحوهما قوله تعالى : ﴿ ... فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١] .

يقول ابن عباس في هذه الآية : (الأنداد : هو الشرك ... وهو أن تقول : والله وحياتك . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت وقول الرجل: لولا الله وفلان .. هذا كله شرك) [٢] .

ومن السنة ما روي عن حذيفة عن النبي ﷺ قال : (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان) [٣].

٣ - إسناد بعض الحوادث إلى غير الله عز وجل واعتقاد تأثيره فيها :

ومن الشرك في اللفظ إسناد بعض الحوادث إلى غير الله عز وجل واعتقاد تأثيره فيها مثاله : قول البعض . لولا وجود فلان لحصل كذا وكذا ونحوه مما فيه نسبة بعض الحوادث إلى أسبابها القريبة .

---

(١) آية ٢٢ سورة البقرة .

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بسند جيد انظر : فتح القدير ج١ ص٥٢ وتيسير العزيز الحميد ص٥٢٣ .

(٣) أخرجه أبو داود برقم ٤٩٨٠ في الأدب باب لا يقال خبثت نفسي وإسناده صحيح انظر : جامع الأصول حديث ٩٤٣٥ .

الـدليل عـلى تحريمـه قولـه تعـالى : ﴿... فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

يقول ابن عباس : (الأنداد : هو الشرك ... وهو أن تقول : ... لـولا كلبـة هذا لأتانا اللصوص ... إلى أن قال : هذا كله شرك)[2] .

٤ - قول البعض : (مطرنا بنوء كذا) على طريق المجاز :

كذلك من أنواع الشرك الأصغر قـول البعض مطرنـا بنوء كـذا مع عـدم اعتقاده بأن للنجم تأثيراً وإنما المؤثر هو الله وحده . فهذا القـول شرك أصـغر لأنه نسب نعمة الله إلى غيره[3] .

الدليل على تحريمه : ما روي عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : صـلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت مـن الليـل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : (هل تدرون مـاذا قـال ربكـم ؟) قـالوا : الله ورسوله أعلم، قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ...) إلى أن قـال : (وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)[4] .

---

(١) آية ٢٢ سورة البقرة .

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بسند جيد ، انظر : فتح القـدير ج١ ، ص٥٢ وتيـسير العزيز الحميد ، ص٥٢٣ .

(٣) انظر : فتح المجيد ص ٣٢٤ .

(٤) رواه البخاري في صفة الصلاة باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، ومسلم في الإيمان باب بيان كفر من يقول مطرنا بالنوء وانظر : جامع الوصول حديث ٩١٩٨ .

الثالث : الشرك في الأفعال :

مثل لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم لرفع بلاء أو دفعه مثل من يعلق التميمة اتقاءً للعين ، إذا اعتقد أنها أسباب فهو شرك أصغر .

أما إذا اعتقد أنها تدفع بنفسها فهو شرك أكبر لأنه تعلق بغير الله [١] .

قال ﷺ : (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) [٢] .

ب- الكفر :

تعريفه :

الكفر لغة : مصدر كفر : يقال كفر يكفر كفراً وكفراناً .

ومعنى كفر : ستر وغطى - يقال لمن غطى درعه بثوب قد كفر درعه ويقال للزارع كافر لأنه يغطي الحب بتراب الأرض .

قال تعالى : ﴿... كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ... الآية﴾ [٣] .

والكفر : نقيض الإيمان . سمي بذلك لأنه تغطية للحق .

---

(١) انظر : التوحيد ، ص١١ وتيسير العزيز الحميد ١٣٤ - ١٣٦ .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الطب ١٧ ، والإمام أحمد ، جـ١ ، ص٢٨١ ، وابن ماجة في كتاب الطب ٣٩ .

(٣) آية ٢٠ سورة الحديد .

والكفر : نقيض الشكر سمي بذلك لأنه جحد للنعمة وتغطية لها[١] .

الكفر في الشرع :

هو كل ما يناقض الإيمان أو ينقص كماله الواجب مما ورد في الكتاب أو السنة تسميته كفراً[٢] .

أنواعه : نوعان :

الأول : كفر أكبر : وهو كل ما يناقض الإيمان من اعتقاد أو قول أو عمل ويوجب لصاحبه الخروج من الملة والخلود في النار[٣] .

حكمه : مخرج من الملة ومن مات عليه خُلّد في النار .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[٤] .

---

(١) انظر : لسان العرب ، مادة كفر ، جـ١٢ ، ص ١١٨-١١٩ ، والصحاح ، مادة كفر ، جـ٢ ، ص٨٠٧-٨٠٨ ، والمصباح المنير مادة كفر ، ص ٥٣٥ ، ومعجم مقاييس اللغة، جـ٥ ، ص١٩١ .

(٢) انظر الفتاوى جـ١٢، ص٣٣٥، وكشاف اصطلاحات الفنون، جـ٥، ص ١٢٥ و٢٠٠ سؤال وجواب ص ٩٤ وكتاب التوحيد للفوزان ص ١٦ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل ج١ ص ٢٤٢ ومدراج الساكين جـ١، ص ٣٦٤ والإحكام ج١ ص ٤٩ .

(٤) آية ٦ سورة البينة .

وهو أنواع منها :

١ - **كفر التكذيب والإنكار** : وهو اعتقاد كذب الرسول ﷺ أو شيء مما جاء به مثل التكذيب فيما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من علم المغيبات والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (١) .

٢ - **كفر الإباء والاستكبار مع التصديق** : مثل كفر إبليس ومثل كفر من عرف صدق الرسول ﷺ وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له استكباراً ، ومثل من يرفض الانقياد لأحكام الشريعة استكباراً .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٢) .

٣ - **كفر الشك** : وهو أن يشك في الرسول ﷺ أو في شيء مما جاء به كأن يشك في البعث بعد الموت : والدليل قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ

---

(١) آية ٦٨ سورة العنكبوت .

(٢) آية ٣٤ سورة البقرة .

بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾[١] .

٤ - **كفر الإعراض**: وهو أن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى شيء مما جاء به البتة.

قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾[٢].

٥ - **كفر النفاق** : والمراد النفاق الأكبر . وهو إظهار دعوى الإيمان وإبطان التكذيب.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[٣][٤].

النوع الثاني : الكفر الأصغر :

وهو : كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان على عاملها[٥].

* **حكمه** : موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود[٦].

---

(١) آية ٣٥-٣٨ من سورة الكهف .

(٢) آية ٣ سورة الأحقاف .

(٣) آية ٣ سورة المنافقون .

(٤) انظر : مدارج السالكن جـ١ ص٣٦٦، ٣٦٧ ، ومجموعة التوحيد ص٦ .

(٥) ٢٠٠ سؤال وجواب ص٩٧ .

(٦) مدارج السالكين ج١ ، ص٣٦٤ .

مثاله : قتال المسلمين بعضهم بعض ، والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر، ونحو ذلك ، قال ﷺ : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[١].

وقال ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[٢] فأطلق على قتال المسلمين بعضهم بعضاً أنه كفر ومن يفعل ذلك كافراً . مع قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ... الآية﴾[٣] الآية ؛ فأثبت لهم الإيمان .

وقال ﷺ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن الحديث)[٤] زاد في رواية ، ولا يقتل وهو مؤمن[٥] .

مع حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال ﷺ : (ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة) قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : (وإن زنى وإن سرق) ثلاثاً ... الحديث[٦] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم - البخاري ج١ ص٣٨ ومسلم ج١ ص٨٢ .

(٢) رواه البخاري ومسلم - البخاري ج١ ص١١٠ ومسلم ج١ ص٨١ .

(٣) آية ٩ الحجرات .

(٤) رواه البخاري ج٣ ص١٧٨ ومسلم في كتاب الإيمان باب ٢٤ برقم ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٥) رواه النسائي في القسامة باب تأويل قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) . وانظر : جامع الأصول حديث ٩٣٧٠ .

(٦) رواه البخاري ، جـ٧ ، ص١٩٢ ومسلم في كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

فهذا يدل على أن الإيمان لا ينتفي عن الزاني والسارق وشارب الخمر والقاتل . إذ لو انتفى بالكلية لم يثبت له دخول الجنة وإنما ينتفي عنه كمال الإيمان[١] .

ومن أمثلته أيضاً كفر النعمة المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ... الآية ﴾[٢] .

وبذلك نخلص إلى أن المعاصي التي لاتصل إلى حد الكفر الأكبر كلها من نوع الكفر الأصغر ذلك أنها ضد الشكر الذي هو العمل بالطاعة[٣] .

جـ - النفاق :

تعريفه : النفاق لغة : مصدر نافق ينافق نفاقاً .

وهو : مأخوذ من النفق وهو السرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر وقيل من النافقاء وهو مخرج خفي لليربوع .

---

(١) أما انتفاء الإيمان بالكلية فإنما هو عمن اعتقد حلها سواء فعلها أو لم يفعل ؛ إذ أن ذلك يستلزم تكذيب الكتاب والرسول ﷺ في تحريمها . انظر : ٢٠٠ سؤال وجواب ، ص٩٨ .

(٢) آية ١١٢ سورة النحل .

(٣) مدارج السالكين جـ١ ، ص٣٦٥ و ٢٠٠ سؤال وجواب ص٩٧-٩٨ .

وسمي المنافق منافقاً ، لأنه يستر كفره وله وجهان وجه ظاهر أمام المؤمنين ووجه خفي أمام أعدائهم فشبه بمن يدخل النفق يستتر به ويخلص إلى مكان آخر . أو باليربوع عندما يضع له بابين: باباً ظاهراً وباباً خفياً[١] .

وفي الشرع : إظهار الدين وإبطان خلافه[٢] .

أنواعه : نظراً إلى أن المنافق يبطن ما يخالف الدين . فإن هذا المبطن إما أن يكون كفراً أو فسقاً .

وعليه فالنفاق نوعان :

النوع الأول : إذا أظهر الإيمان والتصديق وأبطن الكفر والتكذيب وهذا هو النفاق الأكبر وهو اعتقادي .

حكمه : مخرج من الدين بالكلية وموجب الخلود في النار في دركها الأسفل إن مات عليه[٣] .

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

---

(١) انظر : لسان العرب مادة نفق ج١٤ ، ص٢٤٣ والمصباح المنير مادة نفق ص٦١٨ .

(٢) الفتاوى ج١١ ، ص١٤٣ .

(٣) الفتاوى ، جـ١١ ، ص١٤٣ ، ومدارج السالكين ، جـ١ ، ص٣٧٦ ، والتوحيد ص١٦ .

(٤) آية ٨ سورة البقرة .

يَفۡقَهُونَ ﴾[(١)] .

وقـال تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾[(٢)] .

أنواعه : النفاق الاعتقادي أنواع منها :

١ - اعتقاد كذب الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به .

٢ - بغض الرسول ﷺ أو شيء مما جاء به .

٣ - المسرة بانخفاض الدين الإسلامي أو المساءة بظهوره وانتصاره .

٤ - تبييت الشر للمسلمين وتدبير المكائد لهم .

٥ - الرغبة في التحاكم إلى غير شرع الله .

٦ - موالاة الكافرين وإعانتهم على المسلمين[(٣)] .

تاريخه :

هؤلاء المنافقون مجودون في كل زمان لاسيما عندما تكون للحق دولة ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر فإنهم يلجئوا إلى النفاق ليأمنوا على

---

(١) آية ٣ سورة المنافقون .

(٢) آية ١٤٥ النساء .

(٣) انظر : الفتاوى ج٢٨ ، ص٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ومدارج السالكين ج١ ، ص ٣٧٧-٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، وصفات المنافقين لابن القيم ص٣٠ ، ومجموعة التوحيد ص٧ .

دمائهم وأموالهم . وليكيدوا لـه ولأهلـه في البـاطن ، ولهـذا نـرى الدولـة الإسلامية لما قامت في المدينة وانتصر المسلمون في بدر لجأ أعدائها في المدينة إلى النفاق[١] .

*** أبرز صفات هؤلاء المنافقين :**

من أبرز صفاتهم ما يلي :

١ – الجبن والهلع : قال تعالى : ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[٢] .

٢ – الشح والبخل : قال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[٣] .

٣ – المراوغة والتلون : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[٤][٥] .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ج١ ص٤٧ .

(٢) آية ٥٦ التوبة .

(٣) آية ٥٤ التوبة .

(٤) آية ١٤ سورة البقرة .

(٥) انظر : الفتاوى ج٢٨ ص ٤٣٧ ، ٤٣٩ ومدارج السالكين ج١ ص ٣٧٩–٣٨٠ .

النوع الثاني : إذا أظهر الصدق والوفاء والأمانة ، وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك . وهذا هو النفاق الأصغر وهو عملي[١] .

حكمه : يكون صاحبه فاسقاً[٢] .

وإذا كثر قد يكون صاحبه منافقاً خالصاً .

قال ﷺ : (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) وفي رواية : (إذا أؤتمن خان) (وإذا وعد أخلف) أخرجه الجماعة إلا الموطأ واخرج النسائي الثانية[٣] .

طريقة التخلص منه : بترك أعمال المنافقين وبالذات الخصال الأربع المذكورة في الحديث ، والاستغفار منه[٤] .

د - احتياط الشرع لتوحيد الألوهية :

يحسن أن نختم الكلام على نواقض توحيد الألوهية بذكر بعض ما نهى عنه الشارع - احتياطاً لهذا التوحيد وحماية له - ذلك أنه قد يكون وسيلة للوقوع في الشرك الأكبر الذي هو أكبر نواقض هذا التوحيد فنقول وبالله التوفيق :

---

(١) الفتاوى ج١١ ص ١٤٣ .

(٢) الفتاوى ج١١ ص ١٤٣ .

(٣) انظر : جامع الأصول حديث ٩١٨٤ .

(٤) انظر : خلاصة معتقد أهل السنة ص ٦٥ .

إن الشارع حرم كل قول أو فعل قد يؤدي إلى الإخلال بهذا التوحيد ومن ذلك :

١ - أنه نهى عن الغلو في تعظيم القبور بالبناء عليها أو إسراجها أو تجصيصها أو الكتابة عليها ، ونحو ذلك مما قد يكون وسيلة إلى تعظيمها ، ومن ثم عبادتها .

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه) وفي رواية زيادة (وأن يكتب عليه وأن يوطأ) (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما (أن رسول الله ﷺ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) (٢) .

٢ - نهى عن اتخاذ المساجد على القبور : ذلك أنه قد يكون ذريعة إلى تعظيمها ومن ثم عبادتها ، قال ﷺ : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (٣) .

---

(١) رواه مسلم في الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه ، وانظر : جامع الأصول حديث ٨٦٥٢ .

(٢) رواه أبو داود في الجنائز باب في زيارة النساء للقبور . والترمذي في الصلاة باب ماجاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجد ، وانظر : جامع الأصول حديث ٨٦٦٣ .

(٣) رواه البخاري في الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، ومسلم في المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، وانظر جامع الأصول حديث ٣٦٦٩ .

٣ – نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لما في ذلك من التشبه بعبادها حيث يتحرون السجود لها في هذه الأوقات .

قال ﷺ : (لا يتحرى أحدكم فيصلي عند طلوع الشمس ولا عند غروبها)[١] .

٤ – نهى عن شد الرحال إلى مكان من الأمكنة بقصد التقرب إلى الله بالعبادة فيه إلا المساجد الثلاثة التي هي : (المسجد الحرام ، ومسجد المدينة والمسجد الأقصى) . قال ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. مسجدي هذا ، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى)[٢] .

٥ – نهى ﷺ عن الغلو في تعظيمه ومدحه ، وغيره من باب أولى ؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى إشراك المخلوق في حق الخالق سبحانه وتعالى .

قال ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)[٣] والإطراء : هو مجاوزة الحد في المدح

---

(١) رواه البخاري في مواقيت الصلاة ، باب لا تتحرى الصلاة قبل غروب الشمس ، وباب الصلاة بعد الفجر ، ومسلم في صلاة المسافرين باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، وانظر : جامع الأصول حديث ٣٣٣٥.

(٢) رواه البخاري في التطوع باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . ومسلم في الحج باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد وانظر : جامع الأصول ، حديث ٦٨٩٥.

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء ، باب قوله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ ، وانظر: جامع الأصول حديث ٨٥١٧ .

والكذب فيه .

٦ - نهى عن الوفاء بالنذر إذا كان في مكان يعبد فيه صنم أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية ، ذلك أن فيه تشبه بالمشركين . والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم .

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : نذر رجل على عهد رسول الله أن ينحر إبلا ببوانة فأتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال ﷺ : (هل كان فيها وثمن من أوثان الجاهلية يعبد ؟) قالوا : لا . قال : (هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟) قالوا : لا ، فقال رسول الله ﷺ : (أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ...) الحديث [1] .

٧ - نهى عن التصوير لما فيه روح ؛ ذلك أنه وسيلة من وسائل الشرك . بل إن أول الشرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير ، وبيان ذلك أن الناس كانوا على التوحيد ، فزين الشيطان لبعضهم تصوير الصالحين ونصب صورهم في المجالس لأجل تذكر أحوالهم والإقتداء بهم في العبادة ، حتى أتى أقوام لا يعلمون الحكمة من تصوير هذه الصور فاعتقدوا فيها النفع والضر من دون الله فعبدوها .

---

(١) أخرجه أبو داود في الإيمان والنذور باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر وإسناده صحيح ، انظر : جامع الأصول ، حديث ٩١٤٨ .

كما أن المصور يحاول أن يضاهي الله عز وجل فيما انفرد به من الخلق .

ولذا حذر المصطفى ﷺ من التصوير وتوعد فاعله بأشد الوعيد وأمر بطمسها .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً، فيعذبه في جهنم)[١] .

وروى مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي رضي الله عنه : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[٢] [٣] .

* * *

---

(١) رواه البخاري في البيوع باب بيع التصاوير ومسلم في اللباس باب تحريم تصوير صور الحيوان ، وانظر : جامع الأصول حديث ٢٩٥٦ .

(٢) رواه مسلم في الجنائز باب الأمر بتسوية القبور والترمذي في الجنائز باب ما جاء في تسوية القبور ، وانظر جامع الأصول حديث ٢٩٧٥ .

(٣) انظر : القول السديد ص٥٠ ، ٧٣-٨٢ ، ١٨٣،١٨٤ وفقه التوحيد ، ص٨٠-٨٢ ، والإرشاد ، ص٤٨ - ٦٠ .

الخاتمة

بسم الله بدأنا وبحمده والشكر له ختمنا ونصلي ونسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . أما بعد :

فإنه من خلال هذا البحث المتواضع توصلت إلى نتائج مهمة منها :

١ – أن الألوهية : هي العبادة – والإله : هو المعبود .

وتوحيد الألوهية : هو إفراد الله بجميع أنواعه العبادة .

٢ – أن لتوحيد الألوهية منزلة كبيرة في الدين الإسلامي ؛ إذ أنه الغاية المحبوبة لله المرضية له التي خلق الخلق لها . وأول دعوه الرسل وأول أمر في القرآن ، وأول واجب وآخر واجب وهو التوحيد الذي ضلت فيه الأمم، ولذا دعاء إليه الرسول ﷺ طيلة العهد المكي وأغلب العهد المدني ، وأغلب الآيات القرآنية جاءت في تأكيده والنهي عن ضده ، وأمر ﷺ أن يقاتل الناس عليه ، وهو المقصود بشهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله) .

٣ – أن في القرآن أساليب كثيرة ومتنوعة في الدعوة إلى هذا التوحيد . منها :

– أمره سبحانه وتعالى بعبادته والنهي عن عبادة ما سواه . وشهادته على هذا التوحيد كما شهدت ملائكته وأنبيائه ورسله ، وإخباره أنه خلق الخلق

لعبادته وأرسل الرسل بالدعوة إليها .

- الاحتجاج بتفرد الله بالربوبية وكمال التصرف وغيرها من خصائص الربوبية . التنديد بما يتخذه الناس آلهة من دون الله ، والتشنيع بحال العابدين لها ، وبيان عاقبتهم .

- الاحتجاج بتفرد الله بكمال الأسماء والصفات .

-الوعد لمن وحده والوعيد لمن أشرك به.

- ضرب الأمثلة إلى تبين أن المشرك مهما عمل فلن ينال رضا معبوده .

- الرد على المشركين في اتخاذهم الوسائط بينهم وبينه .

- بيان أن هؤلاء المعبودين لا يحصل منهم نفع لمن عبدوهم من جميع الوجوه .

- ضرب الأمثلة التي تصور علو التوحيد والموحد وانخفاض الشرك والمشرك.

٤ - أن تحقيق هذا التوحيد يكون بإفراد الله بجميع أنواع العبادة والبراءة من كل معبود سواه ومن كل وسيلة قد تؤدي إلى عبادة ذلك الغير .

٥ - أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية .

٦ - أن لتوحيد الألوهية فوائد كثيرة منها :

الخلوص من الشرك والنفاق ، وجمع الكلمة ، والحصول على نصر الله

وتأييده ، كما أنه يورث القوة والشجاعة ويزيل من النفس الكبر والإعجاب، ويحمل المرء على كل خلق فاضل .

٧ - أن ما يزعمه المتكلمون من أن الإلهية : هي القدرة على الاختراع والإله القادر على الاختراع . وأن من أقر بذلك فقد شهد أن لا إله إلا الله قول خاطئ بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد وتوحيد الإلهية : أن يعبد الله وحده لا شريك له .

٨ - أن للعبادة أركان وشروط :

- أركانها : المحبة والرجاء والخوف .

- وشروطها : صدق العزيمة ، وإخلاص النية ، وموافقة الشرع .

٩ - أن للعبادة في الإسلام خصائص فريدة منها :

الشمول ، والاستمرار ، واليسر والسهولة ، وأنها توقيفية ، ومتنوعة .

١٠ - أن العبادة التي يتحقق هذا التوحيد بها ترجع إلى القلب أو اللسان أو الجوارح - منها: ما يؤدى بواحد من الثلاثة، ومنها ما يؤدى باثنين، ومنها ما يؤدى بالثلاثة . وعبادات القلب : منها الواجب ، ومنها المستحب ، ومنها المحرم ومنها المكروه ومنها المباح . ومثلها عبادات اللسان وسائر الجوارح .

١١ - أن من نواقض توحيد الألوهية : الشرك ، والكفر ، والنفاق .

١٢ - أن الشرك نوعان أكبر واصغر .

١٣ - أن الشرك الأكبر : مخرج من الله محبط للعمل ، صاحبه حلال الدم والمال ، وفي الآخرة مخلد في النار إن مات عليه ، لا يغفر له إلا بالتوبة ، تحرم مناكحته وذبيحته إلا إذا كان كتابياً ، لا يرث ولا يورث من قبل المسلمين إذ هو أظلم الناس وأضلهم .

مثل : شرك الطاعة وشرك الدعاء وشرك المحبة .

١٤ - أن الشرك الأصغر : أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر لكنه لا يخرج من ارتكبه من ملة الإسلام - وهو يبطل ثواب العمل ووسيلة قد تؤدي بصاحبها إلى الشرك الأكبر- كالرياء والسمعة ، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا ، والحلف بغير الله ، وقول ما شاء الله وشئت ، وإسناد بعض الحوادث إلى غير الله . وقول البعض مطرنا بنوء كذا ، ولبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم ونحو ذلك .

١٥ - أن الكفر نوعان : أكبر : مخرج من الملة ومن مات عليه خُلِّد في النار مثل كفر التكذيب ، وكفر الاستكبار ، وكفر الشك، وكفر الإعراض ، وكفر النفاق .

وكفر أصغر : موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود ويشمل المعاصي التي لاتصل إلى حد الكفر الأكبر .

١٦ - أن النفاق نوعان : أكبر : مخرج من الدين ، وموجب الخلود في النار - إن مات عليه - مثل : اعتقاد كذب الرسول ﷺ أو بغضه، أو بغض شيء مما جاء به ، أو المسرة بانخفاض الدين الإسلامي ، أو تبييت الشر للمسلمين ، أو الرغبة في التحاكم إلى غير شرع الله ، أو موالاة الكافرين وإعانتهم على المسلمين .

وأصغر : صاحبه فاسقاً : مثل الكذب والخيانة ، وخلف الوعد والفجور في الخصومة ، والغدر .

١٧ - أن الشارع قد احتاط لهذا التوحيد فنهى عن كل وسيلة قد تؤدي إلى الإخلال به ، كالغلو في تعظيم القبور ، واتخاذ المساجد عليها ، وشدّ الرحال إلى أي مكان بقصد التقرب إلى الله بالعبادة فيه إلا المساجد الثلاثة، والغلو في تعظيمه ﷺ وغيره ، والوفاء بالنذر - إذا كان في مكان يعبد فيه غير الله - وتصوير ما فيه روح . ونحو ذلك .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

فهرس المراجع

١ - أحكـام القـرآن لأبي بكـر محمـد بـن عبـد الله المعـروف بـابن العـربي - ط الثانية عيسي البابي الحلبي .

٢- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ، دار الحديث ، القاهرة .

٣- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح بـن فـوزان الفـوزان ط الثانيـة ١٤١٦ دار ابن الجوزى المملكة العربية السعودية .

٤- بدائع الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية النـاشر: دار الفكـر للطباعـة والنـشر والتوزيع بيروت لبنان

٥- التدمريـة لـشيخ الإسـلام ابـن تيميـه ط الأولى ١٤٠٥ ، شركـة العبيكـان للطباعة الرياض .

٦- تفسير غريب القرآن ـ لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ ط ١٣٩٨هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧- التفـسير القـيم للإمـام ابـن القـيم، جمـع أويـس النـدوي ـ ط ١٣٩٨ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٨- تفسير ابن كثير لإسماعيل بن كثير القرشي ـ ط ١٤٠٥ عالم الكتب بيروت لبنان.

٩- تفسير وبيان مفردات القرآن لمحمد حسن الحمصي دار الرشيد دمشق بيروت .

١٠- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز الناصر الرشيد دار الرشيد للنشر .

١١- التوحيد لصالح بن فوزان الفوزان ، الناشر : مكتبة الأثير بالرياض .

١٢- التوحيد: لعبد الرزاق عفيفي ـ ط الأولى ١٤٠٣ المكتب الإسلامي

١٣- تيسير العزيز الحميد : لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

١٤- جامع الأصول : للإمام مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري مطبعة الملاح ط الأولي ١٣٨٩ هـ.

١٥- جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري ، ط ١٤٠٥هـ - دار الفكر ، بيروت .

١٦- الجواب الكافي : للإمام ابن قيم الجوزية ط الثالثة ١٤٠٠هـ- دار المطبعة السلفية .

١٧- الحد الفاصل بين الإيمان والكفر: لعبد الرحمن عبد الخالق. ط الرابعة ١٤٠٣، دار القلم الكويت

١٨- خلاصة معتقد أهل السنة لعبد الله سليمان المشعلي ط الثالثة ١٤١٠هـ مكتبة ابن خزيمة بالرياض .

١٩- دلائل التوحيد: لمحمد جمال الدين القاسمي، ط الأولى ١٤١٢هـ دار النفائس بيروت لبنان.

٢٠- سنن أبي داود : لسليمان بن الأشعث السجستاني، ط الأولى ١٤٠٩ دار الحنان بيروت لبنان.

٢١- سنن الترمذي : لمحمد بن عيسى الترمذي، ط الثانية ١٣٩٤ دار الفكر.

٢٢- سنن ابن ماجة ـ لمحمد بن يزيد القزويني ـ ط ١٣٩٥ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٢٣- سنن النسائي: لأحمد بن علي النسائي . ط الأولى ١٣٤٨ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٢٤- ٢٠٠ سؤال وجواب : في العقيدة الإسلامية لحافظ بن أحمد حكمي دار الاعتصام

٢٥- شرح العقيده الطحاوية : لابن أبي العز الحنفي ط الرابعة ١٣٩١ المكتب الإسلامي بيروت لبنان.

٢٦- الصحاح : لإسماعيل بن حماد الجوهري ط الثالثة ١٤٠٤هـ دار العلم بيروت لبنان .

٢٧- صحيح البخاري : لمحمد بن إسماعيل البخاري ط ١٣٩٠هـ مطبعة الأهرام التجارية .

٢٨- صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج القشيري ط ١٣٧٤ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

٢٩- صفات المنافقين لابن القيم : ط الرابعة ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان.

٣٠- العبادة : د. محمد أبو الفتح البيانوني ط الأولى ١٤٠٤ دار السلام القاهرة.

٣١- العبودية لابن تيمية : ط السادسة ١٤٠٣ المكتب الإسلامي بيروت لبنان .

٣٢- العقيدة في صفحات : لأبي بكر بن محمد الحنبلي ط الأولى ١٤٠٩ دار عمار ـ عمان.

٣٣- عقيدة المؤمن : لأبي بكر جابر الجزائري ط الثانية ١٣٩٨هـ مكتبة الكليات الأزهرية

٣٤- الفتاوى لشيخ الإسلام : لابن تيميه ط الأولي ١٣٩٨هـ مطابع دار العربية بيروت لبنان

٣٥- فتاوى اللجنة الدائمة :للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب الشيخ احمد عبد الرزاق الدويش، ط الأولى ١٤١١هـ الرئاسة العامة للبحوث العملية والإفتاء بالرياض .

٣٦- فتح البارى: لأحمد بن على بن حجر العسقلاني نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

٣٧- فتح القدير : لمحمد بن على الشوكاني ط ١٤٠١هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

٣٨- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل

الشيخ ط السابعة ١٣٧٧هـ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٣٩- فقه التوحيد: لخالد عبد الرحمن العك ط الأولى ١٤١٦ دار إحياء العلوم بيروت لبنان.

٤٠- القول السديد : لعبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ط الأولى ١٤١٢- دار الوطن الرياض.

٤١- كشاف اصطلاحات الفنون : لمحمد علي الفارقي التهانوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م .

٤٢- كنز العمال : لعلي المتقي بن حسام الدين الهندي ط الخامسة ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة.

٤٣- الكواشف الجلية: لعبد العزيز محمد السلمان ، ط الثانية ١٣٩٠هـ مطبعة السعادة .

٤٤- لسان العرب : لابن منظور ط الثانية ١٤١٢هـ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان

٤٥- مجلة البحوث : عدد ٣٧ رجب شعبان رمضان شوال عام ١٤١٣هـ .

٤٦- مجموعة التوحيد : للشيخ محمد بن عبد الوهاب ونخبة من علماء المسلمين نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية .

٤٧- مدارج السالكين : لابن قيم الجوزية ط الثانية ١٤٠٨هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٤٨- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية : لعثمان جمعة ضميريه ط الثانية ١٤١٧هـ مكتبة السوادي للتوزيع جدة.

٤٩- المستدرك : لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري - الناشر : دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

٥٠- مسند الإمام أحمد: لأحمد بن حنبل ط ١٣١٣ المطبعة الميمنية بمصر. مؤسسة قرطبة القاهرة.

٥١- المصباح المنير : لأحمد بن محمد بن على المقري الفيومي ط ١٩٧٧م دار المعارف .

٥٢- معارج القبول: لحافظ بن أحمد حكمي ط الثالثة ١٤٠٤هـ دار العدالة.

٥٣- معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

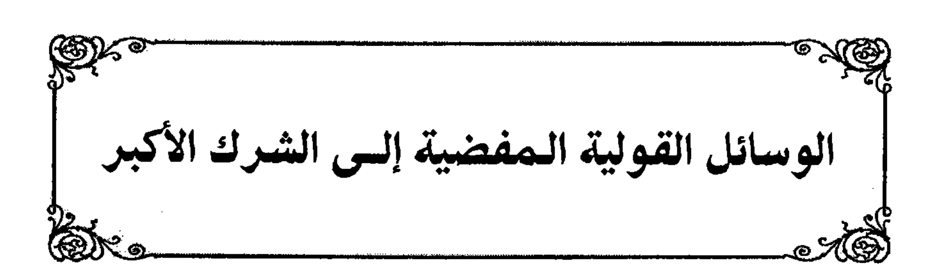
٥٤- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ، مطابع دار المعارف بمصر ط الثانية ١٣٩٣هـ

٥٥- المغني : لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه - مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

٥٦- المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية لعبد الآخر حماد الغنيمي ط الثانية ١٤١٦ دار الصحابة ـ بيروت لبنان.

فهرس الموضوعات

* * *



الوسائل القولية المفضية إلى الشرك الأكبر

إعــداد

د. عواد عبدالله المعتق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد : فإنه من المعلوم أن الله خلق عباده حنفاء كما قال ﷺ فيما يرويه عن ربه (... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم .. الحديث)[١] .

ولكن شياطين الجن والأنس اجتالتهم عن السبيل المستقيم إلى السبل وعن التوحيد إلى الشرك وقد لجئوا لتحقيق ذلك إلى أساليب متنوعة منها تظاهر بعضهم بالدخول في الإسلام حتى يكيدوا له من داخله بإفراط او تفريط أو نحو ذلك ، وبذلك زرعوا كثيراً من البدع الشركية ، وحسنوا ذلك للعوام بوسائل متعددة منها الغلو في التعظيم ، والتوسل والتبرك الممنوعين ، وإسناد الحوادث إلى غير الله ، والحلف بغيره ، وغير ذلك من وسائل الشرك التي أفضت بالبعض إلى الوقوع في الشرك الصريح حيث جعلوا بعض القبور كالأوثان يطوفون بها ويلجئون إلى أهلها في طلب الخير أو دفع الضر .

لما ذكرت رأيت أن اكتب لمحة موجزة أذكر فيها ببعض الوسائل القولية المفضية إلى الشرك الأكبر وقد جعلتها في مقدمة وتمهيد وستة مباحث

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار وأنظر جامع الأصول حديث ٩٤٤٥ .

وخاتمة .

المقدمة بينت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره .

التمهيد في تعريف الوسائل وحكمها .

المبحث الأول : الغلو في المدح .

المبحث الثاني : التسوية بين الخالق و المخلوق في القول

المبحث الثالث: التوسل في الدعاء بما لم يشرع .

المبحث الرابع : الاستسقاء بالأنواء .

المبحث الخامس : إسناد بعض الحوادث إلى غير الله مجازاً .

المبحث السادس : الحلف بغير الله .

الخاتمة في ذكر بعض النتائج التي توصلت إليها ، وأخيراً أسأله تعالى أن يتقبل الصواب ويتجاوز عن الخطأ ، إنه سميع مجيب .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد

في تعريف الوسائل وحكمها

تعريفها : لغة : الوسائل جمع وسيلة - والمراد بها - هنا - الذريعة [١] تأتي لعدة معان منها : السبب وما يتوصل به إلى الشيء [٢].

وفي الاصطلاح : عرفت بتعاريف كثيرة .

في بعضها : عرفت بأنها ما كان وسيلة وطريقاً إلى شيء آخر حلالاً كان أو حراماً . وبذلك شملت المشروع والممنوع - وأطلق عليه المعنى العام [٣] .

يقول القرافي : الذريعة : الوسيلة للشيء [٤] .

وقال ابن تيمية وابن القيم : الذريعة : ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء [٥] .

وفي بعضها اقتصر على الممنوع وأطلق عليه المعنى الخاص وهو الغالب في استعمالها [٦] .

---

(١) انظر : الفروق للقرافي ، ج٢ ، ص ٣٢ .

(٢) انظر : لسان العرب ، ج١ ، ص ١٠٦٤-١٠٦٥ ، ج٣ ، ص ٩٢٧ .

(٣) قاعدة سد الذائع ، ص ٥٧ .

(٤) الفروق : للقرافي ج٢ ، ص ٣٣ .

(٥) انظر الفتاوى الكبرى ، ج٣ ، ص ٢٢٣ وإعلام الموقعين ، ج٣ ، ص١٣٥

(٦) انظر : موسوعة مصطلحات أصول الفقه ، ج١ ، ص٧٢٢ .

يقول القرطبي : الذريعة : عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع [١] .

وقال ابن العربي : الذريعة : كل عمل ظاهره الجواز يتوصل به إلى محظور [٢] .

وقال ابن تيمية : الذريعة : هي الفعل الذي ظاهره أنه مباح وهو وسيلة إلى فعل محرم [٣].

من هذه التعريفات اتضح أن الذريعة بالمعنى الخاص : هي ما كان ظاهره الإباحة ويفضي أو يمكن أن يفضي إلى محظور .

حكمها : من قال بأنها تكون في المشروع كما تكون في الممنوع .

قال : هي تابعة للمقصود فوسيلة المحرم محرمة ، ووسيلة المباح مباحة .

يقول القرافي (.. فإن الذريعة هي الوسيلة فكما أن وسيلة المحرم محرمة فوسيلة الواجب واجبة .. إلى أن قال وموارد الأحكام على قسمين مقاصد وهي المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها ووسائل وهي الطرق المفضية إليها وحكمها حكم ما أفضت إليه من تحريم وتحليل غير أنها أخفض رتبة من

---

(١) تفسير القرطبي ، ج٢ ، ص ٥٧-٥٨ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ، ج٢ ، ص٧٩٨ .

(٣) الفتاوى الكبرى ، ج٣ ، ص ٢٢٣ .

المقاصد في حكمها)[١].

وقال ابن القيم (لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها... فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها .. ووسائل الطاعات ... في محبتها والإذن بها بحسب إفضائها إلى غاياتها ، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود ... إلى أن قال : فإذا حرم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها تحقيقاً لتحريمه وتثبيتا له ومنعاً أن يقرب حماه ، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليها لكان ذلك نقضاً للتحريم)[٢].

ومن قال بأن الذريعة لا تكون إلا في المحظور قال بسدها: أي منعها ؛ لما تفضي إليه من المحظور .

يقول القرطبي : (والتمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب الإمام مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل)[٣].

وقال ابن العربي : (وقاعدة الذرائع التي يجب سدها شرعاً هو ما يؤدي من الأفعال المباحة إلى محظور منصوص عليه ...)[٤].

---

(١) الفروق للقرافي ، ج٢ ، ص٣٣ .

(٢) إعلام الموقعين ، ج٣ ، ص ١٣٥ .

(٣) تفسير القرطبي ، ج٢ ، ص٥٧ وانظر : المدخل إلى مذهب الإمام احمد ، ص٢٩٦ .

(٤) تهذيب الفروق والقواعد السنية ، ج٢ ، ص ٤٤ .

وقال الشاطبي : (وسد الذرائع أصل من الأصول القطعية في الشرع) [١].

وبما أن الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر تفضي إلى محظور فهي محظورة على كلا القولين .

* * *

(١) الموافقات ، ج١ ، ص١٢٠ .

الوسائل القولية المفضية إلى الشرك

المراد بها : هي كل سبب قولي يفضي إلى الشرك الأكبر ومن ذلك ما يلي:

المبحث الأول : الغلو في المدح

تعريفه :

الغلو لغة : هو الارتفاع والزيادة ومجاوزة الحد في الشيء والإفراط فيه[١].

وفي الشرع: هو مجاوزة الحد المشروع في القول أو الاعتقاد أو العمل.

أما الغلو في المدح : فهو مجاوزة الحد في المدح والإفراط فيه .

وذلك بأن يزاد في تعظيم مخلوق بالقول على ما يستحق حتى يرفع فوق منزلته التي نزله الله إياها[٢].

---

(١) انظر : لسان العرب ، ج٢ ، ١٠١١ . والقاموس المحيط ، ج٤ ، ص٣٧١ . ومعجم مقاييس اللغة ، ج٤ ، ص٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص٣٢٨ . وأيسر التفاسير ، ج٢ ، ص٣٧٣ . والقول السديد ، ص٧٥-٧٦ . وتطهير الجنان ، ص٢٢-٢٣ .

أمثلته : ومن أمثلة ذلك ما يلي :

١- الغلو في مدح النبي ﷺ .

فقد أدى الغلو ببعضهم إلى أن جعل له شيئاً من حقوق الله الخاصة به[1]. وذلك صريح الشرك . كقول البوصيري :

يا أكرم لخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

وقوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

وما بعدها من أبيات التي تضمنت غاية الإطراء والغلو ، حيث توجه في دعائه إلى الرسول ﷺ وجعله هو الملاذ وحده في أضيق الحالات وأشد الصعوبات ونسب إليه ما لا ينسب إلا إلى الله وذلك أن الشيطان زين لهذا الناظم وأمثاله سوء عملهم فأظهر لهم الغلو في مدحه-وإن كان شركاً أكبر - في قالب حبه وتعظيمه[2].

---

(١) التي لا يشاركه فيها مشارك ، وهي الكمال المطلق ، والغنى المطلق ، والتصرف المطلق من جميع الوجوه وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه ، فمن غلا في مخلوق حتى جعل له نصيباً من هذه الأشياء فقد ساواه برب العالمين وذلك أعظم شرك وإنما يؤدي إليه رفع المخلوق فوق منزلته التي أنزله الله بها الذي هو وسيلة إلى الشرك ، انظر القول السديد ، ص٧٥-٧٦ .

(٢) انظر : بيان المحجه ، ص٣٨٢ . والإرشاد ، ص٣٩-٤٠ .

٢- الغلو في بعض الصحابة مثل الغلو في علي رضي الله عنه وآل بيته فقد أدى الغلو بمن غلا فيهم إلى أن قال بعصمتهم[١].

٣- الغلو في تعظيم الصالحين:

مثل غلو أتباع عدي بن مسافر الأموي - المتوفى سنة ٥٥٥هـ - فيه.

وغلو أتباع عبد القادر الجيلاني - المتوفى سنة ٥٦١ هـ - فيه، وغيرهما حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه، فرفعوهم فوق كل مخلوق، وجعلوا طاقاتهم تفوق طاقة البشر وادعوا لهم كرامات لم تثبت، ثم عبدوهم من دون الله - حيث استغاثوا بهم في الشدائد وطلبوا منهم ما لا يطلب إلا من الله[٢].

يقول الشاطبي: (ومنها: رأى قوم التغالي في تعظيم شيوخهم حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه. فالمقتصد منهم: يزعم أنه لا ولي لله أعظم من فلان ... والمتوسط: يزعم أنه مساوي للنبي ﷺ إلا أنه لا يأتيه الوحي ... والغالي: يزعم فيه أشنع من هذا كما ادعى أصحاب الحلاج في الحلاج)[٣].

---

(١) انظر: الفتاوي، ج٣، ص٣٧٥. ووسطية أهل السنة، ص٤١١ - ٤١٤.

(٢) انظر: الاعتصام، ج١، ص١٩٦. والغلو في الدين، ص٧٦-٧٧. والفتاوى، ج١١ ص١٠٣. والشرك في القديم والحديث، ج٢، ص١٠٨٨-١٠٩٠.

(٣) الاعتصام، ج١، ص١٩٦-١٩٧.

كيف يوصل الشرك ؟

الغلو في القول يؤدي بصاحبه شيئاً فشيئاً إلى أن يرفع المغلو فيه من نبي أو ولي فوق منزلته التي نزله الله إياها وذلك يؤدي إلى استشعار القلب بالخوف والرهبة منه والرجاء فيه حتى يعتقد فيه شيئاً من خصائص الخالق ومن ثم يدعوه ويستغيث به ونحو ذلك مما هو صريح الشرك[1].

الأدلة على منعه :

أولاً : من الكتاب : ومن ذلك ما يلي :

١- قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ الآية)[2].

يقول ابن كثير : (ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله

---

(١) انظر : القول السديد ، ص٧٦. والغلو في الدين ، ص١١٤. والشرك في القديم والحديث ، ج١ ص٦١٢. ومجلة البحوث الإسلامية العدد ٢٠ ، ص٢٠٠ . والفتاوى، ج٤ ، ص٥١٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧١ .

يعبدونه .. بل قد غلو في أتباعه وأشياعه ..)[1].

والخطاب وإن كان موجهاً لأهل الكتاب ، فإن حكمه عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم أن يفعلوا بالنبي محمد ﷺ أو غيره كما فعلت النصارى في عيسى واليهود في عزير[2].

٢-وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3].

قال الشوكاني : (﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ الطغيان : مجاوزة الحد ، لما أمر الله بالإستقامة المذكورة بين أن الغلو في العبادة والإفراط في الطاعة على وجه تخرج به عن الحد الذي حده والمقدار الذي قدره ممنوع منهي عنه...)[4].

وقال الجزائري : (﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ أي لا تتجاوزوا ما حد لكم في الاعتقاد والقول والعمل)[5].

ومن العبادات القولية : تنزيل الأنبياء والصالحين منازلهم ، لذا يجب أن

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ٥٨٩ . .

(٢) انظر : تطهير الجنان ، ص ٢٣ . والدر النضيد ، ص١٣٨ .

(٣) سورة هود : الآية ١١٢ .

(٤) تفسير الشوكاني ، ج٢ ، ص ٥٣٠ .

(٥) أيسر التفاسير ، ج٢ ، ص ٣٧٣ .

تكون باعتدال بين الإفراط والتفريط كما أمر الله في هذه الآية وغيرها ، وعليه فإن الغلو في نبي أو ولي ممنوع منهي عنه بنص الآية .

ثانياً : من السنة لقد حذر المصطفى ﷺ من الغلو بجميع أنواعه ومن ذلك الغلو في الأنبياء والصالحين في أحاديث كثيرة منها ما يلي :

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (... وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)[١].

قال شيخ الإسلام: (قوله « وإياكم والغلو في الدين » عام في جميع أنواع الغلو .. والغلو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك)[٢].

٢- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت عمر يقول على المنبر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله)[٣].

---

(١) رواه أحمد في المسند ، ج١ ، ص٢١٥ . و النسائي في الحج ، باب التقاط الحصى. وابن ماجة في كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي ، وإسناده صحيح. انظر: جامع الأصول ، حديث١٥٧٢ ، الحاشية .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص٣٢٨ .

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء ، باب ٤٨. وأبو داود في كتاب الرقاق ، باب ٦٨ . وانظر: جامع الأصول ، حديث ٢٠٧٦ ، ٨٥١٧ .

والإطراء هنا هو مجاوزة الحد في المدح والإفراط فيه كما قال ابن الأثير[1] وابن حجر[2].

والحديث نص في النهي عن إطرائه ﷺ وهو مجاوزة الحد في مدحه، وإذا حرم الإطراء في حقه فغيره من باب أولى.

٣- وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: قال أبي (انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا؟ قال: السيد الله، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً. فقال: قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان)[3].

٤- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (إن ناساً قالوا: يا رسول الله، ويا خيرنا وابن خيرنا، ويا سيدنا وابن سيدنا فقال رسول الله ﷺ السيد الله، قالوا: أنت أفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: يا أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان إني لا أريد أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله تبارك وتعالى أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله)[4].

---

(١) انظر: جامع الأصول، ج١١، ص٥١.

(٢) أنظر: فتح الباري، ج٦، ص ٤٩٠.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في كراهية التمادح، وإسناده صحيح. انظر: جامع الأصول، ج١١، ص٤٩ (المتن والحاشية).

(٤) رواه احمد في المسند، ج٣، ص١٥٣ وإسناده صحيح. انظر: جامع الأصول، ج١١، ص٤٩-٥٠ (المتن والحاشية).

في الحديثين - كما نرى - نهي منه ﷺ عن المبالغة في مدحه ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله إياها - وهي أنه عبد الله ورسوله وإذا ثبت النهي في حقه فغيره من باب أولى . بل وفيها النهي عن مواجهة الممدوح بالمدح - ولو بما فيه ، فكيف بالمبالغة والمدح بما ليس فيه - لما يسببه من تعاظم الممدوح وذلك مما يتنافى مع كمال الخضوع لله رب العالمين ، ولما يسببه من غلو المادح حتى ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها وذلك من الوسائل المفضية إلى الشرك [1].

٥- وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال (أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال : ويلك ، قطعت عنق صاحبك (مراراً) ثم قال : من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل : أحسب فلانا ، والله حسيبه ، ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه)[2].

قال ابن الأثير : (قوله قطعت عنق صاحبك) أي أهلكته في الإطراء والمدح الزائد وتعظيمك شأنه عند نفسه فإنه يعجب بنفسه فيهلك ، كأنك

---

(١) انظر : جامع الأصول ، ج١١ ، ص٤٩. والدر النضيد ، ص٢٩١ . وتيسير العزيز الحميد ص٦٦٣ - ٦٦٤.

(٢) رواه البخاري في الشهادات ، باب إذا زكى رجل رجلاً كفاه ، وفي الأدب ، باب ما يكره من التمادح ، ومواضع أخرى . ومسلم في الزهد ، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط . انظر : جامع الأصول حديث ٨٥١٨ (المتن والحاشية) .

قطعت عنقه)[١]. وفي ذلك إنكار منه ﷺ للمدح الزائد مما يدل على عدم جوازه.

٦- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدح فقال: (أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل)[٢]. وزاد رزين: (أما أنه لو سمعك ورضي قولك ما أفلح)[٣].

وهذا الحديث كسابقه فيه إنكار للإطراء ووعيد لمن رضي به مما يؤكد عدم جوازه.

ثالثاً: ما ورد عن الصحابة ومن بعدهم من أئمة المسلمين في التحذير من الغلو:

١- ما رواه ابن أبي عاصم في السنة قال: حدثنا أبو علي الحسن البزار... وساق السند إلى أن قال عن علقمة قال: سمعت علياً على المنبر، - فضرب بيده على منبر الكوفة -، يقول: « بلغني أن قوماً يفضلوني على أبي بكر وعمر ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه، ولكن أكره العقوبة قبل

---

(١) جامع الأصول، ج١١، ص٥٢.

(٢) رواه البخاري في الشهادات، باب ما يكره من الإطناب في المدح، وفي الأدب باب ما يكره من التمادح، ومسلم في الزهد باب النهي عن الإفراط في المدح إذا خيف منه فتنة على الممدوح.

(٣) انظر: جامع الأصول، ج١١، ص٥٢.

التقدمة . من قال شيئاً من هذا فهو مفتر عليه ما على المفتري إن خيرة الناس رسول الله ﷺ وبعد رسول الله ﷺ ، أبو بكر ثم عمر وقد أحدثنا أحداثاً يقضي الله فيها ما أحب)[1].

٢- قال شيخ الإسلام : (.. كما أن علياً حرق[2] الغالية[3] الذين ادعوا فيه الإلهية ، وقال في المفضلة : لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري)[4].

وقال أيضاً : (فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه ... فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام والسنة... وذلك بأسباب منها :

الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة ، ج٢ ، ص٤٨٠ ، قال الألباني إسناده حسن . انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة ، ج٢ ، ص٤٨٠ .

(٢) بعد أن أجلهم ثلاثاً ليتوبوا فلما لم يتوبوا أحرقهم بالنار وقد اتفق الصحابة على قتلهم - كما قال شيخ الإسلام - لكن ابن عباس رضي الله عنه كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق ، وهو قول اكثر العلماء . انظر: الفتاوى ، ج٣ ، ص٣٩٤ .

(٣) هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي ، وإنما أراد بغلوه إفساد الإسلام وتفريق كلمة المسلمين . انظر : الفتاوى ، ج٤ ، ص ٥١٨ .

(٤) انظر : الفتاوى ، ج٤ ، ص٥١٩ .

تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾الآية(١)، وقال تعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ الآية(٢) .

وقال النبي ﷺ : (وإياكم والغلو في الدين ... الحديث)(٣)(٤) .

وقال أيضاً : (.. فكل من غلا في نبي أو في رجل صالح كمثل علي رضي الله عنه أو (عدي) أو نحوه أو في من يعتقد فيه الصلاح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول : كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده أو يقول إذا ذبح شاة باسم سيدي ... أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول يا سيدي فلان .. احمني أو انصرني ... أو أغثني أو نحو هذه الأقوال والأفعال التي لا تصلح إلا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب و إلا قتل)(٥).

٣- وقال الشاطبي : (... ومنها رأي قوم التغالي في تعظيم شيوخهم حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه ، فالمقتصد منهم يزعم انه لا ولي لله أعظم من فلان ، وربما أغلقوا باب الولاية دون سائر الأمة إلا هذا المذكور وهو

---

(١) سورة النساء : الآية ١٧١ .

(٢) سورة المائدة : الآية : ٧٧ .

(٣) سبق تخريجه ص١٠٤ .

(٤) الفتاوى ، ج٣ ، ص ٣٨٣ .

(٥) الفتاوى ، ج٣ ، ص ٣٩٥ .

باطل محض وبدعة فاحشة)[1].

٤- وقال الشيخ ابن سعدي (ومن رفع أحداً من الصالحين فوق منزلته التي أنزله الله بها فقد غلا فيه ، وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين)[2].

* * *

(١) الاعتصام ، ج١ ، ص ١٩٦ .

(٢) القول السديد ، ص ٧٦ .

المبحث الثاني : التسوية بين الخالق والمخلوق في القول

المراد به : هو التلفظ بالألفاظ التي فيها تسوية بين الخالق والمخلوق[١].

أمثلته : ومن أمثلة ذلك : قول ما شاء الله وشئت ، ولو لا الله وأنت ، وما لي إلا الله وأنت ، وتوكلت على الله وعليك ، وأنا بالله وبك . ونحو ذلك مما فيه تسوية بين الخالق والمخلوق .

كيف يوصل إلى الشرك : من المعلوم أن الواو تقتضي التسوية وهذه التسوية في اللفظ شرك أصغر ووسيلة إلى الشرك الأكبر إذا لم يقم بقلب المتلفظ بها تعظيم للمسوى بينه وبين الله[٢]؛ إذ التسوية في القول مع تطاول الأيام وغلبة الجهل قد تخدع السامع فيظن أن هذا الغير مساوياً لله في شيء من خصائصه فيقع في الشرك الأكبر .

وقد تؤدي بالقائل أو السامع إلى أن يقع في قلوبهم تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله فيقعوا في الشرك الأكبر .

الأدلة على منعه : وهي كثيرة منها ما يلي :

١- قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣] قال ابن

---

(١) انظر : الإرشاد ، ص ٣٦ .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة ، ج١ ، ص٢٢٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٢ .

عباس في هذه الآية (الأنداد : هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول والله وحياتك ... وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت وقول الرجل : لو لا الله وفلان .. هذا كله شرك)(١). والآية نزلت في الشرك الأكبر إلا أنها حجة في الشرك الأصغر كما فسرها ابن عباس وغيره لأن الكل شرك(٢).

٢- وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال : (لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان) (٣).

٣- وعن قتيلة بنت صيفي - امرأة من جهينة - قالت : (إن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : (إنكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشئت وتقولون : والكعبة فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت) (٤).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسناد جيد . انظر : تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ٥٦ وفتح القدير ، ج١ ، ص ٥٢ . وتيسير العزيز الحميد ، ص٥٢٢ .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٢٢-٥٢٣ .

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب باب لا يقال : خبثت نفسي . وإسناده صحيح . انظر : جامع الأصول ، حديث ٩٤٣٥ .

(٤) أخرجه النسائي في الأيمان والنذور باب الحلف بالكعبة وإسناده صحيح . انظر : جامع الأصول ، حديث ٩٢٧٧ .

٤- وعن الطفيل أخي عائشة لأمها قال : رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله . قالوا:وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ،ثم مررت بنفر من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القوم لو لا أنكم تقولون المسيح ابن الله ، قالوا: وإنكم لأنتم القوم لو لا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، قال : هل أخبرت بها أحداً؟ قلت نعم ، قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنها كم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده [1].

٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :(قال رجل للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، قال : أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده) .

وفي رواية : (أجعلتني لله عدلاً ؟ قل : ما شاء الله وحده) [2].

---

(١) رواه الإمام أحمد والدارمي وأبو يعلي والطبراني في الكبير عن طفيل بن سخبرة . انظر : كنز العمال ، حديث ٨٣٧٨ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ،ج١ ، ص٢١٤ . والبيهقي في السنن الكبرى ج٣ ، ص٢١٧ . وابن أبي الدنيا في الصمت برقم ٣٤٥ بإسناد حسن . وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ،ج١ ، ص٥٧ : إسناده حسن

وقد اتفق جمهور العلماء على النهي عن هذا القول ونحوه مما فيه تسوية بين الخالق والمخلوق[١].

وأما قول من قال بالجواز محتجاً بقوله تعالى: ﴿...وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ... الآية﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ... الآية ﴾[٣] فقول مردود لما يلي:

أولاً: أن النبي ﷺ أنكره وهو أعلم بكتاب الله منا، فلو كان في كتاب الله ما يدل على الجواز لما أنكره.

ثانياً: أن الآيتين إنما أخبر بهما عن فعلين متغايرين فاخبر تعالى أنه أغناهم وأن رسوله ﷺ أغناهم، وهو من الله حقيقة لأنه الذي قدر ذلك، ومن الرسول ﷺ حقيقة باعتبار تعاطي الفعل، وكذلك الإنعام، أنعم الله على زيد بالإسلام، والنبي ﷺ أنعم عليه العتق، وهذا بخلاف المشاركة في الفعل الواحد، فالكلام إنما هو فيه والمنع إنما هو منه.

ثالثاً: على فرض أن الآيتين تدلان على المشاركة في الفعل الواحد فإن ذلك لله وحده لا شريك له، كما أنه تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص٥٣٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧٤.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

فكذلك هذا[1].

* كيفية اتقائها :

يمكن اتقاء مثل هذه الوسيلة باستبدال الواو بثم ، فإذا أردنا أن نقول : ما شاء الله وشئت ، ولو لا الله وأنت ونحوهما . نقول : ما شاء الله ثم شئت ، ولولا الله ثم أنت ، ذلك أن العطف بالواو يقتضي التسوية بين مشيئة الله ومشيئة المخلوق أما العطف بثم فإنها تقتضي العطف مع الترتيب والتراخي، وذلك يقتضي تقديم مشيئة الله وأنها فوق مشيئة المخلوق[2].

* * *

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٣٥-٥٣٦ .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٣٦ . ودعوة التوحيد ، ص٦٥ .

المبحث الثالث التوسل في الدعاء بما لم يشرع

تعريفه :

أ- التوسل والوسيلة في اللغة :

أما التوسل : فهو في الأصل : التقرب إلى المطلوب والتوصل إليه برغبة كما يأتي ويراد به السرقة . يقال : أخذ فلان إبلي توسلاً - أي سرقة .

وأما الوسيلة : فهي في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به ، جمعها وسائل ، وتأتي ويراد بها المنزلة عند الملك والدرجة [١] .

ب- التوسل والوسيلة في الشرع:

أما التوسل فهو التقرب إلى الله تعالى بوسيلة مشروعة . وأما الوسيلة فهي: ما يتقرب به إلى الله تعالى رجاء حصول مرغوب أو دفع مرهوب من فعل الواجبات والمستحبات أو ترك المنهيات[٢] .

وتكون مشروعة كما تكون ممنوعة ، إن كانت وردت في الكتاب أو

---

(١) انظر : لسان العرب ، مادة وسل ، ج٣ ، ص٩٢٧ . والقاموس المحيط ج٤ ، ص٦٤ والنهاية لابن الأثير ، ج٥ ، ص ١٨٥.

(٢) التعريفات للجرجاني ، ص٢٧٢ . وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، ص٤٨ . ورسالة الشرك ومظاهره ، ص٢٠٢ .

صحيح السنة فهي مشروعة وإلا فهي ممنوعة والتوسل بها توسل بما لم يشرع .

وعلى هذا فالتوسل في الدعاء بما لم يشرع : هو التقرب إلى الله تعالى في الدعاء بوسيلة لم ترد في الكتاب ولا في صحيح السنة .

أمثلته : ومن ذلك ما يلي :

١- التوسل إلى الله بذات أو جاه ، أو حق مخلوق كالملائكة أو الأنبياء أو الصالحين . مثل من يقول : اللهم إني أسألك بنبيك أو بجاه أو بحق نبيك أن تعطيني كذا أو تدفع عني كذا .

٢- التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له ، كمن يأتي إلى الميت من الأنبياء أو الصالحين ويقول له سل الله لي أن يعطيني كذا أو يدفع عني كذا ونحو ذلك(١).

كيف يوصل إلى الشرك : هذا النوع من التوسل فيه إطراء للمتوسل به يجر شيئاً فشيئاً على مر الأيام إلى اعتقاد أن فيه نفعاً من دون الله ، ومن ثم يحصل دعاؤه ونداؤه فيقع في الشرك(٢) - والعياذ بالله - كما أن فيه إيهام

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ، ص ١٩ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٥٥ . والتوسل للألباني ص٤٧ ، والقول الجلي ، ص٢٩ . وفتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ، ص٣٤٤-٣٤٥ .

(٢) انظر : قاعدة جليلة ، ص٣٣ . والقول الجلي ، ص٢٩ . وفتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ، ص٣٤٥ .

للجهال بأن المتوسل إنما توجه إلى صاحب القبر نفسه فيتوجهوا إلى صاحب القبر في دعائهم ويطلبون منه ما لا يطلب إلا من الله فيقعوا في الشرك .

*** الأدلة على منعه :**

أولاً : هذا النوع من التوسل لم يرد له دليل في الكتاب ولا في صحيح السنة ونحن مأمورون بالالتزام بهما ، وعليه فهو غير مشروع وإنما هو بدعة ممنوعه .

وقد قال ﷺ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) [١] ، وقال ﷺ : (... وإياكم ومحدثات الأمور ... الحديث) [٢].

وإن زعم المخالف أنه موجود فيهما أو في أحدهما . قلنا زعم باطل ؛ إذ لا دليل عليه ، ومما يؤكد بطلانه : أنه لم يعمل به الصحابة ومن أتى بعدهم من أهل القرون المفضلة الذين هم أعلم هذه الأمة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في البيوع ، باب النجش . ومسلم في الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة . وأبو داود في السنة ، باب لزوم السنة . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٧٥ المتن والحاشية .

(٢) جزء من حديث طويل رواه أبو داود في السنة ، باب لزوم السنة ، والترمذي في العلم ، باب ١٦ . وابن ماجة في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين وإسناده صحيح . انظر : جامع الأصول ، حديث ٦٧ ، المتن والحاشية .

وأشدهم حرصاً على الالتزام بهما فلو كان موجوداً لعملوا به .

أيضل عنه الصحابة ويهتدي إليه هؤلاء المبتدعة[1] ؟!

ثانياً : أن في هذا النوع من التوسل دعاء ميت - وذلك عند التوسل بدعاء الميت - وقد ورد النهي عنه والوعيد عليه؛ إذ هو شرك أو ذريعة إلى الشرك[2].

كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ... الآية﴾[3].

فبين سبحانه أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة - أي ينكره - ، ويعادي من فعله ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾[4]. فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر .

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ، ص١٩ ، ٥٠ ، ٧٠ ، ١٠٥ ، ١٢٩ . والتوسل للألباني ، ص٣٢ ، ٤٦ ، ٤٧ . وفتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ، ص٣٤٦ . والتوصل ، ص ١٨٦ .

(٢) قاعدة جليلة ، ص٣٣ .

(٣) سورة فاطر : الآية ١٣-١٤ .

(٤) سورة الأحقاف : الآية ٦ .

ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم- ولا عن غيرهم من السلف أنهم انزلوا حاجاتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته، بل العكس نراهم عام الرمادة توسلوا بدعاء العباس ﷺ، لأنه حي حاضر يدعو ربه ، فلو جاز التوسل بأحد بعد وفاته لتوسل عمر والسابقون الأولون بالنبي ﷺ[١].

قال شيخ الإسلام - بعد أن ذكر بعض الأدلة في النهي عن دعاء غير الله - : (ومثل هذا كثير في القرآن ينهى أن يدعى غير الله لا من الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم ، فإن هذا شرك أو ذريعة إلى الشرك بخلاف ما يطلب من أحدهم في حياته من الدعاء والشفاعة فإنه لا يفضي إلى ذلك ، فإن أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته بحضرته ؛ فإنه ينهى من يفعل ذلك بخلاف دعائهم بعد موتهم فإن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم)[٢].

وقال أيضاً : (فإن دعاء الملائكة ، والأنبياء بعد موتهم ... وسؤالهم... والاستشفاع بهم في هذه الحال .. هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولاً ولا أنزل به كتاباً ... ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين)[٣].

ثالثاً : أن في هذا النوع من التوسل محذور من وجهين :

---

(١) انظر : تسير العزيز الحميد ، ص٦٦١-٦٦٢ . وقاعدة جليلة ، ص١٩ ، ٣٣ ، ٤٤ .

(٢) قاعدة جليلة ، ص٣٣ .

(٣) قاعدة جليلة ، ص١٩ .

الأول: فيه شبهاً بتوسل المشركين بآلهتهم وقد ذمه الله حيث قال سبحانه: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[1] ففي الآية عاب سبحانه أمرين :

١ – عاب عبادة الأولياء من دونه .

٢ – عاب محاولة القربى إليه بالمخلوق ، والتوسل بالذات أو بدعاء الميت من الأمر الثاني .

قال شيخ الإسلام – عند ما سئل عن رجلين تناظرا – فقال أحدهما : لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله ، فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك .

فقال : (الحمد لله رب العالمين ، إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة يبلغنا أمر الله فهذا حق ... ، وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون إليه فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار)[2].

---

(١) سورة الزمر : الآية ٣ .

(٢) الفتاوى ، ج١ ، ١٢١-١٢٣ .

الثاني : فيه انتقاص لله سبحانه وتعالى وتنزيلاً له إلى منزلة المخلوق الذي يحابي في فضله وحكمه فيعطي من له وسيط أكثر مما يعطي غيره أو يحرم من ليس له وسيط لجهله بحاله وبعده عن سماع مقاله [1].

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[2].

رابعاً: أن في هذا النوع من التوسل توسل بالجاه أو الحق ونحوهما وهو باطل من ثلاثة وجوه :

الأول : أنه توسل بعمل الغير ؛ ذلك أن المنزلة والجاه إنما اكتسبها الإنسان بعمله ، وعمل الغير مختص به فلو توسل به غيره كان قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سبباً لنفعه قال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[3].

وقال شيخ الإسلام : (قول السائل لله تعالى : « أسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم أو بجاه فلان .. » يقتضي أن هؤلاء لهم عند الله جاه وهذا صحيح ... ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم مما يقتضي إجابة دعائه إذ سأل الله... حتى يسأل الله بذلك ... بل

---

(١) الأجوبة المفيدة ، ص١٤٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٦ .

(٣) سورة النجم : الآية ٣٩ .

يكون قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سبباً لنفعه ...)[١].

الثاني : أن في التوسل بمنزلة أو حق الغير اعتداء في الدعاء والاعتداء في الدعاء محرم .

قال شارح[٢] الطحاوية : (... فلا مناسبة بين ذلك[٣] - وبين إجابة دعاء هذا السائل - فكأنه يقول : لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي وأي مناسبة وأي ملازمة ، وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء ، وقد قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[٤] وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ، لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أحد من الأئمة... والدعاء من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على السنة والإتباع لا على الهوى والابتداع)[٥].

الثالث : أن السؤال بحق فلان يتضمن أن للمخلوق حقاً على الخالق وليس على الله حق[٦] إلا ما أحقه على نفسه بوعده الصادق، يقول

---

(١) الفتاوى ، ج١ ، ص٢١١-٢١٢ .

(٢) اختلف فيه فقيل ابن أبي العز الحنفي وقيل جمال الدين الملطي . وقيل : غير معروف. ولذلك قلت شارح . انظر : مقدمة شرح الطحاوية ص ٥-٦ .

(٣) وهو قوله (بحق فلان) .

(٤) سورة الأعراف الآية ٥٥ .

(٥) شرح الطحاوية ، ص٢٦٢ .

(٦) القول الجلي ، ص٢٩ .

القدوري[1]: (المسألة بخلقه لا تجوز ؛ لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقاً)[2].

خامساً : أن هذا النوع من التوسل وسيلة إلى الشرك[3]، فهو ممنوع سداً لذريعة الشرك وإبعاداً للمسلم من قول يفضي إلى الشرك وقد جاءت أدلة كثيرة في الكتاب والسنة تدل دلالة قاطعة على أن سد الذرائع إلى الشرك والمحرمات من مقاصد الشريعة . من ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ... الآية﴾[4].

فنهى سبحانه وتعالى المسلمين عن سب آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله – مع أنها باطلة – لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سب المشركين الإله الحق سبحانه انتصاراً لآلهتهم الباطلة – جهلاً منهم وعدواناً – ومن ذلك نهيه ﷺ عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك لئلا يكون

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن القدوري فقيه حنفي ، ولد في بغداد سنة ٣٦٢هـ وانتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق وتوفي في سنة ٤٢٨هـ . انظر : الأعلام ، ج١ ص٢١٢ .

(٢) قاعدة جليلة ، ص٥٠ .

(٣) انظر : قاعدة جليلة ، ص٣٣ . والقول الجلي ، ص٢٩ . وفتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ص٣٤٧ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١٠٨ .

ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً والإشراك بها .

ومن ذلك أنه ﷺ حرم الخلو بالأجنبية ولو في إقراء القرآن ، والسفر بها ولو في الحج وزيارة الوالدين ، سداً لذريعة ما يحاذر من الفتنة وغلبة الطباع[1].

* * *

(١) انظر : الفتاوى الكبرى ، ج٣ ، ص ٢٢٣-٢٣٠ . وإعلام الموقعين ، ج٣ ، ص١٣٦-١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٥٥ . و فتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ، ص٣٤٥ .

المبحث الرابع الاستسقاء بالأنواء

المراد به : هو نسبة نزل المطر إلى الأنواء .

والأنواء : جمع نوء ، وهو النجم أطلق عليه نوء من ناء ينوء : أي نهض بجهد وقيل : أثقل فسقط فهو من الأضداد .

وبيان ذلك : أن الأنواء وهي منازل القمر الثمانية والعشرين في كل ثلاث عشرة ليله يسقط واحد منها في المغرب - أي يغيب وفي نفس الساعة ينوء رقيبه من المشرق : أي ينهض ما عدا الجبهة : فإنه أربع عشرة ليله ، وتنقضي جميعها بانقضاء السنة القمرية ، فالبعض يطلق النوء على النهوض ، وبعضهم على السقوط .

قال أبو عبيد: لم نسمع في النوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع .

وكانت العرب تضيف المطر إلى الساقط منها ، وقال الأصمعي إلى الطالع منها - فتقول مطرنا بنوء كذا[1]. وهذا من اعتقادات الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها .

أمثلته : أن يقول القائل مطرنا بنوء كذا وكذا ، أي بطلوع النجم الفلاني

---

(١) انظر : لسان العرب ، ج٣ ، ص٧٣٥ - ٧٣٦. وجامع الأصول ، ج١١ ، ص٥٧٧-٥٧٨ . وشرح صحيح مسلم ، ج٢ ، ص٦١ .

أو إذا طلع النجم الفلاني ينزل المطر . قائل هذا القول : إن اعتقد أن للنجم تأثيراً في إنزال المطر فهو شرك أكبر ، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية وإن كان لا يعتقد أن للنجم تأثيراً وإنما نسب المطر إلى النجم على سبيل المجاز، لأن الله سبحانه أجرى العادة بوجود المطر عند طلوع ذلك النجم ، فهذا من الشرك الأصغر ومن الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر - وهو المراد هنا - ؛ لأنه نسب ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شيء فهو محرم حماية لجناب التوحيد وسداً لذرائع الشرك [1].

كيف يوصل إلى الشرك الأكبر ؟

إن نسبة المطر إلى النجم مجازاً قد تورث في القلوب مع تطاول الأيام وغلبة الجهل الاعتقاد بأن للنجم تثيراً في إنزال المطر وبذلك يفضي إلى الشرك الأكبر.

الأدلة على منعه : ومن الأدلة على منعه ما يلي :

١- قال تعالى : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [2].

قيل : في الكلام مضاف محذوف : أي وتجعلون شكر رزقكم الذي

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص٣٩٩ . وفتح المجيد ، ص٣٢٣-٣٢٤ .

(٢) سورة الواقعة : الآية ٨٢ .

رزقكم الله أنكم تكذبون بأنه من عند الله الرزاق فتنسبونه إلى غيره ومن ذلك قولكم مطرنا بنوء كذا وكذا . وقيل : ليس في الكلام مضاف محذوف بل معنى الرزق : الشكر تعبيراً بالسبب عن المسبب[1].

روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم عن علي ﷺ قال : (قال رسول الله ﷺ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ قال : شكركم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ تقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا... الحديث)[2]. وقد روي أن علياً[3] وابن عباس[4] قرءاها: (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون).

ويكون المعنى على هذا : وتجعلون شكركم لله على ما أنزل إليكم من المطر والرحمة ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي تنسبونه إلى غيره .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ : (وهذا أولى ما فسرت به الآية،

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص٢٩٨-٢٩٩ . وتفسير الشوكاني ، ج٥ ، ص١٦١ . وشرح صحيح مسلم ، ج٢ ، ص٦٢ .

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير ، باب ومن سورة الواقعة . وأحمد في المسند ج١ ، ص٨٩ ، ١٠٨ . وذكره ابن كثير في تفسيره ، ج٤ ، ص٢٩٨-٢٩٩ . من رواية أحمد ثم قال : وهكذا رواه ابن أبي حاتم... وابن جرير... وكذا رواه الترمذي... وقال : حسن غريب . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٩٣١ ، المتن والحاشية .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص٢٩٨ .

(٤) أخرجه عنه ابن جرير بإسناد صحيح . انظر : تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص ٢٩٩ . وجامع الأصول ، ج٢ ، ص ٣٧٥ ، الحاشية .

وروي ذلك عن علي وابن عباس ومجاهد والضحاك وعطاء الخرساني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين)[1] .

وعلى كلا القولين فالآية كما نرى تدل على تحريم نسبه المطر إلى غير الله سبحانه وتعالى وأن ذلك تكذيب .

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : أصبح من الناس شاكر ، ومنهم كافر . قالوا : هذه رحمة الله وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا فنزلت هذه الآية : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾[2])[3] .

في الحديث : إطلاق الكفر[4] على من نسب نعمة المطر إلى غير الله ، ونزول آية مبينة أن ذلك تكذيب ، وذلك دليل على انه لا يجوز .

والمراد بالآية : قوله تعالى : ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص٣٩٦ . وانظر : تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص ٢٩٨-٢٩٩. وشرح صحيح مسلم ، ج٢ ، ص٦٢ .

(٢) سورة الواقعة : الآية ٧٥-٨٢ .

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ، وذكره السيوطي في أسباب النزول (بحاشية تفسير وبيان) ص٤٧٢ .

(٤) إن اعتقد أن للنجم تأثيراً فهو أكبر وإن لم يعتقد فهو أصغر .

قال الشيخ أبو عمرو[١] بن الصلاح (ليس مراده أن جميع هذا نزل في قولهم في الأنواء فإن الأمر في ذلك وتفسيره يأبى ذلك وإنما النازل في ذلك قوله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ والباقي نزل في غير ذلك ولكن اجتمعا في وقت النزول فذكر الجميع من أجل ذلك . ومما يدل على هذا أن في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك الاقتصار على هذا القدر اليسير فحسب)[٢].

٣- وعن زيد بن خالد ﷺ قال :(صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي ، كافر بالكوكب ، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، مؤمن بالكوكب)[٣].

---

(١) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى النصري الشهرزودي أبو عمرو المعروف بابن الصلاح أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ولد سنة ٥٧٧هـ وتوفي سنة ٦٤٣هـ. انظر : الأعلام ، ج٤ ، ص ٢٠٧ .

(٢) انظر : شرح صحيح مسلم ، ج٢ ، ص٦٢. وجامع الأصول ، ج٢ ، ص٣٧٥ ، (الحاشية) .

(٣) رواه البخاري في مواضع منها كتاب الإستسقاء ، باب قوله تعالى: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) . و مسلم في الإيمان ، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

ورد في الحديث قوله : (مؤمن بي وكافر) وفسر المؤمن بأنه من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ، والكافر : من قال مطرنا بنوء كذا وكذا .

وذلك دليل على أنه لا يجوز لأحد أن ينسب شيئاً من أفعال الله إلى غيره ولو على سبيل المجاز ، وأن ذلك كفر . فإنه إن اعتقد أن للنجم تأثيراً فهو كفر أكبر لأنه أشرك في الربوبية ، وإن لم يعتقد فهو كفر أصغر ؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره وذلك لا يجوز "[1].

قال ابن قتيبة[2] : (كانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء إما بصنعه على زعمهم، وإما بعلامته فأبطل الشرع قولهم وجعله كفراً فإن اعتقد قائل ذلك أن للنوء صنعاً في ذلك فكفره كفر شرك وإن اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة فليس بشرك لكن يجوز إطلاق الكفر عليه وإرادة كفر النعمة)[3].

٤- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :(لو أمسك الله القطر عن عباده خمس سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة من الناس

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص٤٠٣ . وفتح المجيد ، ص٣٢٦ .

(٢) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد ، من المصنفين المكثرين ولد في بغداد سنة ٢١٣هـ وتوفي بها سنة ٢٧٦هـ من كتبه تأويل مختلف الحديث والمعارف وكتاب المعاني . انظر : الأعلام ، ج٤ ، ص١٣٧ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص٤٠٣ .

كافرين ، يقولون : سقينا بنوء المجدح)[1].

المجدح : نجم يقال له (الدبران)[2].

في الحديث إطلاق الكفر على من نسب المطر إلى النوء كالحديث السابق ، وذلك دليل على عدم جوازه .

٥- وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن - الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم ... الحديث)[3].

والمراد بالجاهلية - هنا - ما قبل المبعث ، وكل ما يخالف ما جاءت به الأنبياء والمرسلون فهو جاهلية[4]. ومما عده الرسول ﷺ في هذا الحديث من أمر الجاهلية الاستسقاء بالنجوم - وهو نسبة المطر إلى النجم - وذلك دليل على أنه مذموم ممنوع .

قال شيخ الإسلام : (أخبر ﷺ أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس

---

(١) أخرجه النسائي في الإستسقاء ، باب كراهية الاستمطار بالكواكب . انظر: جامع الأصول حديث ٩٢٠٠

(٢) انظر : جامع الأصول ، ج١١ ، ص٥٨٠ .

(٣) رواه مسلم في الجنائز ، باب التشديد في النياحة. وانظر: جامع الأصول ، حديث ٩٤٣٠.

(٤) تيسير العزيز الحميد ، ص٣٩٧ .

كلهم ذماً لمن لم يتركه ، وهذا كله يقتضي : أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام ، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم ، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة)[1].

٦- وعن جابر بن سمرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أخاف على أمتي الاستسقاء بالأنواء وحيف السلطان وتكذيب بالقدر)[2].

وفي رواية : (أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث : الاستسقاء بالأنواء وحيف السلطان ، والتكذيب بالقدر)[3].

في الحديث إخبار بأن مما خافه ﷺ على أمته الاستسقاء بالأنواء وذلك دليل على أنه مذموم ممنوع .

* * *

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ٢٣٥ .

(٢) رواه ابن جرير عن جابر . انظر : كنز العمال ، حديث ٤٣٨٥٨ .

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة عن جابر بن سمره . انظر: السنة لابن أبي عاصم ، ج١ ص١٤٢ ، وقال الألباني حديث صحيح . انظر : ظلال الجنة ، ج١ ، ص١٤٢ .

المبحث الخامس إسناد بعض الحوادث إلى غير الله مجازاً

المراد به : نسبة بعض الحوادث إلى أسبابها القريبة على أنها هي التي أدت إلى وقوعها .

ومن أمثلة ذلك : أن يقال : لولا وجود فلان لحصل كذا .

ومثل من يقول : والمجهودات الفلانية تقضي على الجهل والفقر - فلو عملنا كذا لحصل كذا - وما أشبه ذلك من الألفاظ التي فيها نسبة الحوادث إلى غير الله ، ولا نفهم من هذا نفي تأثير الأسباب في مسبباتها وإنما المقصود الاعتقاد أن ما يجري على يد بعض المخلوقين أفراداً أو جماعات من المجهودات إنما هي أسباب قد تثمر وقد لا تثمر ، وإن أثمرت فإنما هو بمشيئة الله، وعلى ذلك فلا يجوز نسبة حصول النتائج إلا إلى الله سبحانه[1].

كيف يوصل إلى الشرك ؟ :

من المعلوم أن إسناد الحوادث إلى أسبابها القريبة شرك أصغر ؛ لأنك نسبت ما هو من خصائص الله إلى غيره بلسانك ، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر ؛ لأن هذه النسبة قد تؤدي بالقائل أو السامع مع طول الزمن وغلبة

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ، ص٥١٧ . والإرشاد ، ص٩٥ . ودعوة التوحيد ، ص ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦ .

الجهل إلى الاعتقاد بأنها مستقلة في التأثير وبذلك يقع الشرك الأكبر .

الأدلة على منعه : ومن ذلك ما يلي :

١- قال تعالى : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١). أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : (الأنداد : هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن يقول : ... لولا كلبة هذا لآتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ... إلى أن قال : هذا كله به شرك)(٢). والآية نزلت في الأكبر إلا أنها حجة في الشرك الأصغر ؛ لأن الكل شرك(٣).

٢- وقال تعالى عن قارون الذي أتاه الله الكنوز العظيمة فبغى على قومه وقد وعظه الناصحون وأمروه بالاعتراف بنعمة الله والقيام بشكرها فكابر عند ذلك ونسبها إلى علمه بوجوه المكاسب، حيث قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ... الآية﴾ (٤) أي إنما أدركت هذه الأموال بكسبي وحذقي ومعرفتي

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢ .

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسناد جيد . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ج١ ص٦٢ وتفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٥٧ - ٥٨ ، و فتح القدير ، ج١ ، ص٥٢ ، وتيسير العزيز الحميد ص٥٢٣ .

(٣) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص٥٢٢-٥٢٣ .

(٤) سورة القصص : الآية ٧٨ . وانظر : الآيات ٧٦-٧٧ من نفس السورة .

بوجوه المكاسب لا أنه تفضل من الله تعالى - فكانت عاقبته من أسوء العواقب وعقوبته من أشد العقوبات،حيث خسف الله به وبداره الأرض، قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[١][٢].

٣- روى ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (إن أحدكم ليشرك حتى يشرك في كلبه يقول: لولاه لسرقنا الليله)[٣].

أي إن أحدكم ليشرك شركاً أصغر الذي هو وسيلة إلى الشرك الأكبر عندما ينسب عدم السرقة إلى الكلبة التي إذا رأت السراق نبحتهم فاستيقظ أهلها وهرب السراق ، وربما امتنعوا من إتيان المحل الذي هي فيه خوفاً من نباحها فيعلم بهم أهلها .

والواجب نسبة ذلك إلى الله تعالى ، فهو الذي يحفظ عباده ويكلؤهم بالليل والنهار كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾[٤][٥].

---

(١) سورة القصص : الآية ٨١ .

(٢) انظر : تفسير ابن سعدي ، ج٦ ، ص ٢٩-٣١ . والإرشاد ، ص ٩٦ .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، برقم ٣٥٧ ، ص١٩١ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٤٢ .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٢٤ ، (بتصرف) .

ويمكن اتقاء مثل هذه الوسيلة بنسبة الحوادث إلى الله تعالى ثم إلى المخلوق .

فمثلاً إذا أردنا أن نقول : لولا وجود فلان لحصل كذا ـ نقول : لولا الله ثم وجود فلان لحصل كذا . مع الاعتقاد بان الأسباب ليست مستقلة بذاتها في التأثير وإنما يكون تأثيرها بقدرة الله ومشيئته .

المبحث السادس : الحلف بغير الله

تعريفه : الحلف لغة هو اليمين وأصلها العقد بالعزم والنية[١] .

وفي الاصطلاح : هو توكيد المحلوف عليه بذكر معظم على وجه مخصوص[٢].

وبما أن التعظيم - حق الله تعالى - فلا يضاهى به غيره[٣]. لذا فإن المشروع : إنما هو الحلف باسم من أسماء الله أو بصفة من صفاته[٤].

وعلى هذا فإن الحلف بغير الله : هو توكيد المحلوف عليه بذكر معظم سوى الله على وجه مخصوص .

والمراد هنا الحلف بغير الله من دون اعتقاد تعظيم[٥] من حلف به مع

---

(١) انظر : لسان العرب ، ج١ ، ص ٦٩٦ .

(٢) انظر : المغني ، ج١٣ ، ص ٤٣٥ . وحاشية ابن قاسم على الروض المربع ، ج٧ ، ص ٤٦٤ .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ، ج١١ / ص ١٠٥ .

(٤) مختصر الفتاوى المصرية ، ص٥٤٨ ، و المغني ، ج١٣ ، ص٤٣٦ .

(٥) أما إن قام بقلبه تعظيم من حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله - وكان عالماً الحكم - فهو شرك اكبر ؛ فإن كان جاهلاً علّم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك شركاً أكبر . انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ، ص ٢٢٤ .

علمه [1] الحكم . فهذا هو الشرك الأصغر ، والوسيلة المفضية إلى الشرك الأكبر [2].

أمثلته :

ومن أمثلته : قول الرجل : وحياتي ، وحياتك ، والنبي ، وحياة النبي والكعبة ، والسيد فلان ، وأبي ، وكالحلف بالأمانة ونحو ذلك [3].

كيف يوصل إلى الشرك ؟ :

ذكرنا آنفاً أن الحلف بغير الله باللسان من دون اعتقاد تعظيم من حلف به شركاً أصغر ووسيلة للوقوع في الشرك الأكبر ؛ لأن الحلف بهذا الغير يورث الشعور بعظمته ، في نفس الحالف والسامع ومن ثم تعظيمه مثل تعظيم الله .

وبذلك يفضي إلى الشرك الأكبر [4].

---

(١) أما إن كان جاهلاً : فإنه يعلم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منها مشرك شركاً أصغر . انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ، ص ٢٢٤.

(٢) انظر :الجواب الكافي ، ص١٥٨ ، وفتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ، ص ٢٢٤ ، ٥١٧ وتحذير الساجد ، ص١٥٤..

(٣) انظر : المغني ، ج١٣ ، ص٤٣٦ . ومختصر الفتاوى المصرية ، ص٥٤٨ .

(٤) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ، ص٢٢٤ - ٢٢٥ ، ٥١٧ . وتحذير الساجد ، ص١٥٤ .

الأدلة على منعه:

اتفق الكتاب والسنة والإجماع على تحريم الحلف بغير الله ؛ لما فيه من التعظيم لغير الله الذي قد يؤدي إلى تعظيمه مثل تعظيم الله .

أولاً : الكتاب: ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ أنه قال - في تفسير هذه الآية - : (الأنداد : هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول - والله وحياتك يا فلان ... إلى أن قال : هذا كله به شرك)[2].

فإن قيل : الآية نزلت في الأكبر . قيل : السلف يحتجون بما نزل في الأكبر على الأصغر - كما فسرها ابن عباس ﷺ وغيره ؛ لأن الكل شرك [3].

ثانياً : السنة : ومن ذلك ما يلي :

١- وفي الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً أن رسول الله ﷺ سمع عمر بن الخطاب وهو يحلف بأبيه فقال : (إن الله ينهاكم أن تحلفوا

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢ .

(٢) سبق تخريجه ص١٣٥ .

(٣) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٢٢-٥٢٣ .

بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)[1].

٢- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، قال: قال عمر: (فو الله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها ذاكراً ولا آثراً)[2].

قال ابن عبد البر: (وفي هذا الحديث من الفقه أنه لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل في شيء من الأشياء ولا على حال من الأحوال ...)[3].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله عز وجل إلا وأنتم صادقون)[4].

---

(١) رواه البخاري في الأيمان، باب لا تحلفوا بآبائكم. ومسلم في الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله. وانظر: جامع الأصول حديث ٩٢٨١.

(٢) رواه مسلم في الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى. وأبو داود في الأيمان، باب في كراهية الحلف بالآباء. والترمذي في الأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله. والنسائي في الأيمان: باب الحلف بالآباء.

(٣) التمهيد لابن عبد البر، ج١٤، ص ٨٦٦.

(٤) رواه أبو داود في الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء. والنسائي في الأيمان، باب الحلف بالأمهات. وإسناده صحيح. انظر: جامع الأصول، حديث ٩٢٨٢، المتن والحاشية.

٤- وعن سعيد بن عبيدة قال : كنت عند ابن عمر فقمت وتركت رجلاً عنده من كنده ، فأتيت سعيد بن المسيب ، فجاء الكندي فزعاً فقال : جاء رجل إلى ابن عمر - فقال : يا أبا عبد الرحمن أعلي جناح أن احلف بالكعبة؟ - قال : ولم تحلف بالكعبة ؟ إذا حلفت بالكعبة ، احلف برب الكعبة . فإن عمر كان إذا حلف قال : كلا وأبي ، فحلف بها يوماً عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : (لا تحلف بأبيك ولا بغير الله ، فإنه من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)[1].

٥- وعن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تحلفوا بالطواغيت ولا بآبائكم)[2].

الطواغيت: الأوثان والشياطين ، وكل رأس في ضلالة فهو طاغوت[3].

٦- وعن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من حلف بالأمانة فليس منا)[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ، ج٢ ص ٦٩ ، ٨٦- ٨٧ ، ١٢٥ . وأبو داود برقم ٣٢٥١ . والترمذي في كتاب النذر ، باب ٨ . والحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ص ٢٩٧ . وقال الترمذي : هذا حديث حسن . انظر : جامع الأصول ، ج١١ ، ص٦٥١ ، الحاشية .

(٢) رواه مسلم في الأيمان ، باب من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله .والنسائي في الأيمان ، باب الحلف بالطواغيت . وانظر : جامع الأصول ، حديث ص ٩٢٨٣

(٣) انظر : جامع الأصول ، ج١١ ، ص٦٥٥ .

(٤) رواه أبو داود في الأيمان ، باب كراهية الحلف بالأمانة وإسناده صحيح . انظر : جامع الأصول ، حديث ٩٢٨٤ ، المتن والحاشية .

٧- وعن قتيلة بنت صيفي قالت : إن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : (إنكم تشركون ... وتقولون والكعبة فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ... الحديث)(١).

ثالثاً : الإجماع :

لقد أجمع العلماء على أن اليمين الشرعية لا تكون إلا باسم من أسماء الله أو بصفة من صفاته ، وأنه لا يجوز الحلف بغيرهما ، بل ولا ينعقد .

قال ابن عبد البر : (ولا يجوز الحلف بغير الله عز وجل... وهذا أمر مجمع عليه)(٢).

وقال ابن قدامة : (ولا يجوز الحلف بغير الله تعالى ، وصفاته ، نحو أن يحلف بأبيه أو الكعبة أو صحابي أو إمام ... قال ابن عبد البر وهذا أصل مجمع عليه)(٣).

وقال شيخ الإسلام : (.. ذكر غير واحد الإجماع على أنه لا يقسم بشيء من المخلوقات وذكروا إجماع الصحابة على ذلك)(٤).

---

(١) أخرجه النسائي في الأيمان والنذور ، باب الحلف بالكعبة ، وإسناده صحيح . انظر : جامع الأصول ، حديث ٩٢٧٧ المتن والحاشية .

(٢) التمهيد ، ج١٤ ، ص٨٦٦- ٨٦٧ .

(٣) المغنى ، ج١٣ ، ص٤٣٦ .

(٤) الفتاوى ، ج١ ، ص ٢٩٠ .

وقال أيضاً : (ولهذا اتفق العلماء على أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها)[١].

وقال أيضاً : (وأما الحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشائخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه غير منعقد باتفاق الأئمة)[٢].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ : (وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته ، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره)[٣].

* * *

---

(١) الفتاوى ، ج٣ ص ٣٩٨ .

(٢) الفتاوى ، ج١١ ، ص ٥٠٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٢٦.

الخاتمة

بسم الله بدأنا وبحمده والشكر له ختمنا ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد : فإنه من دراستي لبعض الوسائل القولية المفضية إلى الشرك الأكبر توصلت إلى نتائج هامة منها ما يلي :

الأولى : أن الذريعة في الاصطلاح قال البعض: بشمولها المشروع والممنوع وأطلق عليه المعنى العام ، وحكمها على هذا القول تابعة للمقصود فوسيلة الحلال حلال ووسيلة الحرام حرام . وقال البعض باقتصارها على الممنوع وأطلق عليه المعنى الخاص - وهو الغالب في استعمالها .وحكمها على هذا القول ممنوعة لأنها تفضي إلى ممنوع .

الثانية : أن الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر محظورة ؛ لأنها تفضي إلى محظور وهو الشرك الأكبر .

الثالثة : أن الغلو في المدح يؤدي بصاحبه إلى أن يرفع المغلو فيه فوق منزلته التي أنزله الله بها ، حتى يجعل له شيئاً من خصائص الخالق فهو من الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر . لذا ورد التحذير منه في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومن بعدهم من الأئمة.

الرابعة : النهي عن مواجهة الممدوح بالمدح ولو بما فيه لما يسببه من

تعاظم الممدوح وغلو المادح .

الخامسة : أن التسوية بين الخالق والمخلوق في القول كأن يقال ما شاء الله وشئت إن قام بقلب المتلفظ بها تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله فهو شرك أكبر وإن لم يقم بقلبه تعظيم فهو شرك أصغر ووسيلة إلى الشرك الأكبر ، ويمكن اتقاؤها باستبدال الواو بثم ؛ لأنها تقتضي الترتيب مع التراخي .

السادسة : أن التقرب إلى الله تعالى في الدعاء بما لم يرد في الكتاب أو صحيح السنة غير مشروع بل هو وسيلة إلى الشرك الأكبر ، كالتوسل بذات أو جاه أو حق مخلوق ، أو التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له.وقد يصل إلى الشرك الأكبر إن اعتقد في المتوسل به شيئاً من النفع أو الضر من دون الله . لذا رده علماء أهل السنة مبينين بطلانه .

السابعة : أن نسبة المطر إلى النجم محرمة بالكتاب و السنة ؛ لأن الناسب إما أن يعتقد أن للنجم تأثيراً في إنزال المطر فيكون شركاً أكبر ، أو لا يعتقد فيكون شركاً أصغر ووسيلة إلى الشرك الأكبر؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره ، ولأن الله لم يجعل النوء سبباً لإنزال المطر ، وإنما الواجب في مثل هذه الحالة أن يقال مطرنا بفضل الله ورحمته امتثالاً لأمره ﷺ .

الثامنة : أن إسناد الحوادث إلى أسبابها القريبة على أنها هي وحدها التي أدت إلى وقوعها محرم بالكتاب و السنة ؛ ذلك أنه شرك أصغر ووسيلة إلى

الشرك الأكبر ويمكن اتقاؤه بإسناد الحوادث إلى الله عز وجل ثم إلى المخلوق ، فمثلاً إذا أردنا أن نقول: لو لا وجود فلان لحصل كذا نقول: لولا الله ثم وجود فلان .

التاسعة : أن الحالف بغير الله إن قام بقلبه تعظيم لمن حلف به مثل تعظيم الله كان مشركاً شركاً أكبر - إن كان عالماً -، وإن كان جاهلاً عُلّم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك شركاً أكبر ، وإن لم يقم بقلبه تعظيم لمن حلف به كان شركاً أصغر ووسيلة إلى الشرك الأكبر .

العاشرة : أن الحلف بغير الله محرم بالكتاب و السنة والإجماع ، وغير منعقد باتفاق الأئمة.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١- الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة : عبد الرحمن الدوسري ، ط الأولى ، دار الأرقم ، الكويت ، ١٤٠٢هـ .

٢- أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف (بابن العربي) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط الثالثة ، دار المعرفة ، بيروت ،١٣٩٢هـ .

٣- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد : د.صالح فوزان الفوزان ، مكتبة ابن تيميه ، القاهرة ، ١٤١١هـ .

٤- أسباب النزول : للسيوطي بهامش تفسير وبيان مفردات القرآن ، دار الرشيد، دمشق ، بيروت .

٥- الاعتصام : لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي ، تحقيق عبد الرازق المهدي، ط الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ

٦- الأعلام : خير الدين الزركلي، ط السادسة، دار العلم للملايين ، ١٩٨٤ م .

٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين : أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٨هـ .

٨- اقتضاء الصراط المستقيم : لشيخ الإسلام ابن تيميه ،تحقيق ناصر العقل ط السابعة ، دار عالم الكتب ، ١٤١٩هـ .

٩- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : لأبي بكر جابر الجزائري ، ط الثانية ١٤٠٧هـ .

١٠- بيان المحجة في الرد على اللجة : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، ضمن مجموعة التوحيد ، مكتبة دار حراء ، مكة المكرمة ، جدة.

١١- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد : محمد ناصر الدين الألباني ، ط الرابعة ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ .

١٢- تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران : أحمد بن حجر آل بوطامي ، ط السابعة ، ١٤٠٢هـ .

١٣- التعريفات : علي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨م .

١٤- تفسير ابن أبي حاتم – لعبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، ت : أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا .

١٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، مكة المكرمة ، ١٣٩٨هـ .

١٦- فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، ١٤٠١هـ .

١٧- تفسير القرطبي : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ط الثالثة عن دار الكتب المصرية ١٣٨٧ ، دار الكتاب العربي .

١٨- تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن كثير القرشي ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ١٣٨٨هـ .

١٩- التمهيد: لأبن عبد البر ، تحقيق سعيد أحمد أعراب، ط الثانية ، ١٤٠٢هـ.

٢٠- التوحيد : للشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، مكتبة الأثير ، الرياض.

٢١- التوسل : محمد ناصر الدين الألباني ، ط الخامسة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ١٤٠٦هـ .

٢٢- التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع : محمد نسيب الرفاعي ، ط الرابعة .

٢٣- تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار اللغوية : محمد بن علي بن حسين المكي ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

٢٤- تيسير العزيز الحميد : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

٢٥- جامع الأصول في أحاديث الرسول : ابن الأثير الجزري ، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني ، مطبعة الملاح مكتبة دار البيان ، ١٣٨٩هـ .

٢٦- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : للإمام ابن القيم ط الثالثة ، دار المطبعة السلفية ومكتبتها : ١٤٠٠هـ .

٢٧- حاشية ابن قاسم على الروض المربع : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط السادسة ، ١٤١٦هـ .

٢٨- الدر النضيد على كتاب التوحيد : سعيد بن عبد العزيز الجندول ط الرابعة ، ١٣٩٩هـ .

٢٩- دعوة التوحيد : محمد خليل هراس ، ط الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦ هـ .

٣٠- رسالة الشرك ومظاهره : مبارك بن محمد الميلي، ط الأولى ، مكتبة

الإيمان، الإسكندرية، ١٤٠٩هـ.

٣١- سلسلة الأحاديث الصحيحة : محمد ناصر الدين الألباني ، منشورات المكتب الإسلامي .

٣٢- سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٨٢هـ .

٣٣- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .

٣٤- السنن الكبرى : للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ط الأولى مصورة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٤٤هـ .

٣٥- سنن ابن ماجة : لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .

٣٦- سنن النسائي : أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .

٣٧- السنة : لابن أبي عاصم ، ط الأولى ، المكتب الإسلامي ، بيروت دمشق ، ١٤٠٠هـ

٣٨- شرح السنة : للإمام البغوي ، ط الأولى ، المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ

٣٩- شرح صحيح مسلم : للإمام النووي ، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٠١هـ

٤٠- شرح الصدور في تحريم رفع القبور : محمد الشوكاني « ضمن مجموعة الرسائل المنيرية » ، مكتبة طيبة ، الرياض ، ١٤٠٤هـ .

٤١- شرح الطحاويه : لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، ط الرابعة

المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩١هـ .

٤٢- الشرك في القديم والحديث : أبو بكر محمد زكريا ، ط الأولى ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢١هـ .

٤٣- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري ، المكتبة الإسلامية ، إستانبول ، تركيا ١٩٨١م .

٤٤- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري المطبوع مع شرحه للإمام النووي دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ، ١٤٠١هـ .

٤٥- الصمت وحفظ اللسان : لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا ، ط الأولى ، دار الاعتصام ، ١٤٠٦هـ .

٤٦- ظلال الجنة في تخريج السنة : محمد ناصر الدين الألباني ، ط الأولى ١٤٠٠هـ المكتب الإسلامي ، بيروت دمشق .

٤٧- الغلو في الدين : علي بن عبد العزيز الشبل ، ط الأولى ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٧هـ .

٤٨- الفتاوى « مجموعة الفتاوى » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تصوير ، ط الأولى ، مطابع دار العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ .

٤٩- الفتاوى الكبرى : لابن تيمية ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ .

٥٠- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : جمع و ترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرازق الدويش ، ط الأولى ، ١٤١١هـ .

٥١- فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني نشر

وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية.

٥٢- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ط السابعة، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٧هـ .

٥٣- الفروق : للإمام شهاب الدين الصنهاجي القرافي، دار المعرفة، بيروت لبنان .

٥٤- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : شيخ الإسلام ابن تيمه، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية

٥٥- قاعدة سد الذرائع : د. محمد حامد عثمان، ط الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٧هـ .

٥٦- القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٣٩٨هـ .

٥٧- القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي : محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد السلام خضر، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٥٨- القول السديد في مقاصد التوحيد : عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢هـ .

٥٩- كنز العمال: علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، ط الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ .

٦٠- لسان العرب : للعلامة ابن منظور، دار لسان العربي، بيروت، لبنان .

٦١- مجلة البحوث الإسلامية ، العدد ٢٠ ، ١٤٠٧هـ .

٦٢- مختصر الفتاوى المصرية : لابن تيمية . بدر الدين محمد بن علي الحنبلي البعلي، دار نشر الكتب الإسلامية .

٦٣- المستدرك على الصحيحين : لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، الطبعة الهندية ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن .

٦٤- المسند : للإمام أحمد بن حنبل الشيباني بهامشه منتخب كنز العمال ، ط الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ .

٦٥- معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، ط الثانية دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٩هـ .

٦٦- المغني :لابن قدامة ، ط الثانية ،هجر للطباعة والنشر القاهرة ،١٤١٢هـ

٦٧- الموافقات في أصول الشريعة : لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي ، بتعليق الشيخ عبد الله دراز ، دار الفكر العربي .

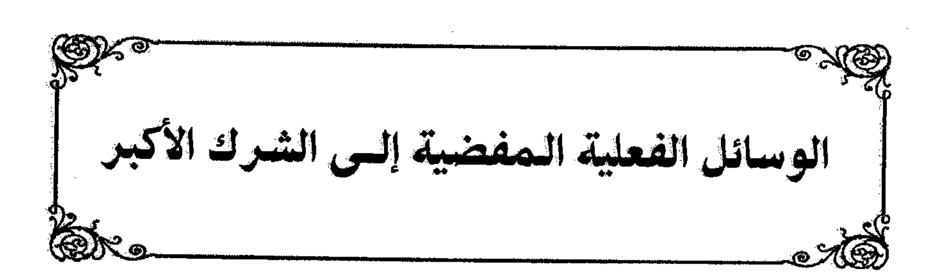
٦٨- موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين ، د. رفيق العجم ط الأولى ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨م .

٦٩- النهاية في غريب الحديث والأثر : للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري « ابن الأثير » ، ط الأولى، المكتبة الإسلامية، ١٣٨٣هـ.

٧٠- وسطية أهل السنة بين الفرق : د. محمد باكريم محمد باعبدالله ط الأولى ، ١٤١٥هـ ، دار الراية ، جدة .

فهرس الموضوعات

* * *



الوسائل الفعلية المفضية إلى الشرك الأكبر

إعـــداد

د. عواد عبدالله المعتق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد: فنظراً لأني تناولت في بحث سابق الوسائل القولية المفضية إلى الشرك الأكبر.

لذا فإني سأتناول في هذا البحث - إن شاء الله - الوسائل الفعلية المفضية إليه وقد جعلته في مقدمة وستة مباحث وخاتمة .

المقدمة : بينت فيها سبب اختيار هذا البحث وما سأتناوله فيه .

المبحث الأول : الغلو في تعظيم القبور .

المبحث الثاني : اتخاذ القبور مساجد .

المبحث الثالث : عبادة الله في مكان أو زمان يعبده فيه غيره .

المبحث الرابع : التبرك الممنوع .

المبحث الخامس : تصوير ذوات الأرواح .

المبحث السادس : التقليد المذموم .

الخاتمة في ذكر بعض النتائج التي توصلت إليها .

وأخيراً أسأله تعالى أن يتقبل صوابي ويتجاوز عن خطئي إنه سميع مجيب وصلى الله علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الوسائل الفعلية المفضية إلى الشرك الأكبر

تعريفها : هي كل سبب فعلي يفضي إلى الشرك الأكبر . ومنها ما يلي :

المبحث الأول : الغلو[1] في تعظيم القبور

المراد به : هو تجاوز الحد المشروع في تعظيم القبور ؛ وذلك بأن تعظم بما لم يشرعه الله أو نهى عنه[2].

أمثلته : ومن أمثلته : « تعظيم القبور » بالبناء عليها مثل بناء القباب وغيرها من الأبنية العظيمة عليها ، أو تعليتها ، أو وضع الفسطاط والخيمة عليها . وتزيينها بتجصيصها ، أو زخرفتها أو كسوتها ، أو إسبال الستور عليها . والكتابة عليها وإسراجها ، والسفر لزيارتها ، أو اعتياد زيارتها في اليوم ، أو الأسبوع ، أو الشهر ، أو السنة أو في مناسبات معينة كالذي يحصل في شهر رجب ، وبعد الانتهاء من فريضة الحج و في مناسبة ذكرى المولد ، والطواف بها ، أو استلامها وتقبيلها ونحو ذلك[3].

---

(١) الغلو لغة : الارتفاع والزيادة وفي الشرع مجاوزة الحد المشروع في القول أو الاعتقاد أو العمل .

(٢) انظر : الدر النضيد ، ص١٣٨-١٣٩ . وإغاثة اللهفان ، ج١ ، ص٢١٤ .

(٣) انظر : إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص٢١٤-٢١٥ . والقول السديد ، ص٨٢ . والدر النضيد

* كيف يوصل إلى الشرك :

إن الغلو في تعظيم القبور وسيلة إلي تعظيم من فيها ومن ثم عبادتهم ؛ ذلك أنه يخدع الجهال ويوهمهم أن هذه القبور لم تميز إلا لمالها من الخصائص التي لا توجد في غيرها فستشعر القلوب عظمة من فيها وأنهم ينفعوا أو يدفعوا ما لا يقدر عليه إلا الله ، فيطلب منهم ما لا يطلب إلا من الله، وهذا ما حصل، حيث نلاحظ أن كثيراً من القبور التي ميزت أصبحت محطاً لرحال المعظّمين لها حتى توجهوا إليها كما يتوجهون إلى الله وطلبوا من أصحابها ما لا يطلب إلا من الله ، وبذلك أصبحوا في عداد المشركين[1] .

قال شيخ الإسلام: (وقد كان أصل عبادة الأوثان من تعظيم القبور ..)[2] .

وقال الشوكاني : (... فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها ونظر على القبور الستور الرائعة والسرج المتلألئة وقد سطعت حوله مجامير الطيب فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة ويدخله من

ص١٣٩ . والإرشاد ، ص٣٦ . وبيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة ، ص٢٨-٣٣ .

(١) انظر : الدر النضيد ص ١٣٧ ، ١٣٩ . وشرح الصدور (مجموعة الرسائل المنيرية) ج١ ص٧٢-٧٥ . وتيسير العزيز الحميد ، ص ٦٣٥ .

(٢) الفتاوى لابن تيميه ، ج٢٧ ، ص ١٢٤ .

الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين وأشد وسائله إلى إضلال العباد حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، فيصير في عداد المشركين)[1].

*** الأدلة على منعه :**

سأورد إن شاء الله أدلة عامة على منع الغلو في القبور، ثم أدلة على منع كل جزئية ذكرتها على حده، فأقول وبالله التوفيق .

أولاً : الأدلة العامة على منع الغلو في القبور :

ومن ذلك ما يلي :

١- قال تعالى : ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾[2].

يقول ابن كثير : (أي لا تتجاوزوا الحد في اتباع الحق...)[3].

وقال ابن سعدي : (أي لا تتجاوزوا وتتعدوا الحق إلى الباطل)[4].

---

(١) شرح الصدور (مجموعة الرسائل المنيرية) ج١، ص ٧٢ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٧ .

(٣) تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٨٢ .

(٤) تفسير ابن سعدي، ج٢، ص ١٥٤ .

والخطاب - وإن كان موجهاً لأهل الكتاب - فإنه يشمل جميع البشرية في النهي عن الغلو في الدين، وهو مجاوزة الحد في اتباع الحق إلى الباطل.

وبما أن الغلو في تعظيم قبور الأنبياء والصالحين وغيرهم، من الغلو في الدين إذ أنه مجاوزة للحق إلى الباطل، لذا فإن الآية تشمله في النهي.

٢- قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١).

يقول الشيخ ابن سعدي (... أمر الله نبيه محمداً ﷺ ومن معه من المؤمنين أن يستقيموا كما أمروا ... ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة)(٢).

ويقول أبو بكر الجزائري: (﴿وَلَا تَطْغَوْاْ ...﴾ أي لا تتجاوزوا ما حد لكم في الاعتقاد والقول والعمل)(٣).

ومما لا شك فيه أن الغلو في تعظيم القبور، تجاوز لما حده الله في العمل، لذا فالآية صريحة في النهي عنه.

---

(١) سورة هود: الآية ١١٢.

(٢) تفسير ابن سعدي، ج٣، ص ٢١٨.

(٣) أيسر التفاسير، ج٢، ص ٣٧٣.

٣- وقال ﷺ : (... وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)[١] .

والغلو – هنا – عام يشمل الغلو في الفعل وغيره .

قال شيخ الإسلام (وقوله (وإياكم والغلو في الدين) عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال)[٢] .

ومن الغلو في الأعمال المبالغة في تعظيم القبور ، لذا فإن التحذير يشملها .

٤-وقال الإمام أبو الوفاء[٣] علي بن عقيل الحنبلي صاحب كتاب «الفنون» وغيره من التصانيف ، قال في الكتاب المذكور (لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام ، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم إذا لم يدخلوا بها تحت إمرة

---

(١) رواه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٢١٥ . والنسائي في الحج ، باب التقاط الحصى ، وابن ماجه في كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي ، من حديث ابن عباس ، وإسناده صحيح . انظر : جامع الأصول ، حديث ١٥٧٢ ، المتن والحاشية .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص٣٢٨ .

(٣) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي ، أبو الوفاء ويعرف بابن عقيل : عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته ولد سنة ٤٣١هـ ، له تصانيف أعظمها كتاب الفنون بقيت منه أجزاء وهو في أربعمائة جزء وتوفي سنة ٥١٣هـ. انظر : الأعلام ، ج٤ ، ص ٣١٣ .

غيرهم ، قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور وإكرامها ، بما نهى عنه الشرع)[1].

وقد نقله غيروا حد مقررين له راضين به منهم الإمام أبو الفرج ابن الجوزي[2] والإمام ابن مفلح[3] صاحب كتاب « الفروع » وغيرهما)[4].

ثانياً : الأدلة على منع كل جزئية ذكرتها :

أ- البناء على القبور أو تعليتها ، أو وضع الفسطاط والخيمة عليها أو تزيينها بتجصيص أو زخرفة ونحو ذلك ، أو الكتابة عليها.

مما ورد في النهي عن ذلك:

أ- من السنة وأقوال الصحابة والتابعين :

١ - عن ثمامة بن شفي- رحمه الله- قال : (كنا مع فضالة بن عبيد ﷺ

---

(١) إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص٢١٣-٢١٤ .

(٢) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، أبو الفرج علامة عصره في التاريخ والحديث ولد سنة ٥٠٨ وتوفي سنة ٥٩٧هـ . انظر الأعلام ، ج٣ ، ص ٣١٦-٣١٧ .

(٣) هو محمد بن مفلح بن محمد بن مفرح أبو عبد الله شمس الدين المقدسي أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل ولد سنة ٧٠٨هـ في بيت المقدس ونشأ بها وتوفي بصالحية دمشق ، سنة ٧٦٣هـ من تصانيفه كتاب الفروع . انظر : الأعلام ، ج٧ ص١٠٧ .

(٤) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٩٣ .

بأرض الروم فتوفي صاحب لنا ، فأمر فضالة بقبره فسوي . ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها)[١].

٢- وعن أبي الهياج الأسدي- رحمه الله - قال : قال لي علي بن أبي طالب ﷺ : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ إذهب فلا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[٢].

قال الشوكاني بعد أن ذكر الحديثين (.. وفي هذا أعظم دلالة على أن تسوية كل قبر مشرف - بحيث يرتفع زيادة عن القدر المشروع - واجبة متحتمة)[٣].

٣- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ (أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه) أخرجه مسلم .

وفي رواية زيادة (وأن يكتب عليه ، وأن يوطأ) .

---

(١) رواه مسلم في الجنائز باب الأمر بتسوية القبر ، وأبو داود في الجنائز ، باب في تسوية القبر . والنسائي ، في الجنائز ، باب تسوية القبور إذا رفعت . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٨٦٥٠ ، المتن و الحاشية .

(٢) رواه مسلم في الجنائز باب الأمر بتسوية القبر ، وأبو داود في الجنائز ، باب في تسوية القبر . والترمذي في الجنائز ، باب ما جاء في تسوية القبور . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٨٦٥١ ، المتن والحاشية .

(٣) انظر : شرح الصدور (مجموعة الرسائل المنيرية) ج١ ، ص ٧٠ .

وأخرج النسائي الأولى واخرج الترمذي الثانية ، وللنسائي (نهى النبي ﷺ أن يبني على القبر، أو يزاد عليه، أو يجصص، زاد في رواية (أو يكتب عليه)[١].

قال محيي الدين البركلي[٢] - في تعليقه على هذا الحديث - قوله (.. وأن يبنى عليه) (قيل : هذا يحتمل وجهين : أحدهما : البناء عليه بالحجارة وما يجري مجراها ، والآخر : أن يضرب عليه خباءاً ونحوه ، وكلا الوجهين منهي عنه من صنيع أهل الجاهلية)[٣].

٤- وعن أبي بردة قال أوصى أبو موسى حين حضره الموت فقال : (إذا انطلقتم بجنازتي فأسرعوا المشي .. إلى أن قال : ولا تجعلوا على قبري بناء.. قالوا : أوسمعت فيه شيئاً ؟ قال : نعم ، من رسول الله ﷺ)[٤].

---

(١) رواه مسلم في الجنائز ، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه . وأبو داود في الجنائز باب في البناء على القبر . والترمذي في الجنائز ، باب ما جاء في كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها . والنسائي في الجنائز ، باب الزيادة على القبر ، وباب البناء على القبر ، وباب تجصيص القبور. وانظر:جامع الأصول ، حديث٨٦٥٢ ، المتن والحاشية .

(٢) هو محمد بن علي بن اسكندر البركلي محيي الدين الحنفي ولد سنة ٩٢٩ وتوفي سنة ٩٨١هـ له مصنفات منها رسالة في زيارة القبور . انظر : الأعلام ، ج٦ ، ص٦١ .

(٣) زيارة القبور ، ص ١٢-١٣ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص٣٩٧ ، وإسناده قوي انظر:تحذير الساجد ، ص١٣٥.

٥- وعن عبد الله بن شرحبيل بن حسنة قال : رأيت عثمان بن عفان يأمر بتسوية القبور فسويت إلا قبر أم عمرو ، فقال : ما هذا القبر ؟ ، فقيل له : هذا قبر أم عمرو بنت عثمان فأمر به فسوي[١].

٦- وعن سالم مولى عبد الله بن علي بن حسين قال : أوصى محمد بن علي أبو جعفر قال : (لا ترفعوا قبري على الأرض)[٢].

٧- وعن عمرو بن شرحبيل قال :(... ولا ترفعوا جدثي - يعني القبر - فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك)[٣].

٨- وعن أبي هريرة ﷺ (أنه أوصى أن لا يضربوا على قبره فسطاطا[٤])[٥].

٩- ورأى ابن عمر فسطاطاً على قبر عبد الرحمن[٦] فقال : (انزعه يا

(١) رواه ابن أبي شيبه في المصنف ، ج٣ ، ص ٣٤١ ، وأبو زرعة في تاريخه ، بسند صحيح عن عبد الله هذا . انظر : تحذير الساجد ، ص ١٢٩ .

(٢) رواه الدولابي في الكنى والأسماء ، ج١ ، ص ١٣٤-١٣٥ .

(٣) رواه ابن سعد ، ج٦ ، ص١٠٨ ، بسند صحيح . انظر : تحذير الساجد ، ص١٤٤ .

(٤) الفسطاط : بيت من شعر ونحوه

(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف ، ج٣ ، ص ٤١٨ . وابن أبي شيبه ، ج٣ ، ص٣٣٥. وابن سعد ، ج٤ ، ص٣٣٨ ، وإسناده صحيح . انظر : تحذير الساجد ، ص١٤٣ . وذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ٢١٥ .

(٦) هو عبد الرحمن بن أبي بكر . انظر : فتح الباري ، ج٣ ، ص ٢٢٣ .

غلام فإنما يظله عمله)[١].

١٠- وعن محمد بن كعب قال: (هذه الفساطيط التي على القبور محدثة)[٢].

١١- وعن سعيد بن المسيب أنه قال في مرضه الذي مات فيه (إذا ما مت فلا تضربوا على قبري فسطاطاً)[٣].

ب- من كلام الأئمة :

١- قال الإمام القرطبي - وهو يبين حكم البناء على القبور- (... وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً ، فذلك يهدم ويزال فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة ، وتشبهاً بمن كان يعظم القبور ويعبدها)[٤].

٢- وقال الشوكاني :(اعلم أنه قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هذا الوقت أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعلها كما يأتي بيانه ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين)[٥].

---

(١) رواه البخاري في الجنائز ، باب ٨٢ ، وانظر جامع الأصول ، ج١١ ، ص١١١ .

(٢) رواه ابن أبي شيبه في المصنف ، ج٣ ، ص٣٣٦ .

(٣) رواه ابن سعد ، ج٥ ، ص ١٤٢ .

(٤) تفسير القرطبي ، ج١٠ ، ص ٣٨١ .

(٥) شرح الصدور في تحريم رفع القبور (مجموعة الرسائل المنيرية) ص ٦٦ .

٣- وقال الشيخ محيي الدين البركلي [١] (... وكذلك القباب التي بنيت على القبور يجب هدمها ، لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ وكل بناء أسس على معصيته ومخالفته فهو أولى بالهدم من مسجد الضرار ، لأنه ﷺ نهى عن البناء على القبور .. وأمر بهدم القبور المشرفه وتسويتها بالأرض)[٢].

٤- وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (... وأما تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها وهو من ذرائع الشرك ووسائله)[٣].

٥- وقال العلامة صديق حسن خان (وقد علم بالأدلة الصحيحة المحكمة أن بناء المشاهد والقباب لا يجوز) [٤].

ب- إسراج القبور :

مما ورد في النهي عنه ما رواه أحمد ، وأبو دواد والترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) [٥].

---

(١) سبق التعريف به .

(٢) زيارة القبور الشرعية والشركية ، ص٥٨ .

(٣) فتح المجيد ، ص ٤٨١ .

(٤) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، ص١١٧ .

(٥) رواه أحمد في المسند ، ج١ ، ص٢٢٩ . وأبو داود في الجنائز ، باب في زيارة النساء

قال ابـن قدامـة: (ولا يجـوز اتخـاذ السـرج عـلى القبـور لقـول النبـي ﷺ : «لعـن الله زوارات القبور والمتخذات عليهن المساجد والسرج » ...

ولفظه : « لعن رسول الله » ﷺ ولو أبيح لم يلعن النبي ﷺ من فعلـه ؛ ولأن فيـه تـضييعاً للـمال في غـير فائـدة، وإفراطـاً في تعظـيم القبـور أشـبه تعظـيم الأصنام)[1].

وقال الشيخ محيي الدين البركلي – بعد إيراده الحـديث – : (.. فكـل مـا لعن عليه رسول الله ﷺ فهو من الكبائر ، وقد صرح الفقهاء بتحريمه ...

ولهذا قال العلماء لا يجوز أن ينذر للقبور لا شمع ولا زيت ولا غير ذلك فإنه نذر معصية لا يجوز الوفاء به بالاتفاق ، ولا أن يوقف عليهـا شيء لأجـل ذلك فإن هذا الوقف لا يصح ، ولا يحل إثباته وتنفيذه) [2].

وقـال شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة : (.. وكـذلك إيقـاد المـصابيح في هـذه المشاهد مطلقاً لا يجوز بلا خلاف أعلمه للنهي الوارد ولا يجوز الوفـاء بـما ينذر لها من دهن وغيره بل موجبه موجب نذر المعصية) [3].

للقبور . والترمذي في الصلاة ، باب ما جاء في كراهيـة أن يتخذ عـلى القبر مـسجداً ، وقال : هذا حديث حسن . والنسائي في الجنائز ، باب التغليظ في اتخـاذ الـسرج عـلى القبور . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٨٦٦٣ ، المتن والحاشية .

(١) المغني لابن قدامة ، ج٣ ، ص ٤٤٠-٤٤١ .

(٢) زيارة القبور الشرعية والشركية ، ص ١٢ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ١٨٩ .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : (والمقصود أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذيها أعياداً الموقدين عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ محادون لما جاء به ، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها ، وهو من الكبائر ، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه)(١).

ج- السفر أو الاختلاف إلى القبور :

مما ورد في النهي عنه ما يلي :

١- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ومسجد الأقصى) أخرجه البخاري ومسلم(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (... بل نفس السفر لزيارة قبر من القبور - قبر نبي أو غيره - منهي عنه عند جمهور العلماء ... لقوله الثابت في الصحيحين : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد .. الحديث »)(٣) .

قال محيي الدين البركلي (.. فإن جمهور العلماء قالوا السفر إلى زيارة

(١) إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ٢١٥ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب ١ ، ٦ . ومسلم في الحج باب فضل المساجد الثلاثة . انظر : جامع الأصول حديث ٦٨٩٤ .

(٣) الفتاوى ، ج٤ ، ص ٥٢٠

قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر بها رسول رب العالمين ، ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين فمن أعتقد ذلك قربة وطاعة فقد خالف السنة والإجماع ، ولو سافر إليها بذلك الإعتقاد لكان عمله حراماً ، فصار التحريم من جهة اتخاذه السفر قربة ، ومعلوم أن أحد لا يسافر إليها إلا لذلك وقد ثبت في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام قال:(لا تشتد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... الحديث)[1])[2].

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ووجه الدلالة : ان قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهي عن اتخاذه عيداً ، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان ... ثم إنه ﷺ أعقب النهي عن اتخاذه عيداً بقوله : (وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) ... يشير بذلكﷺ إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم منه فلا حاجة

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) زيارة القبور الشرعية والشركية ، ص ٢٨ .

(٣) رواه أبو داود في المناسك ، باب زيارة القبور . وأحمد في المسند ، ج٢ ، ص ٣٦٧ ، وهو حديث حسن . انظر : جامع الأصول ، حديث ٢٤٧٨ ، المتن والحاشية .

بكم إلى اتخاذه عيداً)[١].

في الحديث السابق - كما رأينا - نهي عن السفر لأجل زيارة القبور ؛ إذ هو من شد الرحال لغير المساجد الثلاثة .

و في هذا الحديث نهي عن اتخاذ قبر النبي ﷺ أو غيره مكاناً يعتاد مجيئه يومياً أو أسبوعياً أو شهرياً أو سنوياً أو في مناسبات معينة ؛ لأن ذلك من اتخاذه عيداً[٢]؛ لما في ذلك من الغلو في تعظيم القبور المؤدي إلى الشرك .

قال الشيخ الألباني - رحمه الله - : (اقتضت حكمة الإله تبارك وتعالى - وقد أرسل محمداً ﷺ خاتم الرسل ، وجعل شريعته خاتمة الشرائع - أن ينهى عن كل الوسائل التي يخشى أن تكون ذريعة ... لوقوع الناس في الشرك الذي هو أكبر الكبائر ، فلذلك نهى عن بناء المساجد على القبور كما نهى عن شد الرحال إليها واتخاذها أعياداً ، إذ كل ذلك يؤدي إلى الغلو بها وعبادتها من دون الله)[٣].

د- الطواف بالقبور واستلامها وتقبيلها :

مما يدل على أنه غير مشروع قوله تعالى: (..وليطوفوا بالبيت العتيق)[٤].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ١٧٢-١٧٣ .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ، ص ٢٨٣ .

(٣) تحذير الساجد ، ص ١٥٤ .

(٤) سورة الحج : الآية ٢٩ .

فقد دلت الآية على أن الطواف إنما هو بالبيت العتيق فلا يطاف بغيره ، فمن طاف بغيره أو استلمه أوقبله فقد شبهه بالبيت الحرام وذلك تعظيم لما لم يأذن الله بتعظيمه وتشريع في الدين بما لم يأذن به الله ومفضاة للإشراك بالله تعالى وتبديل دينه [1].

قال الإمام النووي - رحمه الله - (لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ) [2].

وقال شيخ الإسلام : (ومن ذلك الطواف بغير الكعبة ، وقد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الطواف إلا بالبيت المعمور فلا يجوز الطواف بصخرة بيت المقدس ، ولا بحجرة النبي ﷺ ولا بالقبة التي في جبل عرفات ولا غير ذلك، وكذلك اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الإستلام ولا التقبيل إلا للركنين اليمانيين ، فالحجر الأسود يستلم ويقبل ، واليماني يستلم ... وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه ولا تقبيله ؛ كجوانب البيت والركنين الشاميين ، ومقام إبراهيم والصخرة ، والحجرة النبوية وسائر قبور الأنبياء والصالحين) [3].

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ٣٣٧-٣٣٨ ، ٣٥٤ . وتطهير الجنان ص ٢٧ ، الحاشية . وبيان الشرك ووسائله عند الحنابلة ، ص ٣٢ .

(٢) المجموع ، شرح المهذب للنووي ، ج ٨ ، ص ٢٧٥ .

(٣) الفتاوى ، ج٤ ، ص ٥٢١ .

وقال ابن الحاج [1] في المدخل (.. فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة ... ويتمسح به ويقبله ، وذلك كله من البدع ... إلى أن قال : وقد قال عليه الصلاة والسلام : (لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) [2]. فإذا كان هذا الذم العظيم فيمن اتخذ الموضع مسجداً فكيف بالطواف عنده) [3].

وقال الأثرم [4] : (... رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي ﷺ يقومون من ناحية فيسلمون) [5].

وقال الألوسي- رحمه الله- : (ولقد رأيت من يبح ما يفعله الجهله في قبور الصالحين من إشرافها وبنائها بالجص والآجر وتعليق القناديل عليها والصلاة إليها والطواف بها واستلامها والاجتماع عندها في أوقات

---

(١) هو محمد بن محمد بن الحاج ، أبو عبد الله العبدري المالكي الفاسي نزيل مصر ، فاضل ، تفقه في بلاده وقدم مصر وتوفي بالقاهرة سنة ٧٣٧هـ. انظر : الأعلام ، ج٧ ، ص ٣٥ .

(٢) رواه البخاري في الصلاة ، باب الصلاة في البيعة . ومسلم في المساجد ، با النهي عن بناء المساجد على القبور . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٣٦٦٩ .

(٣) المدخل لابن الحاج ، ج١ ، ص ١٨٩-١٩٠ .

(٤) هو أحمد بن محمد بن هاني الطائي أبو بكر الأثرم من حفاظ الحديث أخذ عن الإمام أحمد وآخرين ، توفي سنة ٢٦١هـ ، انظر : الأعلام ، ج١ ، ص٢٠٥ .

(٥) المغنى ، ج٥ ، ص ٢٦٨ .

مخصوصة إلى غير ذلك ... وكل ذلك محادة لله تعالى ورسوله ﷺ وابتداع دين لم يأذن به الله عز وجل)[1].

* * *

---

(١) روح المعاني، ج١٥، ص ٢٣٥

المبحث الثاني : اتخاذ القبور مساجد

المراد به : هو عبادة الله عند القبور بالصلاة أو الدعاء أو غير ذلك من أنواع العبادات أو استقبالها أثناء ذلك سواءً بني مسجد أو لم يبن (١).

أمثلته : ومن أمثلة ذلك ما يلي :

١- بنا المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وعبادة الله فيها .

٢- الصلاة أو الدعاء أو العكوف ونحو ذلك من العبادات عند قبور الأنبياء والصالحين وإن لم يبن مسجد .

٣- استقبال القبور أثناء الصلاة أو الدعاء ونحو ذلك (٢).

* كيف يوصل إلى الشرك الأكبر ؟ :

إن عبادة الله عند القبور بالصلاة او الدعاء او غير ذلك من العبادات سواء بني مسجد أو لم يبن أو استقبالها أثناء ذلك من أعظم الذرائع المؤدية إلى الشرك الأكبر ؛ ذلك أنها تورث استشعار عظمة أصحاب القبور، ومن ثم تعظيمهم وعبادتهم ، كما أنها مع تطاول الأيام وغلبة الجهل توهم الجهال

---

(١) (٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص١٨٩ ، وفتح الباري ، ج١ ، ص ٥٢٤. وتيسير العزيز الحميد ، ص٢٨٤ .

بأن العبادة إنما يراد بها أصحاب القبور أو أن الدعاء إنما توجه به إلى أصحاب القبور ، فيتوجه الجهال بصلاتهم أو دعائهم إلى أصحاب القبور فيقعوا في الشرك .

قال شيخ الإسلام - وهو يتكلم عن المتخذين القبور مساجد - : (وقد آل الأمر بكثير من جهالهم إلى أن صاروا يدعون الموتى ويستغيثون بهم كما تستغيث النصارى بالمسيح وأمه فيطلبون من الأموات تفريج الكربات وتيسير الطلبات والنصر على الأعداء ورفع المصائب والبلاء وأمثال ذلك مما لا يقدر عليه إلا رب الأرض والسماء)[١].

وقال ابن قدامة : (.. وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم ومسحها ، والصلاة عندها)[٢].

وقال ابن تيمية وابن القيم - وهما يتكلمان عن حدوث الشرك في قوم نوح وعبادة ودّ وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً - : (قال غير واحد من السلف هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم)[٣].

---

(١) الفتاوى ، ج٤ ، ص ٥١٩ .

(٢) المغنى ، ج٣ ، ص ٤٤١ .

(٣) الفتاوى ، ج١ ، ص٣٢١ ، وإغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ٢٠٣ .

الأدلة على منعه :

أولاً: من السنة : لقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن اتخاذ القبور مساجداً أو بناء المساجد عليها [1]. ومن ذلك ما يلي :

١- روى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجبلي قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس هو يقول : (... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك) [2].

قال النووي في تعليقه : (... قال العلماء إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والإفتتان به فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية ...) [3].

وقال شيخ الإسلام - في تعليقه على هذا الحديث - : (... فقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد في آخر حياته)[4].

وقال الخلخالي[5]: (... وإنكار النبي ﷺ صنيعهم هذا يخرج على وجهين

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ١٨٤ .

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٦٤١٠ .

(٣) شرح صحيح مسلم ، ج٥ ، ص ١٣ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ١٨٥ .

(٥) هو نصر الله بن محمد العجمي الخلخالي فاضل من فقهاء الشافعية نزل بحلب

أحدهما : أنهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لهم . والثاني : أنهم يجوزون الصلاة في مدافن الأنبياء والسجود في مقابرهم والتوجه إليها حالة الصلاة نظراً منهم بذلك إلى عبادة الله ، والمبالغة في تعظيم الأنبياء ، والأول الشرك الجلي والثاني الخفي...)[1].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ، وفي رواية (لعن الله اليهود والنصارى ... الحديث)[2].

قال ابن عبد البر : (في هذا الحديث ... تحريم السجود على قبور الأنبياء...، ويحتمل الحديث أن لا تجعل قبور الأنبياء قبلة يصلى إليها، وكل ما احتمله الحديث في اللسان العربي فممنوع منه ؛ لأنه إنما دعا على اليهود محذراً أمته عليه السلام من أن يفعلوا فعلهم)[3].

٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه (لعن الله اليهود والنصارى،اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ،

ودرس فيها بالعصرونية وتوفي بها في الطاعون سنة ٩٦٢هـ ، له مؤلفات منها :حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي . انظر : الأعلام ،ج٨ ، ص٣١ .

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص٢٨٤ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) التمهيد ، ج٦ ، ص ٣٨٣ .

قالت[١] : ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً .

وفي رواية عنها وعن ابن عباس قالا: (لما نزل برسول الله ﷺ : طفق يطرح خميصةً له على وجه ، فإذا أغتم كشفها عن وجهه فقال – وهو كذلك – : لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد – يحذر ما صنعوا)[٢].

قال ابن عبد البر : (لهذا الحديث – والله اعلم – ورواية عمر بن العزيز له[٣] أمر في خلافته[٤] أن يجعل بنيان قبر رسول الله ﷺ محدداً بركن واحد لئلا يستقبل القبر فيصلى إليه)[٥].

وقال القرطبي : (... وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام)[٦].

---

(١) عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه البخاري في الجنائز ، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ . ومسلم في المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور . وانظر : جامع الأصول حديث ٣٦٧٠ .

(٣) انظر : جامع الأصول ، حديث ٣٦٧١ .

(٤) كذا في التمهيد ولعل الصواب في زمن نيابته عن الوليد على المدينة .انظر الفتاوى ، ج١ ص٢٣٧ .

(٥) التمهيد ، ج١ ، ص ١٦٧ .

(٦) تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٨١ .

وقال شيخ الإسلام : (ولم تقصد عائشة رضي الله عنها مجرد بناء المسجد فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً ، وإنما قصدت أنهم خشوا أن الناس يصلون عند قبره ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً ، بل كل موضع يصلى فيه فإنه يسمى مسجداً وإن لم يكن هناك بناء)[1].

وقال أيضاً : (... ثم أنه ﷺ لعن - وهو في السياق - من فعل ذلك من أهل الكتاب ليحذر أمته أن يفعلوا ذلك)[2].

٤- وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة[3] وأم سلمه[4] رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال : (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج ٢ ، ص ١٨٩ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(٣) أم حبيبة : هي أم المؤمنين رمله بنت أبي سفيان بن حرب أسلمت قديماً وهاجرت إلى الحبشة فلما تنصّر زوجها عبد الله بن جحش تزوجها رسول الله ﷺ، توفيت سنة ٤٤ هـ انظر : الأعلام ، ج٣ ، ص ٣٣ .

(٤) أم سلمه : هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية ، من زوجات النبي ﷺ تزوجها سنة ٤ هـ وتوفيت سنة ٦٢ هـ . انظر : الأعلام ، ج٨ ، ص ٩٧ .

القيامة)[1]. فقوله ﷺ (أولئك شرار الخلق عند الله) يدل على تحريم ما ذكر في الحديث من بناء المساجد على القبور، والمراد بالمساجد - هنا - مواضع للعبادة وإن لم تسم مسجداً كالكنائس والمشاهد ونحوها [2].

قال القرطبي - في تعليقه على هذا الحديث - : (قال علماؤنا : وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد) [3].

وعقب ابن عبد البر على هذا الحديث فقال : (هذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء و الصالحين مساجد)[4].

وقال ابن رجب : (هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين)[5].

٥- وعن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[6].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد. ومسلم في كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها. وانظر جامع الأصول، حديث ٢٩٦١ .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد، ص٢٧٨ .

(٣) تفسير القرطبي، ج١٠، ص ٣٨٠ .

(٤) التمهيد، ج١، ص ١٦٨ .

(٥) تحذير الساجد، ص ١٧ .

(٦) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب قصر الصلاة في السفر باب جامع الصلاة مرسلاً

في قوله ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) تحذير من الوثنية بأي شكل ، ومن ذلك اتخاذ قبره مسجداً .

وقوله ﷺ : (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) إشارة إلى تحريم عبادة الله عند القبور سواء بصلاة أو دعاء او عكوف أو غير ذلك من أنواع العبادات [١].

قال ابن عبد البر - في تعليقه على هذا الحديث- : (خشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم ، فقال لهم : اللهم لا تجعل قبري وثناً يصلى إليه ، ويسجد نحوه ويعبد ... وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجداً ... فكان ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه ؛ خشية عليهم امتثال طرقهم)[٢].

عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال . ، والبزار في كتاب الصلاة باب في الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً . وقد صح موصولاً من حديث أبي هريرة ﷺ . انظر: جامع الأصول حديث ٣٦٧٢، والتمهيد ج٥، ص٤٤ .

(١) انظر : الدر النضيد ، ص ١٥١-١٥٢ .

(٢) التمهيد ، ج٥ ، ص ٤٥ .

وقال الشوكاني - بعد ذكره للحديث - : (فدعا عليهم بأن يشتد غضب الله عليهم بما فعلوه من هذه المعصية) [١].

٦- وروى الإمام احمد في مسنده بإسناد جيد عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال : (إن من أشرارا الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد) [٢].

في الحديث بيان أن المتخذين القبور مساجد من أشرارا الناس وذلك دليل على تحريم هذا العمل وإلا لم يكونوا كذلك .

٧- وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) [٣].

قال ابن قدامة - في تعليقه على هذا الحديث - : (ولو أبيح لم يلعن النبي ﷺ من فعله ..) [٤].

٨- وعن أبي مرثد الغنوي ﷺ أن النبي ﷺ قال : (لا تجلسوا على القبور

---

(١) شرح الصدور في تحريم رفع القبور.
انظر: مجموعة الرسائل المنيرية، ج١ ، ص٧١.

(٢) رواه الإمام احمد في المسند ، ج١ ، ص ٤٣٥ . وأخرجه عبد الرازق في المصنف في باب الصلاة على القبور ، برقم ١٥٨٦ . وانظر : كنز العمال ، حديث ١٩١٩٢ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) المغني ، ج٣ ، ص ٤٤٠-٤٤١ .

ولا تصلوا إليها)[1].

قال القرطبي - في تعليقه على هذا الحديث - : (أي لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى فيؤدي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤديةإلى ذلك)[2].

وقال أيضاً : (ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته ، وسدوا المداخل إليها ، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة ؛ إذ كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوها حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره)[3].

وقال شيخ الإسلام في تعليقه على هذا الحديث : (فلا يجوز أن يصلى إلى

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنائز ، باب النهي عن الجلوس على القبر و الصلاة عليه . وأبو داود في الجنائز ، باب في كراهية القعود على القبر ، والترمذي في الجنائز ، باب ما جاء في كراهية المشي على القبور والجلوس عليها والصلاة إليها . والنسائي في القبلة باب النهي عن الصلاة إلى القبر .

انظر : جامع الأصول ، حديث ٨٦٧٥ .

(٢) تفسير القرطبي ، ج١٠ ، ص ٣٨٠ .

(٣) قرة عيون الموحدين ، ص١١٩ .

شيء من القبور لا قبور الأنبياء ولا غيرهم لهذا الحديث الصحيح)[١].

ثانياً : ما ورد عن الصحابة ومن بعدهم من أئمة أهل السنة :

ومن ذلك ما يلي :

١- وفي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى أنس بن مالك يصلي عند قبر . فقال (القبر القبر)[٢].

قال ابن حجر : (قوله القبر القبر) بالنصب فيهما على التحذير) [٣] ، وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة ما نهاهم عنه نبيهم ﷺ من الصلاة عند القبور ، وفعل أنس لا يدل على اعتقاد جوازه فإنه لعله لم يره ، او لم يعلم أنه قبر أو ذهل عنه فلما نبهه عمر تنبه [٤].

٢- وقال الإمام مالك : (لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن

---

(١) الفتاوى ، ج١ ، ص ٣٥٤ .

(٢) أورده البخاري في صحيحه كتاب الصلاة ، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مسجد ، ج١ ، ص١١٠ . وابن حجر في الفتح وقال : والأثر المذكور عن عمر رويناه موصولاً في كتاب الصلاة لأبي نعيم شيخ البخاري . انظر : الفتح ، ج١ ، ص٥٢٤ .

(٣) فتح الباري ، ج١ ، ص ٥٢٤ .

(٤) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٨٥ .

يسلم ويمضي)[1].

٣- وقال القرطبي : (.. فاتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها. إلى غير ذلك مما تضمنت السنة النهي عنه ممنوع لا يجوز ...)[2]. ثم ذكر أحاديث في النهي عن ذلك .

٤- وقال ابن قدامة - بعد أن ذكر بعض الأحاديث في النهي عن اتخاذ القبور مساجد قال : (.. فعلى هذا لا تصح الصلاة إلى القبور للنهي عنها)[3].

٥- وقال البيضاوي : (لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً لعنهم ومنع المسلمين عن مثل ذلك)[4].

٦- وقال شيخ الإسلام (... وقد تواتر عن الصحابة أنهم كانوا إذا نزلت بهم الشدائد .. يدعون الله ويستغيثونه في المساجد والبيوت ولم يكونوا يقصدون الدعاء عند قبر النبي ﷺ ولا قبر غيره إلى أن قال : ومن المعلوم بالإضطرار أن الدعاء عند القبور لو كان أفضل من الدعاء عند غيرها لكان

---

(١) ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط والقاضي عياض وغيرهما . انظر : صيانة الإنسان ص٢٦٢ .

(٢) تفسير القرطبي ، ج١٠ ، ص ٣٧٩ .

(٣) المغني ، ج٢ ، ص ٤٧٤ .

(٤) فتح الباري ، ج ١ ، ص ٥٢٥ .

السلف أعلم بذلك من الخلف وكانوا أسرع إليه فإنهم كانوا أعلم بما يحبه الله ويرضاه وأسبق إلى طاعته ..ولكان النبي ﷺ بين ذلك ... فكيف وقد نهى عن هذا الجنس وحسم مادته بلعنه ونهيه عن اتخاذ القبور مساجد، فنهى عن الصلاة لله مستقبلاً لها وإن كان المصلي لا يعبد الموتى ولا يدعوهم.. سداً للذريعة)(١).

وقال أيضاً: (ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور)(٢).

٧- وقال ابن القيم: (فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالإضطرار من دين رسول الله ﷺ أن الصلاة عند القبور منهي عنها وأنه لعن من اتخذها مساجد)(٣).

٨- وقال الشيخ محيي الدين البركلي:(وقد صرح عامة الأئمة بالنهي عن بناء المساجد على القبور والصلاة إليها متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة ونص أصحاب أحمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك...)(٤).

* * *

---

(١) الفتاوى، ج٧، ص ١٢٢-١٢٣.

(٢) الفتاوى ج٣ ص ٣٩٨.

(٣) إغاثة اللهفان، ج١، ص ٢٠٤.

(٤) زيارة القبور الشرعية له، ص ١١.

المبحث الثالث : عبادة الله في مكان أو زمان يعبد فيه غيره

المراد به : هو أداء شيء من العبادات في مكان أو زمان يعبد فيه غير الله .

ومن أمثلته :

١- عبادة الله في معابد الوثنيين كالعبادة عند صنم ، أو في كنسية ونحوها .

٢- الصلاة إلي ما عبد من دون الله وإن لم يكن العابد يقصد ذلك كالصلاة إلى صورة أو تمثال المسيح عليه السلام أو بوذا و نحوهما ، وكالصلاة إلى القبور ، وكالسجود لله بين يدي الرجل .

٣- الصلاة في وقت عبادة الوثنيين كالصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها [1].

* **كيف يوصل إلى الشرك** : من المعلوم أن أداء الصلاة أو غيرها من العبادات في معابد الوثنيين أو إلى معبوداتهم أو وقت عبادتهم فيه مشابهة لهم في الظاهر وهذه المشابهة تؤدي مع طول الزمن وغلبة الجهل إلى الموافقة والمشابهة لهم في الباطن[2]. كما أن فيه إيهام للجهال بأن هذا المتعبد إنما

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص ٢٢٠ ، ج٢ ، ص ١٩٦ . وإغاثة اللهفان ج١ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٢ . ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢) إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٩ . ج٢ ، ص٢١٩ .

قصد بعبادته معبودات المشركين فيقصدوها ، وبذلك يوصل إلى الشرك .

الأدلة على منعه : لقد دل الكتاب والسنة على المنع من عبادة الله في مكان أو زمان يعبد فيه غيره حماية للتوحيد وسداً للذرائع المؤدية إلى الشرك ، كما أفتى كبار الأئمة بما يوافق الكتاب و السنة في ذلك ، ومن ذلك ما يلي :

أولاً : الكتاب :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ الآية [١].

والمراد – هنا – مسجد الضرار الذي بناه المنافقون في المدينة وجاءوا إلى رسول الله ﷺ قبل خروجه إلى تبوك فسألوه أن يصلي به ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره فوعدهم بعد رجوعه من الغزو فلما قفل راجعاً إلى المدينة نزل الوحي بخبر المسجد فبعث إليه من يهدمه قبل مقدمه إلى المدينة .

ووجه الدلالة في الآية – من جهة القياس – وهو أنه إذا منع الله رسوله ﷺ عن القيام لله تعالى في هذا المسجد المؤسس على هذه المقاصد الخبيثة مع أنه لا يقوم فيه إلا لله ، فكذلك المواضع المعدة لعبادة غير الله لا يعبد فيها الله سبحانه وتعالى لأنها قد أسست على معصية الله والشرك به [٢].

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٨ .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص١٦٣-١٦٤ .

ثانياً : السنة :

ومن ذلك ما يلي :

١- عن ثابت بن الضحاك ﷺ قال : (نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانه[١] فأتى رسول الله ﷺ فأخبره . فقال رسول الله ﷺ :(هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟) قالوا : لا . قال :(هل كان فيها عيد[٢] من أعيادهم ؟) قالوا : لا . فقال رسول الله ﷺ :(أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم))[٣] .

في الحديث دلالة على أن الأمكنة والأزمنة التي يعتاد المشركون الذبح فيها لغير الله لا يجوز الذبح فيها لله بدليل استفصاله ﷺ . وقوله : (فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله) .

وعليه فكل عبادة لله لا يجوز أداؤها في مكان أو زمان يعبد فيه غيره سداً لذريعة الشرك وبعداً عن مشابهة المشركين[٤].

---

(١) اسم موضع في أسفل مكة دون يلملم . انظر : جامع الأصول ، ج١١ ، ص٥٤٨ .

(٢) العيد : إسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد - يطلق على زمان العيد ، ومكانه ، و العمل فيه - . انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص٤٩٦-٤٩٧ .

(٣) أخرجه ابو داود في الأيمان والنذور ، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ، وإسناده صحيح انظر : جامع الأصول ، ج١١ ، ص٥٤٧-٥٤٨ (المتن والحاشية) .

(٤) انظر : الدر النضيد ، ص٩٦ .

قال شيخ الإسلام- في تعليقه على الحديث- : (فوجه الدلالة أن هذا الناذر كان قد نذر أن يذبح نعماً ... بمكان سماه فسأله النبي ﷺ :(هل كان بها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟) قال : لا ، قال :(فهل كان بها عيد من أعيادهم ؟) قال : لا ، قال : (فأوف بنذرك) ثم قال :(لا وفاء لنذر في معصية الله) . وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم و محل أوثانهم معصية لله من وجوه :

أحدها : أن قوله :(فأوف بنذرك) تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء وذلك يدل على أن الوصف هو سبب الحكم ، فيكون سبب الأمر بالوفاء وجود النذر خالياً من هذين الوصفين ، فيكون وجود الوصفين مانعاً من الوفاء ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به .

الثاني : أنه عقب ذلك بقوله :(لا وفاء لنذر في معصية الله) ولو لا اندراج الصورة المسؤول عنها في هذا اللفظ العام ، وإلا لم يكن في الكلام ارتباط ، والمنذور في نفسه - وإن لم يكن معصية - لكن لما سأله النبي ﷺ عن الصورتين قال له : (أوف بنذرك) يعني حيث ليس هناك ما يوجب تحريم الذبح هناك ، فكان جوابه ﷺ فيه أمراً بالوفاء عند الخلو من هذا ونهي عنه عند وجود هذا)[1].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص ٤٩٥ .

٢- وعن عمرو بن عبسة ﷺ أنه قال : (... فقلت : يا نبي الله ... أخبرني عن الصلاة . قال : (صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع ، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم اقصر عن الصلاة .. فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ...)[1] الحديث.

قال النووي : (... قيل المراد بقرني شيطان حزبه وأتباعه ، وقيل : قوته وغلبته وانتشار فساده ، وقيل القرنان ناحيتا الرأس وأنه على ظاهره وهذا هو الأقوى قالوا : ومعناه أنه يدني رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة وحينئذ يكون له ولبنيه تسلط ظاهر وتمكن من أن يلبسوا على المصلين صلاتهم ، فكرهت الصلاة حينئذ صيانة لها كما كرهت في الأماكن التي هي مأوى الشيطان)[2].

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب إسلام عمرو بن عبسة ، وبنحوه أبو داود في الصلاة ، باب من رخص فيها إذا كانت الشمس مرتفعة ، والنسائي في المواقيت ، باب النهي عن الصلاة بعد العصر ، وهو حديث صحيح . انظر: جامع الأصول ، حديث ٣٣٣٨ ، (المتن والحاشية) .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ، ج٣ ، ص ١١٢ .

٣- وعن عقبة بن عامر ﷺ عنه قال : (ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن أو نقبر فيهن موتانا حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس ، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب)[1]. لأن في هذه الأوقات الثلاثة يسجد عباد الشمس لها- كما قال ابن القيم- : ولذا نهى النبي ﷺ عن تحري الصلاة في هذه الأوقات قطعاً لمشابهة الكفار ظاهراً وسداً لذريعة الشرك[2].

٤- وعن أبي مرثد الغنوي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها)[3].

قال شيخ الإسلام- في تعليقه على هذا الحديث- : (لأن ذلك يشبه السجود لها وإن كان المصلي إنما قصد الصلاة لله تعالى)[4].

٥- عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (الأرض كلها

---

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها وأبو داود في الجنائز ، باب الدفن عند طلوع الشمس وعند غروبها . والترمذي في الجنائز ، باب ما جاء في كراهية الصلاة على الجنازة عند طلوع الشمس وعند غروبها . والنسائي في المواقيت ، باب الساعات التي نهي عن الصلاة فيها . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٣٣٣٣ ، المتن والحاشية .

(٢) إغاثة اللهفان ، ج٢ ، ٢١٩ ، (بتصرف) . وتحذير الساجد ، ص١٥٥ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) الفتاوى ، ج١ ، ص ٢٣٧ ،

مسجد إلا الحمام والمقبرة)[1].

قال شيخ الإسلام - في تعليقه على الحديث - : (فإن الحمام مأوى الشياطين والمقابر نهي عنها لما فيه من التشبه بالمتخذين القبور مساجد)[2].

٦- وعن ضباعة بنت المقداد بن الأسود عن أبيها قال : ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي إلى عود ولا عمود ولا شجرة إلا جعله على حاجبه الأيسر ولم يصمد له صموداً)[3]. وذلك سداً لذريعة التشبه بالسجود لغير الله[4].

ثالثاً : من كلام الصحابة ومن بعدهم من أئمة أهل السنة :

١- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر كان يقول : (لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها ، فإن الشيطان يطلع قرناه مع طلوعها

---

(١) رواه أحمد في المسند ، ج٣ ، ص ٨٣ ، ٩٣. وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة . والترمذي في كتاب الصلاة ، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام . وابن ماجه في كتاب المساجد ، باب المواضع التي تكره فيها الصلاة . وقال شيخ الإسلام : رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم بأسانيد جيدة . انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ١٨٩ .

(٢) الفتاوى ، ج١٧ ، ص ٥٠٢-٥٠٣ .

(٣) رواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب إذا صلى إلى سارية ونحوها ، حديث ٦٩٣ وأحمد في المسند مسند المقداد بن الأسود بلفظ «صلى» بدل «يصلي» ج٦، ص٤.

(٤) انظر : إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص٣٨٢ .

ويغربان مع غروبها، وكان يضرب الناس على تلك الصلاة)[١].

في هذا الأثر نهي من عمر ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها وتأديب على ذلك ، مما يؤكد أنه لا يجوز .

٢- وقال شيخ الإسلام: (... والفقهاء قد ذكروا في تعليل كراهة الصلاة في المقبرة علتين) إلى أن قال : (... والعلة الثانية : ما في ذلك من مشابهة الكفار بالصلاة عند القبور لما يفضي إليه ذلك من الشرك ، وهذا العلة صحيحة باتفاقهم)[٢].

وقال أيضاً : (كما نهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها، لأنه وقت سجود المشركين للشمس وإن كان المصلي لا يسجد إلا لله سداً للذريعة)[٣].

وقال أيضاً : (ولهذا نهي عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملة وإن لم يكن العابد يقصد ذلك ونهي عن السجود لله بين يدي الرجل وإن لم يقصد الساجد ذلك ؛ لما فيه من مشابهة السجود لغير الله . فانظر كيف

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ كتاب القرآن ، باب النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر موقوفاً وإسناده صحيح . انظر : جامع الأصول ، حديث ٣٣٣٦ ، (المتن والحاشية). وقد رفعه ابنه عبد الله . انظر : جامع الأصول ، حديث ٣٣٣٥ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ج٢ ، ص ٢٩٩-٣٠٠ .

(٣) الفتاوى ، ج٢٧ ، ص ١٢٣-١٢٤ .

قطعت الشريعة المشابهة في الجهات والأوقات ...) [1].

وقال أيضاً : (ومن هذا الباب أنه ﷺ كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على حاجبه الأيمن أو الأيسر ولم يصمد له صموداً) [2].

٣- وقال ابن القيم - وهو يتكلم عن عباد الشمس - : (... وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها وإذا غربت وإذا توسطت الفلك ولهذا يقارنها الشيطان في هذه الأوقات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم له ولهذا نهى النبي ﷺ عن تحري الصلاة في هذه الأوقات قطعاً لمشابهة الكفار ظاهراً وسداً لذريعة الشرك وعبادة الأصنام) [3].

وقال أيضاً : (ومن ذلك أنه ﷺ كره الصلاة إلى ما قد عبد من دون الله، وأحب لمن صلى إلى عود أو عمود أو شجرة أو نحو ذلك ، أن يجعله على أحد حاجبيه ولا يصمد إليه صموداً سداً لذريعة التشبه بالسجود لغير الله تعالى) [4].

* * *

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص ٢٢٠ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص ٢٢٠ .

(٣) إغاثة اللهفان ، ج٢ ، ص ٢١٩ .

(٤) إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ٣٨٢ . وإعلام الموقعين ، ج٣ ، ص ١٤٤ .

المبحث الرابع : التبرك الممنوع

تعريفه :

التبرك لغة : مصدر تبرك يتبرك تبركاً ، وهو التيمن وطلب البركة تقول تبركت بالشيء : تيمنت به ، وطلبت البركة بواسطته .

والبركة في اللغة : الثبوت واللزوم ، يقال برك البعير إذا أناخ في موضع فلزمه وتطلق على النماء والزيادة : يقال : لا بارك الله فيه : أي لا نماه .

البركة في الكتاب والسنة : هي ثبوت الخير ودوامه في الشيء ، أو كثرة الخير وزيادته ، أو هما معاً[1].

التبرك في الاصطلاح : هو طلب البركة ورجاؤها واعتقادها في شيء من الأشياء أو بسببه[2]. ومنه ما هو مشروع ، ومنه ما هو ممنوع .

والممنوع - وهو المراد هنا - : هو ما لم يرد فيه نص أو ورد النص بالنهي

---

(١) انظر : لسان العرب ، ج١ ، ص٢٠٠-٢٠١ . والقاموس المحيط ، ج٣ ، ص٢٩٣-٢٩٥ . والصحاح ، مادة برك . وجمهرة اللغة لابن دريد ، ج١ ،ص ٢٧٢ . والمفردات للراغب ، ص٤٤ . وتفسير القرطبي ، ج٤ ، ص ١٣٩ . وبدائع الفوائد ، ج٢ ، ص١٨٦ . والتبرك أنوعه وأحكامه ، ص ٣٧ .

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ، ص١٤٣ . والإرشاد ، ص ٨٣ . والتوحيد للفوزان ، ص٩٣

عن التبرك فيه أو تجاوز حدود التبرك المشروع [١].

أمثلته : ومن ذلك ما يلي :

١- التبرك بقبره ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين وشد الرحال لأجل ذلك

٢- التبرك بالمواضع التي جلس فيها الرسول ﷺ مثل غار حراء، وغار ثور ونحوهما .

٣- التبرك بمكان ولادته ﷺ أو بليلة مولده أو بليلة الإسراء والمعراج أو بيوم الهجرة والاحتفال بذلك .

٤- التبرك بذوات الصالحين أو آثارهم أو مواضع عبادتهم وإقامتهم .

٥- التبرك ببعض الجبال والمواضع وشد الرحال إليها لأجل ذلك كجبل الطور ونحوه .

٦- التبرك بالأشجار والأحجار والعيون ونحوها بأي وجه من الوجوه [٢].

*** كيف يوصل إلى الشرك ؟ :**

هذا التبرك الممنوع - بحسب اعتقاد فاعله - قد يكون في حد ذاته شركاً

---

(١) انظر: التبرك أنوعه وأحكامه ص ٣٩ ، ص٣١٥ .

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ٣٣١- ٣٣٣ / ٣٣٧ .. والباعث على إنكار البدع والحوادث ، ص ١٠١ . وتيسير العزيز الحميد ، ص ١٤٣ . والتوحيد للفوزان ، ص٩٣ .والإرشاد ، ص٨٣ .

أكبر وقد يكون وسيلة تؤدي إلى الشرك . فإن اعتقد أن هذه الأمور المتبرك فيها تمنح البركة فهو شرك ، أما إن اعتقد أنها سبب لحصول البركة من الله فهو وسيلة تؤدي مع تطاول الأيام إلى الغلو فيها ثم تتدرج به إلى دعائها وعبادتها وبذلك يقع في الشرك[1].

ونسوق مثالاً يؤكد ذلك ، الشرك عند العرب : من الوسائل التي أدت إليه التبرك بالأحجار .

جاء في كتاب الأصنام لابن الكلبي أن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لما سكن مكة وولد له أولاد كثير ... ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا في البلاد لالتماس المعاش وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمناً منهم بها وصبابة بالحرم وحبآله ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم

---

(١) انظر : القول السديد ص٤٨-٤٩ . والباعث على إنكار البدع والحوادث، ص ١٠١ . والتوحيد للفوزان ، ص٩٣

من قبلهم...)[1].

* الأدلة على المنع منه :

هذا النوع من التبرك من الأمور المسلم بحرمتها لدى كل مسلم لديه عقيدة صحيحه ؛ ذلك أنه إما شرك وإما وسيلة تفضي إلى الشرك وكلاهما محرم .

ومما يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : لا يوجد في القرآن ولا في السنة الصحيحة ما يدل على مشروعية شيء منه ، ولذا لم يفعله السلف الصالح أو يقولوا بجواز شيء منه ، وإذا لم يكن مشروع فهو محدث ممنوع والرسول ﷺ يقول (وإياكم و محدثات الأمور ... الحديث)[2].

ثانياً: أن المصطفى ﷺ حذر منه في مواضع كثيرة منها ما يلي :

١- وعن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[3].

---

(١) الأصنام ، لابن الكلبي ، ص ٦ .

(٢) جزء من حديث طويل رواه أبو داود في السنة ، باب لزوم السنة . والترمذي في العلم ، باب ١٦ . وابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ، وإسناده صحيح انظر : جامع الأصول ، حديث ، ٦٧ ، المتن والحاشية .

(٣) سبق تخريجه .

في الحديث دعاء منه ﷺ بأن لا يجعل قبره وثناً يعبد.

وفي ذلك تحذير من الاتجاه إلى الوثنية، أو إلى أي وسيلة تؤدي إليها[1].

والتبرك في القبور من الوثنية أو الوسائل المؤدية إليها فيكون داخلاً في التحذير كما تضمن الحديث إخباره ﷺ أن غضب الله كان شديداً على الذين يجعلون قبور أنبيائهم مساجد، وفي هذا إشارة إلى تحريم العبادة عند القبور[2]. والعكوف، أو الصلاة، أو الدعاء عند القبور - متبركاً بها - عبادة عندها فيكون داخلاً في التحريم.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ - في تعليقه على هذا الحديث -: (ويؤخذ من الحديث المنع من تتبع آثار الأنبياء والصالحين كقبورهم ومجالسهم ومواضع صلاتهم للصلاة والدعاء عندها، فإن ذلك من البدع، أنكره السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم)[3].

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)[4].

في الحديث نهي منه ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً، وبما أن اعتياد الذهاب إلى

---

(١) انظر: الدر النضيد، ص ١٥١.

(٢) انظر: الدر النضيد، ص ١٥٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٩٥.

(٤) سبق تخريجه.

القبور أو الأشجار أو الأحجار أو العيون أو المواقع أو غيرها - لقصد الدعاء عندها معتقداً بركتها وأنها مواطن إجابة - من اتخاذها عيداً[1] ، فإنها أولى بهذا النهي .

قال شيخ الإسلام - بعد أن أورد الحديث مستدلاً به - : (ووجه الدلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهي عن اتخاذه عيداً ، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان ، ثم أنه قرن ذلك بقوله (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً) .. فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم)[2].

٣- عن أبي واقد الليثي ﷺ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون[3] بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط . فقلنا : يا رسول الله ﷺ أجعل لنا ذات

---

(١) فقد روي أن علي بن الحسين ﷺ نهى رجلاً رآه يتحرى الدعاء عند قبر النبي ﷺ واستدل بهذا الحديث قائلاً أنه سمعه من أبيه عن جده وهو أعلم بمعناه من غيره فبين بذلك أن قصده للدعاء ونحوه اتخاذ له عيداً . وكذلك ابن عمه حسن بن حسن شيخ أهل بيته رأى أن قصد القبر للسلام عليه ونحوه عند دخول المسجد من اتخاذه عيداً . انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص١٧٥ . والمصنف لابن أبي شيبة ، ج٢ ، ص ٣٧٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ١٧٢ .

(٣) يعلقون .

أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ :(الله أكبر إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم ءالهة. قال: إنكم قوم تجهلون)[1]. لتركبن سنن من كان قبلكم)[2].

في الحديث إخبار بأن المشركين كانت لهم سدرة يعكفون عندها معلقين بها أسلحتهم رجاء بركتها وأن بعض الصحابة طلبوا من الرسول ﷺ أن يجعل لهم مثلها ظناً منهم أن ذلك محبوب لله تعالى ، فأنكر عليهم النبي ﷺ ذلك وشبهه بما طلبه بنو إسرائيل من موسى عليه السلام ، وذلك دليل على عدم جوازه ، وأنه من جنس أعمال المشركين .

وإذا كان كذلك فكل ما يعكف عنده تبركاً به أو يجعل للتبرك من قبور أو أشجار أو أحجار أو جبال أو عيون ونحو ذلك لا يجوز[3].

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي - بعد ذكره الحديث - : (فانظروا -رحمكم الله - أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٣٨ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص ٢١٨ . والترمذي في كتاب الفتن ، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، وقال : هذا حديث حسن صحيح . انظر : جامع الأصول، حديث ٧٤٩٢ ، المتن والحاشية .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ١٥٧-١٥٨ . وتيسير العزيز الحميد ، ص١٥٠ والتبرك أنواع وأحكامه ، ص٤٦٢ .

شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها)[١].

وقال الإمام ابن القيم - في تعليقه على هذا الحديث - : (فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة ، والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله تعالى مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه ، والدعاء عنده ؟ ...) [٢].

ثالثاً :حذر منه الصحابة رضي الله عنهم والتابعون ومن بعدهم من علماء أهل السنة امتثالاً لأمره ﷺ ومن ذلك ما يلي :

أ- من أقوال الصحابة وأفعالهم في التحذير من ذلك :

١- ما رواه المعرور بن سويد الأسدي قال : خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة فلما أصبحنا صلى بنا الغداة ثم رأى الناس يذهبون مذهباً ، فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ قيل : يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ . هم يأتون يصلون فيه فقال : إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذه يتّبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعاً ، من أدركته الصلاة في هذا المسجد فليصل ومن لا فليمضي ولا يتعمدها [٣].

---

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي ، ص٣٨-٣٩ .

(٢) إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ٢٢٣ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ، ج٢ ، ص٣٧٦-٣٧٧.. وذكره ابن وضاح في كتابه ما

قال ابن تيمية - معلقاً على هذا الأثر - : (لما كان النبي ﷺ لم يقصد تخصيصه بالصلاة فيه بل صلى فيه ؛ لأنه موضع نزوله رأى عمر أن مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليست متابعة بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها ونهي المسلمين عن التشبه بهم في ذلك ، ففاعل ذلك متشبه بالنبي ﷺ في الصورة ومتشبه باليهود و النصارى في القصد...) [1].

٢- ما رواه ابن وضاح القرطبي قال : (سمعت عيسى بن يونس مفتي أهل طرسوس يقول : أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعت ؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة . قال : عيسى بن يونس : وهو - عندنا - من حديث ابن عون عن نافع أن الناس كانوا يأتون الشجرة فقطعها عمر) [2].

جاء في البدع ، ص٩٠ ، وقال المحقق : والأثر إسناده صحيح . وذكره ابن حجر في الفتح ، ج١ ، ص٥٦٩ . وابن تيمية في الفتاوى ، ج١ ، ص٢٨١ وقال : كما ثبت بالإسناد الصحيح.

(١) الفتاوى ، ج١ ، ص ٢٨١ .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ، ج٢ ، ص٣٧٥. وابن وضاح في ما جاء في البدع ، ص٩١ وابن سعد في الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٠٠ ، وقال ابن حجر في الفتح : (وعند ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع أن عمر...) . انظر : فتح الباري ، ج٧ ، ص ٤٤٨.

٣- وروى الإمام أحمد في المسند عن عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام أنه قال : لقي بصرة[١] بن أبي بصرة الغفاري أبا هريرة - وهو جاء من الطور - قال : من أين أقبلت ؟ قال : من الطور صليت فيه . قال : أما لو أدركتك قبل أن ترحل إليه ما رحلت . إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى)[٢].

قال شيخ الإسلام : (فقد فهم الصحابي الذي روى الحديث أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء مندرجة في العموم...)[٣].

٤- وعن قزعة- قال : سألت ابن عمر : آتي الطور ؟ فقال : دع الطور ولا تأتها ، وقال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد[٤].

---

(١) هو بصرة بن أبي بصرة جميل بن بصرة بن وقاص الغفاري ، له ولأبيه صحبه . انظر : تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص٤٧٣ .

(٢) رواه أحمد في المسند ، ج٦ ، ص٧ . ومالك في الموطأ كتاب الجمعة ، باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة . والنسائي في الجمعة ، باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٦٨٧٦ ، المتن والحاشية .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ١٨٣ .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ، ج٢ ، ص٣٧٤-٣٧٥ . والأزرقي في أخبار مكة ، ج٢ ص٦٥ . وقال الألباني : إسناده صحيح . انظر: تحذير الساجد ، ص ١٣٩ .

قال شيخ الإسلام : (فإذا كان السفر لزيارة الطور الذي كلم الله عليه موسى وسماه « الوادي المقدس » و « البقعة المباركة » لا يشرع ، فكيف بالسفر لزيارة غيره من الأطوار ، فإن الطور : الجبل والأطوار الجبال)(١).

٥- ما فعله الصحابة بجثة دانيال مع ما قيل أنه نبي خوفاً من الفتنة بالتبرك به أو بقبره .

فقد ذكر محمد بن إسحاق في مغازيه من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار ، حدثنا أبو العالية قال : (لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت .. قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه فقلت : ما كانوا يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره ..)(٢).

ففي هذه القصة رأينا ما فعله الصحابة من دفنه وتعمية قبره لئلا يفتتن الناس بالدعاء عنده والتبرك به ، ولم يبرزوه ويتبركوا به كما فعل من قبلهم مما يؤكد إنكارهم لذلك(٣).

---

(١) الفتاوى ، ج٢٧ ، ص ٦١ .

(٢) السير والمغازي ، ص ٦٦ . وأورده ابن تيميه في اقتضاء الصراط المستقيم ج٢ ، ص١٩٩.

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ج ٢ ، ص٢٠٠ ، وإغاثة اللهفان ، ج١ ، ص٢٢٢.

ب- من أقوال التابعين ومن بعدهم من أئمة أهل السنة :

١- روى أبو يعلي الموصلي في مسنده ... عن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه .. ثم حدثه بحديث (لا تتخذوا قبري عيداً .. الحديث)[1].

قال شيخ الإسلام معلقاً على هذا الخبر : (... ثم أن أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين ﷺ نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ واستدل بالحديث ، وهو راوي الحديث الذي سمعه من أبيه الحسين عن جده علي ﷺ وأعلم بمعناه من غيره...)[2].

٢- وقال ابن وضاح[3] : (كان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينةيكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ بالمدينة ما عدا

---

(١) الحديث سبق تخريجه ، وأما الأثر فرواه ابن أبي شيبة في المصنف ، ج٢ ص٣٧٥ . وأبو يعلي الموصلي في مسنده ج١ ص٣٦١ ، وذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ج١ ص ٣٣٧-٣٣٩ ، ج٢ ، ص١٧١ ، وقال رواه الحافظ محمد بن عبدالواحد المقدسي في مستخرجه .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ١٧٥ .

(٣) هو محمد بن وضاح بن بزيع أبو عبد الله القرطبي الإمام المحدث رحل إلى المشرق وأخذ عن كثير من العلماء ثم عاد إلى الأندلس فحدث مدة طويلة وصنف كتبا منها ما جاء في البدع ، ت سنة ٢٨٦هـ . انظر : الأعلام ، ج٧ ، ص١٣٣ .

قباء وحده[1])[2].

٣- وقال أيضاً : (وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يتّبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها وكذلك فعل غيره أيضاً ممن يُقتدى به ، وقدم وكيع [3] أيضاً بيت المقدس فلم يعد فعل سفيان)[4].

٤- وروى القاضي أبو يعلي أن علي بن عبد الله الطيالسي قال : (مسحت يدي على أحمد بن حنبل ، ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر ، فغضب غضباً شديداً وجعل ينفض نفسه ويقول : عمن أخذتم هذا ؟ وأنكره إنكاراً شديداً)[5].

٥- وقال شيخ الإسلام: (فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء أو بعض الصالحين متبركاً بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة

---

(١) وفي ما جاء في البدع (وأحد) والأظهر ما هو مثبت كما في الإعتصام ، ج١ ، ص٢٧٢ ، نقلاً عن ابن وضاح .

(٢) ما جاء في البدع ، ص٩١-٩٢ . والاعتصام ، ج١ ، ص ٢٧٢ .

(٣) هو وكيع بن الجراح بن مليح الروءاسي أبو سفيان الكوفي ، حافظ للحديث ثبت كان محدث العراق في عصره ، توفي سنة ١٩٧هـ . انظر : الأعلام ، ج٨ ، ص ١١٧ .

(٤) ما جاء في البدع ، ص ٩٢ .

(٥) طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

لله ورسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن الله به...)[1].

وقال أيضاً : (وما يفعله بعض الناس من تحري الصلاة والدعاء عندما يقال : إنه قبر نبي أو قبر أحد من الصحابة والقرابة أو ما يقرب من ذلك أو إلصاق بدنه أو شيء من بدنه بالقبر ، فهو مخطئ مبتدع مخالف للسنة...)[2].

وقال أيضاً : (وأما التمسح بالقبر أي قبر كان وتقبيله وتمريغ الخد عليه ، فمنهي عنه باتفاق المسلمين ، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها بل هذا من الشرك...)[3].

وقال أيضاً : (... لم يأمر الله ولا رسوله ولا أئمة المسلمين بتقبيل شيء من قبور الأنبياء والصالحين ولا التمسح به ، لا قبر نبينا ﷺ ولا قبر الخليل ﷺ ولا قبر غيرهما بل ولا التقبيل ولا الاستلام لصخرة بيت المقدس ، ولا الركنين الشاميين من البيت العتيق بل إنما يستلم الركنان اليمانيان فقط)[4].

وقال أيضاً : (كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجاً وعماراً ومسافرين ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي ﷺ ،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٣٣٤ .

(٢) الفتاوى ، ج٢٧ ، ص ١٢٨ .

(٣) زيارة القبور ، لابن تيمية ، ص ٥٤ .

(٤) الفتاوى ، ج٢٧ ، ص ١٠٧ .

ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحباً لكانوا إليه أسبق فإنهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم)[١].

وقال أيضاً : (المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائماً لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله ولا المواضع التي صلى فيها بمكة وغيرها)[٢].

وقال أيضاً في التبرك بيوم ولادته ﷺ واتخاذه عيداً : (... فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا ؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا ، وهم على الخير أحرص)[٣].

وقال أيضاً في التبرك بالجبال والمواضع ونحوها - بعد أن ذكر شيئاً من مظاهره - : (... ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعاً مستحباً يثيب الله عليه لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك ... وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك عُلِم أنه من البدع المحدثة... فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم وشرع في

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ٢٧٨ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ٣٣٧ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ١٢٣ .

الدين ما لم يأذن به الله) [١].

٦- وقال الإمام الفاكهاني [٢] - في التبرك بيوم ولادته ﷺ - : (ولا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ، ولا نقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين) [٣].

٧- وقال الإمام ابن القيم : (... فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحاً لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علماً لذلك ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ... وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير ، وهم متوفرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ... ولا استشفى به ...) [٤].

٨- وقال الشيخ ابن سعدي [٥]: (... فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ٣٣٥ .

(٢) هو عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري تاج الدين الفاكهاني من أهل الإسكندرية ، عالم بالنحو والحديث والفقه ، ولد سنة ٦٥٤هـ ، وتوفي سنة ٧٣٤هـ انظر : الأعلام ، ج٥ ، ص٥٦ . ومعجم المؤلفين ، ج٧ ، ص ٢٩٩ .

(٣) المورد في عمل المولد ، ص ٢٠-٢١ .

(٤) إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ٢٢٢-٢٢٣ .

(٥) هو عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي التميمي مفسر من علماء الحنابلة من أهل نجد ولد في عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٧هـ له نحو ٣٠ كتاباً ، توفي سنة ١٣٧٦هـ . انظر: الأعلام ، ج٣ ، ص ٣٤٠ .

التبرك بشيء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها ، فإن هذا التبرك غلو فيها وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها ، وهذا هو الشرك الأكبر كما تقدم انطباق الحد عليه ، وهذا عام في كل شيء حتى مقام إبراهيم وحجرة النبي ﷺ وصخرة بيت المقدس وغيرها من البقع الفاضلة)[١].

٩- وقد رد الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - على مجموعة من الكتاب الذين طالبو في الصحف بإحياء الآثار النبوية كطريق الهجرة ومكان خيمة أم معبد ، ونحو ذلك من الأماكن التي نزل فيها الرسول ﷺ لزيارتها من قبل المسلمين بصفة مستمرة ووضح بأن إحيائها أو زيارتها أمر مبتدع لا أصل له في شرع الله ، فلم يفعله الرسول ﷺ أو يأمر به ، ولا أصحابه وهم أعلم الناس بشريعة الله ، وأنصحهم لله ولعباده بل هو من أعظم الوسائل إلى الشرك الأكبر[٢].

* * *

(١) القول السديد ، ص ٤٨-٤٩ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ، ج٣ ، ص ٣٣٤-٣٤٠ .

المبحث الخامس : تصوير ذوات الأرواح

تعريفه :

التصوير : مصدر صور يصور تصويراً . وهو أن يُجعل للشيء صورة والصورة : بالضم شكل الشيء وهيئته ، وحقيقته ، وتستعمل بمعنى النوع والصفة ، وتطلق على الوجه كما تطلق على الهيئة والصفة التي توهمها المرء للشيء في ذهنه ، جمعها صور كغرفة وغرف ، وهي مرادفة لكلمة تمثال ، إلا أنها أعم تطلق على ماله ظل وما لا ظل له .

وصوَّر الشيء : أعطى شكله وهيئته ووصفه .

وتصور الشيء : مثل صورته وشكله في الذهن [1].

والمراد بتصوير ذوات الأرواح : هو نقل شكل وهيئة الشيء مما له روح بواسطة الرسم أو الإلتقاط بالآلة ، أو بالنحت وإثبات ذلك الشكل على جدار أو لوحة أو ورقة ونحوها ، أو في تمثال [2] .

---

(١) انظر : لسان العرب ، ج٢ ، ص ٤٩٢ . والقاموس المحيط ، ج٢ ، ص٧٣ وتاج العروس ، ج١٢ ، ص ٣٥٧-٣٥٨ . والمصباح المنير ، ج١ ، ص ٤٧٩ ، وعمدة القاري ، ج٢١ ، ص٧٠ . وفتح الباري ، ج١ ، ص٥٣١ . والتصوير ، ص٣٥ .

(٢) انظر : الإرشاد ، ص ٤٥ .

أمثلته : ومن أمثلته تصوير بعض من لهم شأن من سلطة أو علم أو صلاح أو جهاد سواء كانت صور مجسمة أو غير مجسمة ووضعها في المساجد أو عند قبورهم أو في الساحات العامة ونحوها لتذكر أحوالهم والإقتداء بهم أو تقديراً لهم ومن ذلك ما يسمى : بالنصب التذكارية : وهي تماثيل تقام في الميادين العامة ونحوها لإحياء ذكرى زعيم أو معظم على صورهم [1].

* كيف يوصل إلى الشرك ؟ :

من المعلوم أن هذه الصور إنما وضعها من وضعها لتذكر أحوال المصوّر والاقتداء به أو تقديراً له .

إلا أنه مع تطاول الأيام وغلبة الجهل ينسى الغرض الذي وضعت لأجله فيظن انهم إنما صوروا لما يمتازون به من الخصائص التي لا يملكها غيرهم، فتستشعر القلوب عظمتهم وخوفهم ورجاءهم حتى يؤول الأمر إلى الاستشفاع بهم ثم التوجه إليهم كما يتوجه إلى الله وبذلك يقع الشرك . ومما يؤكد أنه يوصل إلى الشرك ، ما حصل في الأمم السابقة فإن سبب ضلال الكثير منهم إنما هو التصوير ، ونسوق مثالين على ذلك :

المثال الأول : ما وقع في قوم نوح من الشرك وهو أول شرك حدث في الأرض إنما كان بسبب التصوير : ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله

---

(١) التوحيد للفوزان ، ص٣٣ ، وتحذير الساجد ، ص ١٨ ، والدر النضيد ، ص ٢٧٦ . والإرشاد ، ص ٤٥-٤٦ .

عنهما في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[1] قال : (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحي الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم تذكروهم بها ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عبدت)[2].

وقال ابن القيم : (قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمر فعبدوهم)[3].

المثال الثاني : النصارى ، فقد أفسد التصوير دينهم ونقلهم إلى الشرك المناقض لما بعث الله به عيسى عليه السلام من الدعوة إلى توحيد الله وترك عبادة ما سواه ، عندما فتنوا بالتصوير حتى ملأوا كنائسهم من الصور لعيسى ومريم عليهما السلام وغيرهما من القديسين عندهم ، وأخذوا يتوجهون إليها بالعبادة .

يقول ابن القيم : (وتلاعب بهم - أي النصارى - في تصوير الصور في الكنائس وعبادتها فلا تجد كنيسة من كنائسهم تخلو من صورة مريم

---

(١) سورة نوح : الآية ٢٣ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب (ولا تذرن وداً ولاسواعاً ولا يغوث ويعوق) ج٦ ، ص٧٣ . وانظر : تفسير القرطبي ، ج١٨ ، ص ٣٠٨ .

(٣) إغاثة اللهفان ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .

والمسيح وجرجس ، وبطرس ، وغيرهم من القديسين عندهم والشهداء ، وأكثرهم يسجدون للصور ويدعونها من دون الله تعالى)[١].

وقال القرطبي - بعد إيراده حديث عائشة (أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بأرض الحبشة فيها تصاوير ... الحديث)[٢] - : (قال علماؤنا : ففعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم... فمضت لهم بذلك أزمان ثم أنه خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها...)[٣].

وبذلك اتضح أن التصوير من أعظم الوسائل المفضية إلي الشرك الأكبر، وأنه لا فرق بين الصور المجسمة كما في قوم نوح أو غير المجسمة كما هو عند النصارى .

الأدلة على تحريمه :

بما أن في تصوير ذوات الأرواح مضاهاة لخلق الله ولكونه من الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر ، وفيه تشبه باليهود والنصارى والوثنيين واتباع لسنتهم ؛ لذا حذر منه المصطفى ﷺ في أحاديث كثيرة ، كما أفتى الأئمة

---

(١) إغاثة اللهفان ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .

(٢) سيأتي ذكره إن شاء الله في الأدلة على منع التصوير .

(٣) تفسير القرطبي ، ج٢ ، ص ٥٧ .

بتحريمه ، وإليك شيئاً من ذلك :

أولاً : من السنة : مما ورد في ذلك ما يلي :

١- روى البخاري ومسلم عن أبي زرعة رحمه الله قال : (دخلت مع أبي هريرة في دار مروان ، فرأى فيها تصاوير ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي ؟ فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة) [١].

في الحديث إخبار بأن المصور من أظلم الناس ، ولولا أنه ارتكب محرماً غليظ التحريم لما كان كذلك .

وفي الحديث أيضاً تحدي وتعجيز للبشر أن يوجدوا الحياة في أقل الصور وفي ذلك زجر عن التصوير أيضاً .

قال ابن بطال : (فهم أبو هريرة أن التصوير يتناول ما له ظل وما ليس له ظل فلهذا أنكر ما ينقش في الحيطان [٢])، وقال ابن حجر : هو ظاهر من عموم اللفظ [٣].

٢- وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة

---

(١) رواه البخاري في اللباس ، باب نقض الصور . ومسلم في اللباس ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٢٩٥٩ .

(٢) (٣) فتح الباري ، ج ١٠ ، ص ٣٨٦ .

رضي الله عنهما ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فقال رسول الله ﷺ : (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)[1].

قال ابن حجر في تعليقه على هذا الحديث : (وإنما فعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ثم خلف من بعهدهم خلوف جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فعبدوها، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك سداً للذريعة المؤدية إلى ذلك ، ثم قال و في الحديث دليل على تحريم التصوير)[2].

وقال العيني[3] في تعليقه على هذا الحديث أيضاً : (... وفيه دليل على تحريم تصوير الحيوان ...)[4].

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) فتح الباري ، ج١ ، ص ٥٢٥ .

(٣) هو محمود بن أحمد بن موسى (أبو محمد) بدر الدين العيني الحنفي علامة من كبار المحدثين ، ولد سنة ٧٦٢هـ وتوفي سنة ٨٥٥هـ ، له مؤلفات كثيرة منها عمدة القاري في شرح البخاري . وشرح سنن أبي داود . انظر : الأعلام ، ج٧ ، ص ١٦٣ .

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ج٤ ، ص ١٧٤ .

٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة[1] لي بقرام فيه تماثيل فلما رآه هتكه وتلون وجهه ، وقال :يا عائشة أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله) . وفي رواية : (من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور) ، وفي أخرى نحوه وقال : (إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله)[2].

الحديث صريح في تحريم التصوير ، فقد أنكره الرسول ﷺ بفعله حيث هتك الصورة التي رآها ، وبقوله حيث أخبر بشدة عذاب المصورين .

قال ابن حجر : (وقد استشكل كون المصور أشد الناس عذاباً مع قوله تعالى : ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[3] فإنه يقتضي أن يكون المصور أشد عذاباً من آل فرعون ، وأجاب الطبري بأن المراد هنا من يصور

---

(١) قيل : هي صفة من جانب البيت ، وقيل : الكوة ، وقيل الرف ، وقيل أربعة أعواد أو ثلاثة يعارض بعضها ببعض يوضع عليها شيء من الأمتعة ، وقيل : بيت صغير منحدر في الأرض وسمكه مرتفع من الأرض كالخزانة الصغيرة - يكون فيها المتاع - وقد رجح هذا الأخير بعضهم . انظر : فتح الباري ، ج ١٠ ، ص ٣٨٧ .

(٢) رواه البخاري في كتاب اللباس ، باب ما وطئ من التصاوير . ومسلم في كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيوان . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٢٩٥٥ .

(٣) سورة غافر : الآية ٤٦ .

ما يعبد من دون الله ، وهو عارف بذلك قاصداً له فإنه يكفر بذلك ، فلا يبعد أن يدخل مدخل آل فرعون ، وأما من لا يقصد ذلك فإنه يكون عاصياً بتصويره فقط) [١].

وقال النووي : (وأما رواية أشد الناس عذاباً يوم القيامة . فقيل : هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام ونحوها ، فهذا كافر وهو أشد الناس عذاباً ، وقيل : هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك فهذا كافر أيضاً له من شدة العذاب ما للكفار ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره .

فأما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير ولا يكفر كسائر المعاصي [٢]).

وبذلك اتضح أن المصور إما كافر أو فاسق بحسب قصده من التصوير ولا يكون ذلك إلا من فعل محرم .

٤- عن سعيد بن أبي الحسن رحمه الله قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني رجل أصور هذه الصور فافتني فيها. فقال له أدن مني ، فدنا منه ... حتى وضع يده على رأسه وقال : أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعت

---

(١) فتح الباري ، ج١٠ ، ص ٣٨٣ .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ، ج١٤ ، ص ٩١ .

رسول الله ﷺ يقول : كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم ، وقال : إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له)[1].

في الحديث إنكار من ابن عباس لتصوير ذوات الأرواح ولو لا أنه محرم لما أنكره كما أن في الحديث إخبار بتعذيب المصورين بصورهم .

قيل يحتمل أن معناه أن الصور التي صورها هي تعذبه بعد أن يجعل فيها روح وتكون (الباء) في بكل بمعنى (في) وقيل : يحتمل أن يجعل له بعدد كل صورة ومكانها شخص يعذبه وتكون الباء بمعنى لام السبب ، وذلك دليل على أن تصوير ماله روح غليظ التحريم[2].

٥- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (من صور صورة عذبه الله بها يوم القيامة حتى ينفخ فيها الروح ، وما هو بنافخ... الحديث)[3].

---

(١) رواه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٣٠٨ . ومسلم في اللباس ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٢٩٥٦ .

(٢) انظر : شرح صحيح مسلم للنووي ، ج١٤ ، ص ٩٠ .

(٣) رواه البخاري في التعبير ، باب من كذب في حلمه . وفي البيوع ، باب بيع التصاوير ، ومسلم في اللباس ، باب تحريم تصوير صور الحيوان . والترمذي في اللباس ، باب ما جاء في المصورين . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٢٩٥٨ ، المتن والحاشية .

في الحديث وعيد للمصور بتعذيبه بصورته حتى ينفخ فيها الروح ، وأنى له ذلك ، إذ ﴿ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ وإنما ذلك إشارة إلى طول عذابه بتكليفه ما لا يطاق [١]. ولا يكون ذلك إلا على فعل محرم شديد التحريم .

يقول العيني في تعليقه على هذا الحديث : (... فيه أن تصوير ذي الروح حرام وأن مصوره توعد بعذاب شديد) [٢].

٦- عن أبي جحيفة ﷺ قال : (نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الدم وثمن الكلب ، وكسب البغي ، ولعن الواشمة والمستوشمة ، وآكل الربا وموكله والمصورين) [٣] .

في الحديث لعن رسول الله ﷺ المصورين ، ولا يكون ذلك إلا على فعل محرم شديد القبح ، إذ اللعن هو الطرد من رحمة الله . وفيه: عموم التحريم للصور المجسدة وغير المجسدة ؛ لأن النبي ﷺ أطلق ولم يستثن فدل ذلك على العموم لكل ما يسمى صورة من ذوات الأرواح [٤].

---

(١) انظر : عمدة القاري ، ج٢٢ ، ص ٧٦ .

(٢) عمدة القاري ، ج١٢ ، ص ٣٩ .

(٣) رواه البخاري في مواضع منها : كتاب الطلاق باب مهر البغي . وفي اللباس ، باب من لعن المصور . وأبو داود في البيوع ، باب في أثمان الكلاب . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٨١٦٢ .

(٤) انظر : إحكام الأحكام ، ج٢ ، ص ١٧٣ ، (الحاشية). وإعلان النكير ، ص٤٦-٤٧ .

٧- وعن زيد بن خالد الجهني ﷺ أن أبا طلحة الأنصاري قال : إن رسول الله ﷺ قال : لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة . وفي رواية (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة) وفي أخرى : (ولا تماثيل) [١].

في الحديث إخبار من المصطفى ﷺ بأن الملائكة [٢] لا تدخل بيتاً فيه صورة مما يدل على أنه معصية لا يجوز عملها ولا اقتناؤها في البيوت أو غيرها ، وهي عامة ما له ظل وما ليس له ظل .

قال الخطابي في تعليقه على هذا الحديث : (فأما الصور فهي كل صورة من ذوات الأرواح كانت لها أشخاص منتصبة أو كانت منقوشة في سقف أو جدار أو مصنوعة في نمط أو منسوجة في ثوب أو ما كان . فإن قضية العموم تأتي عليه فليجتنب) [٣].

وقال النووي رحمه الله : (قال العلماء : سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة ، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى ... وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى ... فعوقب متخذها بحرمانه دخول

---

(١) رواه البخاري في اللباس ، باب التصاوير . ومسلم في اللباس ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان . وانظر : جامع الأصول ، حديث ٢٩٦٣ .

(٢) المراد بالملائكة هنا غير الحفظة ، وهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار. انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ، ج١٤ ، ص٨٤ .

(٣) معالم السنن ، ج١ ، ص ٦٥ .

الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبريكها عليه ... ودفعها أذى الشيطان) [١].

وقال ابن حجر : (قال القرطبي في المفهم [٢] : (إنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه الصورة ؛ لأن متخذها قد تشبه بالكفار؛لأنهم يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها فكرهت الملائكة ذلك فلم تدخل بيته هجراً له لذلك) [٣].

٨- ولمسلم عن أبي الهياج الأسدي قال لي علي ﷺ : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[٤].

في الحديث ، الأمر بالقضاء على وسيلتين من الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر إحداهما:التصوير ،حيث أمر بطمس صور ذوات الأرواح ، وهو تغييرها عن هيئتها حتى لا تبقى على حالها المشابهة لخلق الله [٥].وذلك دليل على تحريم التصوير أو إبقاء الصورة ؛ إذ أنها وسيلة لتعظيم أصحابها

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ،ج١٤ ، ص ٨٤ .

(٢) المفهم لما أشكل من صحيح مسلم لأبي العباس القرطبي شيخ القرطبي المفسر .

(٣) فتح الباري ،ج١٠ ، ص ٣٩١-٣٩٢ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) انظر : شرح صحيح مسلم ،ج٧ ، ص ٣٦ . والإرشاد ، ص ٤٨ .

ومن ثم عبادتهم .

قال شيخ الإسلام – في تعليقه على هذا الحديث – : (فأمره بمحو التمثالين : الصورة الممثلة على صورة الميت والتمثال الشاخص المشرف فوق قبره فإن الشرك يحصل بهذا وبهذا)[١].

ثانياً: من كلام الأئمة :

١– قال الإمام ابن دقيق[٢] العيد معلقاً على قوله ﷺ في حديث عائشة (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداًثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) : (الحديث فيه دليل على تحريم مثل هذا الفعل ، وقد تظاهرت دلائل الشريعة على المنع من التصوير والصورة)[٣].

وقال محمد بن منير الدمشقي معلقاً على كلام الإمام : (وفي الباب أحاديث كثيرة صحيحة في ذم الصور والمصورين ... إلى أن قال: وهي تدل

---

(١) الفتاوى ، ج١٧ ، ص ٤٦٢ .

(٢) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح تقي الدين القشيري المعروف بابن دقيق العيد قاضٍ من أكابر العلماء بالأصول ، مجتهد . ولد سنة ٦٢٥هـ ، وتوفي سنة ٧٠٢هـ . له مصنفات منها : إحكام الأحكام ، والإلمام بأحاديث الأحكام ومصنفات أخرى . انظر الأعلام ، ج٦ ، ص ٢٨٢ .

(٣) إحكام الأحكام ، ج٢ ، ص ١٧١ .

على أن التصوير من أشد المحرمات للتوعد عليه بالتعذيب في النار ... ولورود لعن المصورين في أحاديث أخر، وذلك لا يكون إلا على محرم متبالغ في القبح)[١].

٢- وقال النووي : (قال أصحابنا وغيرهم من العلماء تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر ؛ لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث وسواء صنعه بما يمتهن أو بغيره فصنعته حرام بكل حال ؛ لأن فيه مضاهاة لخلق الله ... وأما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان فإن كان معلقاً على حائط أو ثوباً ملبوساً ونحو ذلك مما لا يعد ممتهناً فهو حرام ... ولا فرق في هذا كله بين ما له ظل وما لا ظل له ، هذا تلخيص مذهبنا في المسألة ، وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ...)[٢].

٣- وقال بدر الدين العيني : (... وفي التوضيح قال أصحابنا وغيرهم تصوير صورة الحيوان حرام أشد التحريم وهو من الكبائر وسواء صنعه لما يمتهن أو لغيره فحرام بكل حال ؛ لأن فيه مضاهاة لخلق الله ... وسواء في هذا كله ما له ظل وما لا ظل له ، وبمعناه قال جماعة العلماء مالك والثوري

---

(١) إحكام الأحكام ، ج٢ ، ص ١٧٢ ، الحاشية .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ، ج١٤ ، ص ٨١ .

وأبو حنيفة وغيرهم ...) [١].

٤- وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية : (تصوير ذوات الأرواح حرام سواء كان تصويراً مجسماً أو شمسياً أو نقشاً بيد أو آلة لعموم أدلة تحريم التصوير) [٢].

وقالت أيضاً : (لا يجوز تصوير ذوات الأرواح بالكاميرا أو غيرها من آلات التصوير ولا اقتناء صور ذوات الأرواح ولا الإبقاء عليها إلا لضرورة كالصور التي تكون بالتابعية أو جواز السفر فيجوز تصويرها والإبقاء عليها للضرورة إليها) [٣].

* * *

(١) عمدة القارئ ، ج٢١ ، ص ٧٠ .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ، ص ٤٥٩ .

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ، ج١ ، ص ٤٥٨ .

المبحث السادس : التقليد المذموم

تعريفه :

التقليد لغة : وضع الشيء في العنق مع الإحاطة به ، ويسمى ذلك الشيء قلادة والجمع قلائد قال تعالى: ﴿... وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ ...﴾ الآية[١].

ومنه قول النبي ﷺ في الخيل : (... ولا تقلدوها الأوتار...) الحديث[٢].

ويستعمل في تفويض الأمر إلى الشخص استعارة كأنه ربط الأمر بعنقه كما قال لقيط الأيادي :

وقلدوا أمركم لله دركم رحب   الذراع بأمر الحرب مضطلعاً

ومن ذلك تقليد الولاة الأعمال[٣].

وأما شرعاً : فيقول أبو عبد الله بن خويز[٤] منداد البصري المالكي :

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٢) رواه أبو داود في الجهاد ، باب ما يستحب من ألوان الخيل . والنسائي في الخيل ، باب ما يستحب من شية الخيل . انظر : جامع الأصول ، حديث ٣٠٤٤ ، المتن والحاشية .

(٣) انظر : لسان العرب . ج٣ ، ص ١٤٨ . وروضة الناضر ، ص ٢٠٥ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن علي بن إسحاق كنيته أبو عبد الله - كما قال القاضي عياض ، وابن فرحون - تفقه على أبي بكر الأبهري وسمع الحديث ، له مؤلفات منها كتاب كبير

(التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه وذلك ممنوع منه في الشريعة ، و الإتباع ما ثبتت عليه حجة) وقال في موضع آخرمن كتابه: (كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنت مقلده، وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه والاتباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع)[1].

من كلام ابن خويز أتضح أن الأخذ بقول الغير أو فعله إن كان له دليل فهو اتباع ، ويسميه بعضهم تقليداً محموداً[2] مثل استفتاء الجاهل العالم بعد التثبت[3] من علمه وسلامة اتجاهه .

يقول البيضاوي : (... وأما اتباع الغير في الدين إذا علم بدليل ما أنه

في الخلاف وكتاب في أصول الفقه ، وكتاب أحكام القرآن ، لم أجد له تاريخ ولادة ولا وفاة ، والذي يظهر أنه عاش في القرن الرابع ؛ ذلك أنه من تلاميذ أبي بكر الأبهري المتوفى سنة ٣٧٥ . انظر : ترتيب المدارك ، ج٤ ، ص٤٧٠ ، ٦٠٦ . والديباج المذهب ، ص ٢٦٨ .

(١) جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص١١٧ ، وهناك تعريفات أخرى قريبة من هذا في المعنى لمن أراد الاستزادة . انظر : روضة الناضر ص٣٤٣ . والقول المفيد ، ص١٣، ٤٣ ومسلم الثبوت مع شرحه فواتح الرحموت ، ج٢ ، ص ٤٠٠ . والتعريفات ، ص٦٧ . وتفسير القرطبي ، ج٢ ، ص ٢١١ .

(٢) انظر : إعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ١٨٨ .

(٣) انظر : الاعتصام ، ج٢ ، ص ٤٢٤ . وتفسير القرطبي ، ج٢ ، ص ٢٧٢ .

محق كالأنبياء والمجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله)[1].

ويقول ابن القيم : (وأما تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفي عليه بعضه فقلد فيه من هو أعلم منه فهذا محمود غير مذموم)[2].

وقال ابن قدامة : (ولا يستفتي العامي إلا من غلب على ظنه أنه من أهل الإجتهاد بما يراه من انتصابه للفتيا بمشهد من أعيان العلماء وأخذ الناس عنه، وما يتلمحه من سمات الدين والستر أو يخبره عدل عنه)[3].

وإن كان الأخذ بقول أو فعل لا حجة لقائله عليه فهو تقليد مذموم وهوالمراد هنا . وهو[4] ثلاثة أنواع :

أحدها : الإعراض عما أنزل الله وعدم الإلتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء .

الثاني : تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله .

الثالث : التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد[5].

---

(١) تفسير البيضاوي ، ج١ ، ص ٩٥ .

(٢) إعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ١٨٨ .

(٣) روضة الناضر ، ص ٢٠٦ .

(٤) التقليد المذموم .

(٥) إعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ١٨٧-١٨٨ .

أمثلته: ومن أمثلة ذلك : من يتمسك ببدعة شركيه ؛ لأنه وجد آباءه وكبراءه يعملونها أو يعملها لأن الشيخ الفلاني كان يعملها ، مثل من ينضاف إلى شيخ جاهل أو لم يبلغ مبلغ العلماء فيراه يعمل عملاً فيظنه عبادة فيقتدي به كائناً ما كان ذلك العمل موافقاً للشرع أو مخالفاً ويحتج به على من يرشده ويقول : كان الشيخ فلان من الأولياء وكان يفعله ، أو يبقى عليها بعد ظهور الحجة تعصباً لمذهبه الضال [1].

* كيف يوصل إلى الشرك ؟ :

التقليد المذموم وسيلة من الوسائل المفضية إلى الشرك ؛ ذلك أنه يؤدي بصاحبه إلى الانقياد الأعمى لما كان يعمل به الآباء والشيوخ من دون تدبر هل هو حق أو باطل، هل هو توحيد أم شرك ؟ بل يجعل صاحبه يرد الحق ولو بعد ظهور الحجة ويبقى متمسكاً بشركيات تعصباً لمذهبه الضال ، وبذلك يحصل الضلال والإضلال[2]، وترك التوحيد والسنة إلى الشرك والبدعة .

الأدلة على منعه :

أولاً : من الكتاب : لقد ذم الله سبحانه وتعالى هذه الأنواع الثلاثة من التقليد في غير موضع من كتابه ومن ذلك ما يلي :

---

(١) انظر : الاعتصام ، ج٢ ، ص ٤٢٤-٤٢٥ . وتفسير القرطبي ، ج٢ ، ص ٢١٢. والمدخل لابن الحاج ، ج١ ، ص ٧٤ .

(٢) انظر : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ٨٨-٨٩ .

١- قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[١].

وهذا في القرآن كثير يذم فيه من أعرض عما أنزله وقنع بتقليد الآباء.

قال القرطبي: (قال علماؤنا: وقوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد)[٢].

وقال الفخر الرازي: (إنما ذكر تعالى هذه الآية عقيب الزجر عن اتباع خطوات الشيطان تنبيهاً على أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان، وبين متابعة التقليد، وفيه أقوى دليل على وجوب النظر والإستدلال، وترك التعويل على ما يقع في الخاطر من غير دليل، أو على ما يقوله الغير من غير دليل)[٣].

اعتراض وجوابه: فإن قيل: إنما ذم من قلد الكفار وآباءه الذين لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ولم يذم من قلد العلماء المهتدين بل قد أمر بسؤال أهل الذكر حيث قال سبحانه: ﴿... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤]

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٠.

(٢) تفسير القرطبي، ج٢، ص ٢١١.

(٣) التفسير الكبير للرازي، ج٥، ص ٧.

(٤) سورة النحل، الآية ٤٣.

وهذا أمر لمن لا يعلم بتقليد من يعلم .

فالجواب : أنه سبحانه ذم من أعرض عما أنزله إلى تقليد الآباء الضالين وهذا القدر من التقليد هو مما اتفق السلف والأئمة الأربعة على ذمه وتحريمه ، وأما تقليد من بذل جهده في إتباع ما أنزل الله وخفي عليه بعضه فقلد فيه من هو أعلم منه فهذا محمود كما سبق بيانه.

٢- وقال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ...﴾ الآية[1].

فأمر سبحانه باتباع المنزل خاصة وهو الكتاب والسنة ونهى أن نتبع من دون الكتاب والسنة أولياء نقلدهم في ديننا كما كان يفعله أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يحللونه ويحرمونه عليهم .

٣- وقال تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2] فمنعنا سبحانه من الرد إلى غيره وغير رسوله وهذا يبطل التقليد المذموم[3] .

٤- وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٣) إعلام الموقعين ، ج٢ ص ١٨٨-١٨٩ ، بتصرف . وفتح القدير ، ج٢ ، ص١٨٨.

مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ...﴾[1] الآية[2] .

قال ابن القيم : (ولا وليجة أعظم ممن جعل رجلاً بعينه مختاراً على كلام الله وكلام رسوله وكلام سائر الأمة يقدمه على ذلك كله ، ويعرض كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة على قوله فما وافقه منها قبله لموافقته لقوله ، وما خالفه منها تلطف في رده وتطلب له وجوه الحيل)[3] .

٥- وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ۝٦٦ وَقَالُوا رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ۝٦٧ ﴾[4] .

وهذا نص في بطلان التقليد المذموم[5].

قال القرطبي : (وقرأ الحسن (إنا أطعنا ساداتنا) بكسر التاء جمع سادة . وكان في هذا زجر عن التقليد)[6] .

٦-وقال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ

---

(١) الوليجة : من الولوج وهو الدخول . قال أبو عبيد : كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة . انظر : فتح القدير ، ج٢ ، ص ٣٤٢ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٦ .

(٣) أعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ١٨٩ .

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٦٦-٦٧ .

(٥) إعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ١٨٩ .

(٦) تفسير القرطبي ، ج١٤ ، ص ٢٤٩ .

ٱللَّهِ ...﴾ الآية(١).

عن عدي بن حاتم ﷺ عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال : يا عدي : اطرح عنك هذا الوثن . وسمعته يقرأ : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ الآية .

قال : إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه)(٢) . وفي رواية قال : قلت : يا رسول الله : إنا لم نتخذهم أرباباً ، قال : بلى أليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونه ؟ ويحرمون عليكم ما أحل لكم فتحرمونه فقلت : بلى . فقال : (تلك عبادتهم)(٣) .

وروي عن حذيفة وابن عباس وغيرهما أنهم قالوا في تفسير الآية: (إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا)(٤) .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣١ .

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير ، باب ومن سورة براءة . وانظر: جامع الأصول ، حديث٦٥١ ، (المتن والحاشية) .

(٣) أورد هذه الرواية ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص ١٠٩ . وابن كثير في تفسيره ، ج٢ ، ص ٣٤٨ .

(٤) تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص ٣٤٩ . وانظر : جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص١٠٩ . والدر المنثور ، ج٣ ، ص ٢٣١ .

وقال السدي: (استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم)[١] .

ثانياً : من السنة : ومن ذلك ما يلي :

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[٢]

فقوله (اتخذ الناس رؤساء جهالاً) إلى آخره .. يشير إلى أن الاستنان بالرجال كيف كان [٣]يؤدي إلى الضلال وفي ذلك ذم للتقليد وتحذير منه .

قال ابن عبد البر بعد إيراد هذا الحديث : (وهذا نفي للتقليد وإبطال له لمن فهمه وهدي لرشده)[٤].

٢- وعن حذيفة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :(لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص ٣٤٩ .

(٢) رواه البخاري في العلم ، باب كيف يقبض العلم . ومسلم في العلم ، باب رفع العلم وقبضه . والترمذي في العلم ، باب ما جاء في ذهاب العلم . وانظر: جامع الأصول ، حديث ٥٨٧١ ، (المتن والحاشية) .

(٣) انظر : الاعتصام ، ج٢ ، ص ٤٢٤ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص ١١٤ .

الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا)[١].

قال الفيروزآبادي : (الإمّع : الرجل يتابع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شيء ، والمحقب الناس دينه)[٢].

وقال صاحب الفائق : (الإمعة : الذي يتبع كل ناعق ويقول لكل أحد أنا معك ؛ لأنه لا رأي له يرجع إليه ... و المحقب : (المردف) ... ومعناه المقلد الذي جعل دينه تابعاً لدين غيره بلا روية ولا تحصيل برهان)[٣].

وقال القارئ[٤] بعد نقله هذا الكلام عن الفائق ما لفظه : (وفيه إشعار بالنهي عن التقليد المجرد حتى في الأخلاق فضلاً عن الإعتقادات والعبادات)[٥].

٣- عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال :

---

(١) أخرجه الترمذي في البر والصلة ، باب ما جاء في الإحسان والعفو- برقم ٢٠٠٨ وحسنه ، وذكره البغوي في شرح السنة ، ج١٣ ، ص ٣٢ .

(٢) القاموس المحيط ، ج٣ ، ص ٢ .

(٣) الفائق ، ج١ ، ص ٥٧ . وانظر : تحفة الأحوذي ، ج٦ ، ص١٢٣ .

(٤) هو علي بن سلطان محمد نور الدين الملا الهروي القاري فقيه حنفي من صدور العلم في عصره ، ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٠١٤هـ . انظر : الأعلام ج٥ ، ص ١٢ .

(٥) تحفة الأحوذي ، ج٦ ، ص ١٢٣ .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إني لأخاف على أمتي من بعدي من ثلاثة من زلة العالم ومن حكمٍ جائرٍ ومن هوى متبع) [١].

وفي رواية عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (إن أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم...) الحديث[٢].

وروى عن عمر ﷺ أنه قال : (ثلاث يهدمن الدين : زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون) [٣].

ومن المعلوم أن المخوف في زلة العالم تقليده فيها ؛ إذ لو لا التقليد لم يخف من زلة العالم على غيره ، وبما أن العالم قد يزل ؛ إذا أنه ليس بمعصوم لذا لا يجوز قبول كل ما يقوله وينزّل قوله منزلة قول المعصوم[٤].

قال ابن عبد البر : (وإذ صح وثبت أن العالم يزل ويخطئ لم يجز لأحد

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص ١١٠ . والطبراني في الكبير عن معاذ ، انظر: كنز العمال ، حديث ٤٣٨٨٠ .

(٢) رواه أبو نصر السجزي في الإبانة عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : ... انظر : كنز العمال ، حديث ٤٣٨٧٨ .

(٣) رواه ابن عبد البر ، وقال : حدثنا سعيد بن نصر ... وساق السند إلى أن قال : قال عمر . انظر : جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص ١١٠ .

(٤) انظر : إعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ١٩٢ .

ان يفتي ويدين بقول لا يعرف وجهه)[١].

ثالثاً : ما ورد عن الصحابة ومن بعدهم في ذم التقليد والتحذير منه :

١- قال علي بن أبي طالب ﷺ لكميل بن زياد النخعي : (يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير ، و الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع ، أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ...)[٢].

وروي عنه أيضاً أنه قال : (إياكم والاستنان بالرجال فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار فيموت وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، فينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة ، فإن كنتم لابد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء)[٣].

قال الشاطبي في تعليقه : (فيه إشارة إلى الأخذ بالاحتياط في الدين وأن الإنسان لا ينبغي له أن يعتمد على عمل أحد البتة حتى يتثبت فيه ويسأل عن حكمه ، إذ لعل المعتمد على عمله يعمل على خلاف السنة)[٤] .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص ١١١ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص ١١٢ . وإعلام الموقعين ، ج ٢ ، ١٩٥ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص ١١٤ . والإعتصام ، ج ٢ ، ٤٢٤ .

(٤) الاعتصام ، ج٢ ، ص ٤٢٤ .

٢- وروي عن ابن مسعود ﷺ أنه كان يقول : (اغد عالماً أو متعلماً ولا تغد أمعة فيما بين ذلك) [١].

قال ابن وهب [٢] : فسألت سفيان [٣] عن الإمعة فحدثني عن أبي الزهراء عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال : (كنا ندعو الإمعة في الجاهلية الذي يدعى إلى الطعام فيذهب معه بغيره ، وهو فيكم اليوم المحقب دينه الرجال)[٤].

وفي رواية أن ابن مسعود قال : لا يكونن أحدكم إمّعة. قيل : وما الإمّعة؟ قال الذي يقول أنا مع الناس [٥].

قال ابن[٦] بري : أراد ابن مسعود بالإمعة : الذي يتبع كل أحد على دينه [٧].

---

(١) رواه ابن عبد البر . انظر : جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص١١١-١١٢ .

(٢) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري من أصحاب مالك جمع بين الفقه والعبادة ، توفي سنة ١٩٧هـ . انظر : الأعلام ، ج٤ ، ص١٤٤ .

(٣) هو سفيان بن عيينة ، محدث الحرم المكي ، ت سنة ١٩٨هـ. انظر : الأعلام ج٣ ، ص ١٠٥ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص١١٢ .

(٥) لسان العرب ، ج١ ، ص ١٠٠ .

(٦) هو عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي ، من علماء العربية النابهين ، توفي سنة٥٨٢هـ . انظر : الأعلام ج٤ ، ص٧٣ .

(٧) لسان العرب ، ج١ / ص ١٠٠ .

وقال ابن مسعود أيضاً : (ألا لا يقلدنّ أحدكم دينه رجلاً إنْ آمن آمن وإنْ كفر كفر ، فإنه لا أسوة في الشر)[١] .

٣- وروي عن ابن عباس ﷺ أنه كان يقول :(ويل للأتباع من عثرات العالم قيل : كيف ذلك ؟ قال : يقول العالم شيئاً برأيه ثم يجد من هو أعلم برسول الله ﷺ منه فيترك قوله ذلك ثم تمضي الأتباع)[٢].

وفي هذا نهي عن التقليد المذموم وتحذير منه .

٤- وقال أبو حنيفة : (هذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت ؛ فمن جاء برأي خير منه قبلناه)[٣].

٥- وقال بشر بن الوليد : (قال أبو يوسف[٤] : لا يحل لأحد ان يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا)[٥].

قال الشوكاني : (وهذا تصريح بمنع التقليد)[٦].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص١١٤ . وإعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ١٩٥ .

(٢) رواه ابن عبد البر ، انظر : جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص١١٢ .

(٣) الفتاوى ، ج٢٠ ، ص ٢١١ .

(٤) وهو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة ، وأول من نشر مذهبه ، فقيهاً من حفاظ الحديث ، ولد بالكوفة سنة ١١٣هـ وتوفي في بغداد سنة ١٨٢هـ . انظر : الأعلام ، ج٨ ، ص ١٩٣ .

(٥) إعلام الموقعين ، ج٢ ، ص٢٠١ . والقول المفيد ، ص ٤٢ .

(٦) القول المفيد ، ص٤٢.

٦- وحكى ابن عبد البر عن معن بن عيسى بإسناد متصل به أنه قال: سمعت مالكاً يقول: (إنما أنا بشر أصيب وأخطئ، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه)[1].

قال الشوكاني في تعليقه: (ولا يخفى عليك أن هذا تصريح منه بالمنع من تقليده؛ لأن العمل بما وافق الكتاب والسنة من كلامه هو عمل بالكتاب والسنة وليس بمنسوب إليه، وقد أمر أتباعه بترك ما كان من رأيه غير موافق للكتاب و السنة)[2].

٧- والشافعي كان يقول :(إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فهي قولي)[3].

٨- والإمام احمد كان يقول: لا تقلد دينك الرجال فإنهم لن يسلموا من أن يغلطوا)[4].

وقال أبو داود: قلت لأحمد: الأوزاعي اتبع أم مالكاً فقال: (لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به)[5].

---

(١) القول المفيد، ص٤٢. والفتاوى، ج٢٠، ص٢١١.

(٢) القول المفيد، ص٤٢.

(٣) الفتاوى، ج٢٠، ص ٢١١.

(٤) الفتاوى، ج٢٠، ص ٢١١-٢١٢.

(٥) إعلام الموقعين، ج٢، ص ٢٠٠. والقول المفيد ص٦٠.

٩- وقال ابن عبد البر : (قد ذم الله التقليد في غير موضع من كتابه ثم ذكر بعض الآيات ...) إلى أن قال : (وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد)[٤].

وقال أيضاً : (ولا خلاف بين أئمة الأمصار في فساد التقليد)[٥] ، وأورد فصلاً طويلاً في محاجة من قال بالتقليد المذموم وإلزامه بطلان ما يزعمه من جوازه [٦].

* * *

(٤) جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص١٠٩ - ١١٠ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص١١٩ .

(٦) جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ، ص١١٧-١١٨ والقول المفيد ص٤١ .

الخاتمة

بسم الله بدأنا وبحمده والشكر له ختمنا ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد :

فإنه من دراستي لبعض الوسائل الفعلية المفضية إلى الشرك الأكبر توصلت إلى نتائج مهمة منها ما يلي :

الأولى : أن الغلو في تعظيم القبور بالبناء عليها ، أو تزيينها بتجصيص أو نحوه ، أو الكتابة عليها ، أو إسراجها ، أو السفر لزيارتها ، أو الطواف بها واستلامها وتقبيلها ونحو ذلك وسيلة إلى تعظيم من فيها ومن ثم عبادتهم فهو محرم سداً لذريعة الشرك ، ولذا ورد التحذير منه في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومن بعدهم من الأئمة .

الثانية : أن عبادة الله تعالى عند القبور بالصلاة أو الدعاء أو غير ذلك من العبادات أو استقبالها أثناء ذلك سواء بني مسجد أو لم يبن من أعظم الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر . قد حذر منه المصطفى ﷺ في أحاديث كثيرة ، كما حذر منه الصحابة ومن بعدهم من الأئمة امتثالاً لأمره ﷺ .

الثالثة : أن أداء شيء من العبادات في مكان أو زمان يعبد فيه غير الله من الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر ، قد ورد النهي عنه في الكتاب والسنة.

الرابعة : أن التبرك الممنوع هو ما لم يرد فيه نص أو ورد النص بالنهي عن

التبرك فيه، أو تجاوز حدود التبرك المشروع كالتبرك بقبر نبي أو غيره أو ذوات الصالحين وآثارهم، أو مكان أو زمان، أو شجر أو حجر ونحو ذلك.

الخامسة : أن التبرك الممنوع من الأمور المسلم بحرمتها لدى كل مسلم لديه عقيدة صحيحة؛ ذلك أنه إما شرك إن اعتقد أن الأمور المتبرك فيها تمنح البركة ، أو وسيلة إلى الشرك إن اعتقد أنها سبب لحصول البركة . لذا حذر منه المصطفى ﷺ في أحاديث كثيرة ، كما حذر منه الصحابة والتابعون ومن بعدهم من علماء أهل السنة .

السادسة : أن أول شرك حدث في الأرض - وهو شرك قوم نوح - إنما كان بسبب التصوير .

السابعة : أن تصوير ذوات الأرواح فيه مضاهاة لخلق الله ، وتشبه باليهود والنصارى ، ووسيلة إلى الشرك الأكبر ، قد حذر منه المصطفى ﷺ في أحاديث كثيرة ، كما أفتى الأئمة بتحريمه وفقاً للسنة الصحيحة سواء كان له ظل أو لا .

الثامنة : أن الأخذ بقول الغير أو فعله - إن كان له دليل : فهو اتباع ويسميه بعضهم تقليداً محموداً ، مثل استفتاء الجاهل العالم بعد التثبت من علمه وسلامة اتجاهه.وإن لم يكن له دليل فهو تقليد مذموم. مثل : الإعراض عما أنزل الله اكتفاءاً بتقليد الآباء ، وتقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله ، والتقليد بعد ظهور الدليل على خلاف قول المقلَّد.

التاسعة : أن التقليد المذموم وسيلة من الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر ؛ إذ أنه يؤدي بصاحبه إلى الإنقياد الأعمى لما كان يعمل به الآباء والشيوخ ، بل يجعل صاحبه يرد الحق تعصباً لمذهبه الضال ، لذا ذمه الله وحذر منه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، كما ذمه الصحابة ومن أتى بعدهم من علماء أهل السنة وحذروا منه .

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١- إحكام الأحكام : لابن دقيق العيد ، تعليق محمد منير الدمشقي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٤٤هـ .

٢- أخبار مكة : لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي ، تحقيق رشدي الصالح ، ط الثامنة ، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ.

٣- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد : د.صالح فوزان الفوزان ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، ١٤١١هـ .

٤- الأصنام : لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، ط الثانية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ .

٥- الإعتصام : لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي ، تحقيق عبد الرازق المهدي، ط الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ

٦- الأعلام : خير الدين الزركلي ، ط السادسة، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م .

٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين : لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزيه ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٨هـ .

٨- إعلان النكير على المفتونين بالتصوير : حمود بن عبد الله التويجري ، دار الهجرة للطباعة و النشر .

٩- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : للإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد

سيد كيلاني ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨١هـ .

١٠- اقتضاء الصراط المستقيم : لشيخ الإسلام ابن تيميه ،تحقيق ناصر العقل ط السابعة ، دار عالم الكتب ، ١٤١٩هـ ، وتحقيق محمد حامد الفقي ط الثانية ، مكتبة السنة المحمدية .

١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل « تفسير البيضاوي » ناصر الدين أبي الخير عبد الله عمر البيضاوي، ط الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر ، ١٣٨٨هـ .

١٢- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : لأبي بكر جابر الجزائري ، ط الثانية ١٤٠٧هـ .

١٣- الباعث على إنكار البدع والحوادث : لأبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة ، ط الأولى ، دار الراية ، الرياض ، ١٤١٠هـ .

١٤- بدائع الفوائد : للإمام ابن قيم الجوزية ، دار الفكر .

١٥- بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة : د. محمد عبد الرحمن الخميس ، ط الأولى ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٤هـ .

١٦- بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية : د. محمد عبد الرحمن الخميس، ط الأولى ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٣هـ .

١٧- تاج العروس : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٢هـ .

١٨- التبرك أنواعه وأحكامه : د.ناصر عبد الرحمن الجديع، مكتبة الرشد الرياض.

١٩- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: محمد ناصر الدين الألباني، ط الرابعة، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ .

٢٠- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٠هـ .

٢١- ترتيب المدارك : للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ، ١٣٨٧هـ .

٢٢- التصوير بين حاجة العصر وضوابط الشريعة : محمد توفيق رمضان البوطي، ط الثانية ، مكتبة الفارابي ، دمشق ، سوريا ، ١٤١٧هـ .

٢٣- تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران : أحمد بن حجر آل بوطامي، ط السابعة ، ١٤٠٢هـ .

٢٤- التعريفات : علي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان، ١٩٧٨م .

٢٥- التفسير الكبير للفخر الرازي : ط الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان .

٢٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، مكة المكرمة ، ١٣٩٨هـ .

٢٧- فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ،١٤٠١هـ .

٢٨- تفسير القرطبي : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ط الثالثة عن دار الكتب المصرية ١٣٨٧ ، دار الكتاب العربي .

٢٩- تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن كثير القرشي ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ١٣٨٨هـ .

٣٠- التمهيد: لابن عبد البر، تحقيق سعيد أحمد أعراب، ط الثانية ، ١٤٠٢هـ.

٣١- التوحيد : للشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، مكتب الأثير ، الرياض.

٣٢- تهذيب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط الأولى ، دار صادر، ١٣٢٦هـ .

٣٣- تيسير العزيز الحميد : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

٣٤- جامع الأصول في أحاديث الرسول : ابن الأثير الجزري ، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني ، مطبعة الملاح مكتبة دار البيان ، ١٣٨٩هـ .

٣٥- جامع بيان العلم وفضله : للإمام ابن عبد البر النمري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٣٦- جمهرة اللغة : لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ط الأولى ، دار العلم

للملايين ، ١٩٨٧م .

٣٧- الحوادث والبدع : للإمام أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، ط الثانية ، دار ابن الجوزي ، ١٤١٧هـ .

٣٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي ، دار المعرفة بيروت، لبنان .

٣٩- الدر النضيد على كتاب التوحيد : سعيد بن عبد العزيز الجندول ط الرابعة، ١٣٩٩هـ .

٤٠- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : لابن فرحون المالكي ط الأولى، ١٣٥١هـ .

٤١- روح المعاني : محمود الألوسي البغدادي ، ط الرابعة ، دار إحياء الكتاب العربي بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ .

٤٢- روضة الناظر : للإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، ط الخامسة، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ .

٤٣- زيارة القبور : لابن تيمية ، ط الثالثة ، ١٤١٦هـ .

٤٤- زيارة القبور الشرعية و الشركية : محمد بن بير علي البركلي ، ط الثانية ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، ١٤١٧هـ .

٤٥- سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٨٢هـ .

٤٦- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .

٤٧- سنن ابن ماجة : لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني « ابن ماجة » المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .

٤٨- سنن النسائي : أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .

٤٩- السير والمغازي : محمد بن إسحاق المطلبي الشهير بابن إسحاق ط الأولى، دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ .

٥٠- شرح السنة : للإمام البغوي ، ط الأولى ، المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ

٥١- شرح صحيح مسلم : للإمام النووي ، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٠١هـ .

٥٢- شرح الصدور في تحريم رفع القبور : محمد الشوكاني « ضمن مجموعة الرسائل المنيرية » ، مكتبة طيبة ، الرياض ، ١٤٠٤هـ .

٥٣- الصحاح : لإسماعيل بن حماد الجوهري ، ط الرابعة ، دار العلم للملايين، ١٤١٠هـ .

٥٤- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري ، المكتبة الإسلامية ، إستانبول ، تركيا ١٩٨١م .

٥٥- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري المطبوع مع شرحه للإمام النووي دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ، ١٤٠١هـ .

٥٦- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان : محمد بشير السهسواني الهندي، ط الخامسة ، مطابع نجد التجارية ، الرياض ، ١٣٩٥هـ .

٥٧- طبقات الحنابلة : للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٥٨- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان،١٤٠٠هـ .

٥٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: للعلامة محمود بن أحمد العيني دار الفكر.

٦٠- الفائق في غريب الحديث ، محمود بن عمر الزمخشري ، ط الثالثة ،دار الفكر، ١٣٩٩هـ .

٦١- الفتاوى « مجموعة الفتاوى » : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تصوير ، ط الأولى، مطابع دار العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ .

٦٢- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : جمع و ترتيب الشيخ أحمد ابن عبد الرازق الدويش ، ط الأولى ، ١٤١١هـ .

٦٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء ، المملكة العربية السعودية.

٦٤- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ط السابعة، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ .

٦٥- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : لشيخ الإسلام ابن تيمية الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٦٦- القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الفكر ، بيروت لبنان، ١٣٩٨هـ .

٦٧- قرة عيون الموحدين : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ط الثالثة ١٤٠٤هـ

٦٨- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر : للعلامة صديق حسن خان ،ط الأولى ، شركة الشرق الأوسط للطباعة ، عمان ، الأردن ، ١٤٠٤هـ .

٦٩- القول السديد في مقاصد التوحيد : عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .

٧٠- القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد : محمد بن علي الشوكاني ط الأولى، دار القلم ، الكويت ، ١٣٩٦هـ .

٧١- كنز العمال: علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، ط الخامسة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ .

٧٢- الكنى والأسماء : محمد أحمد الدولابي ، ط الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ .

٧٣- لسان العرب : للعلامة ابن منظور ، دار لسان العربي ، بيروت ، لبنان .

٧٤- ما جاء في البدع : للإمام محمد بن وضاح القرطبي ، ط الأولى ، دار

الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٦هـ .

٧٥- المجموع شرح المهذب : لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .

٧٦- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ،ط الثانية، ١٤١١هـ .

٧٧- المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها : لابن الحاج ، ط الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥هـ .

٧٨- مسلّم الثبوت مع شرحه فواتح الرحموت : للشيخ محب الله بن عبد الشكور البهاري ، مطبوع مع المستصفى للغزالي ، دار العلوم الحديثة بيروت ـ لبنان.

٧٩- المسند : للإمام أحمد بن حنبل الشيباني - بهامشه منتخب كنز العمال ، ط الثانية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ .

٨٠- مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المثنى (أبويعلى الموصلي) ، ط الأولى ١٤٠٤هـ ، دار المأمون للتراث ، دمشق .

٨١- المصباح المنير: لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، دار القلم بيروت ، لبنان.

٨٢- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار : للحافظ عبد الله بن محمد بن

أبي شيبة ، الدار السلفية بالهند .

٨٣- المصنف : لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، ط الأولى ، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ .

٨٤- معالم السنن : للإمام أحمد بن محمد الخطابي البستي ، ط الأولى دار الكتب، بيروت ، لبنان ، ١٤١١هـ .

٨٥- معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.

٨٦- المغني : لابن قدامة ، ط الثانية ، هجر للطباعة والنشر القاهرة ، ١٤١٢هـ.

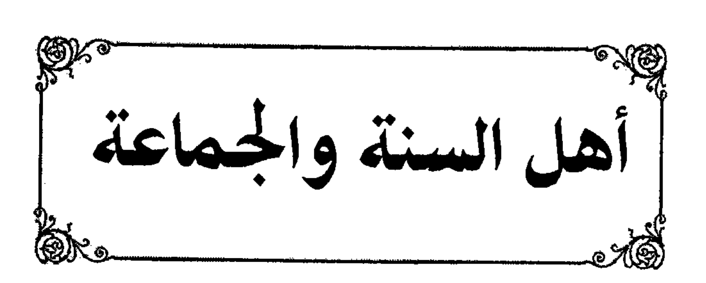
٨٧- المفردات في غريب القرآن : لأبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٨٨- المورد في عمل المولد : لعمر بن علي الفاكهاني ، ط الأولى ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٧هـ .

٨٩- الموطأ : للإمام مالك بن أنس ، مصورة عن نسخه كتبت في الكويت عام ١٠٩٤ مركز البحوث و الدراسات الكويتية الكويت ،١٤٢١هـ .

٩٠- الموطأ للإمام مالك المطبوع مع التمهيد لابن عبد البر ، ط ١٤٠٤هـ مكتبة السوادي .

فهرس الموضوعات



أهل السنة والجماعة

إعـــداد

د. عواد عبدالله المعتق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :

فإن كل مؤمن عاقل يدرك أنه لا نجاة لهذه الأمة مما حل بها ولا نصر لها على عدوها ولا تمكين لها في الأرض إلا بالرجوع إلى دينها ، ولا رجوع إلى الدين إذا لم تلتزم الطريق السوي الذي أخبر ﷺ بنجاة أصحابه ونصرهم في قوله ﷺ : « **وإن هذه الأمة ستتفرق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة** »[1] .

وقوله ﷺ : « **ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة** »[2] .

ونظراً إلى أن البدع قد كثرت وأصبح كل صاحب اتجاه يزعم أنه على الحق وعلى إثر ذلك أخذ يغض من قيمة من سواه حتى راودت كثير من

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة باب شرح السنة ، وأحمد في المسند برقم ١٠٢٤ و إسناده صحيح . انظر: جامع الأصول حديث رقم ٧٤٨٩ .

(٢) رواه الترمذي في الفتن باب ما جاء في الشام وقال: حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة رسول الله ﷺ . وانظر: جامع الأصول حديث رقم ٦٧٧٨ ، المتن والحاشية .

الشباب وبالذات الغرباء عن الإسلام بعض الحيرة .

لذا رأيت أن أكتب لمحة موجزة أذكر فيها بهذه الفرقة الناجية معرفاً بها ، وبمنهجها ، وشيء من مصنفات أهلها ، وأصولها ، وخصائصها . وقد راعيت فيما كتبت الإيجاز تيسيراً للقارئ . فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني وأستغفر الله .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

تمهيد : في ذكر بعض الأدلة من الكتاب والسنة في الحث على السنة والجماعة وما ورد في افتراق هذه الأمة

أولاً: بعض ما ورد في الأمر بالسنة والجماعة:

أ- من الكتاب: ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة فيها الحث على السنة والجماعة ، منها ما يلي :

١- قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ (١) ، وسبيل المؤمنين لا شك أنه سبيل الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، وعليه فإنه سبيل أهل السنة ، وحيث تقرر أن من اتبع غير سبيلهم ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم (٢) ، فإن اتباع سبيلهم وهو السنة متعين بأمره تعالى .

٢- وقال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(٣) ، ففي الآية – كما نرى – أمر صريح باتباع الصراط المستقيم وهو السنة ، والتحذير مما سواه من السبل .

---

(١) سورة النساء ، الآية ١١٥ .

(٢) انظر : الفتاوى ج٤ : ص ٢ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣ .

قال الشاطبي: « فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السنة، والسبل: هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع »(١).

٣- وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(٢)، فقد أمر سبحانه وتعالى في هذه الآية أن نعتصم بحبله جميعاً ولا نتفرق(٣). ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات .

٤- فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾(٤).

والذين تفرقوا واختلفوا هم أهل البدع كما قال قتادة(٥).

والذين ابيضت وجوههم: هم أهل السنة والإتلاف، والذين اسودت وجوههم هم أهل البدعة والاختلاف كما قال ابن عباس وغيره(٦).

---

(١) الاعتصام، ج١ ص ٧٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .

(٣) انظر: الفتاوى ج ١٩: ص ١١٥ ، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٨٩ .

(٤) سورة آل عمران، الآيتان ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٥) انظر الاعتصام ج ١ ص ٧٥ .

(٦) انظر: الفتاوى ج ٣ ، ص ٢٧٨ .

وقال الشاطبي: (... فهي الوعيد والتهديد لمن تلك صفته ونهي المؤمنين أن يكونوا مثلهم)[١] .

وقال شيخ الإسلام: (بين سبحانه أن المسودة وجوههم أهل التفرق والاختلاف يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم وهذا دليل على كفرهم وارتدادهم...)[٢] .

٥- وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[٣] ، يقول ابن كثير: (إن هذه الآية عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول ، وهو مخطئ وعمله مردود)[٤] .

ب- من السنة: كذلك ورد عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة فيها الحث على السنة والجماعة – منها ما يلي :

١- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله » ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى

---

(١) الاعتصام ج ١: ص ٧٤ – ٧٥ .

(٢) الفتاوى ج ١٩ ص ١١٥ .

(٣) سورة الكهف ، الآيتان ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٠٧ .

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [١][٢].

٢- وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: « صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال: « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** » [٣].

٣- وعن عمرو بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لبلال بن الحارث يوماً: **اعلم يا بلال**، قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: **اعلم أن من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله**

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج ١ ص ٨٠، ٨١، وأحمد في المسند ج١ ص ٤٣٥ والدارمي في سننه برقم ٢٠٨ والحاكم في المستدرك ج ٢ ص٣١٨، وصححه، وابن أبي عاصم في السنة برقم ١٧.

(٣) أخرجه أبو داود في السنة باب لزوم السنة والترمذي في العلم باب ١٦ وإسناده صحيح، انظر: جامع الأصول حديث ٦٧ (المتن والحاشية).

ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً»[١].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم... » الحديث[٢].

٥- وعن ابن عمر رضي الله عنه: أن عمر رضي الله عنه خطب بالجابية فقال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً فقال: « من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد »[٣].

ثانياً: ما ورد في افتراق هذه الأمة :

بالرغم من أن الله أمر الأمة بالسنة والجماعة ونهاهم عن التفرق

---

(١) أخرجه الترمذي في العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع وقال: هذا حديث حسن ، انظر: جامع الأصول حديث ٧٣٢٠ المتن والحاشية .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، وأحمد عن أبي هريرة . انظر: كنز العمال حديث ٤٣٢٧٥ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة ، والحاكم في المستدرك ج١ ص ١١٢ وذكره السيوطي في الأمر بالاتباع ص ٣٩ وقال: رواه الترمذي وصححه .

والاختلاف – كما سبق الإشارة إليه آنفاً – إلا أن أكثر الناس أبوا إلا أن يختلفوا ويتفرقوا – إلا من رحم الله – حتى أصبحوا شيعاً وأحزاباً .

وذلك مصداق ما أخبر الله به عنهم في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ .

قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[1].

قال ابن كثير: (يعني يجعلكم ملتبسين شيعاً فرقاً متخالفين . قال الوالبي عن ابن عباس: يعني الأهواء ، وكذا قال مجاهد وغير واحد)[2] .

وقال تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[3].

قال ابن كثير: (ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم.. ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ أي المرحومين من أتباع الرسل.. لأنهم الفرقة الناجية كما جاء في الحديث...)[4].

وقال ﷺ فيما رواه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « **ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على**

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٦٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٤٣ .

(٣) سورة هود ، الآيتان ١١٨ ، ١١٩ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٥ .

ثنتين وسبعين ملـة ، وإن هـذه الأمـة سـتفترق عـلى ثـلاث وسـبعين ، ثنتـان وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، وهي الجماعـة - زاد في روايـة - وأنـه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب[1] بـصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله)[2] .

وفي رواية عن عبد الله بن عمرو بن العاص (قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي)[3] .

مما ذكـرت اتـضح أن الله أمـر في كتابـه وعـلى لـسان رسـوله ﷺ بالـسنة والجماعة ونهى عن الاختلاف والفرقة إلا أن هذه الأمة اختلفت كغيرها من الأمم السابقة ، وأن اختلافهم سيصل إلى ثلاث وسبعين فرقة كلهـا في النـار إلا واحدة .

والآن لنعـرف مـن هـذه الفرقـة الناجيـة ، ومـا مـنهجهم ، وأصـولهم ، وخصائصهم ؟

فنقول وبالله التوفيق :

---

(١) داء يعرض للإنسان من عض الكلب المجنون ، انظر: بذل المجهود ج ١٨ ص ١١٨ .

(٢) أخرجه أبو داود في السنة باب شرح السنة ، وأحمد في المسند بـرقم ١٠٤٢ وإسـناده صحيح ، انظر: جامع الأصول حديث ٧٤٨٩ وحاشيته .

(٣) أخرجه الترمذي في الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة وقال: هذا حديث حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، انظر: جامع الأصول حديث ٧٤٩١ وحاشيته .

المبحث الأول : في التعريف بأهل السنة والجماعة

أولاً: المراد بأهل السنة والجماعة:

السنة لغة: الطريقة والسيرة حسنة كانت أو قبيحة .

قال ﷺ : « **من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها..الحديث** »[١] .

وقال ابن منظور (والسنة: السيرة حسنة كانت أو قبيحة . قال خالد بن عتبة الهذلي :

فلا تجزعنّ من سيرة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها

وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده قيل هو الذي سنه. والأصل فيه الطريقة والسيرة)[٢] ، والمراد بها هنا طريقة الرسول ﷺ [٣] .

الجماعة لغة : اسم للقوم إذا جمعوا أو اجتمعوا أو أجمعوا على أمر ما .

---

(١) أخرجه مسلم في الزكاة باب الحث على الصدقة ، والنسائي في الزكاة باب التحريض على الصدقة . وانظر : جامع الأصول حديث ٤٦٦٣ (المتن والحاشية) .

(٢) انظر: لسان العرب مادة سنن ج ٦ ص ٣٩٩ .

(٣) شرح الطحاوية ص ٤٣٠ .

وهو مأخوذ من الجمع - وهو تأليف المتفرق - يقال جمعت القوم: ألفت بينهم وضممت بعضهم إلى بعض .

قال الفراء : (إذا أردت جمع المتفرق قلت: جمعت القوم)[١].

ومن الاجتماع : وهو نقيض الفرقة - يقال اجتمع القوم: بمعنى تجمعوا وانضم بعضهم إلى بعض . ومن الإجماع: وهو الاتفاق - يقال أجمعوا على الأمر - اتفقوا عليه [٢].

والمراد بها هنا: الذين اجتمعوا على الحق ، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين [٣].

المراد بأهل السنة والجماعة: هم الذين تمسكوا بالإسلام المحض الخالص عن الشوب حيث التزموا طريقة الرسول ﷺ وأصحابه في الإيمان والعمل واجتمعوا على الحق المعنيون بقوله ﷺ : « **ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة - وهي**

---

(١) لسان العرب ج ٢ ص ٣٥٨ .

(٢) انظر: لسان العرب مادة جمع ج ٢ ص ٣٥٥-٣٥٨ ، وترتيب القاموس المحيط ج١ ص ٥٢٨-٥٣٠ ، والمصباح المنير ص ٤٢ ، والفتاوى ج ٣ ص ١٥٧ ، وجامع الأصول ج ١٠ ص ٣٢ .

(٣) انظر: شرح الطحاوية ص ٤٣٠ .

الجماعة »[1] ، وفي رواية « قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: « من كان على ما أنا عليه وأصحابي »[2][3] .

ثانياً : نشأة مصطلح أهل السنة ، وتاريخ إطلاق السلف له ، ولم سموا به ؟

من المعلوم أن مذهب أهل السنة امتداد لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه فهو إذاً ليس ببدعة جديدة .

يقول ابن تيمية : (ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ...)[4] .

لذا قلنا نشأة مصطلح أهل السنة ولم نقل نشأة أهل السنة ونظراً إلى أن المجتمع المسلم في عهد الرسول ﷺ ثم في أول عهد الصحابة لم يتفرق ، لذا لم يكن هناك اسم يتميز به بعض المجتمع المسلم عن بعضه؛ لأنهم كلهم قد التزموا طريقة الرسول ﷺ واجتمعوا على الحق . لكن لما ظهرت البدع ابتداءً بظهور التشيع ثم الخوارج ، ثم المرجئة ، فالقدرية والجبرية ،

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) انظر: الفتاوى ج ٣ ص ١٥٩ ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٧٣ الحاشية .

(٤) منهاج السنة ج ٢ ص ٤٨٢ .

فالمعطلة والمشبهة .

أصبح لمن التزم طريقة الرسول ﷺ وأصحابه اسم يميزهم عن غيرهم من المبتدعة فاشتهرت تسميتهم بأهل السنة والجماعة ، وأول ما برز هذا الاسم في أواخر عهد الصحابة. فقد أخرج اللالكائي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[1] ، (فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم ، وأما الذين اسودت وجوههم : فأهل البدع والضلالة)[2] ، وقد اشتهر إطلاق هذا الاسم عليهم لأمور ، منها :

١- لزومهم طريقة الرسول ﷺ وأصحابه .

٢- تحريهم الصدق فيما ينقلونه من السنة ، واعتمادها مصدراً للعقيدة بعد كتاب الله وتقديمها على العقل ، على خلاف من سواهم من المبتدعة .

٣- حرصهم على الاجتماع ونبذ الفرقة [3].

ثالثاً: أسماؤهم وعلة تلقيبهم بها :

تمهيد: لأهل السنة أسماء مرضية ، وأسماء غير مرضية [4] ، نبزهم بها

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٦ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج ١ ص ٧٢ .

(٣) انظر: أهل السنة ، محمد عبدالهادي ص ٥٧-٦٠ ، ووسطية أهل السنة ص٤١ .

(٤) مثل: الحشوية ، المشبهة ، المجسمة ، المجبرة ، مخالفة ، نقصانية ، ناصبة ، نابتة ،

خصومهم ، إما لقولهم بسنة لا يراها المبتدع ، وإما بدافع العداء و محاولة تنفير الناس منهم . وتجنباً للإطالة نقتصر على الأسماء المرضية فنقول وبالله التوفيق .

من أسماء أهل السنة المرضية ما يلي :

١- **أهل السنة والجماعة**[1]: وقد أشرت آنفاً[2] إلى سبب التسمية به .

٢- **أهل السنة**[3] : من دون إضافة الجماعة: سموا بذلك؛ لانتسابهم لسنته[4] ﷺ ولأنهم أكثر الناس عناية بها ، واتباعاً لها في الاعتقاد والقول والعمل . امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[5] وقوله ﷺ : « **عليكم بسنتي ...** » الحديث[6] .

جهلة ، الجمهور ، وأهل السنة بريئون من هذه المعايب ولم يلحقهم شيء منها فضل من الله ومنّة . انظر: الفتاوى ج ٣ ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ومقدمة شرح الطحاوية ص ٤٥ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ج ١ ص ١٧٩ ، وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ١٠١-١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

(١) انظر: شرح الطحاوية ص ١٠٩ ، والفتاوى ج ٣ ص ١٢٩-١٥٩ .

(٢) انظر: ص٢٧٧ .

(٣) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ١٧٩ ، وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٤ .

(٤) انظر: التنبيهات السنية ص ١٥ .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

(٦) جزء من حديث رواه أبو داود في السنة باب لزوم السنة ، والترمذي في

٣- **الجماعة ، أهل الجماعة** [١]: سموا بذلك لاجتماعهم على الحق متبعين في ذلك ما أجمع عليه السلف من الصحابة والتابعين ، ولزومهم جماعة المسلمين ، وأخذاً من قوله ﷺ في بيان الفرقة الناجية « **ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة** » [٢].

إذ المراد بالجماعة هنا من اتصف بأوصاف الرسول ﷺ وأوصاف أصحابه – بدليل الرواية الأخرى (.. قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: **من كان على ما أنا عليه وأصحابي**) [٣] ، وهذه الصفة إنما تنطبق على أهل السنة؛ إذ هم المتمسكون بسنة النبي ﷺ وسنة أصحابه بعده [٤].

قال السهارنفوري في شرح هذا الحديث: (وهي الجماعة أي وهي

العلم باب ١٦ وابن ماجة في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين وإسناده صحيح ، انظر: جامع الأصول حديث ٦٧ ، وحاشيته .

(١) انظر: الفتاوى ج ٣ ص ١٥٧ ، ١٥٩ ، ودرء تعارض العقل والنقل ج٧ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) انظر: الاعتصام ج ٢ ص٤٧٠ ، وبذل المجهود ج ١٨ ص١١٨ والحلية ج ٩ ص ٢٣٩ .

أهل السنة والجماعة)[١] .

٤- **السلف**[٢] ، **أو السلفيون**[٣]: نسبة إلى السلف. سموا بذلك لسلوكهم نهج الرسول ﷺ وأصحابه ودعوتهم إلى ذلك .

والسلف لغة: جمع سالف كخادم وخدم وهو يأتي لمعان منها: القوم المتقدمون في السير. ولذا قيل سلف الإنسان: من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته ومنه قوله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾[٤] أي جمعاً قد مضى[٥].

والمراد بالسلف هنا قيل : هم الصحابة[٦] .

وقيل: هم الصحابة والتابعون[٧].

وقيل: هم أهل القرون الثلاثة المفضلة التي أثنى عليها الرسول ﷺ

---

(١) بذل المجهود ج ١٨ ، ص ١١٨ .

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ج١ ص ٢٠٣ ، ونجاة الخلف ص ٣٤ ، وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ١ .

(٣) الفتاوى ج ٤ ص ١٤٩ ، وقواعد المنهج السلفي ص ٢٦ .

(٤) سورة الزخرف ، الآية ٥٦ .

(٥) انظر: لسان العرب ج ٢ ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، والقاموس المحيط ج ٣ ص ١٥٣ ، وتفسير النسفي ج٣ ص ٣١٧ .

(٦) تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة ص ٣٧٢ .

(٧) إلجام العوام عن علم الكلام ص ٥٣ .

حيث قال: « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، - قال عمران: فلا أدري أذكر قرنين أو ثلاثة... الحديث »(١)(٢)، ولعل الأولى أن يقال السلف: هم أصحاب رسول الله ﷺ ومن سار على نهجهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة ممن قدموا النقل على العقل. ليخرج بذلك أهل البدع ، كالخوارج ، والروافض ، والجهمية ، والمرجئة ، والمعتزلة وغيرهم من فرق الضلال التي وجدت في القرون الثلاثة(٣).

وبذلك يتضح أن أئمة أهل السنة الذين أدركوا القرون الثلاثة يتناولهم اسم السلف ، لأنهم ساروا على نهج أصحاب رسول الله ﷺ ، أما من أتى بعدهم فيقال لهم السلفيون لأنهم ساروا على نهج السلف ودعوا إليه . قال شيخ الإسلام: (لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق فإن مذهب السلف لا يكون إلا

---

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، والترمذي في الفتن باب مما جاء في القرن الثالث. وانظر: جامع الأصول حديث ٦٣٥٥ وحاشيته .

(٢) التحف في مذاهب السلف ص٧ ، ٨ ، ١١ ، وانظر: وسطية أهل السنة ص ٩٧ ، ٩٨ ، والمفسرون للمغراوي ص ١٧-١٩ ، ونجاة الخلف في اعتقاد السلف ص ٣٠ .

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٢٠ والعقائد السلفية ص ١٦ .

حقاً...)[١].

٥- **أهل الحديث**[٢]: سموا بذلك لعنايتهم بحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية واتباعه ظاهراً وباطناً، وتقديمه على العقل. قال شيخ الإسلام: (ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته وروايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه. واتباعه باطناً وظاهراً...)[٣].

وقال الشهرستاني: (سموا أصحاب الحديث، لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث ونقل الأخبار وبناء الأحكام على النصوص، ولا يرجعون إلى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبراً أو أثراً)[٤].

٦- **أهل الأثر**[٥]: سموا بذلك لأخذهم عقيدتهم من الكتاب أو السنة الصحيحة أو ما صح عن السلف الصالح. قال السفاريني في بيان معنى أهل الأثر: (أي الذين إنما يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله جل شأنه في

---

(١) الفتاوى ج ٤ ص ١٤٩.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٢٠٣، وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٣.

(٣) الفتاوى ج ٤ ص ٩٥.

(٤) الملل والنحل ج ٢ ص ٤٥.

(٥) انظر: قواعد المنهج السلفي ص ٢٣، ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٦٤.

كتابه أو في سنة النبي ﷺ أو ما ثبت وصح عن السلف الصالح ...)[١].

٧- **الطائفة المنصورة**[٢]: سموا بذلك أخذاً من قوله ﷺ: « ... **ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة** »[٣].

ذلك أن المراد بالطائفة المنصورة المذكورة في الحديث هم أهل السنة، قال ابن المديني: (هم أصحاب الحديث)[٤].

وقال الإمام أحمد: (إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم)[٥].

وقال القاضي عياض عقب قول الإمام أحمد: (إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث)[٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهم - أي أهل السنة - الطائفة

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٦٤.

(٢) انظر: الفتاوى، ج ٣ ص ١٢٩، ١٥٩.

(٣) رواه الترمذي في الفتن باب ما جاء في الشام وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، وانظر: جامع الأصول حديث ٦٧٧٨ (المتن والحاشية).

(٤) جامع الترمذي (المطبوع مع تحفة الأحوذي) ج٦، ص ٣٦٠.

(٥) انظر: تحفة الأحوذي ج٦، ص ٣٦٠، وتلبيس إبليس ص ٤٠٠.

(٦) انظر: تحفة الأحوذي ج٦، ص ٣٦٠.

المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ : **(لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة)**[١] .

٨- الفرقة الناجية [٢]: سموا بذلك أخذاً من قوله ﷺ : « **وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة ، قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي** » [٣] ، وهذا الوصف لا ينطبق إلا على أهل السنة فهم الذين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه[٤].

قال الإمام أحمد - بعد أن ذكر حديث الافتراق - : (إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم)[٥] .

وقال عبدالقاهر بن طاهر التميمي في شرح حديث الافتراق : (... والثالثة والسبعون هم أهل السنة والجماعة وهي الفرقة الناجية)[٦] .

وقال المباركفوري في شرح هذا الحديث : (والفرقة الناجية هم أهل السنة البيضاء المحمدية)[٧] .

---

(١) الفتاوى ، ج٣ ، ص ١٥٩ .

(٢) انظر الفتاوى ، ج٣ ص ١٢٩ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) وسطية أهل السنة ص ١٢١ .

(٥) شرف أصحاب الحديث ص ٢٥ .

(٦) تحفة الأحوذي ج٧ ، ص ٣٣٢ .

(٧) تحفة الأحوذي ج٧ ، ص ٣٣٤ .

٩- أهل الاتباع: سموا بذلك لاتباعهم الكتاب وصحيح السنة وآثار السلف الصالح وتركهم الابتداع، أخذاً بوصية المصطفى ﷺ حيث قال: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[١][٢].

١٠- أهل الحق: سموا بذلك لأنهم أخذوا بالمذهب الحق[٣]، الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه. قال ابن قدامة- بعد أن حكى خلاف المبتدعة في الصفات - : (وأهل الحق سلكوا طريقاً مستقيماً بين الطريقين آمنوا فأمنوا وأسلموا فسلموا...)[٤].

* * *

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: الفتاوى ج٣ ص ١٥٧، وعقيدة ابن قدامة ص ٤٨ (مع الفرقة الناجية) وعقيدة أهل السنة ص ٢٣.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ج١ ص ٢٠٣، ولوامع الأنوار البهية ج١، ص٢١.

(٤) عقيدة ابن قدامة، ص ٤٨ (مع الفرقة الناجية).

المبحث الثاني: منهج أهل السنة والجماعة في تقرير العقيدة الإسلامية وشيء من مؤلفاتهم

أولاً: منهج أهل السنة:

يقوم على أسس منها:

١- الاقتصار على الكتاب والسنة الصحيحة فهما المصدر الأساسي للعقيدة الإسلامية عملاً بقوله ﷺ: « **تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ** »[1]، والإجماع المعتبر عند أهل السنة في تقرير العقيدة إنما هو إجماع مبني على الكتاب والسنة أو أحدهما.

والعقل والفطرة: إنما يأخذ بهما أهل السنة مؤيدان لا مصدران بشرط موافقتهما الكتاب والسنة الصحيحة.

قال شيخ الإسلام: « ثم من طريق أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً... ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سموا أهل

---

(١) أخرجه مالك في القدر باب النهي عن القول في القدر بلاغاً. لكن يشهد له حديث ابن عباس عند الحاكم ج١ ص ٩٣ بسند جيد فيتقوى به. انظر: جامع الأصول حديث ٦٤ (المتن والحاشية) وكنز العمال حديث ٨٧٦ .

الكتاب والسنة »[١].

وقال أيضاً: « ولا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول ﷺ بل يجعلون ما بعث به الرسول ﷺ من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه؛ وما تنازع فيه الناس.. يردونه إلى الله ورسوله... فما كان من معانيها موافقاً للكتاب والسنة أثبتوه وما كان منها مخالفاً للكتاب والسنة أبطلوه »[٢].

وقال أيضاً وهو يتكلم عن أهل السنة: «... وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة »[٣].

٢- تقديم النقل - وهو الكتاب والسنة الصحيحة - على العقل وبيان ذلك: أنه إذا حصل ما يوهم التعارض بين العقل والنقل قدموا النقل. عملاً بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٤].

يقول شيخ الإسلام - بعد أن أورد هذه الآية -: (فإن هذا أمر للمؤمنين بما وصف به الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ

---

(١) الفتاوى ج ٣ ص ١٥٧.

(٢) الفتاوى ج٣ ص ٣٤٧، ٣٤٨.

(٣) الفتاوى ج٣ ص ١٥٩.

(٤) سورة الحجرات، الآية ١.

﴿٢٧﴾[1] ، فوصفهم سبحانه بأنهم لا يسبقونه بالقول وأنهم بأمره يعملون ، فلا يخبرون عن شيء من صفاته ولا غير صفاته إلا بعد أن يخبر سبحانه بما يخبر به ، فيكون خبرهم وقولهم تبعاً لخبره وقوله ، كما قال : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾ وأعمالهم تابعة لأمره ، فلا يعملون إلا ما أمرهم هو أن يعملوا به فهم مطيعون لأمره سبحانه... وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الله ورسوله كذلك... فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله ، وعلمه تبعاً لأمره ، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين ولهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله... وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول... فهذا أصل أهل السنة)[2].

وهناك دليل عقلي للبرهنة على ضرورة تقديم النقل على العقل يستخلصه ابن تيمية بعد ضرب الأمثال .

فيذكر أنه إذا حدث نزاع بين أصحاب المهن المختلفة... احتكم المتنازعون إلى الأعلم منهم ثم يقول: (ومن المعلوم أن مباينة الرسول ﷺ

(١) سورة الأنبياء ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) الفتاوى ج١٣ ص ٦٠-٦٣ (بتصرف) .

لذوي العقـول أعظـم مـن مباينـة أهـل العلـم بالـصناعات العلمية والعملية والعلوم العقلية الاجتهادية كالطب... لسائر الناس . فإن مـن النـاس مـن يمكنه أن يصير عالماً بتلك الصناعات العلمية والعملية كعلـم أربابهـا ، ولا يمكـن مـن لم يجعلـه الله رسـولاً إلى النـاس أن يـصير بمنـزلة مـن جعلـه الله تعالى رسولاً إلى الناس، فإن النبوة لا تنال بالاجتهاد كما هـو مـذهب أهـل الملل... وإذا كان الأمر كذلك ، فإذا علم الرجل بالعقل أن هـذا رسـول الله وعلم أنه أخبر بشيء ووجد في عقلـه مـا ينازعـه في خـبره كـان عقلـه يوجـب عليه أن يسلم موارد النزاع إلى من هو أعلم به منه وألا يقـدم رأيـه عـلى قولـه ويعلم أن عقله قـاصر بالنـسبة إليـه وأنـه أعلـم بـالله تعـالى وأسـمائه وصـفاته واليـوم الآخـر منـه ، وأن التفـاوت الـذي بيـنهما في العلـم بـذلك أعظـم مـن التفاوت الذي بين العامة وأهل العلم بالطب...)[1] .

ثم في النهاية يقـول ابـن تيميـة: (فكيـف حـال الخلـق مـع الرسـل علـيهم الصلاة والتسليم والرسل صادقون مصدقون لا يجوز أن يكون خبرهم عـلى خلاف ما أخبروا به قط. وأن الذين يعارضون أقـوالهم بعقـولهم عنـدهم مـن الجهل والضلال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال ، فكيـف يجـوز أن يعـارض مـا لم يخطئ قط بما لم يصب في معارضة لـه قط ؟!)[1] .

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ج١ ص١١٨ – ١١٩ وانظر ج١ ص١١٦– ١١٨ من نفس الكتاب وقواعد النهج السلفي ص ٢٥٥–٢٥٧ .

٣- عدم رد شيء من الكتاب والسنة الصحيحة ولو كانت آحاداً أو تحريفه أو تأويله بل التسليم والانقياد لهما - عملاً بقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2] .

ونحوهما من الآيات التي فيها الأمر بالتسليم والانقياد للكتاب والسنة .

يقول ابن تيمية : (وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم[3] اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان: أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ، ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده. فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول ﷺ جاء بالهدى ودين الحق ، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم)[4].

ويقول ابن القيم : (وقد كان السلف يشتد عليهم معارضة النصوص بآراء الرجال ولا يقرون على ذلك)[5] .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣٦ .

(٢) سورة الحشر ، الآية ٧ .

(٣) يعني أهل السنة .

(٤) الفتاوى ج ١٣ ص ٢٨ .

(٥) مختصر الصواعق ص ١٤٦ .

وقال أبو الحسن الأشعري: (جملة ما عليه أهل الحديث والسنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً...)[1].

وعلى العكس من ذلك أهل الكلام الذين اعتمدوا على ما رأوه ثم نظروا في الكتاب والسنة ، فإن وجدوا النصوص توافقه أخذوا بها وإن وجدوها تخالفه. فإن كانت قرآناً حرفوا في اللفظ أو المعنى باسم التأويل ، وإذا لم يستطيعوا قالوا متشابه. وإن كانت من السنة: فإما أن تكون متواترة أو لا ، إذا لم تكن متواترة ردوها من البداية ، وإن كانت متواترة حرفوا في اللفظ أو المعنى باسم التأويل وإذا لم يستطيعوا طعنوا في صحتها. وبذلك تخلصوا من دلالتها[2].

٤- الالتزام بما كان عليه أصحاب الرسول ﷺ [3] ، والأخذ بما ورد عنهم في بيان القضايا الإسلامية عامة وفي قضايا العقيدة خاصة وتقديمها على أقوال من بعدهم عملاً بوصية الرسول ﷺ ، حيث قال: « ... **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ.. الحديث** »[4].

---

(١) المقالات ج١ ص٢٩٠ . وانظر: حادي الأرواح ص ٢٨ .

(٢) انظر: الفرقان بين الحق والباطل ص ٤١ ، ٤٢ والفتاوى ج ١٣ص ٦٣ .

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، ج١ ص ٦ (المدخل) .

(٤) أخرجه أبو داود في السنة باب لزوم السنة ، والترمذي في العلم باب ١٦ ، وإسناده صحيح انظر: جامع الأصول حديث ٦٧ (المتن والحاشية) .

واقتداء بالسلف من بعده. فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً ، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)(١) .

وروي أن الحسن كان في مجلس فذكر أصحاب محمد ﷺ فقال: إنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً ، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فإنهم ورب الكعبة على الهدى المستقيم)(٢).

وقال الإمام أحمد: (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم...)(٣) .

ولأن الوحي نزل بين أظهرهم فهم أعلم بتأويله ممن أتى بعدهم ، كما أن أذهانهم صافية مما جد من البدع الضالة ، فقد كانوا مؤتلفين في أصول الدين لم يتفرقوا فيه إلى جانب ما يتمتعون به من الفهم اللغوي للنصوص الشرعية(٤) .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص ٩٧ ، وانظر: جامع الأصول ج١ ص ٢٩٢.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص ٩٧ .

(٣) طبقات الحنابلة ج١ ص ٢٤١ ، وانظر: الفتاوى ج ١٠ ص ٣٦٣ .

(٤) انظر: الرد على الجهمية للدارمي ص ١٠٨ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٥٥ (المدخل) .

٥- عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مما لا مجال للعقل فيه من الأمور الغيبية. عملاً بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[2].

وقوله ﷺ لما سئل عن أطفال المشركين: « الله أعلم بما كانوا عاملين »[3].

ولإدراكهم أيضاً بأن العقل البشري عاجز عن معرفة الأمور الغيبية بنفسه استقلالاً وأن دور العقل هو الفهم والاتباع والاعتقاد لما جاء به الوحي[4].

قال الإمام أحمد: (ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٣) أخرجه البخاري في القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين، ومسلم في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، والنسائي في الجنائز باب أولاد المشركين. وانظر: جامع الأصول حديث ٧٥٩٧.

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج١ ص٥٦ (المدخل).

ذلك... فعليه الإيمان به والتسليم له...)[١].

وقال الإمام الطحاوي وهو يتكلم عن عقيدة أهل السنة : (... ولا نخوض في الله ... ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه..)[٢].

٦- الاهتمام بالغاية المحبوبة لله المرضية له التي خلق الخلق لها ، وهي إقامة العباد على منهج العبودية الحقة لله رب العالمين؛ ذلك أنها أول دعوة الرسل وأول مقام يقوم به السالك إلى الله ، ولأجلها خلق البشر وأنزلت الكتب وبعث الرسل .

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[٣] .

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٤].

وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٥].

---

(١) طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٤١ .

(٢) العقيدة الطحاوية ، انظر: عقيدة الفرقة الناجية ص ١٠١-١٠٧ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٥٩ .

(٤) سورة الذاريات ، الآية ٥٦ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية ٢٥ .

وقـال تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1]. ولـذلك حرصوا كـل الحـرص عـلى تـصحيحه والتحـذير ممـا يناقضه من الشرك والكفر والنفاق. ومن كل وسيلة قد تـؤدي إلى نـاقض مـن تلـك النـواقض أسـوة بالرسـل جميعـاً وبخـاتمهم عليـه أفـضل الـصلاة والسلام[2].

٧- الاتباع وترك الابتداع. عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[3].

قال الشاطبي: (الصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السنة، والسبل: هي سبل أهل الاختلاف.. وهم أهل البدع)[4].

وقوله ﷺ : «.. **وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[5] .

---

(١) سورة النحل ، الآية ٣٦ .

(٢) انظر: تهذيب شرح الطحاوية ص ٣٥ ، وأهل السنة للأشقر ص ٦٠ ، ٦١ ، ومنهاج الفرقة الناجية ص ٩ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣ .

(٤) الاعتصام ، ج١ ص ٧٦ .

(٥) جزء من حديث سبق تخريجه .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: اتّبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم [١].

قال شيخ الإسلام: (وأهل السنة والجماعة يتّبعون الكتاب والسنة)[٢].

وعلى إثر ذلك كان منهم الحرص الشديد على إحياء سنن المصطفى ﷺ في عباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وفي كل جانب من جوانب حياتهم وترك الابتداع بل ومحاربة البدع وأهلها لإيمانهم أن الدين كامل وأن كل بدعة مردودة.

قال تعالى: ﴿... ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ... الآية﴾[٣].

وقال ﷺ: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »[٤]، ولذا نهوا عن مناظرة أهل البدع إلا لضرورة من عالم لا يخشى عليه أو الجلوس معهم أو سماع كلامهم خوفاً من التلبيس على المناظر وهم لا يرجعون، أو التأثير على الجليس أو السامع لكلامهم، بل وينهون عن نقل شبهاتهم خوفاً

---

(١) انظر: الاعتصام ج١ ص ١٠٧.

(٢) الفتاوى ج ٣ ص ٢٧٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣.

(٤) أخرجه البخاري في البيوع باب النجش، ومسلم في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، وأبو داود في السنة باب لزوم السنة، وانظر: جامع الأصول حديث ٧٥ (المتن والحاشية).

من ضعف الناقل فيعجز عن إبطالها ومن ثم يفتتن بها بعض من سمعها أو قرأها ، زيادة على كون ذلك فيه إهانة للمبتدعة و محاصرة لأفكارهم وعدم جعل الكتب السلفية جسوراً تعبر عليها تلك الآراء المنحرفة [١] .

ومما ورد عن السلف في ذلك ما رواه البغوي عن سفيان الثوري : (من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه لا يلقيها في قلوبهم)[٢] .

وعن أبي قلابة قال : (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون)[٣] .

وروي عن عبدالله بن السري: (ليس السنة عندنا أن يرد على أهل الأهواء ولكن السنة عندنا أن لا نكلم أحداً منهم)[٤].

وروي عن حنبل بن إسحاق بن حنبل أنه قال: (كتب رجل إلى أبي عبدالله رحمه الله كتاباً يستأذن فيه أن يضع كتاباً يشرح فيه الرد على أهل البدع وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم فكتب إليه أبو عبدالله كتاباً فيه (الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ وإنما الأمر في التسليم

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، ج١ ص ٥٦ (المدخل) .

(٢) شرح السنة للبغوي ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٣) الاعتصام ج١ ص ١١٢ . والشريعة ص ٥٦ ، وشرح السنة ج١ ص ٢٢٧.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٥٦ (المدخل) .

والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم فإنهم يلبسون عليك وهم لا يرجعون، فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم..)[١].

٨- الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم[٢].

والمراد بذلك الحرص على الحق وأهله والبعد عن الفرقة والخلاف سواء في أمر الدين أو الدنيا. امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

وقوله ﷺ: «... **عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة... الحديث**»[٥].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٥٦، ٥٧، (المدخل).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٥٣ (المدخل).

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٤) سورة آل عمران، الاية ١٠٥.

(٥) أخرجه الترمذي في الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة بإسناد حسن صحيح، ورواه أحمد في المسند برقم ١١٤، ١٧٧، والحاكم في الإيمان من طرق صحيحة فالحديث صحيح. انظر: جامع الأصول حديث رقم ٤٩٧٢ (المتن والحاشية).

وقولـه ﷺ : « إن الله لا يجمع أمتي - أو قال أمة محمد - على ضلالة ، ويد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار »[١].

وقولـه ﷺ : «... وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع... الحديث»[٢] .

ومن المعلوم أن لزوم الجماعة هو الحق والاجتماع هو سبيل القوة ، وأن الاجتماع على الحق هو سبيل النجاة في الدنيا والآخرة ، والتفرق هو سبيل الضلال والهلاك في الدنيا والآخرة .

قال الإمام الطحاوي وهو يتكلم عن عقيدة أهل السنة : (ونرى الجماعة حقاً وصواباً ، والفرقة زيغاً وعذاباً)[٣] .

---

(١) أخرجه الترمذي في الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة وقال: غريب من هذا الوجه، وللحديث شواهد بمعناه. انظر: جامع الأصول حديث ٦٧٦١ (المتن والحاشية). وأورده اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم ١٥٤ وقال محققه الحمدان: سنده حسن. انظر: ج١ ص١٠٦ (الحاشية) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم ٧١٣٩ وبرقم ١٧٦٦ ، والترمذي في الأمثال ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب ، وأخرجه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في المستدرك وصححه . انظر: جامع الأصول ج٩ ص ٥٤٧ (المتن والحاشية) .

(٣) شرح الطحاوية ص ٥٧٧ (المتن) .

ثانياً: في ذكر شيء من المؤلفات في باب الاعتقاد على منهج أهل السنة :

لقد دون أئمة أهل السنة المؤلفات الكثيرة في تقرير العقيدة الصحيحة والرد على المنحرفين عنها .

في بعضها اقتصروا على العقيدة مدللين على صحتها بالكتاب والسنة الصحيحة .

وفي بعضها اقتصروا على إيراد بدع المنحرفين وشبههم ثم نقضها بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان . وفي بعضها جمعوا بين المنهجين .

ومما يلاحظ أن الكثير من مؤلفات أهل السنة لم تتجه إلى تجلية كل أصول الاعتقاد بتفريعاتها من الكتاب والسنة ، وإنما ركزت على إبراز الأصول التي خالفت فيها الفرق وبيان الحق في ذلك مع بيان بطلان مذهب المخالفين لأهل السنة فيها .

وإليك شيئاً من مؤلفاتهم في ذلك :

١- الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ.

٢- الرد على الجهمية لعبدالله بن محمد بن عبدالله الجعفي المتوفى سنة ٢٢٩هـ .

٣- الإيمان لابن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ .

٤- الحيدة في الرد على الجهمية لعبدالعزيز بن يحيى المكي المتوفى سنة ٢٤٠هـ .

٥- السنة للإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ، برواية الأصطخري .

٦- الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد .

٧- التوحيد في صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ .

٨- الرد على الجهمية للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .

٩- السنة لأبي بكر الأثرم المتوفى سنة ٢٧٢هـ .

١٠- السنة لأبي علي حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال تلميذ الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٧٣هـ .

١١- السنة لأبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ .

١٢- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لعبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ .

١٣- الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي المتوفى سنة ٢٨٠هـ .

١٤- الرد على بشر المريسي لعثمان بن سعيد الدارمي المتوفى سنة ٢٨٠هـ .

١٥- إنكار البدع والحوادث لمحمد بن وضاح المتوفى سنة ٢٨٦هـ .

١٦- السنة لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم المتوفى سنة ٢٨٧هـ .

١٧- السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٩٠هـ.

١٨- السنة لأبي بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي المتوفى سنة ٢٩٢هـ .

١٩- السنة لمحمد بن نصر المروزي المتوفى سنة ٢٩٤هـ .

٢٠- السنة لأحمد بن محمد بن هارون الخلال المتوفى سنة ٣١١هـ .

٢١- التوحيد لابن خزيمة المتوفى سنة ٣١١هـ .

٢٢- العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١هـ.

٢٣- الرد على الجهمية لعبدالرحمن بن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ .

٢٤- شرح كتاب السنة للحسن بن علي البربهاري المتوفى سنة ٣٢٩هـ .

٢٥- السنة لأبي أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصفهاني العسال المتوفى سنة ٣٤٩هـ .

٢٦- السنة لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ .

٢٧- الشريعة لأبي بكر الآجري المتوفى سنة ٣٦٠هـ .

٢٨- السنة لعبدالله بن محمد الأصبهاني المتوفى سنة ٣٦٩هـ .

٢٩- « كتاب السنة » لعمر بن أحمد بن عثمان البغدادي (ابن شاهين) المتوفى سنة ٣٨٥هـ .

٣٠- مقدمة في العقيدة لابن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦هـ .

٣١- الإبانة لابن بطة المتوفى سنة ٣٨٧هـ .

٣٢- التوحيد لمحمد بن إسحاق بن مندة المتوفى سنة ٣٩٥هـ

٣٣- الرد على الجهمية لمحمد بن إسحاق بن مندة المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

٣٤- شرح السنة لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين المتوفى سنة ٣٩٩هـ .

٣٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي المتوفى سنة ٤١٨هـ .

٣٦- الأصول لأبي عمر الطلمنكي المتوفى سنة ٤٢٩هـ .

٣٧- السنة والصفات لأبي ذر عبد بن أحمد بن محمد الأنصاري الهروي المتوفى سنة ٤٣٤هـ .

٣٨- عقيدة السلف وأصحاب الحديث لإسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩هـ .

٣٩- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ .

٤٠- الأسماء والصفات للبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ .

٤١- الحوادث والبدع لمحمد بن الوليد الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠هـ .

٤٢- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لعبدالله بن أحمد ابن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠هـ .

٤٣- الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي المتوفى سنة ٦٦٥هـ .

٤٤- رسالة في ذم البدعة لأبي الحسن الصغير الفاسي المتوفى سنة ٧١٩هـ .

٤٥- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ ، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم .

فيها أجزاء كثيرة في تقرير العقيدة الصحيحة ومحاربة البدع وبعضها مطبوع مستقل : كالعقيدة الواسطية - وعليها شروح لبعض العلماء - ، والفتوى الحموية ، والرسالة التدمرية .

٤٦- مؤلفات الإمام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١هـ ، في الاعتقاد والرد على أهل البدع ، كاجتماع الجيوش الإسلامية. والكافية الشافية ، والصواعق المرسلة ، وشفاء العليل ، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى .

٤٧- الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠هـ.

٤٨- تطهير الاعتقاد عن أدران الشرك والإلحاد لمحمد بن إسماعيل الشهير بالصنعاني المتوفى سنة ١١٨٢هـ.

٤٩- لوامع الأنوار البهية للإمام محمد بن أحمد السفاريني المتوفى سنة ١١٨٨هـ.

٥٠- مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب المتوفى سنة ١٢٠٦هـ في الاعتقاد مثل كتاب التوحيد وعليه شروح، كتيسير العزيز الحميد، وفتح المجيد، وكشف الشبهات، وأصول الإيمان.

٥١- الدين الخالص محمد صديق حسن خان المتوفى سنة ١٣٠٧هـ.

٥٢- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر محمد صديق حسن خان المتوفى ١٣٠٧هـ.

٥٣- مؤلفات كثيرة في الاعتقاد على منهج أهل السنة لعلماء معاصرين وإنما اكتفيت بما ذكرت إيثاراً للاختصار(١).

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٤٩-٥١ (المدخل)، والفتاوى ج٣ ص ٣٧٩، ج٥ ص ٢٤، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ٣٣١، ٣٣٢. والأعلام للزركلي، أهل السنة والجماعة ص٥٥-٥٩ ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص٩٧، ٩٨، وعقائد السلف المقدمة ص٥-٧، وفتاوى في التوحيد ص٦٤، ٦٥.

المبحث الثالث: أصول أهل السنة والجماعة

المراد بأصول أهل السنة والجماعة – هنا – هي : ضوابط وضعها علماء أهل السنة في بعض مسائل العقيدة التي خالف فيها المبتدعة لتمييز المعتقد الصحيح من غيره .

ولم يقصدوا تجلية جميع الأصول الاعتقادية وإنما عرضوا لما وقع فيه الخلاف من الفرق الأخرى لتمييز معتقد أهل السنة حماية له من أن يلتبس بغيره .

ومخافة أن ينحرف المسار بأهل الإسلام فيقعوا فيما وقع فيه المخالفون .

وإليك شيئاً من هذه الأصول التي أصبحت علماً على أهل السنة [١] ، بشيء من الإيجاز فأقول وبالله التوفيق .

أولاً: في تحديد دائرة الإيمان:

من أصول أهل السنة: أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل قاعدته الاعتقاد[٢] ، لكنه لا يكفي دول القول والعمل . بدليل وجود من يصدق بقبله ومع ذلك يسمى كافراً؛ لأنه رفض القول والعمل استكباراً كفرعون ومن على شاكلته ،

---

(١) انظر: أهل السنة والجماعة ص ٣٦ ، ٤٦ .

(٢) انظر: أهل السنة والجماعة ص ٤٧ .

كما أن القول والعمل بدون الاعتقاد لا يكفي بدليل وجود من يقول بلسانه ويعمل بجوارحه ومع ذلك يسمى منافقاً لأنه لم يصدق بقلبه .

فلا بد إذن من الاعتقاد والقول والعمل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح...)[1].

وقال ابن أبي العز الحنفي: (ذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة.. إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان...)[2].

وقال الصابوني: (ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة...)[3] .

ثانياً: من أصول أهل السنة :

أن الإيمان – يضم أصولاً وفروعاً وأنه لا يزول إلا بزوال شيء من الأصول ، أما الفروع فإنه لا يزول بزوال شيء منها كمن ارتكب محذوراً أو ترك واجباً لا يخرج من الملة ، وإنما ينقص . وعليه فالإيمان – عند أهل

---

(١) انظر: الفتاوى ج ٣ ص ١٥١ .

(٢) شرح الطحاوية ص ٣٧٣ .

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٦٧ .

السنة – يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

وبناءً على ذلك فإنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر ، كما تفعله الخوارج. ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية ، ولا يخلدونه بالنار كما تفعله المعتزلة .

وإنما يقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق ، ولا يسلب مطلق الاسم [1].

ثالثاً : في الأسماء والصفات :

من أصول أهل السنة :

أن من الإيمان بالله: إثبات كل ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته وتنزيهه تعالى عن العيوب والنقائص إثباتاً بلا تشبيه[2] ، أو تكييف[3] ، وتنزيهاً بلا تحريف[4] ، أو تعطيل[5] ، كما قال تعالى : ﴿لَيْسَ

---

(١) انظر: الفتاوى ج٣ ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ج١٢ ص ٤٧١-٤٧٥ ، وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٦٧-٧١ .

(٢) وهو تشبيه صفات الله بصفات شيء من المخلوقين ، كأن يقال: لله يد كأيدينا .

(٣) هو تعيين كيفية الصفة .

(٤) وهو التغيير لألفاظ الأسماء والصفات أو معانيها .

(٥) وهو جحد الأسماء والصفات أو شيء منها وإنكار قيامها بذاته تعالى. انظر: التنبيهات ص ٢٣ .

كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١].

والإيمان بالآيات والأخبار المتضمنة لهذه الأسماء والصفات – كما وردت – وعدم التأويل[٢]، المخالف لظاهر اللفظ، وهو التحريف.

فأهل السنة – كما نرى – يقتصرون في الإثبات والنفي على ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من الأسماء والصفات، وعدم التعرض لشيء منها بتشبيه أو تكييف أو تحريف أو تعطيل، وإنما يمرونها كما جاءت في الكتاب والسنة. ويردون علمها إلى قائلها.

قال شيخ الإسلام: (... وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل. وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٣]... فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل. كما

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١ .

(٢) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية مع بيان موقف ابن القيم ج١ ص ٥٤ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٠ .

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١)»(٢) .

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات عامة .

ونظراً إلى أن بعض فرق الضلال قد خالفت في بعض الصفات خلافاً بيِّناً فأفردوها بالكلام ؛ لذا أفردها أهل السنة بالكلام مبينين المذهب الحق .

ومن ذلك : القرآن باعتباره كلام الله ، والإرادة ، والسمع والبصر ، والاستواء ، والمجيء ، والوجه ، واليد ، والعين .

أ- القرآن : نظراً إلى أن القرآن من كلام الله . فإني سأبين - إن شاء الله - رأي أهل السنة في الكلام عامة ، والقرآن خاصة .

أما رأيهم في الكلام عامة : فإنهم يرون أن كلام الله قديم النوع ، حادث الآحاد ، وأنه تعالى يتكلم متى شاء وكيف شاء وأن كلامه غير مخلوق .

أما القرآن: فإنه كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود(٣).

ب- الإرادة: يرى أهل السنة إثبات هذه الصفة لله تعالى على ما يليق

---

(١) سورة الشورى ، الآية ١١ .

(٢) الفتاوى ج ٣ ص ٣ - ٤ .

(٣) انظر: شرح الطحاوية ص ١٧٩ (المتن) ، ص ١٨٠ ، (الشرح) ، والفتاوى ج ٣ ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

بجلاله وهي قديمة أزلية .

وأنها نوعان:

إرادة كونية: يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوباً لله .

وإرادة شرعية: يلزم أن يكون المراد فيها محبوباً لله ولا يلزم وقوعه [١].

ج- السمع والبصر: يرى أهل السنة إثباتهما قائمتين بذاته تعالى حقيقة على ما يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تكييف ، وأنهما زائدتان على الذات[٢].

د- الاستواء ، والمجيء ، والوجه ، واليد ، والعين .

يروي شيخ الإسلام رأي أهل السنة في هذه المسائل فيقول: (وقال أهل السنة وأصحاب الحديث: إن الله لا يشبه الأشياء ، وأنه على العرش كما قال عز وجل : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٣] ولا نقدم بين يدي الله تعالى في القول بل نقول: استوى بلا كيف. وأن له وجهاً كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٤]. وأن له يدين كما قال تعالى: ﴿...لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ... الآية﴾[٥] .

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية ج١ ص ١٣٢-١٤٥ ، وشرح لمعة الاعتقاد ص ٥٦.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية ج١ ص ١٠٠ ولوامع الأنوار البهية ج١ ص ١٢٩-١٤٤ .

(٣) سورة طه ، الآية ٥ .

(٤) سورة الرحمن ، الآية ٢٧ .

(٥) سورة ص ، الآية ٧٥ .

وأن له عينين كما قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا... الآية﴾ [١] . وأنه يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٢]. ولم يقولوا إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ [٣]) .

من كلام شيخ الإسلام اتضح أن أهل السنة يثبتون الاستواء والمجيء والوجه واليد والعين ، كما وردت في الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تكييف [٤].

رابعاً: في الرؤية :

قال شيخ الإسلام: (وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله: الإيمان بأن المؤمنين يرونه تعالى يوم القيامة عياناً بأبصارهم ، كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب ، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته ، يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى)[٥].

---

(١) سورة القمر ، الآية ١٤ .

(٢) سورة الفجر ، الآية ٢٢ .

(٣) بيان تلبيس الجهمية ج١ ص ٤٠١ .

(٤) انظر: المعتزلة ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤٨ .

(٥) الفتاوى ج٣ ص ١٤٤ .

وقال أيضاً: (... وكل من ادعى أنه رأى ربه بعينيه قبل الموت فدعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة...)(١).

وقال ابن أبي العز: (وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة)(٢).

من كلام شيخ الإسلام وابن أبي العز اتضح أن أهل السنة يرون أن الله لا يراه أحد في الحياة الدنيا لا نبي ولا غيره وكل من ادعى أنه رآه بعينيه قبل الموت فدعواه باطل. وإنما يراه المؤمنون يوم القيامة بأبصارهم – في عرصات القيامة وفي الجنة – من غير كيف ولا إحاطة، كما يشاء الله سبحانه وتعالى.

خامساً: في اليوم الآخر:

من أصول أهل السنة: الإيمان باليوم الآخر وأن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بمقدمات الساعة الصغرى والكبرى وبكل ما أخبر به ﷺ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة

---

(١) الفتاوى ج٣ ص ٣٨٩، وانظر: ص ٣٨٧ من نفس الجزء.

(٢) شرح الطحاوية ص ٢٠٤. وانظر: حادي الأرواح ص ٢٦٩.

غرلاً ، وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق ، وبكل ما يكون بعد ذلك من الحساب والميزان ونشر الصحف ، والحوض ، والكوثر ، والصراط ، والقنطرة ، والجنة والنار ، وأنهما مخلوقتان .

والشفاعة بأنواعها ، ومنها الشفاعة لأهل الكبائر من الموحدين على النحو الذي جاءت به النصوص . ولا يكذبون بشيء من ذلك خلافاً للخوارج والمعتزلة ونحوهم من أهل البدع الذين ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر [1].

قال شيخ الإسلام : (ومذهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وسائر أهل السنة والجماعة أنه ﷺ يشفع في أهل الكبائر ، وأنه لا يخلد في النار من أهل الإيمان أحد بل يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة من إيمان...)[2] .

وقال الصابوني: (ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن

---

(١) انظر: الفقه الأكبر لأبي حنيفة ص٦ والفقه الأكبر للشافعي ص ٢٧-٢٩ ، وشرح الطحاوية ص ٢٥٢-٢٥٨ ، ٤٤٧-٤٥٦. والفتاوى ج١ ص ١١٦ ، ١١٧ ، ٣١٨ ، وج٣ ص ١٤٥-١٤٨ ، وج٧ ص ٤٨٦ ، وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) الفتاوى ج١ ص ٣١٨ .

رسول الله ﷺ)[1].

سادساً: في الوعد والوعيد:

أ- الوعد: يرى أهل السنة أن العبد لا يستوجب بسعيه نجاة ولا فلاحاً، ولا يدخل أحداً عمله الجنة، ولا ينجيه من النار وإنما الله تعالى بفضله ومحض جوده أكد إحسانه بأن أوجب لعبده عليه سبحانه وتعالى حقاً بمقتضى الوعد والله لا يخلف الوعد. وعليه فإن الله إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه واجباً عليه بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق[2].

قال شيخ الإسلام - وهو يروي ما اتفق عليه أهل السنة -: (واتفقوا على أن الله تعالى إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه واجباً عليه بحكم وعده، فإنه الصادق في خبره الذي لا يخلف الميعاد)[3].

ب- الوعيد:

مذهب أهل السنة أن الوعيد الموجود في الكتاب والسنة لأهل الكبائر قد بين الله في كتابه أنه بشروط، بأن لا يتوب فإن تاب تاب الله عليه قال تعالى:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٦١.

(٢) انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٥٠، ومدارج السالكين ج٢ ص ٣٣٨، ٣٣٩.

(٣) منهاج السنة النبوية ج١ ص ٣١٥.

﴿ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1] أي لمن تاب .

وبأن لا تكون له حسنات تمحو ذنوبه فإن الحسنات يذهبن السيئات ، قال تعالى: ﴿... إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ... الآية﴾[2] .

وبأن لا يشاء الله أن يغفر له ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ... الآية﴾[3].

وعليه فإن مرتكب الكبيرة مما دون الشرك إذا لم يتب ولم تكن له حسنات تمحو سيئاته فإنه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه على قدر ذنبه ثم أخرجه من النار فلا يخلد فيها. فإن النار يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان[4] ، كما أخبر ﷺ[5].

وأما الكفار فقد أخبر سبحانه بأنه لا يغفر لمن مات على كفره . قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ... الآية﴾[6].

---

(١) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .

(٢) سورة هود ، الآية ١١٤ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

(٤) انظر: الفتاوى ج٨ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ج١١ ص ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، وشرح صحيح مسلم ج٢ ص ٩٧ .

(٥) انظر: جامع الأصول حديث ٨١١٦ .

(٦) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾(٢).

وقال شيخ الإسلام: (والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بالوعد والوعيد فكما أن ما توعد الله به العبد من العقاب، قد بين سبحانه أنه بشروط: بأن لا يتوب فإن تاب تاب الله عليه، وبأن لا تكون له حسنات تمحو ذنوبه فإن الحسنات يذهبن السيئات، وبأن لا يشاء الله أن يغفر له، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٣). ثم إن كان من أهل الكبائر فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، فإن ارتد عن الإسلام ومات مرتداً كان في النار... ومن مات على الإيمان فإنه لا يخلد في النار... بل لا بد أن يدخل الجنة فإن النار يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)(٤).

---

(١) سورة محمد، الآية ٣٤.

(٢) سورة ق، الآيات ٢٤، ٢٨، ٢٩.

(٣) سورة النساء، الآية ٤٨.

(٤) الفتاوى ج٨ ص ٢٧١.

وقال ابن القيم: (وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم أن إخلافه كرم وعفو وتجاوز يمدح الرب تبارك وتعالى به ويثنى عليه به فإنه حق له إن شاء تركه وإن شاء استوفاه . والكريم لا يستوفي حقه فكيف بأكرم الأكرمين؟)[1] .

وقال النووي: (وأما حكمه ﷺ على من مات مشركاً بدخول النار ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة ، فقد أجمع عليه المسلمون ، فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها)[2].

سابعاً : في القدر :

من أصول أهل السنة: الإيمان بالقدر خيره وشره .

وهو يتضمن: الإيمان بأن الله قد علم في الأزل كل ما سيكون ، وكتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد. وأنه خالق كل شيء . وأن العبد له قدرته ومشيئته وعمل وأنه مختار فيما يفعله ، والله خالقه وخالق قدرته ومشيئته وعمله واختياره . فعمل العبد فعل له حقيقة ومفعول لله تعالى فهو يضاف إلى العبد إضافة المسبب إلى السبب ويضاف على الله إضافة المخلوق إلى الخالق .

---

(١) حادي الأرواح ص ٣٠٨ .

(٢) شرح مسلم للنووي ، ج٢ ص ٩٧ .

خلافاً للقدرية الذين غلوا في إثبات قدرة العبد حتى جعلوا العباد خالقين مع الله .

وخلافاً للجبرية الذين غلوا في إثبات قدرة الله حتى نفوا قدرة العبد وفعله [1].

وأن الله أمر العباد بطاعته ونهاهم عن معصيته ولا يجوز لهم القعود عن الطاعة احتجاجاً بالقدر ، كما لا يجوز لهم الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية [2] .

قال شيخ الإسلام : (وتؤمن الفرقة الناجية -أهل السنة والجماعة- (بالقدر) خيره وشره والإيمان بالقدر على درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً ... ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق...

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن... لا يكون في ملكه إلا ما يريد ، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من

---

(١) انظر: الفتاوى ج٣ ص١٤٨-١٥٠ ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ج٨: ٤٨٧ ، ٤٨٨. وشفاء العليل ص ١٣١ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، وشرح الطحاوية ص ٤٩٣ ، ٤٩٤.

(٢) انظر: الفتاوى ج٣ ص ١٤٩ ، وأهل السنة والجماعة ص ٥٣ .

مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ، ولا رب سواه. ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته ... ونهاهم عن معصيته ... والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم... وللعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ... وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية ... ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته...)[1].

ثامناً : في الأولياء والكرامات :

ومن أصول أهل السنة أنهم لا يفضلون أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء. خلافاً لغلاة الصوفية ، بل يقولون نبي واحد أفضل من جميع الأولياء. ويصدقون بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات ، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها ، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة خلافاً للمعتزلة: فإنهم ينكرون كرامات الأولياء .

كما لا يرى أهل السنة كل خارقة كرامة ، ذلك أن الكرامة عندهم مختصة بأهل الاستقامة [2].

---

(١) الفتاوى ج٣ ص ١٤٨-١٥٠.

(٢) انظر: الفتاوى ج٣ ص ١٥٦ ، وشرح الطحاوية ص ٥٥٥-٥٥٨ ، ٥٦٢ وتيسير العزيز الحميد ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

تاسعاً : الوسيلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

من مذهب أهل السنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الاستطاعة. باليد من دون استعمال السيف ، فإن لم يستطع فباللسان ، فإن لم يستطع فبالقلب . وفق توجيهات المصطفى ﷺ ، حيث قال: « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** »(١).

خلافاً للمعتزلة الذين يبدأون باللسان ثم اليد ثم السيف (٢).

عاشراً: في لزوم الجماعة والطاعة :

من أصول أهل السنة لزوم الجماعة وطاعة ولاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية وترك قتالهم ما داموا مقيمين للصلاة ، وإقامة الحج والجمع والعيدين وغيرها من الصلوات خلفهم ، وجهاد الكفار معهم ، وإن كانوا جورة فجرة (٣).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان . انظر: صحيح مسلم ج١ ص ٣٢ .

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٨ ، وإعلام الموقعين ج٢ ص ١٧٦ ، والمقالات ج١ ص ٢٧٨ .

(٣) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٩٢ ، ٩٣ ، والعقيدة الواسطية ص ٣٠ ، وشرح الطحاوية ص ٤٢٨-٤٣٠ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٢٠ .

قال شيخ الإسلام: (ولهذا أمر النبي ﷺ بالصبر على جور الأئمة ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة..) ثم قال: (من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة)[1].

وقال أيضاً: (ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر..)[2].

وقال أيضاً – وهو يتكلم عن أهل السنة – (ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً ..)[3] .. خلافاً للمعتزلة حيث يرون قتال المخالف لهم سواء كان سلطاناً أو غيره[4].

الحادي عشر : أهل السنة مجمعون على قتال من خرج من أهل القبلة عن شريعة الإسلام وإن تكلم بالشهادتين وأدى بعض فرائض الإسلام [5].

قال شيخ الإسلام: (فثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة أنه يقاتل من خرج عن شريعة الإسلام وإن تكلم بالشهادتين)[6].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٢٠ .

(٢) الفتاوى ج ٢٨ ص ٥٠٦ .

(٣) الواسطية ص ٣٠ .

(٤) انظر: المقالات ج ١ ص ٢٧٤ .

(٥) الفتاوى ج ٢٨ ص ٣٥٧-٣٥٩ .

(٦) الفتاوى ج ٢٨ ص ٣٥٧، ٣٥٨ .

وعلى هذا مضى الصحابة في قتال المرتدين .

الثاني عشر: في الصحابة :

ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، فهم يحبونهم بعد محبة رسول الله ﷺ ، ويترضون عنهم ، ويرتبونهم في الفضل وفق ما جاء في النصوص ، فيفضلون من أنفق قبل الفتح – وهو صلح الحديبية – وقاتل على من أنفق بعده وقاتل. ويقدمون ، المهاجرين على الأنصار ونحو ذلك ، ويشهدون بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ وأن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة ، وأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي .

ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويستوصون بهم خيراً كما أمر رسول الله ﷺ من دون إفراط أو تفريط ، ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة .

ويتبرأون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل .

ويمسكون عما شجر بين الصحابة ، ويقولون هم معذورون لأنهم مجتهدون ، والمجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر . وهم مع

ذلك لا يعتقدون عصمتهم بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة .

وإذا صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه ، أو أتى بحسنات تمحوه ، أو غفر له بفضل سابقته ، أو بشفاعة محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين ، أضف إلى ذلك أن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر في جنب فضائل القوم و محاسنهم "[1].

* * *

---

(١) الفتاوى ج ٣ ص ١٥٢-١٥٦ (بتصرف) وانظر: عقيدة الحافظ عبدالغني الحنبلي ص ٤١ ، ٤٢ ، وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٨٣-٩٠ ، ٩٣.

المبحث الرابع

خصائص أهل السنة والجماعة

من خصائص أهل السنة ما يلي:

١- الالتزام بالكتاب وصحيح السنة في كل مسألة من مسائل العقيدة وعدم رد شيء منهما أو تحريفه أو تأويله . وتقديمها على العقل .

فالمصدر الوحيد للعقيدة – عندهم – إنما هو كتاب الله وما صح من السنة سواء كان متواتراً أو آحاداً . وما سواهما إن وافقهما أخذوا به مؤيداً . وإن خالفهما أو أحدهما ردوه على قائله كائناً من كان .

ذلك أن العقيدة الإسلامية غيبية فكل مصدر سوى الكتاب والسنة يمكن أن يخطئ ويصيب بخلاف الكتاب والسنة [1].

٢- التمسك بالإسلام المحض الذي بعث الله به رسوله ﷺ وحفظه عنه أصحابه [2] رضي الله عنهم ، إذ هم المتبعون للرسول ﷺ ظاهراً وباطناً ، وسبيل أصحابه من بعده .

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٦ ، والفتاوى ج٣ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٧٥ .

(٢) انظر: الفتاوى ج٣ ص ١٥٩ .

قال شيخ الإسلام: (وهذا « الصراط المستقيم » : هو دين الإسلام المحض وهو ما في كتاب الله تعالى ، وهو « السنة والجماعة » فإن السنة المحضة هي دين الإسلام المحض . فإن النبي ﷺ روي عنه من وجوه متعددة.. أنه قال: « **ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة** » . وفي رواية « **من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي** »[1])[2].

٣- عدم الابتداع في الدين: بل والتحذير من البدع وأهلها وإبعادهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم أو مجالستهم أو مجادلتهم أو عرض شبههم إلا على سبيل التفنيد لها – من عالم قادر – ذلك أن مجالستهم أو مجادلتهم أو عرض شبههم قد تكون سبباً لاستحسان شيء من أقوالهم أو أفعالهم ومن ثم الوقوع فيما وقعوا فيه من البدع [3].

٤- ليس لهم إمام يأخذون كلامه كله إلا رسول الله ﷺ ، أما ما سواه فيؤخذ من كلامه ما وافق الكتاب والسنة ويترك ما خالفهما أو أحدهما .

قال شيخ الإسلام: (فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) الفتاوى ج٣ ص ٣٦٩ – ٣٧٠ .

(٣) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص ١٠٠ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٥٦ (المدخل) وشرح السنة ج١ ص ٢٢٧ .

الله ﷺ .. فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ)[1].

وقال أيضاً: (وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ)[2].

وقال اللالكائي: (ثم كل من اعتقد مذهباً فإلى صاحب مقالته التي أحدثها ينتسب وإلى رأيه يستند إلا أصحاب الحديث فإن صاحب مقالتهم رسول الله ﷺ فهم إليه ينتسبون وإلى علمه يستندون وبه يستدلون ..)[3].

٥- أنهم أعلم الناس بأقوال الرسول ﷺ وأحواله ، لذلك كانوا أشد الناس حباً للسنة وأحرصهم على اتباعها وموالاة من والاها ومعاداة من عاداها .

قال شيخ الإسلام - وهو يتكلم عن أهل السنة -: (... وهم أعلم الناس بأقواله ﷺ وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها ، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعاً لها... وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها ...)[4].

---

(١) الفتاوى ج ٣ ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٢) الفتاوى ج ٣ ص ٣٤٧ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) الفتاوى ج ٣ ص ٣٤٧ .

٦- اتفاقهم في أمور العقيدة رغم اختلاف الزمان والمكان .

يصف قوام السنة إسماعيل بن محمد الأصبهاني هذا الأمر فيقول: (ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة... قديمهم وحديثهم ، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار،... وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها ، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد ، لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قل بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد ، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟)[1].

٧- الوسطية: وهي الاعتدال بين الإفراط والتفريط ، فلم يغلوا ولم يقصروا في أي مسألة من مسائل الدين وذلك لاعتصامهم بالكتاب والسنة واتباعهم طريق السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

قال شيخ الإسلام – بعد أن بين أن ملة الإسلام وسط بين الملل قال: (... وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق)[2].

---

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ج٢ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) الفتاوى ج٣ ص ٣٧٣ .

وقال أيضاً: (... وكذلك في سائر « أبواب السنة » هم وسط؛ لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان)[1].

ومن مظاهر [2] وسطيتهم ما يلي :

أ- وسط في باب الأسماء والصفات بين أهل التعطيل وأهل التمثيل ، فلم ينفوا الأسماء والصفات ولم يشبهوا الله بالمخلوقات بل قالوا: لله أسماء وصفات على ما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3].

ب- وسط في باب القدر بين القدرية الذين لا يؤمنون بقدرة الله الكاملة ومشيئته الشاملة ، فالله تعالى غير خالق لأفعال العباد وإنما العباد هم المحدثون لأفعالهم [4]. **وبين الجبرية** الذين يزعمون أن العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فلا فعل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأفعال إلى العباد مجازاً [5] ، فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير وأنه ما شاء الله

---

(١) الفتاوى ج٣ ص ٣٧٥ .

(٢) الفتاوى ج٣ ص ٣٧٣-٣٧٥ ، بتصرف . وشرح الطحاوية ص ٥٢٨ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ .

(٣) سورة الشورى ، الآية ١١ .

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٣٢٣ والفرق بين الفرق ص ١٠٤ .

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص ١٨٦ ، والملل والنحل ج١ ص ١١٠ ، ١١١ .

كان وما لم يشأ لم يكن ، ويؤمنون بأن العبد له قدرة ومشيئة وعمل ، وأنه مختار فيما يفعله لكن قدرة الخالق فوق قدرة المخلوق ، ذلك أن الله هو الذي خلق العبد وخلق قدرته ومشيئته وعمله واختياره ، فعمل العبد فعل له حقيقة ومفعول لله تعالى فهو يضاف إلى العبد إضافة المسبب إلى السبب ويضاف إلى الله إضافة المخلوق إلى الخالق [1].

ج- وسط في الأسماء والأحكام والوعد والوعيد: بين الوعيدية [2] والمرجئة .

أولاً: في الأسماء والأحكام. والمراد بها أسماء الدين مثل - مسلم ، مؤمن ، كافر ، فاسق - وأحكام أصحابه في الدنيا والآخرة [3].

فالخوارج والمعتزلة قالوا: لا يسمى مؤمناً إلا من فعل كل مأمور وترك كل محظور؛ إذ الإيمان عندهم لا يتجزأ ، فمتى ذهب بعضه بارتكاب شيء من المنهيات ذهب كله. ولهذا قالوا بسلب اسم الإيمان عن مرتكب الكبيرة. لكنهم اختلفوا: فالخوارج سموه كافراً وحكمه حكم الكافر في الدنيا .

والمعتزلة قالوا: لا نسميه مؤمناً ولا كافراً وإنما هو في منزلة بين المنزلتين . وحكمه في الدنيا حكم باقي المسلمين في حرمة الدم والمال

---

(١) انظر: الفتاوى ج٣ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ج٨ ص ١١٧ ، ١١٨ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨.

(٢) الوعيدية: هم الخوارج والمعتزلة ومن قال بقولهم .

(٣) انظر: الفتاوى ج١٣ ص ٣٨ .

والعرض والتوارث ونحو ذلك. أما في الآخرة ، فاتفق الخوارج والمعتزلة على أن من مات على كبيرة ولم يتب منها أنه مخلد في النار .

أما المرجئة: فقالوا مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان وارتكاب الكبائر لا يؤثر فيه؛ إذ الأعمال – عندهم – لا تدخل في الإيمان . وفي الآخرة من أهل الجنة إذا مات موحداً ولذا قالت المرجئة الخالصة (لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة).

أما أهل السنة : فتوسطوا ؛ حيث قالوا : مرتكب الكبيرة مما دون الشرك مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته – فلا يعطى الاسم على الإطلاق ولا يسلبه على الإطلاق . وأما حكمه في الآخرة فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه على قدر ذنبه ثم أخرجه من النار فلا يخلد فيها [1].

ثانياً: في الوعد والوعيد. والمراد بها نصوص الوعد والوعيد .

فالخوارج والمعتزلة غلوا في نصوص الوعيد؛ حيث قالوا يجب على الله عقلاً أن يعذب العاصي كما يجب عليه أن يثيب المطيع – فمن مات على كبيرة ولم يتب منها فلا يجوز عندهم أن يغفر الله له .

---

(١) انظر: الفتاوى ج٧ ص٦٧٣-٦٧٩ ، ج١٣ ص٣٨ . وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٦ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، وسطية أهل السنة ص ٣٣٥-٣٣٩ ، ٣٤١-٣٤٤ ، والمعتزلة ص ٢٦٣ .

والمرجئة غلوا في نصوص الوعد وأغفلوا نصوص الوعيد. فقالوا كل ذنب سوى الشرك فهو مغفور ، أخذاً بنصوص الوعد مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] ، ولذا قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

أما أهل السنة : فتوسطوا ؛حيث جمعوا بين نصوص الوعد والوعيد بدون إفراط أو تفريط . فقالوا في الوعيد: إذا لم يتب المذنب ولم تكن له حسنات تمحو سيئاته فإنه تحت مشيئة الله . وعليه فإنه يجوز أن يعفو الله عن المذنب فلا يدخله النار ومن دخلها من أهل الكبائر مما دون الشرك فلا بد أن يخرج منها بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين .

وقالوا في الوعد: إن الله إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه واجباً عليه بحكم وعده لا بحكم الاستحقاق، فإن العبد لا يستحق بنفسه على الله شيئاً.

وعليه فإن الله لابد أن يثيب أهل طاعته لكن لا يلزم منه مغفرة كل ذنب سوى الشرك كما قالت المرجئة [2].

---

(١) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

(٢) انظر: المعتزلة ص ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٣٤. ومنهاج السنة ج١ ص ٣١٥ ، ٣٢٨ . ومدارج السالكين ج١ ص ٣٩٦ . وشرح الأصول الخمسة ص ١٣٥ ، ١٣٦. وعقيدة أهل السنة ص ٥٥ .

د- وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الخوارج والرافضة .

فالخوارج : نظراً لأنهم يكفرون بالذنوب وقد يعدون ما ليس بذنب ذنباً ، لذا كفروا علياً رضي الله عنه وطائفة كبيرة من الصحابة واستحلوا دماءهم؛ لأنهم رضوا بالتحكيم الذي كان بين علي ومعاوية إذ هو – عند الخوارج – ذنب يوجب كفر كل من رضي به .

والرافضة : غلوا في علي وأهل بيته . ففضلوه على أبي بكر وعمر وسائر الصحابة . وقالوا بعصمته وأبنائه من بعده ، بل زعموا أنهم يعلمون الغيب ، وبعض فرقهم فضلت الأئمة على الأنبياء والملائكة ، وبعضهم قالوا بألوهية علي رضي الله عنه . ومن آثار هذا الغلو سبهم لكثير من الصحابة وتبرؤهم منهم ، بل تكفيرهم لبعضهم كأبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم .

أما أهل السنة فقد توسطوا فلم يكفروا أحداً من الصحابة أو يتبرأوا من أحد منهم بل ترضوا عن جميع الصحابة وأنزلوهم منازلهم التي يستحقونها واعتقدوا أنهم خير خلق الله بعد الأنبياء وأن خيرهم الخلفاء الأربعة ، ولم يغلوا في علي أو غيره أو يعتقدوا العصمة لأحد من الصحابة [1].

٨- لا يكفر بعضهم بعضاً لعدم وجود ما يوجب ذلك ، إذ الحق يجمعهم

---

(١) انظر: شرح الواسطية للرشيد ص ٢٠٢-٢٠٤ . ووسطية أهل السنة ص٣٩٩ ، ٤٠٦، ٤٠٧-٤٢٥ .

ومصدر عقيدتهم الكتاب وصحيح السنة وليس فيهما تناقض حتى يحصل الاختلاف المؤدي إلى التكفير .

أضف إلى ذلك أنهم القائمون بالحق والله تعالى يحفظ الحق وأهله بخلاف من سواهم من المبتدعة الذين يكثر فيهم الاختلاف المؤدي إلى التكفير؛ لأن مصدر العقيدة عندهم ليس محصوراً في الكتاب والسنة .

قال البغدادي: (أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضاً ، وليس بينهم خلاف يوجب التبري والتكفير ، فهم إذن أهل الجماعة القائمون بالحق والله تعالى يحفظ الحق وأهله فلا يقعون في تنابذ وتناقض وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض ، وتبري بعضهم من بعض كالخوارج ، والروافض ، والقدرية ، حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضاً)[1].

٩- أنهم لا يتسمون بغير الإسلام والسنة والجماعة .

نقل القاضي عياض عن الإمام مالك. قال: (وسأل رجل مالكاً : من أهل السنة يا أبا عبدالله ؟ قال: الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا رافضي ولا قدري)[2].

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣١٢ .

(٢) ترتيب المدارك ج١ ص ١٧٢ .

وقال ابن القيم: (وقد سئل بعض الأئمة عن السنة ؟ فقال: ما لا اسـم لـه سوى (السنة) يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها)[١] .

وقد يتسمون بأسماء أخرى لكن يراد بها أهل السنة. إما باسم مرادف لأهل السنة كأن يقول من أهل الحديث من الجماعة ونحو ذلك .

أو باسم علم من أعلام أهل السنة المشهورين – وذلك كناية عن التزامه بالسنة – مثل أن يقول: من أصحاب الإمام أحمد ، أو قائل بما قال الإمام أحمد ونحو ذلك .

١٠ – أنهم الغرباء حين يفسد الناس .

لأنهم فرقة بين فرق كثيرة . قال ﷺ : « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء** »[٢].

وفي رواية « **فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس... الحديث** »[٣].

وفي رواية لابن وهب: قال عليه الصلاة والسلام: « **طوبى للغرباء الذين**

---

(١) مدارج السالكين ج٣ ص ١٧٦ .

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً . وانظر: جامع الأصول حديث ٦٢ .

(٣) أورده الشاطبي في الاعتصام ج١ ص ٢١ ، والهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح انظر: مجمع الزوائد ج٧ ص ٢٨٠ .

يمسكون بكتاب الله حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفى»[1].

وفي رواية «**طوبى للغرباء، أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**»[2].

وقال سفيان الثوري: «استوصوا بأهل السنة خيراً، فإنهم غرباء»[3].

١١ - أنهم الفرقة الناجية التي تنجو من عذاب الله يوم القيامة والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة[4].

قال ﷺ: «**وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي**»[5]. وهذه الصفة إنما تنطبق على أهل السنة فهي الفرقة الوحيدة

---

(١) أخرجه من طريقه ابن وضاح في البدع والنهي عنها: ص ٦٥ عن عقبة بن نافع عن بكر بن عمرو المعافري قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره، وأورده الشاطبي في الاعتصام ج١ ص ٢١.

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧ ص ٢٨١، وقال رواه أحمد والطبراني في الأوسط. وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٣٨١٦، وقال: حديث صحيح.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٦٤.

(٤) انظر: الفتاوى ج٣ ص١٢٩، ١٤٨، ١٥٩، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص٢٤.

(٥) سبق تخريجه.

التي التزمت بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه . قال الإمام أحمد بعد أن ذكر حديث الافتراق: « إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم»[١] .

وقال ﷺ : «... **لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة** »[٢].

قال شيخ الإسلام: «... وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ : **لا تزال طائفة من أمتي...الحديث** »[٣].

١٢- تعظيم الأمة لهم ويظهر ذلك بمحبتهم في الحياة والحزن عليهم بعد الوفاة .

قال سفيان الثوري: (إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب فابعث إليهما بالسلام وادع لهما، ما أقل أهل السنة والجماعة)[٤].

وقال أيوب السختياني: (إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة وكأني أفقد بعض أعضائي)[٥].

وقال شيخ الإسلام: (فأما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في

---

(١) شرح صحيح مسلم ج١٣ ص ٦٧ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) الفتاوى ج٣ ص ١٥٩ .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٦٤ .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٦٠ .

الأرض فهذا أمر ظاهر معلوم بالحس والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين لا تجد في الأمة عظم أحد تعظيماً أعظم مما عظموا به . ولا تجد غيرهم يعظم إلا بقدر ما وافقهم فيه ، كما لا ينقص إلا بقدر ما خالفهم . حتى إنك تجد المخالفين لهم كلهم وقت الحقيقة يقر بذلك كما قال الإمام أحمد: (آية ما بيننا وبينهم يوم الجنائز). فإن الحياة بسبب اشتراك الناس في المعاش يعظم الرجل طائفته ، فأما وقت الموت فلا بد من الاعتراف بالحق من عموم الخلق ، ولهذا لم يعرف في الإسلام مثل جنازته ، مسح المتوكل موضع الصلاة عليه فوجد ألف ألف وستمائة ألف ، سوى من صلى في الخانات والبيوت... وهو إنما نبل عند الأمة باتباع الحديث والسنة. وكذلك الشافعي وإسحاق وغيرهما ، إنما نبلوا في الإسلام باتباع أهل الحديث والسنة...)»[1].

من كلام شيخ الإسلام اتضح أن التقدير العادل من الأمة للعلماء بقدر موافقتهم للسنة ولذلك نال أهل السنة أكبر تقدير بسبب موافقتهم لها .

١٣- الاستمرارية: أي أن أهل السنة والجماعة مستمر وجودها من لدن الرسول ﷺ إلى قيام الساعة .

قال تعالى : ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

---

(١) الفتاوى ج٤ ص ١٠ - ١١ .

ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ... الآية ﴾[١] .

ففي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ إشارة إلى تاريخ بدء هذه الجماعة .

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ إشارة إلى استمرارية هذا الوجود وأن قوام هذا الاستمرار هو الاتباع .

وقال ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك** »[٢].

ففي قوله ﷺ : « **لا تزال** » دلالة واضحة على صفة الاستمرارية لأهل السنة .

وقال شيخ الإسلام: « لكن أهل السنة يبقون ويبقى ذكرهم وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم »[٣][٤].

وقال اللالكائي: (ولم يزل من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا قوم

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٠ .

(٢) رواه مسلم في الإمارة باب قول النبي ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق** » . وانظر: جامع الأصول حديث ٦٧٧٦ (المتن والحاشية) .

(٣) الفتاوى ج٢٨ ص ٣٨ .

(٤) انظر: صفات الطائفة المنصورة ص ١٣-١٦ .

يحفظون هذه الطريقة ويتدينون بها ، وإنما هلك من حاد عن هذه الطريقة لجهله طرق الاتباع)[1] .

وهذه الصفة من أبرز الصفات التي تميز أهل السنة عمن سواهم ، ذلك أن أي فرقة أخرى تفقد هذه الصفة ، لأنها محدثة. وكل محدث غير موجود في عهد الرسول ﷺ .

وأهل السنة إنما نالوا هذه الصفة بالاتباع على الحق . وما سواهم يفقد هذا الشرط وعليه فلن يستمروا مثل أهل السنة .

١٤- ثباتهم على الحق وعدم تقلبهم كما هي عادة أهل الأهواء ، وذلك لما لديهم من اليقين بأن ما هم عليه هو الحق . كما أنهم أعظم الناس صبراً على أقوالهم ومعتقداتهم؛ لأنها حق والحق إذا خالطت بشاشته القلوب لا تسخطه ، ومن الأدلة على ذلك : موقف الإمام أحمد من المعتزلة القائلين بخلق القرآن ، فلقد عذب بأنواع العذاب ليرجع عن السنة ويوافقهم على البدعة فما رجع ، ومثله شيخ الإسلام ابن تيمية عذب وسجن وغرب فما رجع عن السنة و محاربة البدعة وغيرهما الكثير .

قال شيخ الإسلام : «... وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده بل هم أعظم الناس

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٢٧ .

صبراً على ذلك وإن امتحنوا بأنواع المحن...وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم ، وكسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة حتى كان مالك رحمه الله يقول: « لا تغبطوا أحداً لم يصبه في هذا الأمر بلاء » ... ومن صبر من أهل الأهواء على قوله فذلك لما فيه من الحق إذ لا بد في كل بدعة – عليها طائفة كبيرة – من الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ... ما يوجب قبولها ، إذ الباطل المحض لا يقبل بحال . وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف مما هو عند أهل الكلام والفلسفة... »[1] .

١٥- تورعهم في الفتوى[2] اقتداءً بالصحابة وإيثاراً للسلامة ، وخوفاً من القول على الله بلا علم .

قال ابن رجب رحمه الله: (ومن هذا القبيل كراهة السلف الصالح الجرأة على الفتيا والحرص عليها والمسارعة إليها والإكثار منها ....

قال علقمة : كانوا يقولون أجرؤكم على فتيا أقلكم علماً .

وعن البراء قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة ما منهم من رجل إلا ود أن أخاه كفاه...

وسئل عمر بن عبدالعزيز عن مسألة فقال: ما أنا على الفتيا بجريء ...

---

(١) الفتاوى ج٤ ص ٥٠ – ٥١ .

(٢) خصائص أهل السنة ص ٨٥ .

وقال سفيان الثوري: أدركنا الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بُداً من أن يفتوا وإذا أعفوا منها كان أحب إليهم...)[1].

١٦- الأمانة العلمية [2].

ومن مظاهر ذلك أمانتهم في النقل ابتداء من الكتاب والسنة وانتهاء بأقوال العلماء وذلك لما يلي :

١- شدة ورعهم وخوفهم من الله فلا يتجرؤون على شيء من ذلك خوفاً من الله ورجاء له .

٢- أنه لا حاجة تضطرهم إلى شيء من ذلك .

وبيان ذلك: أن الكتاب والسنة مصدر عقيدتهم فهم حريصون على وصوله إلى المجتمع المسلم بدون زيادة أو نقص لتصل العقيدة الإسلامية سليمة ، وأما أقوال العلماء: فإن وافقت الكتاب والسنة أخذوا بها مؤيدة وإن خالفت ردوها على قائلها كائناً من كان . وإن كان فيها حق وباطل أخذوا بالحق وردوا الباطل بالأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة . ولم يحتاجوا في كل الحالات الثلاث إلى زيادة أو نقص ، لما ذكرت نراهم في القمة في هذه الصفة .

---

(١) شرح حديث ما ذئبان جائعان ص٥٥- ٥٧ (بتصرف) . وانظر سنن الدارمي ج١ص٤٩ .

(٢) انظر: عقيدة أهل السنة ص٥٣، وتحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء ص٥-٧.

أما المبتدعة فلكون بدعهم استنبطوها من أدلة عقلية ، أو من أو أقوال أئمتهم فلا بد أن يوجد في الكتاب والسنة وأقوال العلماء ما يخالفها فيحتاجون إلى التحريف وإلى الزيادة والنقص . فنراهم في الكتاب يحرفون لفظه أو معناه .

وإذا لم يستطيعوا قالوا متشابه . وبذلك تخلصوا من دلالته . وأما السنة فإن وافقت أهواءهم أخذوا بها وإن خالفت حرفوا فيها وإذا لم يستطيعوا طعنوا في صحتها .

أما ما سواهما من أقوال الأئمة فيأخذون ما يوافق أهواءهم وإن لم توافق زادوا فيها ونقصوا لتؤيد بدعهم ، وإذا لم يستطيعوا تركوها . وبذلك قلت الأمانة العلمية عندهم .

يقول ابن سيرين: « لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم »[1].

وقال علي بن حرب: (من قدر أن لا يكتب الحديث إلا عن صاحب سنة، فإنهم يكذبون كل صاحب هوى يكذب ولا يبالي)[2].

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة باب الإسناد من الدين ، والترمذي في كتاب العلل . انظر: شرح علل الترمذي ج١ ص ٥١ (المتن) .

(٢) شرح علل الترمذي ج١ ص ٥٤ .

١٧- ترك الخصام والجدال والمراء في الدين ومجانبة أهله .

ذلك أنه مدعاة للفرقة واتباع الهوى والقول على الله بغير علم [١].

أخرج اللالكائي بسنده عن عمرو بن قيس قال: قلت للحكم – يعني ابن عتبة – : ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها ؟ قال : الخصومات [٢].

وقال ابن رجب: (ومما أنكره أئمة السلف الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضاً ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام وإنما أحدث ذلك بعدهم.. وقد أنكر ذلك السلف...) [٣].

وقال الإمام الطحاوي: (... ولا نماري في دين الله...) [٤].

وقال الآجري – بعد أن ذكر بعض الأدلة في النهي عن الجدال والخصام في الدين – قال: (لما سمع هذا أهل العلم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين لم يتماروا في الدين.. وحذروا المسلمين المراء والجدال... وهذا طريق أهل الحق ممن وفقه الله عز وجل) [٥].

---

(١) عقيدة أهل السنة ص ٧٢ ، وخصائص أهل السنة ص ٧٦ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ١٢٨ .

(٣) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب ص ٣١ – ٣٢ .

(٤) شرح الطحاوية ص ٣٥١ .

(٥) الشريعة للأجري ص ٥٥ – ٥٦ .

١٨- أنهم خيار الأمة الذين يدعون إلى إحياء السنة وإماتة البدعة .

يقول الفضيل بن عياض : (أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة وينهون عن أصحاب البدع)(١).

وقال أيضاً: (إن لله عباداً يحيي بهم البلاد وهم أصحاب السنة...)(٢).

وقيل لأبي بكر بن عياش: من السني ؟ قال: الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها (٣).

ولو نظرنا إلى المجددين في تاريخ الإسلام الذين دعوا إلى إحياء السنة وإماتة البدع لوجدنا أنهم من أهل السنة كعمر بن عبدالعزيز والأئمة الأربعة وشيخ الإسلام ابن تيمية و محمد بن عبدالوهاب وغيرهم من أهل العلم والإيمان (٤).

١٩- محبتهم للسلف الصالح وتعظيمهم لهم والاقتداء بهديهم ، إذ يرون أن طريقتهم أسلم وأعلم وأحكم (٥). وهذا إضافة إلى أنه خصيصة فإنه

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ١٣٨ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٦٥ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٦٥ .

(٤) انظر: عقيدة أهل السنة ص ٨٤ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٦٢-٦٥ .

(٥) حكم مخالفة أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد ص ٣٦ ، وعقيدة أهل السنة ص ٤٦ .

من الدلائل الظاهرة التي تميزهم عن غيرهم من المبتدعة.

قال الإمام الصابوني: (أخبرنا الحاكم أبو عبدالله حدثنا محمد بن إبراهيم المزكي حدثنا أحمد بن سلمة قال: قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب الإيمان له فكان في آخره: فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وشعبة ، وابن المبارك... فاعلم أنه صاحب سنة...)[1].

وقال الإمام الطحاوي: (... وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين... لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل)[2].

٢٠- أن أهل الصلاح والاستقامة والمجاهدين في سبيل الله في أهل السنة أكثر من غيرهم .

قال اللالكائي: (وهم أصحاب الجمعات والجماعات والمساجد. والحج والجهاد وباذلو المعروف.. وحماة الثغور والقناطر الذين جاهدوا في الله حق جهاده واتبعوا رسوله على منهاجه..)[3].

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ١٠٩ .

(٢) شرح الطحاوية ص ٥٥٤ (المتن) .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج ١ ص ٢٥ .

وقال شيخ الإسلام: (ولهذا كثر فيكم من أهل الصلاح والدين وأهل القتال المجاهدين ما لا يوجد مثله في طوائف المبتدعين)[١].

٢١- الجمع بين العلم والعبادة، وبين التوكل على الله والأخذ بالأسباب، وبين التوسع في الدنيا والزهد فيها، وبين الخوف والمحبة والرجاء، وبين الرحمة والشدة، وبين العقل والعاطفة.

فلم ينشغلوا بالعلم عن العبادة كحال المتكلمين ونحوهم. أو بالعبادة عن العلم كحال الصوفية[٢]، ولم يركنوا إلى الأسباب ويتركوا التوكل على الله؛ إذ هو شرك، أو يتركوا الأخذ بالأسباب ظناً منهم أنها تنافي التوكل كحال بعض الفرق[٣]. إذ هو منافٍ للشرع[٤].

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ...الآية﴾[٥]. وقال ﷺ لرجل قال له: أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: (**اعقلها وتوكل**)[٦]. فأمره

---

(١) الفتاوى ج٣ ص ٣٧٦.

(٢) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٣) كالصوفية.

(٤) انظر: الجواب الكافي ص ١٤، ١٥ وشرح الطحاوية ص ٥٢٠.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٦) أخرجه الترمذي في صفة القيامة باب ٦١ وهو حديث حسن بشواهده، انظر: جامع الأصول حديث ٩٥٠٥ (المتن والحاشية).

ببذل السبب مع التوكل على الله .

ولم ينكروا على من سعى لكسب المال الحلال بالطرق المشروعة سواء كان كثيراً أو قليلاً ، وجعله في يده لا في قلبه يستعين بالله ثم به ويعين على نوائب الحق ، بل يرون أنه ينبغي للإنسان أن يكفي نفسه ومن يعول وأن لا يكون عالة على غيره؛ لأنهم يرون أن الزهد إنما هو زهد القلب – وهذا الزهد لا ينافي الكسب سواء كان كثيراً أو قليلاً ، بخلاف غيرهم ممن انشغل بالدنيا ولم يبال من أي طريق اكتسبها فهي شغله الشاغل وأساس علاقته بالقريب والبعيد. أو عاش عالة على المجتمع ظناً منه أن الاشتغال بطلب الرزق الحلال ينافي الزهد كحال المتأكلين من الصوفية ونحوهم [1].

كما أن أهل السنة جمعوا بين الخوف والرجاء والمحبة فلم يغلوا بواحد منها على حساب الآخر. بخلاف من سواهم من المبتدعة .

فمثلاً: الخوارج غلّبوا جانب الخوف ، حتى كفّروا أصحاب الكبائر .

والمرجئة: غلبوا جانب الرجاء ، حتى أقدموا على فعل الكبائر .

والصوفية: غلبوا جانب الحب ، حتى تزندقوا وقالوا بالحلول والاتحاد .

قال بعض السلف: (من عبدالله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ، ومن

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد)[1].

كما جمع أهل السنة بين الرحمة والشدة؛ اقتداء بالسلف من الصحابة وغيرهم . قال تعالى في وصف الصحابة رضي الله عنهم : ﴿... أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ... الآية ﴾[2] .

وجمع أهل السنة بين العقل والعاطفة على أكمل وجه ، فلم يغلبوا جانب العقل كحال المتكلمين من المعتزلة وغيرهم حتى قدموه على النقل . ولم يغلبوا جانب العاطفة كالرافضة الذين قادتهم عاطفة الحب لآل البيت إلى أن عبدوهم .

أو الخوارج الذين قادتهم عاطفة الكره لمرتكب الخطايا – في نظرهم – إلى أن كفروا علياً ومعاوية ومن معهما من الصحابة .

فأهل السنة مع أن عواطفهم قوية إلا أنها تضبط بالعقل وذلك العقل يضبط بالشرع .

فمثلاً محبتهم لرسول الله ﷺ أو غيره من الصحابة والتابعين لم تجعلهم يرفعونهم عن منزلتهم التي نزلهم الله إياها ، وبغضهم للكفار والمبتدعة لم يكن دافعاً لظلمهم والتقول عليهم[3].

---

(١) العبودية لابن تيمية ص ١٢٨ .

(٢) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .

(٣) انظر : عقيدة أهل السنة ص ٤٦-٥٣ .

الخاتمة

بسم الله بدأنا وبحمده والشكر له ختمنا، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: إنه من خلال كتابتي لهذا البحث المتواضع توصلت إلى نتائج هامة منها ما يلي:

الأولى: أن الله سبحانه وتعالى أمر في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بالسنة والجماعة وحذر من البدعة والفرقة.

الثانية: أن هذه الأمة اختلفت كغيرها من الأمم السابقة وأن اختلافهم سيصل إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. وهي من كان على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

الثالثة: أن أهل السنة والجماعة: هم المتمسكون بالإسلام المحض الخالص من كل شائبة.

الرابعة: أن مذهب أهل السنة هو مذهب الصحابة الذي تلقوه عن نبيهم ﷺ

الخامسة: أن مصطلح أهل السنة اشتهر إطلاقه في أواخر عهد الصحابة على من التزم طريقة الرسول ﷺ وأصحابه.

السادسة: أن لأهل السنة والجماعة أسماء مرضية مثل أهل السنة

والجماعة ، وأهل السنة ، والجماعة ، وأهل الجماعة ، والسلف ، والسلفيين ، وأهل الحديث ، وأهل الأثر ، والطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية ، وأهل الاتباع ، وأهل الحق .

كما أن لهم أسماء غير مرضية نبزهم بها خصومهم إما لقولهم بسنة لا يراها المبتدع ، وإما بدافع العداء و محاولة تنفير الناس منهم ولم يلحقهم منها شيء وذلك فضل من الله ومنة .

السابعة: أن منهج أهل السنة في تقرير العقيدة الإسلامية يقوم على أسس منها:

١- الاقتصار على الكتاب والسنة الصحيحة ، أما الإجماع المعتبر عندهم في تقرير العقيدة فإنما هو إجماع مبني على الكتاب والسنة أو أحدهما ، والعقل والفطرة يؤخذ بهما مؤيدان بشرط موافقتهما الكتاب والسنة الصحيحة .

٢- تقديم النقل على العقل .

٣- عدم رد شيء من الكتاب والسنة الصحيحة ولو كانت آحاداً أو تحريفه أو تأويله .

٤- الالتزام بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والأخذ بما ورد عنهم في بيان القضايا الإسلامية عامة ، و في قضايا العقيدة خاصة وتقديمها على أقوال من بعدهم .

٥- عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مما لا مجال للعقل فيه من الأمور الغيبية .

٦- الاهتمام بالغاية التي خلق الخلق لها وهي إقامة العباد على منهج العبودية الحقة لله رب العالمين .

٧- الاتباع وترك الابتداع .

٨- الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم .

الثامنة: أن أهل السنة دونوا المؤلفات الكثيرة في تقرير العقيدة الصحيحة والرد على المنحرفين عنها – في بعضها: اقتصروا على عرض العقيدة الصحيحة ، وفي بعضها على الرد على المنحرفين عنها ، وفي بعضها جمعوا بين المنهجين – وقد ركزوا على الأصول التي خالف فيها المبتدعة .

التاسعة: أن أئمة أهل السنة وضعوا ضوابط في بعض مسائل العقيدة التي خالف فيها المبتدعة لتمييز المعتقد الصحيح من غيره. أطلق عليها أصول أهل السنة ، منها :

١ ، ٢- أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٣- أن من الإيمان بالله إثبات كل ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته وتنزيهه عن العيوب والنقائص إثباتاً بلا تشبيه أو تكييف وتنزيهاً بلا تحريف أو تعطيل – كما قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١).

٤- أن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد وأنه تعالى يتكلم متى شاء وكيف شاء وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق .

٥- الإيمان بأن المؤمنين يرونه تعالى يوم القيامة عياناً بأبصارهم يرونه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخولهم الجنة كما يشاء سبحانه . أما في الحياة الدنيا فإنه لا يراه أحد سبحانه وتعالى لا نبي ولا غيره .

٦- أن من الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بمقدمات الساعة الصغرى والكبرى وبكل ما أخبر به ﷺ مما يكون بعد الموت حتى استقرار الإنسان في الجنة أو في النار .

٧- الإيمان بالوعد والوعيد . وأن الله إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه واجباً عليه بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق .

وأما الوعيد: فإن كان لمرتكب كبيرة مما دون الشرك ولم يتب صاحبه ، ولم تكن له حسنات تمحو سيئاته ، فإنه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه على قدر ذنبه ثم أخرجه من النار فلا يخلد فيها .

وإن كان الوعيد لكافر: فإنه على عمومه يدخل النار ويخلد فيها .

٨- أن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأن الله قد علم في الأزل كل ما

---

(١) سورة الشورى ، الآية ١١ .

سيكون ، وكتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه خالق كل شيء ، وأن العبد له قدرة ومشيئة وعمل واختيار ، والله خالقه وخالق قدرته ومشيئته وعمله واختياره . وأن الله أمر العباد بالطاعة ونهاهم عن المعصية ولا يجوز لهم القعود عن الطاعة احتجاجاً بالقدر ، كما لا يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية .

٩- أنه لا يفضل أحد من الأولياء على أحد من الأنبياء ، والتصديق بكراماتهم ، وعدم اعتبار كل خارقة كرامة .

١٠- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - حسب الاستطاعة - باليد من دون استعمال السيف ، فإن لم يستطع فباللسان ، فإن لم يستطع فبالقلب كما أمر ﷺ .

١١- لزوم الجماعة ، وطاعة ولاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية ، وترك قتالهم ما داموا مقيمين للصلاة .

١٢- قتال من خرج من أهل القبلة عن شريعة الإسلام وإن تكلم بالشهادتين وأدى بعض فرائض الإسلام .

١٣- محبة أصحاب رسول الله ﷺ وترتيبهم في الفضل وفق ما جاء في النصوص ، ومحبة أهل بيت رسول الله والاستيصاء بهم خيراً - من دون إفراط أو تفريط - والإمساك عما حصل بين الصحابة ، والقول بأنهم معذورون؛ لأنهم مجتهدون .

العاشرة: أن لأهل السنة خصائص كثيرة منها ما يلي :

١- الالتزام بالكتاب وصحيح السنة في كل مسألة من مسائل العقيدة وعدم رد شيء منها أو تحريفه أو تأويله وتقديمهما على العقل .

٢- التمسك بالإسلام المحض .

٣- عدم الابتداع في الدين ، والتحذير من البدع وأهلها .

٤- ليس لهم إمام يؤخذ كلامه كله إلا رسول الله ﷺ وأما ما سواه فيؤخذ منه ما وافق الكتاب والسنة ويترك ما خالفهما أو أحدهما .

٥- أنهم أعلم الناس بأقوال الرسول ﷺ وأحواله .

٦- اتفاقهم في أمور العقيدة رغم اختلاف الزمان والمكان .

٧- الوسطية في جميع مسائل الدين الإسلامي ومن ذلك وسطيتهم في الأسماء والصفات بين أهل التعطيل وأهل التمثيل ، وفي القدر بين الجبرية والقدرية ، وفي الأسماء والأحكام والوعد والوعيد بين الوعيدية والمرجئة . وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الغالية والجافية .

٨- لا يكفِّر بعضهم بعضاً .

٩- لا يتسمون بغير الإسلام والسنة والجماعة .

١٠- أنهم الغرباء حين يفسد الناس .

١١- أنهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة .

١٢- تعظيم الأمة لهم .

١٣- الاستمرارية .

١٤- ثباتهم على الحق كما أنهم أعظم الناس صبراً على أقوالهم ومعتقداتهم .

١٥- تورعهم في الفتوى .

١٦- الأمانة العلمية .

١٧- ترك الخصام والجدال والمراء في الدين ومجانبة أهله .

١٨- أنهم خيار الأمة الذين يدعون إلى إحياء السنة وإماتة البدعة .

١٩- محبتهم للسلف وتعظيمهم والاقتداء بهديهم .

٢٠- أن أهل الصلاح والاستقامة والمجاهدين في سبيل الله فيهم أكثر من غيرهم .

٢١- الجمع بين العلم والعبادة ، وبين التوكل على الله والأخذ بالأسباب، وبين التوسع في الدنيا والزهد فيها ، وبين الخوف والمحبة والرجاء ، وبين الرحمة والشدة ، وبين العقل والعاطفة .

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فهرس المراجع

١ . اجتماع الجيوش الإسلامية مع بيان موقف ابن القيم من بعض الفرق – إعداد وتحقيق د. عواد عبد الله المعتق ط الأولى ١٤٠٨هـ مطبعة الفرزدق التجارية بالرياض .

٢ . الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان – ط الثانية ١٤١٦ هـ دار ابن الجوزي .

٣ . الاعتصام إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي ط الرابعة ١٤١٦ هـ دار ابن عفان الخبر .

٤ . أعلام الموقين عن رب العالمين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية – ط ١٣٨٨ هـ الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية .

٥ . الأعلام – خير الدين الزركلي ط الثالثة ١٣٨٩ هـ – بيروت لبنان .

٦ . إلجام العوام عن علم الكلام – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، ط الأولى ١٤٠٦ هـ ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

٧ . الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للحافظ : جلال الدين السيوطي ط الثانية ١٤١٦ هـ دار ابن القيم الدمام .

٨ . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – لابن تيمية – دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧٦ م .

٩ . أهل السنة والجماعة : عمر سليمان الأشقر ط الأولى ١٤١٣ هـ دار النفائس

الأردن عمان .

١٠ . أهل السنة والجماعة : محمد عبد الهادي المصري الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض .

١١ . البدع والنهي عنها – محمد بن وضاح القرطبي الأندلسي ط ١٣٤٩ هـ مطبعة الاعتدال بدمشق .

١٢ . بذل المجهود في حل أبي داود ، خليل أحمد السهارنفوري – دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

١٣ . بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – لشيخ الإسلام ابن تيمية ط الأولى ١٣٩١هـ مطبعة الحكومة بمكة المكرمة .

١٤ . تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء . بكر أبو زيد – نشر الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

١٥ . تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي . محمد عبد الرحمن المباركفوري دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

١٦ . التحف في مذاهب السلف – محمد بن علي الشوكاني – مطبعة المدني ، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

١٧ . ترتيب القاموس المحيط – الطاهر أحمد الزاوي – ط الرابعة ١٤١٧ هـ دار عالم الكتب الرياض .

١٨ . ترتيب المدارك للقاضي عياض – دار مكتبة الفكر طرابلس ، ليبيا ، دار مكتبة

الحياة بيروت – ١٣٨٤ هـ .

١٩ . تفسير ابن كثير – للإمام إسماعيل بن كثير القرشي – ط ١٣٨٨ هـ دار المعرفة بيروت لبنان .

٢٠ . تفسير النسفي – للعلامة عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي – الناشر : دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان .

٢١ . تلبيس إبليس – للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – ط الأولى ١٤٠٥ هـ دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

٢٢ . التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية – عبد العزيز بن ناصر الرشيد – ط الثانية ١٤٠٠هـ ، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

٢٣ . تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة – لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي المالكي – ط الأولى ١٤٠٩ هـ .

٢٤ . تهذيب شرح الطحاوية – إعداد . عبد الآخر حماد الغنيمي – ط الثانية ١٤١٦ هـ – دار الصحابة ، بيروت لبنان .

٢٥ . تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب – نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

٢٦ . جامع الأصول في أحاديث الرسول للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري ط ١٣٩١ هـ نشر : مكتبة الحلواني مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان .

٢٧ . جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله – لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ط ١٣٩٨ هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٢٨ . الجامع الصحيح (سنن الترمذي) – للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي – ط الثالثة ١٣٩٨ هـ دار الفكر .

٢٩ . الجامع الصحيح – لمحمد بن إسماعيل البخاري مع شرحه فتح الباري لابن حجر ط الثانية ١٤٠٠ هـ المطبعة السلفية القاهرة .

٣٠ . الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي – لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ط الثالثة ١٤٠٠ هـ .

٣١ . حادي الأرواح – للإمام ابن القيم ط الرابعة ١٣٨١هـ الناشر مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر .

٣٢ . الحجة في بيان المحجة – لإسماعيل بن محمد الأصبهاني ط الأولى ١٤١١ هـ دار الراية الرياض .

٣٣ . حكم مخالفة أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد – لعثمان علي حسن ط ١٤١٣ هـ دار الوطن .

٣٤ . الحلية – لأبي نعيم الأصبهاني – الناشر : دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٣٥ . خصائص أهل السنة ، للشيخ أحمد فريد – الناشر : مؤسسة قرطبة .

٣٦ . درأ تعارض العقل والنقل لابن تيمية ط الثانية ١٣٩٩هـ.

٣٧ . الرد على الجهمية – لعثمان بن سعيد الدارمي ط الأولى ١٤٠٥ هـ الدار

السلفية الكويت .

٣٨ . سنن أبي داود – لسليمان بن الأشعث السجستاني . ط الأولى ١٣٨٨ هـ .

٣٩ . سنن الدارمي – لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ط ١٤٠٤هـ الناشر : حديث آكادمي – باكستان .

٤٠ . سنن ابن ماجة – لمحمد بن يزيد القزويني ط ١٣٩٥هـ – دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

٤١ . سنن النسائي – للإمام أحمد بن علي بن شعيب النسائي ط الأولى ١٣٤٨ هـ – دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان .

٤٢ . السنة لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ط الأولى ١٤٠٠ هـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان .

٤٣ . شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة – لهبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان ، ط الأولى دار طيبة الرياض .

٤٤ . شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني – ط الأولى ١٣٨٤ هـ – الناشر : مكتبة وهبه .

٤٥ . شرح وبيان لحديث ما ذئبان جائعان – لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي ط الأولى ١٤١٣ هـ – مؤسسة الريان – بيروت لبنان .

٤٦ . شرح السنة – للحسن بن مسعود البغوي ط الأولى ١٣٩٠ هـ المكتب الإسلامي .

٤٧ . شرح صحيح مسلم للنووي ط ١٤٠١ هـ - دار الفكر للطباعة والنشر .

٤٨ . شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي ط ١٣٩١ هـ - المكتب الإسلامي .

٤٩ . شرح علل الترمذي - لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ط الأولى ١٣٩٨ هـ - دار الملاح للطباعة والنشر .

٥٠ . شرح لمعة الاعتقاد ، لابن قدامة - تأليف محمد صالح العثيمين ط الأولى ١٤٠٣ هـ مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان .

٥١ . شرح الواسطية - محمد خليل هراس ط الرابعة نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء .

٥٢ . شرح الواسطية - للشيخ صالح الفوزان ط الرابعة ١٤٠٧ هـ مكتبة المعارف الرياض .

٥٣ . شرف أصحاب الحديث - للخطيب البغدادي - تحقيق د. محمد سعيد خطيب أوغلي - نشر دار إحياء السنة النبوية

٥٤ . الشريعة -للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري ط الأولى ١٤٠٣ هـ - دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٥٥ . شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - للإمام ابن قيم الجوزية - الناشر : دار المعرفة بيروت لبنان .

٥٦ . صحيح البخاري - لمحمد بن إسماعيل البخاري ط ١٩٨١ م المكتبة

الإسلامية استانبول تركيا .

٥٧ . صحيح الجامع الصغير – لمحمد ناصر الدين الألباني – ط الثانية ١٣٩٩ هـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان .

٥٨ . صحيح ابن حبان – لمحمد بن أحمد (أبو حاتم) ط ١٣٧٢ هـ دار المعارف القاهرة .

٥٩ . صحيح ابن خزيمة – لمحمد بن إسحاق بن خزيمة ط الثانية ١٤٠١ هـ شركة الطباعة العربية السعودية العمارية الرياض.

٦٠ . صحيح مسلم – للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ط الأولى ١٣٧٤ هـ دار إحياء الكتب العربية – بيروت لبنان .

٦١ . صفات الطائفة المنصورة ومفاهيمها – لعدنان محمد آل عرعور – ط الثانية ١٤١٦ هـ مؤسسة قرطبة .

٦٢ . طبقات الحنابلة – للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى – الناشر : دار المعرفة بيروت لبنان .

٦٣ . العبودية لابن تيمية، ط السادسة ١٤٠٣ هـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان.

٦٤ . العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية – لأحمد بن حجر آل بوطامي – ط الأولى ١٤١٥ هـ .

٦٥ . عقائد السلف – (للأئمة أحمد بن حنبل ، والبخاري ، وابن قتيبة ، والدارمي) – إعداد علي سامي النشار عمار الطالبي – ط ١٩٧١ م الناشر :

منشأة المعارف بالأسكندرية .

٦٦ . عقيدة أهل السنة والجماعة – لمحمد إبراهيم الحمد – ط الأولى ١٤١٦ هـ – دار الوطن الرياض .

٦٧ . عقيدة السلف أصحاب الحديث – أبي إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني – ط الأولى ١٤٠٤ هـ الدار السلفية – الكويت .

٦٨ . عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي – مطبوع مع عقيدة الفرقة الناجية للشيخ محمد بن عبدالوهاب – ط ١٩٨٧ م دار الجيل للطباعة – جمهورية مصر العربية .

٦٩ . عقيدة ابن قدامة – للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي – مطبوع مع عقيدة الفرقة الناجية – ط ١٩٨٧ م – دار الجيل للطباعة جمهورية مصر العربية .

٧٠ . العقيدة الطحاوية – للإمام أبي جعفر الطحاوي – مطبوع مع عقيدة الفرقة الناجية ، ط ١٩٨٧ م – دار الجيل للطباعة جمهورية مصر العربية .

٧١ . العقيدة الواسطية – لشيخ الإسلام ابن تيمية – ط ١٤٠٢ هـ – شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع .

٧٢ . الفتاوى – لشيخ الإسلام ابن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم – تصوير ط الأولى ١٣٩٨ هـ – مطابع دار العربية بيروت لبنان .

٧٣ . فتاوى في التوحيد للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين إعداد . حمد

إبراهيم الحريقي ط الأولى ١٤١٨ هـ - دار الوطن للنشر .

٧٤ . الفتح الرباني - ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني - ترتيب أحمد عبدالرحمن البنا - دار الشهاب القاهرة .

٧٥ . الفرقان بين الحق والباطل - لشيخ الإسلام ابن تيمية ط الأولى ١٤٠٥ هـ - مكتبة دار البيان بيروت دمشق .

٧٦ . الفرق بين الفرق - لعبد القاهر بن طاهر البغدادي تحقيق محمد عثمان الخشت ط ١٤٠٩ هـ مكتبة الساعي الرياض .

٧٧ . فضل علم السلف على الخلف - للحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي - ط الأولى ١٤٠٦ هـ - دار عمار عمان الأردن .

٧٨ . الفقة الأكبر في التوحيد للإمام أبي حنيفة - ط الثالثة مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر .

٧٩ . الفقه الأكبر في التوحيد لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي - ط الثالثة مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر .

٨٠ . القاموس المحيط - للشيخ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي ط ١٣٩٨ هـ دار الفكر بيروت .

٨١ . قواعد المنهج السلفي - د / مصطفى حلمي سليمان - ط الثانية ١٤٠٥ هـ - دار الدعوة الأسكندرية .

٨٢ . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة لعلي المتقي بن حسام الدين

الهندي البرهان فوري ط الخامسة ١٤٠٥ هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

٨٣ . لسان العرب – لابن منظور – ط الثالثة ١٤١٣ هـ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

٨٤ . لوامع الأنوار البهية – محمد بن أحمد السفاريني – الناشر : المكتب الإسلامي بيروت – لبنان – مكتب أسامة الرياض

٨٥ . مجمع الزوائد – علي بن أبي بكر الهيثمي – ط ١٤٠٦ هـ مؤسسة المعارف بيروت لبنان .

٨٦ . مختصر الصواعق للإمام ابن قيم الجوزية ط ١٤٠٥ دار الندوة الجديدة – بيروت لبنان .

٨٧ . مدارج السالكين – للإمام ابن القيم – تحقيق محمد حامد فقي – ط الثانية ١٣٩٣ هـ دار الكتاب العربي – بيروت لبنان .

٨٨ . مدخل لدارسة العقيدة الإسلامية – عثمان جمعة ضميريه ط الثانية ١٤١٧ هـ الناشر : مكتبة السوادي للتوزيع – جدة .

٨٩ . المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري – مطبعة دائرة المعارف النظامية ببلدة حيدر آباد الدكن .

٩٠ . مسند أحمد ، للإمام أحمد بن حنبل ط الأولى ١٣٨٩ هـ المكتب الإسلامي دار صادر بيروت لبنان .

٩١ . المصباح المنير – لأحمد بن محمد بن علي الفيومي – ط ١٩٨٧ م مكتبة لبنان .

٩٢ . المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها – لعواد بن عبد الله المعتق – ط الأولى ١٤٠٩ هـ دار العاصمة الرياض المملكة العربية السعودية .

٩٣ . المفسرون – لمحمد عبد الرحمن المغراوي ط الأولى ١٤٠٥ هـ ، دار طيبة الرياض .

٩٤ . المقلات لأبي الحسن الأشعري ، ت : هلموت ريتر ، ط الثالثة ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان .

٩٥ . الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ط ١٤٠٠ هـ دار المعرفة بيروت لبنان .

٩٦ . المنتقى من منهاج الاعتدال – اختصره أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٤ هـ .

٩٧ . منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية ط ١٣٨٢ هـ مطبعة المدني القاهرة .

٩٨ . منهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة – لمحمد جميل زينو – ط الخامسة ١٤٠٥ هـ مكتبة المعارف الرياض .

٩٩ . موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية – ط الأولى ١٤٠٥ هـ – دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

١٠٠ . الموطأ – للإمام مالك ابن أنس – ط الأولى ١٤١٨ هـ دار إحياء التراث

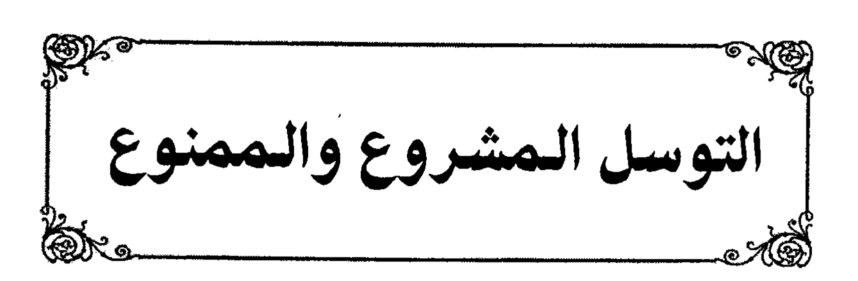
العربي بيروت لبنان .

١٠١ . نجاة الخلف في اعتقاد السلف – لابن قائد النجدي – ط ١٤٠٥ هـ دار الصحوة بالقاهرة .

١٠٢ . وسطية أهل السنة بين الفرق – د / محمد باكريم محمد باعبد الله – ط الأولى ١٤١٥ هـ – دار الراية الرياض جدة.

* * *

فهرس الموضوعات



التوسل المشروع والممنوع

إعـداد

د. عواد عبدالله المعتق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد : فمن المعلوم أن أي عمل يقوم به الإنسان لا يكون مقبولاً عند الله تعالى حتى يتوفر فيه شرطان :أحدهما : أن يكون خالصاً لوجه الله .

الثاني : أن يكون موافقاً لسنة نبيه ﷺ .

ونظراً لأن التوسل البدعي يخلّ بالشرط الثاني ، بل إنه وسيلة قد تفضي إلى الشرك وقد أشكل فهمه على كثير من الناس ، مما أوقع الكثير فيه.

لذا أحببت أن أكتب لمحة موجزة حول التوسل المشروع والممنوع.

تتلخص فيما يلي : تمهيد : في تعريف التوسل والوسيلة.

المبحث الأول : التوسل المشروع :

تعريفه :

أنواعه :

الأول : التوسل بأسماء الله وصفاته.

الثاني : التوسل بالأعمال الصالحة.

الثالث : التوسل إلى الله بدعاء الصالح الحي.

الرابع : التوسل إلى الله بذكر الحال.

المبحث الثاني : التوسل الممنوع :

تعريفه :

أنواعه :

الأول : التوسل بوسيلة نص الشارع على بطلانها : مثاله - حكمه - الدليل.

الثاني : التوسل بوسيلة : دلت قواعد الشرع على بطلانها ومن أنواعه :

١- التوسل إلى الله بذات مخلوق ، مثاله.

٢- التوسل إلى الله بجاه مخلوق أو حقه ونحوهما ، مثاله.

٣- التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له ، مثاله.

٤- أن يسأل العبد ربه حاجته مقسماً بنبيه أو وليه أو بحق نبيه أو وليه ونحوهما ، مثاله

حكم هذا النوع من التوسل :

الأدلة على منعه :

عرض ما تيسر من شبهات من قال به مع المناقشة.

أولاً : شبهاتهم فيما استدلوا به من القرآن .

ثانياً : شبهاتهم فيما استدلوا به من السنة ومن أقوال وأفعال الصحابة

والتابعين.

ثالثاً: شبهاتهم من العقل.

وأخيرا أسأله تعالى أن يتقبل صوابه وأن يتجاوز عن خطئه إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

تمهيد : في تعريف التوسل والوسيلة

أما التوسل فهو في الأصل : التقرب. يقال توسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل.

كما يأتي ويراد به : السرقة . يقال : أخذ فلان إبلي توسلاً : أي سرقة.

وفي الشرع : هو التقرب إلى الله تعالى بقربة مشروعة.

وأما الوسيلة : فهي في الأصل : ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به.

كما تأتي ويراد بها : المنزلة عند الملك ، والدرجة.

وفي الشرع : ما يتقرب به إلى الله رجاء حصول مرغوب أو دفع مرهوب من فعل الواجبات والمستحبات أو ترك المنهيات(١).

وتكون مشروعة ،كما تكون ممنوعة ، إن كانت وردت في الكتاب أو صحيح السنة فهي مشروعة . وإلا فهي ممنوعة.

وعليه فالتوسل قسمان :

- توسل مشروع.
- وتوسل ممنوع.

---

(١) انظر : لسان العرب مادة وسل جـ ٣ ص ٩٢٧ والقاموس المحيط جـ ٤ ص ٦٤ والنهاية لأبن الأثير جـ٥ ص ١٨٥ وقاعدة جليلة ص ٤٨ ، وروح المعاني جـ٦ ص ١٢٤ ورسالة الشرك ومظاهره ص ٢٠٢.

المبحث الأول : التوسل المشروع

المراد به : هو تقرب العبد إلى الله بوسيلة وردت في الكتاب أو صحيح السنة ومن أنواعه ما يلي :

النوع الأول : التوسل بأسماء الله وصفاته.

بيانه : هو التوسل إلى الله بالاسم المقتضي لمطلوبه أو بالصفة المقتضية له[1].

مثاله : كأن يقول في دعائه : اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تعطيني كذا أو تدفع عني كذا ، أو يقول : اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم ، اللطيف الخبير أن تعافيني ، أو يقول : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي[2] ونحو ذلك.

*** أدلة مشروعيته :**

لقد دل على مشروعية التوسل بأسماء الله وصفاته ـ أدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

---

(١) الجواب المختار ص ٥٠.

(٢) انظر : التوسل للألباني ص ٣٢ . وقاعدة جليلة ص ٥٢ – ٥٣.

فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١).

وجه الدلالة : أن الله سبحانه وتعالى : أمرنا أن ندعوه متوسلين بأسمائه الحسنى ، وأسماؤه - سبحانه - متضمنة لصفاته فتكون داخلة في هذا الطلب(٢). وبذلك يتضح دلالة الآية على مشروعية التوسل بأسمائه وصفاته.

ومن السنة :

١- قوله ﷺ في أحد الأدعية الثابتة عنه قبل السلام من صلاته ﷺ (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خير لي وتوفني إذا علمت الوفاة خير لي ... الحديث)(٣).

٢- ومنها : ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا كربه(٤) أمر يقول : « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث »(٥).

---

(١) آية : ١٨٠ سورة الأعراف.

(٢) انظر : التوسل للألباني ص ٣٢.

(٣) أخرجه النسائي في السهو باب نوع آخر من الدعاء وإسناده جيد . انظر : جامع الأصول حديث ٢١٨٤.

(٤) أي إذا أهمه.

(٥) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ٩٩ انظر : جامع الأصول حديث ٢٢٩٧.

٣- ومنها ما رواه أبن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « من كثر همه فليقل : (اللهم إني عبد ك ، وابن عبدك وابن أمتك ، و في قبضتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سَمّيت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في مكنون الغيب عندك : أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، وجلاء همي وغمي) ما قالها عبد قط إلا أذهب الله غمه ، وأبدله به فرحاً »[1].

٤- ومنها : ما رواه أنس بن مالك أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ، ورجل يصلي ثم دعا الرجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت المنان ، بديع السماوات والأرض ، ذو الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : (أتدرون بم دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : والذي نفسي بيده ، لقد دعا الله بإسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)[2][3].

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم ٣٧١٢ ، ٤٣١٨ وصححه ابن حبان برقم ٢٣٧٢ ، عن عبد الله بن مسعود ، وانظر جامع الأصول حديث ٢٣٠٠ (المتن والحاشية).

(٢) رواه أبو داود في الصلاة باب الدعاء ، والترمذي في الدعوات باب رقم ١٠٩ والنسائي في السهو باب الدعاء بعد الذكر وإسناده صحيح . انظر جامع الأصول حديث ٢١٤٣.

(٣) انظر : التوسل للألباني ص ٣٢ – ٣٥ ، وكشف ما ألقاه إبليس ص ٩٢.

هذه نبذة يسيرة من أحاديث كثيرة كلها تدل على مشروعية التوسل إلى الله باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته ؛ ذلك أنها من قول الرسول ﷺ أو إقراره ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿... وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ... الآية ﴾[1] . ويقول سبحانه : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ... الآية ﴾[2] ، وبذلك دلت على مشروعية التوسل بالأسماء الحسنى والصفات العلى.

* * *

(١) آية : ٧ سورة الحشر.

(٢) آية : ٩٢ سورة المائدة.

النوع الثاني : التوسل بالأعمال الصالحة :

وهو التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وطاعته ، ويدخل في ذلك كل عمل قام به العبد بقلبه أو لسانه أو جوارحه خوفاً من الله أو رجاءً له وحده ـ لا لدافع آخر.

كيفيته : هو أن يتذكر الداعي عملاً صالحاً قام به لله وحده لا لدافع آخر . بعد أن يتذكر العمل يتوجه إلى ربه متوسلاً بهذا العمل في أن يعطيه أو يدفع عنه.

مثاله : كأن يقول المسلم : اللهم بإيماني بك واتباعي لرسولك إغفر لي ، أو يقول : اللهم إنك تعلم بأني عملت كذا ـ ويسمى عملاً قام به لله وحده ـ اللهم إن كنت عملته رجاءاً لثوابك وخوفاً من عقابك فأعطني كذا أو ادفع عني كذا ، ونحو ذلك.

أدلة مشروعيته :

لقد دل على مشروعية التوسل بالعمل الصالح أدلة كثيرة من الكتاب والسنة منها ما يلي :

أولاً : الأدلة من الكتاب : منها :

١ـ قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[١].

٢- وقوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾[٢].

٣- وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[٣].

وجه الدلالة : في الآيات الثلاث توسل بالإيمان ، وهو عمل صالح من أعمال القلب وذلك دليل على مشروعية التوسل بالعمل الصالح.

٤- وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[٤].

وجه الدلالة : في الآية توسل بالإيمان واتباع الرسول ﷺ وهي من أعمال القلب والجوارح الصالحة ، وبذلك دلت الآية على مشروعية التوسل بالعمل الصالح.

---

(١) آية ١٦ آل عمران.

(٢) آية ١٩٣ آل عمران.

(٣) آية ١٠٩ المؤمنون.

(٤) آية ٥٣ آل عمران.

٥- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾[1].

وجه الدلالة: في الآيتين توسل برفع القواعد من البيت الحرام، وهو عمل صالح؛ ذلك أنه استجابة لأمر الله لهما بذلك.

٦- وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

وجه الدلالة: في الآية توسل بالسمع والطاعة وامتثال أمره سبحانه والقيام بما تقتضيه هذه الطاعة من فعل الأوامر وترك النواهي استجابة لأمره سبحانه وهي من الأعمال الصالحة.

فهذه الآيات وغيرها الكثير كلها أدلة على مشروعية هذا النوع من التوسل[3].

---

(١) آية ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ البقرة.

(٢) آية ٢٨٥ البقرة.

(٣) انظر: قاعدة جليلة ص ٥، ١٤، ١٢٢ - ١٢٣ وشرح الطحاويه ص ٢٦٤ والتوسل للألباني ص ٣٥ - ٣٦ والتوصل ٦٥، ٦٨، ٧٩.

ثانياً : الأدلة من السنة وهي كثيرة جداً : منها ما يلي :

١- روى بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فقال : والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى) ، هذه رواية الترمذي ، وفي رواية أبي داود : (باسمه الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب)[1].

وجه الدلالة : في الحديث ـ كما نرى ـ توسل بالإقرار والتصديق بشهادة التوحيد ، ووصفه سبحانه بأخص الصفات وهي من أعمال القلب واللسان الصالحة.

٢- قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ، فإذا أراد أن يضطجع ، فليضطجع على شقه الأيمن ، وليقل : سبحانك ربي باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فأرحمها ، وإن أرسلتها

---

(١) رواه الترمذي برقم ٣٤٧١ ، وأبو داود برقم ١٤٩٣ ، وانظر جامع الأصول حديث ٢١٤١.

فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)[١].

وجه الدلالة: في الحديث، وصية من المصطفى ﷺ للمضطجع أن يقدم بين يدي دعائه توسلاً إليه سبحانه بتسبيحه وتنزيهه، واعتقاد صادق بأنه لا يضع جنبه أو يرفعه إلا بعون من الله تعالى، ولا شك أن هذا المتوسل به من أعمال اللسان والقلب الصالحة.

٣- ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي أن أبا بكر الصديق ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، علمني دعاءاً أدعو به في صلاتي قال: (قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم)[٢].

وجه الدلالة: في الحديث توسل بأمرين:

الأول: بالاعتراف بالذنب وهو يتضمن: الندم على فعل الذنب، والتوبة والإقلاع عن فعله.

الثاني: بالإيمان بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، وهذان من أعمال القلب

---

(١) رواه البخاري في التوحيد باب السؤال بأسماء الله، ومسلم في الذكر والدعاء باب ما يقول عند النوم وانظر جامع الأصول حديث ـ ٢٢٥٦.

(٢) رواه البخاري في صفة الصلاة باب الدعاء قبل السلام. ومسلم برقم ٢٧٠٥ في الذكر والدعاء باب استحباب خفض الصوت بالذكر. والترمذي برقم ٣٥٢١، والنسائي في السهو باب نوع آخر من الدعاء، وانظر: جامع الأصول حديث ٢١٨٦.

واللسان والجوارح الصالحة.

٤- قوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غارٍ ، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار. فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بي طلب شجرٍ يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر) زاد بعض الرواة : (والصبية يتضاغون عند قدمي ـ فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال : النبي ﷺ. قال الأخر: اللهم كانت لي ابنة عم ، كانت أحب الناس إلي فأردتها على نفسها ، وامتنعت مني ، حتى ألمت بها سنة من السنين ، فجاءتني ، فأعطيتها عشرين ومائة دينار ، على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي ، وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت

الصخرة ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ، قال النبي ﷺ وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء ، وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ، ترك الذي له وذهب فثمّرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين ، فقال : يا عبد الله ، أدّ إلى أجري ، فقلت : كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر ، والغنم ، والرقيق ، فقال : يا عبد الله ، لا تستهزئ بي ، فقلت : إني لا أستهزئ بك ، فأخذه كله فاستاقه ، فلم يترك منه شيئاً. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون)[1].

وجه الدلالة : الحديث يدل على مشروعية التوسل إلى الله بصالح الأعمال من وجهين :

الأول : أن هؤلاء الثلاثة عند ما توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم استجاب الله لهم ، ولو كان التوسل إلى الله بصالح العمل غير مشروع لم يستجب لهم.

الثاني : أن الرسول ﷺ أقره وذكره في معرض الثناء عليهم ، ولو كان غير مشروع لم يقره ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ومسلم في الذكر ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة ، وأبو داوود في البيوع ، باب الرجل يتجر في مال الرجل بغير إذنه ، وانظر : جامع الأصول حديث ٧٨٢٢.

يقول الإمام النووي - في معرض شرحه لهذا الحديث - : (استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه و في دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به ؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم)[١].

ثالثاً : الأدلة من عمل الصحابة :

من المعلوم أن الصحابة الذين هم خيرة هذه الأمة بعد نبيها إنما نالوا هذا الخير لالتزامهم بأمر الله أمراً ونهياً ، فكل عمل يعملونه إنما هو تطبيق لما شرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، لذا كان إيراد أمثلة من توسلاتهم بالعمل الصالح أدلة تؤكد مشروعية هذا النوع من التوسل.

وتجنباً للإطالة سنكتفي بمثالين من أعمالهم رضي الله عنهم.

المثال الأول : ما رواه الطبري عن ابن وكيع قال : حدثنا أبي عن حريث ابن أبي مطر عن إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال : (سمعت رجلاً في السحر في ناحية المسجد ، وهو يقول : ربي أمرتني فأطعتك ، وهذا سحر فأغفر لي، فنظرت ، فإذا ابن مسعود)[٢]. يشير ﷺ في قوله (وهذا سحر .....) إلى الحديث الشريف : وهو (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا

---

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي جـ ١٧ ص ٥٦.

(٢) رواه الطبري في تفسيره جـ ٦ ص ٢٦٦ ونقله عنه ابن كثير في تفسيره جـ٢ ص ١٨.
ورواه القرطبي في الأحكام ج ٤ ص ٤٠ . وانظر : تفسير ابن مسعود ص١٥٧، ١٥٨.

حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له)[١].

وجه الدلالة : في هذا الأثر ـ كما نرى ـ توسل ابن مسعود بالقيام بالسحر ـ وهو من أجل الأعمال الصالحة ـ في أن يغفر له ، مما يؤكد مشروعية التوسل بالعمل الصالح.

المثال الثاني : ما روي عن عراك بن مالك ﷺ أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين) رواه ابن أبي حاتم[٢].

وجه الدلالة : هذا الأثر يفيد أن عراك بن مالك توسل إلى الله تعالى بإجابة دعوة الله إلى الصلاة ، وهي الآذان وبصلاة فريضة الجمعة ، وبانتشاره من بعد الصلاة كما أمره الله وسائر المسلمين في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ...الآية ﴾[٣]، وهذه كلها أعمال صالحة توسل إلى الله تعالى بها في أن يرزقه من فضله ، مما يؤكد مشروعية

---

(١) رواه البخاري في كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، انظر : فتح الباري جـ ٣ ص ٢٩ (المتن).

(٢) انظر : تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٦٧.

(٣) آية ١٠ سورة الجمعة.

التوسل بالعمل الصالح.

النوع الثالث : التوسل إلى الله بدعاء الصالح الحي :

وهو توسل المسلم الذي وقع في ضيق أو حلت به مصيبة بدعاء إنسان يظهر عليه الصلاح والتقوى ، ويتم بطلب من المتوسل ، كما يتم من غير طلب.

مثال الأول : كأن يذهب المسلم الذي حلت به مصيبة وعلم من نفسه التفريط في جنب الله إلى رجلٍ يعتقد فيه الصلاح ويطلب منه أن يدعو الله له أن يرفع عنه ما حل به.

ومثال الثاني : كأن يرى العبد الصالح أخاً له في ضيق وشدة فيدعو الله له أن يفرّج عنه. ويكون في حضور المدعو له ، كما يكون في غيبته ، ولا فرق أن يدعو الأعلى للأدنى ، أو الأدنى للأعلى ، فكل ذلك جائز ومقبول ـ إذا شاء الله سبحانه وتعالى.

مثال الأعلى للأدنى : توسل الصحابة بدعاء نبيهم ﷺ .

ومثال الأدنى للأعلى : طلب الرسول ﷺ من عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم عمرته أن يدعو الله له[1].

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ص١٤ ، ٤٣ - ٤٤ والفتاوى جـ ١ ص ١٣١ - ١٣٢ ، جـ٢٧ ص ٦٩ والتوسل للألباني ص ٤١.

الأدلــة : لقد دل على مشروعية هذا النوع من التوسل ـ أدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

أولاً : الأدلة من الكتاب وهي كثيرة. منها ما يلي :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[1].

وجه الدلالة : في الآية إرشاد لمن ظلم نفسه بارتكاب خطيئة إلى سببين ينقذان منها :

الأول : الاستغفار بين يدي النبي ﷺ وهو عمل صالح يقدمه الإنسان وسيلة للاستجابة.

الثاني : استغفار الرسول ﷺ له ، وهذا هو محل الشاهد إذا هو توسل بدعائه ﷺ. وعليه فكل إنسان يصح له أن يتوسل بدعاء أخيه كأن يقول : أستغفر لي ، أو يدعو لأخيه كأن يقول اللهم اغفر لفلان.

ومما يجب التنبيه عليه أن المجيء في الآية المراد به : مواجهته ﷺ وهو حي لا المجيء إلى قبره ؛ لأن استغفاره ﷺ قد انقطع بوفاته ، وعليه فلا يجوز المجيء إلى قبره أو قبر أحد من الصالحين لأجل سؤالهم أن

---

(١) آية ٦٤ سورة النساء.

يستغفروا الله لنا من ذنوب اقترفناها[١].

٢- قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾[٢].

وجه الدلالة: في الآية الأولى إخبار من الله تعالى بأن إخوة يوسف عليه السلام طلبوا من أبيهم أن يستغفر الله لهم عما بدر منهم من أخطاء نحو أخيهم يوسف وأبيهم. وهو توسل بدعائه عليه السلام.

ثم في الآية الثانية: استجابة من يعقوب عليه السلام لطلبهم حيث وعدهم بالاستغفار.

مما يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي؛ ذلك أن العقيدة واحدة لا تتغير من آدم إلى محمد ﷺ[٣].

٣- قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ

---

(١) انظر: تفسير ابن سعدي جـ ٢ ص ٤٤ وقاعدة جليلة ص ١٣٧، والتوصل ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) آية ٩٧، ٩٨ سورة يوسف.

(٣) انظر تفسير النسفي جـ ٢ ص ١٢٩، وروح المعاني جـ ١٣ ص ٥٥ - ٥٦ وتفسير ابن سعدي ج ٤ ص ٩٩.

أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾[١].

وجه الدلالة : يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن المخلفين من الأعراب سيعتذرون بأموالهم وأهليهم ، ويطلبون من رسول الله ﷺ الاستغفار لهم وهو توسل بدعائه ﷺ ، وهذا الطلب - وإن كان مصانعة وتقية - فإنه يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي من وجهين :

الأول : أنهم طلبوه ولولا علمهم بمشروعيته لما طلبوه.

الثاني : أن النبي ﷺ أقرهم على ذلك ، ولو كان غير مشروع لاعترض على طلبهم[٢] ، وبذلك دلت الآية على مشروعية هذا النوع من التوسل ، والله أعلم.

ثانياً : الأدلة من السنة ، وهي كثيرة ، منها ما يلي :

١ - عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو باب دار القضاء - ورسول الله ﷺ قائم يخطب - فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ثم قال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا.

---

(١) آية ١١ سورة الفتح.

(٢) انظر : تفسير ابن سعدي جـ ٧ ص ١٧٧ والتوصل ص ١٤٧.

قال: أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس ستاً. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة - ورسول الله ﷺ قائم يخطب - فاستقبله قائماً. فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر. قال: فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس)[1].

وجه الدلالة: يفيد الحديث أن المسلمين في عهد رسول الله ﷺ أصابهم جدب فتقدم أحدهم إلى رسول الله ﷺ طالباً منه أن يدعو الله أن يغيثهم، فدعا الله فأغيثوا، ثم تقدم إليه هو أو غيره طالباً أن يدعو الله أن يمسكه عنهم فدعا الله فانجاب السحاب عن المدينة. كل هذا يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح[2] الحي لا بذاته أو جاهه، إذ لو كان ذلك مشروعا لأرشدهم ﷺ إليه. عندما شكوا الجدب، ولما احتاج منهم المجيء إلى النبي ﷺ أكثر من مرة، إذ التوسل بالجاه أو الذات لا يحتاج إلى ذلك.

---

(١) رواه البخاري برقم ١٠١٣، ١٠١٤ في كتاب الاستسقاء باب ٦، ٧.

(٢) انظر: فتح الباري جـ ٢ ص ٥٠٦.

٢- عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: استأذنت رسول الله ﷺ في العمرة فأذن لي وقال: (لا تنسنا يا أخيّ من دعائك).

وفي رواية قال: «أشركنا يا أخيّ في دعائك). قال عمر: فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا »[1].

وجه الدلالة: في الحديث دلالة على أمرين:

الأول: على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي حيث أكد ﷺ على عمر أن يدعو له في قوله (لا تنسنا يا أخيّ من دعائك) ذلك أن أقواله ﷺ من السنة التي هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله.

الثاني: أن التوسل بدعاء الصالح كما يكون بدعاء الأعلى يكون بدعاء الأدنى حيث طلب ﷺ وهو الأعلى من عمر أن يدعو له[2].

وفيه دلالة أيضاً على مبلغ حرصه ﷺ على الخير وعلى تعليم أمته إياه.

٣- عن عثمان بن حنيف ﷺ: (أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ، فقال: أدع الله أن يعافيني، فقال: إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذاك

---

(١) رواه أبو داود برقم ١٤٩٨ في الصلاة باب الدعاء، والترمذي برقم ٣٥٥٧ في الدعوات باب ١٢١ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، انظر: جامع الأصول حديث ٦٤٤٤.

(٢) انظر الفتاوي جـ ٢٧ ص ٦٩.

فهو خير. (وفي رواية : وإن شئت صبرت ، فهو خير لك) ، قال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ، ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي ، اللهم فشفّعه فيّ) قال ففعل الرجل فبرأ[١].

وجه الدلالة : الحديث يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي من وجوه :

أحدها : أن الأعمى أتى النبي ﷺ ، شاكياً ما هو فيه من ضر وسأله أن يدعو له. ولولا علمه بمشروعيته لما أتى وسأل.

الثاني : أن الرسول ﷺ خيّره بين الصبر وبين الدعاء ثم أقره حيث أصر على الدعاء ، ولو لم يكن مشروعاً لما خيره ثم أقره.

الثالث : دعاء الرسول ﷺ له ، ويفهم من أمور منها :

١- قوله ﷺ : (إن شئت دعوت لك ، وأن شئت صبرت ، ثم قول الأعمى - فادعه).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم ١٧٢٤٠ ، ورقم ١٧٢٤١ ، انظر المسند جـ ٢٨ ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ والترمذي برقم ٣٥٧٣ في الدعوات باب من أدعية الإجابة وإسناده صحيح ، وقد صححه غير واحد من العلماء - انظر : جامع الأصول حديث ٢٣٧٥ (المتن والحاشية) .

٢- تعليمه دعاء يدعو به يكون بجانب دعاءه ﷺ وما تضمنه من قوله (... اللهم فشفعه فيّ) وهذا لا يكون إلا إذا كان ﷺ داعياً له.

من كل ما ذكرنا يتضح أن الحديث يدل دلالة صريحة على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي ، أما ما ورد في الحديث من قوله (بنبيك) فالمراد منه بدعاء نبيك ـ بدليل قوله :

إن شئت دعوت لك ، وقوله (اللهم فشفعه في)[1].

ثالثاً : الأدلة من أفعال الصحابة (رضي الله عنهم) وهي كثيرة منها ما يلي :

١- عن أنس بن مالك ﷺ (أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال : فيسقون)[2] وقد روي عن ابن عمر أن هذا الاستسقاء كان عام الرمادة[3].

وجه الدلالة : يفيد الأثر أن عمر بن الخطاب ﷺ عام الرمادة استسقى بالعباس بن عبد المطلب ـ أي بدعائه ـ مثل ما كانوا يعملون مع رسول الله ﷺ طلبوا منه أن يدعوا الله أن يغيثهم. ويؤكد ذلك الواقع فقد أخذ يدعو[4] وهم

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ص ٩٩ ، والتوسل للألباني ص ٧٦ – ٧٩.

(٢) رواه البخاري برقم ١٠١٠ في كتاب الاستسقاء باب ٣.

(٣) انظر : فتح الباري جـ ٢ ص ٤٩٧.

(٤) انظر : فتح الباري جـ ٢ ص ٤٩٧.

يؤمنون ـ ولو كان المراد بجاهه. لاختار جاه الرسول ﷺ فهو أعظم. لكن نظراً لأنه بالدعاء، والدعاء لا يمكن من الرسول ﷺ لوفاته فاختار لذلك التوسل بدعاء العباس وقد أقره الصحابة على ذلك فكان إجماعاً، والإجماع حجة قاطعة عند الجمهور[1]، فتأكد بذلك مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي لا بجاهه أو ذاته.

٢- روى أبو زرعه الدمشقي، ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما، وأبن الجوزي في صفة الصفوة عن سليم بن عامر الخبائري (أن الشام قحطت، فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر، قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطى، فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه، فقال: معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه، ورفع الناس، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس، وهبت لها ريح، فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم)[2].

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ص ١٠٤، ١٣١، وروضة الناضر ص ٦٧.

(٢) قال ابن حجر في الإصابة (أخرجه أبو زرعه الدمشقي ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما بسند صحيح عن سليم بن عامر، انظر : الإصابة جـ٣ ص ٦٣٤، و صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٠٢، وقاعدة جليلة ص ١٢٦ .

وجه الدلالة : ما ورد في الأثر من قوله : (اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا ... إلى قوله (يا يزيد ارفع يديك إلى الله) يدل على أن معاوية ﷺ توسل بدعاء صالح حي ، ولولا علمه بمشروعيته لما عمله ولو علم أن التوسل بما سوى الدعاء من جاه أو ذات جائز لما عدل عن النبي ﷺ إلى ما سواه - فهو من الصحابة الذين هم أعلم هذه الأمة بشرع الله وأحرصهم على الالتزام به.

النوع الرابع : التوسل إلى الله بذكر الحال.

وهو أن يتوسل إلى الله بذكر حال الداعي المبينة لاضطراره وحاجته.

مثاله : توسل موسى عليه السلام بذكر حاله - بعد أن سقى للمرأتين من ماء مدين.

الدليل على مشروعيته : قوله تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [1][2].

وجه الدلالة : أن في الآية بيان أن موسى عليه السلام بعد أن سقى للمرأتين تولى إلى الظل ثم توجه إلى ربه - مبيناً افتقاره للخير الذي يسوقه إليه.

---

(١) آية ٢٤ سورة القصص.

(٢) انظر : الجواب المختار ص ٥٠.

وهذا سؤال منه بحاله[1] وقد استجاب الله دعائه قال تعالى : ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا ... الآية﴾[2] وذلك دليل على مشروعية التوسل بذكر الحال.

* * *

---

(١) انظر : تفسير ابن سعدي جـ ٦ ص ١١.

(٢) آية ٢٥ سورة القصص.

المبحث الثاني : التوسل الممنوع

تعريفه : هو تقرب العبد إلى الله بما لم يثبت في الكتاب ولا في صحيح السنة أنه وسيلة.

أنواعه : التوسل الممنوع نوعان:

النوع الأول : التوسل بوسيلة نص الشارع على بطلانها :

مثاله : توسل المشركين بآلهتهم.

حكمه : شرك أكبر.

وبطلانه ظاهر : قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[1][2].

النوع الثاني : التوسل بوسيلة دلت قواعد الشرع على بطلانها :

ومن ذلك ما يلي :

١- التوسل إلى الله بذات مخلوق. مثاله : أن يقول المتوسل : اللهم إني أسألك بنبيك - ولا يعني إلا ذاته - أن تعطيني كذا أو تدفع عني كذا.

---

(١) آية ٣ سورة الزمر.

(٢) انظر : قاعدة جليلة من ١١ - ١٢ ، ١٦ وأضواء البيان جـ ٧ ص ٤٣ والجواب المختار ص ٥١ .

٢- التوسل إلى الله بجاه مخلوق أو حقه ونحوهما.

مثاله : أن يقول المتوسل : اللهم إني أسألك بجاه نبيك أو بحق نبيك أن تعطيني كذا أو تدفع عني كذا.

٣- التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له كمن يأتي إلى الميت من الأنبياء أو الصالحين ويقول له سل الله لي أو ادع الله لي أن يعطيني كذا أو يدفع عني كذا.

٤- أن يسأل العبد ربه حاجته مقسماً بنبيه أو وليه أو بحق نبيه أو وليه ونحو ذلك.

مثاله : أن يقول : اللهم إني أسألك كذا بوليك فلان أو بحق نبيك فلان ويريد الإقسام أو يقول: اللهم إني أقسمت عليك بفلان أن تقضي حاجتي[1].

حكم هذا النوع من التوسل : محرم : لأنه لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة، ولأنه ذريعه[2] إلى الشرك.

وقد يصل إلى الشرك الأكبر إن اعتقد في المتوسل به شيئاً من النفع أو

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ص ٣٣،٣٤،٥٠،٥٥،١٤٩،١٩،٢٠ والتوسل للألباني ص ٤٧ والقول الجلي ص ٢٩ وفتاوي اللجنة الدائمة جـ ١ ص ٣٤٢ ، ٣٤٤ـ ٣٤٥.

(٢) ذلك أن فيه إطراء للمتوسل به يجر شيئاً فشيئاً إلى اعتقاد أن فيه نفعاً من دون الله ومن ثم يحصل دعاؤه فيقع في الشرك. انظر قاعدة جليلة ص٣٣ ، ٣٤ والقول الجلي ص ٢٩.

الضر دون الله[١] .

وقد أجاز بعض[٢] المتأخرين هذا النوع من التوسل متمسكين ببعض الشبهات.

وإليك بعض الأدلة على منعه ثم عرض ما تيسر من شبهات من قال به مع المناقشة :

أولاً : الأدلة على منعه : وهي كثيرة منها ما يلي :

الدليل الأول : هذا النوع من التوسل لم يرد له دليل في الكتاب ولا في صحيح السنة ونحن مأمورون بالالتزام بهما وعليه فهو غير مشروع وإنما هو بدعة ممنوعة وقد قال ﷺ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[٣].

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ص ٢٠ ، ٣٣ ، ٥٠ والتوسل للألباني ص ٤٦ والقول الجلي ص ٢٨-٢٩ والجواب المختار ص ٥١ وفتاوي اللجنة الدائمة جـ ١ ص ٣٣٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧.

(٢) انظر : الضياء الشارق ص ٤٦٤ ، ٤٧٤ والتوسل محمد الفقي ص ١٤٦ ، ١٥٣ وشفاء السقام ص ١٣٣ - ١٣٤ والدرر السنية ص ٢ ، ٦-٨.

(٣) أخرجه البخاري في البيوع باب النجش ، ومسلم في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ، وأبو داود في السنة باب لزوم السنة . وانظر : جامع الأصول حديث ٧٥ (المتن والحاشية).

وقال ﷺ : (... وإياكم و محدثات الأمور... الحديث) [١].

وإن زعم المخالف أنه موجود فيهما أو في أحدهما ، قلنا زعم باطل ، إذ لا دليل عليه ، ومما يؤكد بطلانه أنه لم يعمل به الصحابة ومن أتى بعدهم من أهل القرون المفضلة الذين هم أعلم هذه الأمة ، بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأشدهم حرصاً على الالتزام بهما.

فلو كان موجوداً لعملوا به ، أيضل عنه الصحابة ويهتدي إليه هؤلاء المتأخرون ؟![٢].

الثاني: أن هذا النوع من التوسل ذريعة إلى الشرك[٣]:

وبما أن الوسائل تابعة للمقاصد في الحكم فهو ممنوع سداً للذريعة وإبعاداً للمسلم من قول أو فعل يفضي إلى الشرك. يقول ابن القيم : (لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها ، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها ... إلى أن قال : فإذا حرم الرب تعالى شيئاً وله طرق

---

(١) جزء من حديث طويل رواه أبو داود في السنة باب لزوم السنة والترمذي في العلم باب ١٦ ، وابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين وإسناده صحيح ، انظر : جامع الأصول حديث ٦٧ (المتن والحاشيه).

(٢) انظر : قاعدة جليلة ص ١٩، ٢٠، ٥٠، ٧٠، ١٠٥، ١٣١، ١٤٩ والتوسل للألباني : ص ٣٢ ، ٤٦ ، ٤٧ وفتاوي اللجنة الدائمة ج١ ص ٤٦ وروح المعاني ج ٦ ص ١٢٥ – ١٢٧ .

(٣) انظر: قاعدة جليلة ص٣٣ والقول الجلي ص ٢٩ وفتاوي اللجنة الدائمة ج١ ص ٣٤٧.

ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها تحقيقاً لتحريمه ... ومنعاً أن يقرب حماه ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليها لكان ذلك نقضاً للتحريم)[١] .

ولذا جاءت أدلة كثيرة في الكتاب والسنة تدل دلالة قاطعة على أن سد الذرائع إلى الشرك والمحرمات من مقاصد الشريعة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ .... الآية ﴾[٢] فنهى سبحانه وتعالى المسلمين عن سب آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله مع أنها باطلة لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سب المشركين الإله الحق سبحانه انتصاراً لآلهتهم الباطلة ـ جهلاً منهم وعدواً.

ومن ذلك نهيه ﷺ عن بناء المساجد على القبور ، ولعن من فعل ذلك ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً والإشراك بها[٣].

الثالث : أن في هذا النوع من التوسل محذور من وجهين :

الأول : فيه شبه بتوسل المشركين بآلهتهم وقد ذمه الله حيث قال سبحانه

---

(١) أعلام الموقعين جـ ٣ ص ١٣٥ .

(٢) آية ١٠٨ سورة الأنعام.

(٣) انظر : الفتاوي الكبرى جـ ٣ ص ٢٢٣ - ٢٣٠ وأعلام الموقعين جـ ٣ ص ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٥٥ وفتاوي اللجنة الدائمة جـ ١ ص ٣٤٥.

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾[1]. ففي الآية عاب سبحانه أمرين :

١- عاب عبادة الأولياء من دونه.

٢- عاب محاولة القربى إليه بالمخلوق ، والتوسل بالذات أو بدعاء الميت من الأمر الثاني. قال شيخ الإسلام ـ عندما سئل عن رجلين تناظرا ـ فقال أحدهما لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله ، فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك :

فقال : (الحمد لله رب العالمين إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة يبلغنا أمر الله فهذا حق ... ، وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون إليه فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفّر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار)[2].

الثاني : فيه انتقاص لله سبحانه وتعالى وتنزيل له إلى منزلة المخلوق

---

(١) الآية ٣ سورة الزمر.

(٢) الفتاوى ، جـ ١ ، ص١٢١ – ١٢٣.

الذي يحابي في فضله وحكمه فيعطي من له وسيط أكثر مما يعطي غيره أو يحرم من ليس له وسيط لجهله بحاله وبعده عن سماع مقاله[١] والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[٢].

الرابع: أن في هذا النوع من التوسل دعاء ميت - وذلك عند التوسل بدعاء الميت - وقد ورد النهي عنه والوعيد عليه؛ إذ هو شرك أو ذريعة إلى الشرك[٣] كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[٤] فبين سبحانه أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة – أي ينكره، ويعادي من فعله. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[٥] فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب، ولا ينفع ولا يضر.

---

(١) الأجوبة المفيدة ص ١٤٥.

(٢) آية ١٨٦ سورة البقرة.

(٣) قاعدة جليلة ص ٣٣ - ٣٤.

(٤) آية ١٣ – ١٤ سورة فاطر.

(٥) آية ٦ سورة الأحقاف.

ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولا عن غيرهم من السلف أنهم أنزلوا حاجاتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته ، بل العكس نراهم عام الرمادة توسلوا بدعاء العباس ﷺ ؛ لأنه حي حاضر يدعو ربه ، فلو جاز التوسل بأحد بعد وفاته لتوسل عمر والسابقون الأولون بالنبي ﷺ [1].

قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر بعض الأدلة في النهي عن دعاء غير الله : (ومثل هذا كثير في القرآن ينهى أن يدعى غير الله لا من الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم ، فإن هذا شرك أو ذريعة إلى الشرك بخلاف ما يطلب من أحدهم في حياته من الدعاء والشفاعة فإنه لا يفضي إلى ذلك ، فإن أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته بحضرته ، فإنه ينهى من يفعل ذلك بخلاف دعائهم بعد موتهم، فإن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم)[2].

وقال أيضاً : (فإن دعاء الملائكة ، والأنبياء بعد موتهم ... وسؤالهم ... والاستشفاع بهم في هذه الحال ... هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولاً ولا أنزل به كتاباً ... ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين)[3].

الخامس : أن من هذا النوع من التوسل ، التوسل بالجاه أو الحق

---

(١) انظر: تسير العزيز الحميد ، ص٦٦١ – ٦٦٢ . وقاعدة جليلة ، ص ١٩، ٣٣ ، ٤٤.

(٢) قاعدة جليلة ، ص ٣٣. وانظر مجموع الفتاوى جـ ١ ، ص ٣٣٠.

(٣) قاعدة جليلة ص١٩.

ونحوهما وهو باطل من ثلاثة وجوه :

الأول : أنه توسل بعمل الغير ؛ ذلك أن المنزلة والجاه إنما اكتسبها الإنسان بعمله ، وعمل الغير مختص به فلو توسل به غيره كان قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سبباً لنفعه. قال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] .

وقال شيخ الإسلام : (قول السائل لله تعالى : « أسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم أو بجاه فلان ... » يقتضي أن هؤلاء لهم عند الله جاه وهذا صحيح ... ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم مما يقتضي إجابة دعائه إذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك ... بل يكون قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سبباً لنفعه ...)[2].

الثاني : أن في التوسل بمنزلة أو حق الغير اعتداء في الدعاء والاعتداء في الدعاء محرم ، قال تعالى : ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[3].

(١) الآية ٣٩ سورة النجم.

(٢) الفتاوي ، جـ١ ، ص ٢١١ – ٢١٢.

(٣) آية ٥٥ سورة الأعراف.

وقال شارح[1] الطحاوية : (... فلا مناسبة بين ذلك[2] وبين إجابة دعاء هذا السائل . فكأنه يقول : لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعاي وأي مناسبة وأي ملازمة ؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء ، وقد قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[3] وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ، ولم ينقل عن النبي ﷺ ، ولا عن الصحابة ، ولا عن التابعين ، ولا عن أحد من الأئمة ... والدعاء من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على السنة والاتباع ، لا على الهوى والابتداع)[4] .

الثالث : أن السؤال بحق فلان يتضمن أن للمخلوق حق على الخالق وليس على الله حق[5] إلا ما أحقه على نفسه بوعده الصادق ، يقول القدوري[6]: (المسألة بخلقه لا تجوز، لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقاً)[7].

---

(١) اختلف فيه فقيل ابن أبي العز الحنفي وقيل جمال الدين الملطي. وقيل : غير معروف. ولذلك قلت شارح. انظر : شرح الطحاوية ص ٥ – ٦.

(٢) وهو قوله (بحق فلان).

(٣) آية ٥٥ سورة الأعراف .

(٤) شرح الطحاوية ص٢٦٢ .

(٥) القول الجلي ، ص ٢٩.

(٦) أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن القدوري فقيه حنفي ، ولد في بغداد سنة ٣٦٢هـ . وانتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق وتوفي سنة ٤٢٨هـ ، انظر : الأعلام ، جـ١ ، ص ٢١٢

(٧) قاعدة جليلة ص ٥٠.

السادس : أن من هذا النوع من التوسل سؤال العبد ربه حاجته مقسماً بمخلوق.

وهذا فيه محذور من وجهين :

الأول : أن فيه إقسام بغير الله والإقسام بغير الله على المخلوق لا يجوز قال ﷺ : (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)[١] بل عده الرسول ﷺ من الشرك. قال ﷺ : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)[٢].

فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق إنه ليس شركاً فقط بل هو تقرب إلى الله بالشرك والتقرب إلى الله إنما يكون بما يرضيه لا فيما يسخطه[٣].

قال شارح الطحاوية (وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان فذلك محذور أيضاً لأن الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز فكيف على الخالق ؟! وقد قال ﷺ : (من حلف بغير الله فقد أشرك)[٤])[٥] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، انظر : جامع الأصول حديث ٩٢٨١.

(٢) أخرجه الترمذي عن سعد بن عبيده برقم ١٥٣٥ في النذور والأيمان باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله وقال هذا حديث حسن . انظر : جامع الأصول حديث ٩٢٧٨.

(٣) انظر قاعدة جليلة ص ٢١ ، ١٠٦ والتوصل ص ١٩١.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) شرح الطحاوية ص ٢٦٢.

وقال ابن تيمية : (وأما القسم الثالث مما يسمى توسلاً ... وهو الإقسام على الله عز وجل بالأنبياء والصالحين ، أو السؤال بأنفسهم فإنه لا يقدر أحد أن ينقل فيه عن النبي ﷺ شيئاً ثابتاً لا في الإقسام أو السؤال به ولا في الإقسام أو السؤال بغيره من المخلوقين ... وقد ثبت أنه لا يجوز القسم بغير الله لا بالأنبياء ولا بغيرهم ... فإذا لم يجز أن يحلف بها الرجل ولا يقسم بها على مخلوق فكيف يقسم بها على الخالق جل جلاله)[1].

الوجه الثاني : أن فيه تعظيم للمخلوق :

ذلك أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به وبما أن المحلوف به يكون أعظم من المحلوف عليه فإن في هذا القسم رفع للمخلوق فوق منزلة الخالق ، ومساواة المخلوق بالخالق شرك فكيف لو جعلناه أعظم منه.

قال النووي (قال العلماء : الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به ، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى به غيره)[2].

---

(١) قاعدة جليلة ص ١٠٦ وانظر ص ١٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم جـ ١١ ص ١٠٥ ، وانظر الفتاوي جـ١ ص ١٩١.

ثانياً : عرض ما تيسر من شبهات[1] من قال بهذا النوع من التوسل مع المناقشة.

لقد تمسك من قال بهذا النوع من التوسل بشبهات نقلية وعقلية منها ما يلي :

أولاً : شبهاتهم فيما استدلوا به من القرآن ومن ذلك ما يلي :

الشبهة الأولى : قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2].

يقول الزهاوي[3] : (لنا على جواز التوسل والاستغاثة دلائل : منها : قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ... ﴾ الآية)[4].... إلى أن قال : بل ظاهر الآية تخصيصها بالذوات ...)[5] .

الجواب : يقال لهم الآية حجة عليكم لا لكم ؛ ذلك أن المراد بالوسيلة

---

(١) جمع شبهة وهي دليل أو استدلال باطل.

(٢) آية ٣٥ سورة المائدة.

(٣) هو جميل أفندي صدقي الزهاوي أطلق عليه أبن سحمان العراقي أثناء رده عليه في كتابه الضياء الشارق ـ انظر : التعريف به في الضياء الشارق ص ٧ والأعلام جـ ٢ ص ١٣٧.

(٤) آية ٣٥ سورة المائدة.

(٥) الضياء الشارق ص ٤٨٧.

فيها : هي : التقرب إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه[1].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : (يقول سبحانه وتعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الإنكفاف عن المحارم وترك المنهيات ، وقد قال بعدها (وابتغوا إليه الوسيلة) قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس : أي القربة. وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن ... وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد. وقال قتادة : أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه ... وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه)[2].

وقال ابن جرير : (وابتغوا إليه الوسيلة) : واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه ... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل) ثم روى عن مجموعة منهم - أبو وائل وعطاء ، وقتادة ، ومجاهد ، وعبد الله بن كثير - كلهم يقولون بهذا القول[3].

فإذا كان المراد بالوسيلة في الآية : هي التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة ، فالآية حجة في إثبات شرعية التوسل بالأعمال الصالحة لا ما زعمتم من التوسل بالذوات ونحوها.

---

(١) انظر : مجموع الفتاوي جـ ١ ص ٢٤٧.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٢. وانظر تفسير ابن عباس جـ ١ ص ٣٣٦.

(٣) تفسير الطبري جـ ٦ ص ١٤٦ - ١٤٧.

الشبهة الثانية : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾[1] .

يقول الزهاوي في معرض استدلاله بهذه الآية : (إن الكفار يعبدون الأنبياء والملائكة على أنهم أرباب ، فيقول الله لهم : أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون إلى الله بمن هو أقرب ، فكيف تجعلونهم أرباباً وهم عبيد مفتقرون إلى ربهم متوسلون إليه بمن هو أعلى مقاماً منهم »[2] .

الجواب : يقال لهم استدلا لكم باطل ؛ ذلك أن المراد بالوسيلة التي أخبر الله بأن الذين يدعوهم المشركون أرباباً يبتغونها إليه ؛ لأنهم أهل الإيمان به.

هي كما قال شيخ الإسلام[3] : ما يتقرب به إلى الله من الواجبات والمستحبات. فهي قربة بطاعة أمر الله بها عباده.

قال الشوكاني : (... ولا خلاف في يبتغون أنها بالتحتية و الوسيلة القربة

---

(١) آية ٥٦-٥٧ الإسراء .

(٢) الضياء الشارق ٤٩٧ .

(٣) قاعدة جليلة ص ٤٨.

بالطاعة والعبادة)[١] .

وقال الشنقيطي في تفسير هذه الآية : (وقد قدمنا في سورة المائدة أن المراد بالوسيلة في هذه الآية الكريمة وفي آية المائدة هو التقرب إلى الله بالعمل الصالح)[٢] .

وعليه فإنها لا تشمل شيئاً من التوسل الممنوع ؛ إذ لم يأمر به الله.

يؤكد ذلك أنه لم يعمل به الصحابة ومن أتى بعدهم من القرون المفضلة الذين هم أعلم هذه الأمة بكتاب الله ، ولو كان في هذه الآية أو غيرها دلالة عليه لعملوا به أيضل عنه الصحابة ويهتدي إليه هؤلاء المتأخرون.

إضافة إلى ما ذكرت ـ فإن طائفة من المشركين كانوا يدعون الملائكة والأنبياء ، وقيل يدعون الجن. فأنزل الله هاتين الآيتين إنكاراً عليهم ذلك ، لذا فهما تتضمنان النهي عن دعاء غير الله[٣]. والآية الأولى كما قال شيخ الإسلام.

قصد بها بالتعميم لكل ما يدعي من دون الله ، فكل من دعا ميتاً أو غائباً

---

(١) فتح القدير ج٣ ص٢٣٧

(٢) أضواء البيان ج٢ص٣١٣ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٤٦-٤٧ وتفسير الشوكاني جـ٣ ص ٢٣٧ وقاعدة جليلة ص ١١٧ والقول الفصل النفيس ص ٤١ والضياء الشارق ص ٤٩٤ .

من الأنبياء أو الصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية.

كما تتناول من دعا الملائكة والجن ؛ إذ أنه شرك أو ذريعة إلى الشرك(١).

وعليه فإن من توسل بدعاء ميت فإن هذا النهي يتناوله ؛ إذ فيه دعاء لغير الله وهو دعاء الميت وذلك ذريعة إلى الشرك.

يقول شيخ الإسلام ـ في تعليقه على هذه الآية ـ (قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء فقال الله تعالى : هؤلاء الذين تدعونهم هم عبادي كما أنتم عبادي ، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، ويتقربون إلى كما تتقربون إلي. فنهي سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء ... ؛ لأن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم .. بخلاف الطلب من أحدهم في حياته فإنه لا يفضي إلى الشرك)(٢).

وقال أيضاً – بعد أن ذكر هذه الآية – : (... ومثل هذا كثير في القرآن ينهى أن يدعى غير الله لا من الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم فإن هذا شرك أو ذريعة إلى الشرك بخلاف ما يطلب من أحدهم في حياته من الدعاء والشفاعة فإنه لا يفضي إلى ذلك)(٣).

---

(١) انظر : مجموع الفتاوي جـ ١٥ ص ٢٢٦ وقاعدة جليلة ص ٣٣.

(٢) قاعدة جليلة ص١٣٦-١٣٧ .

(٣) قاعدة جليلة ص٣٣ .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - في تعليقه على هذه الآية -: (وأما ادعاء المنحرفين عن الإيمان من أن الوسيلة هي التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين فهذا باطل يناقض ما ذكره الله تعالى في أول الآية من تهديد من دعاهم وإنكاره عليهم دعوتهم)(١).

مما ذكر اتضح أن الآيتين إنما تدلان على التقرب إلى الله بالعمل الصالح وهو توسل مشروع كما تدلان على النهي عن التوسل بدعاء الميت وهو من أنواع التوسل الممنوع وعليه فالآيتان حجة عليهم لا لهم.

الشبهة الثالثة: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾(٢).

يقول الزهاوي - بعد أن ذكر هذه الآية مستدلاً بها -: (فقد علق الله تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام وفي ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به ﷺ ...)(٣).

الجواب: يقال لهم: استدلالكم خاطئ.

فالآية إنما ترشد إلى توسل مشروع وهو التوسل بدعائه ﷺ حال حياته.

---

(١) القول الفصل النفيس ص٤٢ .

(٢) آية ٦٤ النساء .

(٣) الضياء الشارق ص٥٠٤ .

يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : قوله (جاءوك) : فإن المجيء إلى الرجل ليس معناه إلا المجيء إلى عين الرجل ، أما المجيء إلى قبره فإنه ليس من أفراد المجيء إلى الرجل لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً. ولا يفهم من هذا اللفظ - بحسب اللغة والعرف - إلا المجيء إليه في حياته الدنيوية المعهودة[١].

ولذا لم يفهم من هذه الآية أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم[٢].

ثانياً : قوله (واستغفر لهم الرسول).

واستغفاره ﷺ لا يكون إلا في حياته ؛ ذلك أن الاستغفار كغيره من الأعمال ينقطع بعد الموت لانقطاع التكليف عنه[٣].

قال ﷺ : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[٤]. ولا شك أن الرسول ﷺ يشمله الحديث لأنه من الإنسان[٥].

---

(١) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) الصارم المنكي ص ٤٢٥ (بتصرف).

(٣) انظر : قاعدة جليلة ص ١٣٧ وتيسير الكريم الرحمن جـ ٢ ص ٤٤.

(٤) أخرجه مسلم وأبوداود والترمذي والنسائي . انظر : جامع الأصول حديث ٨٧١٢ .

(٥) انظر : الجواب المختار ص ٥١.

ثالثاً : أنه لو كان استغفاره ﷺ لمن جاءه مستغفراً بعد موته مشروعاً لأمر به أمته ورغبهم فيه ولكان الصحابة وتابعوهم بإحسان أرغب شيء فيه وأسبق إليه ، فهم أحرص هذه الأمة على الالتزام بأمر الله سبحانه ، وأشدهم تعظيماً لنبيها ومعرفة لقدرته ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل ؛ إذ لم ينقل عن أحد منهم قط بنوع من أنواع الأسانيد أنه جاء إلى قبره ليستغفر له ولا شكا إليه ولا سأله[1]. كل ذلك يؤكد أنها خاصة في حياته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومنهم من يتأول قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ....الآية ﴾[2] . ويقولون : إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين فإن أحداً منهم لم يطلب من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئاً ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم)[3].

وقال الشيخ ابن سعدي – في تفسير هذه الآية – : (... وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته ؛ لأن السياق يدل على ذلك ، لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته ، وأما بعد موته ، فإنه لا يطلب

---

(١) الصارم المنكي ص ٤٢٨ (بتصرف) وانظر : قاعدة جليلة ص ١٩ – ٢٠.

(٢) سورة النساء الآية ٦٤ .

(٣) قاعدة جليلة ص١٩ .

منه شيء بل ذلك شرك)[١] .

وقال ابن عبد الهادي الحنبلي : (... وأما دلالتها على المجيء إليه في قبره بعد موته فقد عرف بطلانه)[٢] .

مما ذكر أتضح أن الآية لا تدل على المجيء إلى قبر النبي ﷺ وطلب الاستغفار والشفاعة منه ، أو التوسل بذاته. وإنما تدل على توسل مشروع وهو التوسل بدعائه ﷺ حال حياته.

الشبهة الرابعة : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣] .

وجه الدلالة : قالوا في هذه الآية وعد للمصدقين وهم الأولياء بأن لهم ما يشاءون عند ربهم ، فيدخل في ما يشاءونه من الله تلبية من توسل بهم من العباد[٤] .

يقول محمد الفقي : (... وكيف لا يستعان بمن هذه صفتهم ولا يطلب العون ممن هذا حالهم ، وقد قال تعالى : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ...

---

(١) تفسير ابن سعدي ج٢ ص٤٤ .

(٢) الصارم المنكي ص٤٢٩ .

(٣) سورة الزمر ، الآية ٣٤ .

(٤) انظر : القول الجلي ص ٣٧ ، والتوسل والزيارة ص ١٩٥.

الآية﴾(١)(٢) .

الجواب : يقال لهم : أولاً : لنقرأ الآية التي قبلها والتي بعدها ، وماذا قيل فيها ؟

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾(٣) . قيل الآية خاصة (والذي جاء بالصدق) : قيل هو جبريل ، وقيل محمد. والذي صدق به : قيل محمد ﷺ وقيل أبو بكر ، وقيل المؤمنون ، وقال النخعي (الذي جاء بالصدق وصدق به هم المؤمنون الذي يجيئون بالقرآن يوم القيامة)(٤) .

وقيل : هي عامة عني بها كل من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسوله والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ وهو ما اختاره كثير من المفسرين ، كابن جرير ، وأبن سعدي والشوكاني(٥) .

---

(١) آية ٣٤ سورة الزمر.

(٢) التوسل والزيارة ص ١٩٧ .

(٣) آية ٣٣ –٣٥ سورة الزمر.

(٤) تفسير الشوكاني جـ ٤ ص ٤٦٣ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٥٣ وتفسير الطبري جـ ٢٤ ص ٣ – ٤ ، وتفسير ابن سعدي جـ٧ ص ٣٣ ، وتفسير الشوكاني جـ٤ ص ٤٦٣ .

فيكون المراد من الآية أن كل من آمن بالله وعمل صالحاً فله ما يشاء عند ربه ، وعليه فهي ليست خاصة جماعة بعينهم - كما يزعمون -.

ثانياً : المراد بقوله ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾ في الآخرة لا في الدنيا . بدليل قوله ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ .

يقول ابن جرير (لهم عند ربهم يوم القيامة ....)[1] وبدليل قوله تعالى ﴿ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾[2][3] .

وعليه فإن تلبية من توسل بهم لا تدخل في ما يشاءونه ، لأنها من أمور الدنيا.

ثالثاً : على فرض دخول الأمور الدنيوية في ما يشاءونه فإن هؤلاء المحسنين كانوا يدعون إلى توحيد الله والعمل بما يرضيه. ولذلك وصفهم بالمتقين ، وهم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد وأداء الفرائض واجتناب المعاصي[4]. ومن كان كذلك فلن يشاء الشرك أو شيئاً من

---

(١) تفسير الطبري جـ ٢٤ ص ٤.

(٢) آية ٢٢ سورة الشورى.

(٣) انظر القول الجلي ص ٣٧ – ٣٨.

(٤) انظر : تفسير الطبري جـ ٢٤ ص٤.

وسائله. وبذلك يتضح بطلان استدلالهم بالآية.

الشبهة الخامسة : استدلوا بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٢] قالوا : الآيتان تفيدان أن الأولياء أحياء بعد قتلهم وما داموا كذلك فيجوز نداؤهم والتوسل بهم كالأحياء في الدنيا[٣].

يقول محمد الفقي : (وحيث ثبتت حياة المتوفى في البرزخ بما أوردناه وبقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ... الآية) جاز طلب العون منهم ...)[٤] .

الجواب : يقال لهم هاتان الآيتان نزلتا في حق الشهداء[٥] :

فالآية الأولى : توجيه للمؤمنين أن لا يقولوا لمن يقتل في سبيل الله هو ميت . فإن الميت من سلب حياته وأعدمت حواسه فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيماً ، أما من قتل في سبيل الله فإنهم في حياة ونعيم فرحين بما آتاهم الله

---

(١) آية ١٥٤ سورة البقرة.

(٢) آية ١٦٩ سورة آل عمران.

(٣) انظر: اتحاف الأذكياء ص١٣ – ١٤ وتطهير الجنان ص ٥٩ والبروق النجدية ص٣٠.

(٤) التوسل محمد الفقي ص ١٨٨.

(٥) انظر : أسباب النزول للسيوطي بهامش (تفسير وبيان) ص٤٣ ، ص ١٠٩ – ١١٠.

من فضله.

والآية الثانية : إخبار من الله تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار كما جاء في صحيح مسلم عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل .... الحديث)[1]. وعليه فالآيتان إنما تفيدان أن الشهداء أحياء بعد قتلهم حياة برزخية لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه لا تقاس بالحياة الدنيا ولا تعطى أحكامها.

بل إن فيما زعمتم مصادمة لكتاب الله ؛ لأن الله يقول : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾[2] فلم يجعلهما الله سواء بل فرق بين الأحياء والأموات[3] وإذا لم يكونوا سواء فإنه يبطل قياس

---

(١) رواه مسلم في الإماره باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون. انظر : جامع الأصول حديث ٧٢١٣.

(٢) آية ٢٢ سورة فاطر.

(٣) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٩٧ ، ٤٢٦ – ٤٢٧ ، وتفسير ابن جرير جـ ٤ ص ١١٣ ، جـ ٢٢ ص ٨٥ والقول الفصل النفيس ص ٣٦ والتوسل للألباني ص ٦٥ – ٦٦ وتطهير الجنان صـ ٦٤ – ٧٠ (المتن والحاشية).

حياة الأموات على حياة الأحياء، وعليه فتبطل هذه الشبهة.

ثانياً: شبهاتهم فيما استدلوا به من السنة، ومن أقوال وأفعال الصحابة والتابعين.

وهي: إما استشهاد في غير محله، أو حديث أو أثر ضعيف أو موضوع. منها ما يلي:

الشبهة الأولى: حديث استسقاء عمر بالعباس الذي مر ذكره في أدلة أهل السنة على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي. وهو ما روي عن أنس بن مالك ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا. قال: فيسقون)[1].

وجه استدلالهم: قالوا: ورد في الحديث (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا).

قالوا: المراد بعم نبينا ـ أي بجاهه ـ فهم فهموا أن توسله بالعباس كأنه مجرد ذكر منه للعباس في دعائه، وطلب منه الله أن يسقيهم من أجله وقد أقره الصحابة على ذلك، فأفاد بزعمهم ما يدعون.

وعللوا: عدول عمر ﷺ عن التوسل بالرسول ﷺ إلى التوسل بالعباس

---

(١) سبق تخريجه ص٣٩٧.

ﷺ - لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل"[1].

يقول أحمد دحلان ـ بعد أن أورد هذا الحديث مستدلاً به ـ : (وإنما خص عمر العباس من دون سائر الصحابة رضي الله عنهم لإظهار شرف أهل بيت رسول الله ﷺ ولبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل)[2].

ومثل ذلك قال محمد الفقي ـ بعد أن أورده مستدلاً به[3].

الجواب : يقال لهم : استدلالكم خاطيء فإن عمر ﷺ والصحابة إنما توسلوا بدعاء العباس. ويدل على ذلك أمور منها :

١ - أن عمر صرح بأنهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته ، وفي هذه الحادثة بالعباس.

ومما لا شك فيه أن التوسلين من نوع واحد وإذا تبين للقارئ ـ مما يأتي ـ أن توسلهم به ﷺ إنما كان بدعائه ، فتكون النتيجة أن توسلهم بالعباس إنما هو توسل بدعائه ، ومما يؤكد أن توسلهم به ﷺ في حياته إنما كان بدعائه صريح رواية الإسماعيلي في مستخرجه على الصحيح لهذا الحديث بلفظ :

---

(١) التوسل للألباني ص ٥٥ – ٥٦ وانظر : الدرر السنية ص ١٠ – ١٢ والتوسل محمد الفقي ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) الدرر السنية ص ١٠ – ١٢.

(٣) انظر : التوسل محمد الفقي ص ١٧٤ – ١٧٥.

« كانوا إذا قحطوا على عهد النبي ﷺ استسقوا به فيستسقي لهم فيسقون ، فلما كان في إمارة عمر ...) فذكر الحديث [1]. فقوله (فيستسقي لهم) صريح في أنه ﷺ كان يطلب لهم السقيا من الله تعالى . وهذا هو التوسل بدعائه.

كذلك حديث الأعرابي الذي دخل المسجد ـ والرسول ﷺ يخطب ـ وشكا له الجدب ، ونحوهما. كل ذلك يدل على أن توسلهم به ﷺ في حياته إنما كان بدعائه.

٢- ما ورد في بعض روايات هذا الحديث الصحيحة أن العباس لما أستسقى به عمر دعا. يقول ابن حجر في الفتح : (وقد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال : (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة ... وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فأسقنا الغيث)[2].

هذه الرواية تدل على أنهم توسلوا بدعاء العباس لا بذاته ، إذ لو كان التوسل بذاته أو جاهه لما كان هناك حاجة ليقوم العباس فيدعو بعد عمر

---

(١) فتح الباري جـ ٢ ص ٤٩٥.

(٢) فتح الباري جـ ٢ ص ٤٩٧.

بهذا الدعاء.

٣- لو كان توسلهم بالعباس - بذاته أو جاهه - لما عدلوا عن النبي ﷺ إلى العباس ؛ إذ ذاته ﷺ أفضل وجاهه أعظم من جاه العباس. لكن لما كان بدعائه. والرسول ﷺ لا يمكن أن يدعو لهم لوفاته عدلوا إلى حي فاضل ، فاختاروا العباس لفضله ﷺ[1].

قال ابن تيمية : (ودعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الاستسقاء المشهور بين المهاجرين والأنصار وقوله (اللهم إنا كنا إذا أجد بنا نتوسل إليك بنبينا ...) يدل على أن التوسل المشروع - عندهم - هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته ؛ إذ لو كان هذا مشروعاً لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس)[2].

كل ما ذكرنا يدل دلالة واضحة على أن توسل الصحابة بالعباس إنما كان بدعائه .

وأما قولهم : أن عمر ﷺ ،عدل عن التوسل بالرسول ﷺ إلى التوسل بالعباس ؛ لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل.

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ص ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٢٩ ، والفتاوي جـ ١ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، والتوسل للألباني ص ٦٠ - ٦١ ، ٦٨ - ٧٠ ، وروح المعاني جـ ٦ ص ١٢٦ - ١٢٧ وصيانة الإنسان ص ١٤٢ ، ٢١٣ ، وشرح الطحاوية ص ٢٦٣.

(٢) قاعدة جليلة ص ٦٤.

فنقول : كلام مردود من وجوه ، منها :

الأول : أنه ليس من المعقول أن الصحابة يقرون عمر على ترك التوسل بالرسول ﷺ - لو كان ممكناً - إلى التوسل بعمه ، ولن يقبل العباس أن يتركوا التوسل بالرسول ﷺ - لو كان ممكناً - إلى التوسل به ؛ إذ في ذلك ترك للسنة المشروعة وعدول عن الأفضل ، أضف إلى ذلك أنهم رضي الله عنهم يعرفون قدر نبيهم ﷺ ومكانته وفضله معرفة لا يدانيهم فيها أحد ، فلن يؤثروا عليه أحداً لو كان ممكناً لأي سبب من الأسباب.

الثاني : أن سؤال الله بأضعف السببين إنما يكون في وقت الرخاء. أما في وقت الشدة فالناس أحرص على أكبر وسيلة لزوالها. وعام الرمادة معلوم ما أصاب المسلمين فيه من شدة.

الثالث : لنفرض أن الذي حمل عمر على ترك التوسل بالرسول ﷺ إلى التوسل بعمه ما زعموه ، فما الذي حمل معاوية والضحاك بن قيس عندما توسلا بيزيد بن الأسود الجرشي. وأيضاً لو كان الأمر كذلك لفعل عمر ذلك مرة واحدة ولما استمر عليه كلما استسقى بدليل ما ورد في هذا الحديث من قوله (إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس...) فإن في هذا إشارة إلى تكرار استسقاء عمر بالعباس[1]. كل ما

---

(١) انظر : التوسل للألباني ٦٢ - ٦٣ ، ٦٦ - ٦٨. وقاعدة جليلة ص ٦٥ ، ١٠٤ - ١٠٥، ١٣١ ، وروح المعاني جـ ٦ ص ١٢٦.

ذكرت يؤكد بطلان استدلالهم بهذا الحديث على التوسل بالجاه أو غيره من التوسل الممنوع.

الشبهة الثانية : حديث الضرير ـ وهو ما روي عن عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني. فقال : (إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذاك فهو خير) وفي رواية (وإن شئت صبرت فهو خير لك) ، فقال : أدعه : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في) قال : ففعل الرجل فبرأ[1].

وقد استدل به السبكي[2]، والزهاوي[3]، وأحمد دحلان[4] على جواز التوسل بالذات أو الجاه .

وجه استدلالهم : قالوا الحديث يدل على جواز التوسل بذات أو جاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين ، إذ فيه أن النبي ﷺ علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه. حيث أمره أن يدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٩٦.

(٢) انظر : شفاء السقام ص ١٣٩ – ١٤٠.

(٣) انظر : الضياء الشارق ص ٥٣٧.

(٤) انظر : الدرر السنية ص ٨ – ٩.

إليك بنبيك ...) وقد فعل الأعمى ذلك فبرأ[١].

يقول الزهاوي - بعد أن ساق هذا الحديث - : (فقد أمر النبي ﷺ الرجل الضرير أن يناديه ويتوسل به إلى الله في قضاء حاجته)[٢].

ويقول أحمد دحلان : (ومن الأحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي ... ثم ساق الحديث وقال : ففي هذا الحديث التوسل والنداء أيضا)[٣].

الجواب : يقال لهم استدلالكم بهذا الحديث على جواز التوسل بذات أو جاه النبي ﷺ أو غيره استدلال خاطيء . فالحديث إنما يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي لا غير. وذلك لما يلي :

١- أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له بدليل قوله : (ادع الله أن يعافيني) ولو كان قصده التوسل بذاته ﷺ أو جاهه . لما احتاج منه المجيء إلى النبي ﷺ بل ممكن أن يتوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه وهو في بيته أو في أي مكان. فمجيئه وطلبه من الرسول أن يدعو له دليل واضح على أنه إنما توسل بدعائه ﷺ.

---

(١) انظر : التوسل للألباني ص ٧٦.

(٢) الضياء الشارق ص ٥٣٧.

(٣) الدرر السنية ص ٨.

٢- أن النبي ﷺ خيره بين الدعاء وبين أن يصبر مع بيان فضيلة الصبر ونصحه به - حيث قال : (إن شئت دعوت لك وإن شئت صبرت فهو خير لك).

٣- إصرار الأعمى على الدعاء بقوله : ادعه .

فهذا يدل على أنه اختار الدعاء ، وأن الرسول ﷺ دعا له ؛ لأنه وعده بقوله : إن شئت دعوت لك - وقد شاء الدعاء وأصر عليه - فإذا لا بد أنه ﷺ قد دعا له . فهو خير من وفى بما وعد. ولحرصه ﷺ على أن يستجيب الله دعاءه له وجهه إلى عمل صالح يقدمه بين يدي دعائه ﷺ ليكون أحرى بالقبول - حيث أمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه بدعاء علمه الرسول ﷺ إياه.

٤- ورد في الدعاء الذي علمه الرسول ﷺ إياه (اللهم فشفعه فيّ) وهذا صريح في أن الرسول ﷺ قد دعا له وأن توسله إنما كان بدعائه. فهو يدعو أن يقبل الله دعاء نبيه له فقوله (اللهم فشفّعه فيّ) معناه : اللهم اقبل شفاعته ﷺ - أي اقبل دعاءه - في أن ترد عليّ بصري. ولو كان توسل بذاته أو جاهه، لم يكن لهذا فائدة ولا معنى في الحديث. وهذا مردود كذلك ما يستلزمه.

قال شيخ الإسلام - بعد أن ذكر الحديث - (فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته ، ودعاله النبي ﷺ ، ولهذا قال : (وشفعه فيّ) فسأل الله أن يقبل

شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه)[1].

٥- أن هذا الحديث قد ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب مما يدل على أن التوسل فيه توسل بالدعاء. وأن السر في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي ﷺ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (... فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ...)[2] أما ما تضمنه الدعاء من قوله (أسألك بنبيك) فالمراد بدعاء نبيك بدليل طلبه من الرسول ﷺ أن يدعو له وبدليل قوله في دعائه (اللهم فشفّعه فيّ) فهذا يقتضي أنه ﷺ سيدعو له. فهو دعاء في أن يقبل الله دعاء النبي ﷺ له ـ كما تقدم بيانه آنفاً.

أضف إلى ذلك أن التوسل بالشخص في مفهوم الصحابة وعرفهم إنما هو طلب الدعاء منه حال حياته ، أما التوسل بالجاه أو الذات فهم لا يقرونه؛ لأنه من مفاهيم الجاهلية التي بعث ﷺ لأجل القضاء عليها ، وعليه فالحديث إنما يدل على التوسل بالدعاء ، لا بالجاه أو الذات - كما يزعمون[3].

---

(١) قاعدة جليلة ص ٩٢.

(٢) الفتاوي جـ ١ ص ٢٦٦.

(٣) انظر : الفتاوي جـ ١ ص ١٤٣ ، ٢٨٥ وقاعدة جليلة ص ٩٢ واقتضاء الصراط المستقيم ص ٤١٥ - ٤١٦ والضياء الشارق ص ٥٤٠ والأسنة الحداد ص ٢٣١ والتوسل للألباني ص ٧٦ - ٨١ .

قال شيخ الإسلام (وحديث الأعمى لا حجة لهم فيه ، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته)[١].

الشبهة الثالثة : ما روي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : قال : (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك)[٢].

وقد استدل به أحمد دحلان ، والزهاوي ومن وافقهما على جواز التوسل بكل عبد مؤمن.

يقول أحمد دحلان ـ بعد أن ساق الحديث : (فانظر قوله (بحق السائلين عليك) فإن فيه التوسل بكل عبد مؤمن)[٣].

ويقول الزهاوي بعد أن ساق الحديث ـ (فقد توسل النبي عليه الصلاة

---

(١) قاعدة جليلة ص ٦٤.

(٢) رواه ابن ماجة برقم ٧٧٨ في المساجد والجماعات باب المشي إلى الصلاة وأحمد في المسند برقم ١١١٥٦ وإسناده ضعيف انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ ١ ص ٣٤ – ٣٧. ومسند الإمام أحمد جـ١٧ ص ٢٤٨ (الحاشية) وجامع الأصول جـ٤ ص ٣١٨ (الحاشية)

(٣) انظر الدرر السنية ص ٦ – ٧.

والسلام في قوله : (إني أسألك بحق السائلين عليك) بكل عبد مؤمن وأمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء فيتوسلوا مثل توسله)[١].

الجواب : يقال لهم :

أولاً : الحديث شديد الضعف فلا يحتج به ؛ لأنه من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري. وفضيل وعطية : كلاهما ضعيف.

فأما فضيل فقد ضعفه أبو حاتم والنسائي والحاكم ، وقال ابن حبان (يخطيء على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات) .

وقال الرازي : لا يحتج به[٢].

وأما عطية بن سعد فقال ابن تيمية والذهبي : مجمع على ضعفه[٣] . وأورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين[٤].

وقال ابن حجر : كان شيعياً مدلساً[٥].

---

(١) الضياء الشارق ص ٥٣٢.

(٢) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي جـ ٢ ص ٩ وسلسلة الأحاديث الضعيفة جـ ١ ، ص ٣٤ – ٣٥ وصيانة الإنسان ص ١٠٤ وميزان الاعتدال جـ ٥ ص ٤٤٠.

(٣) (٤) قاعدة جليلة ص ١٠٧ وديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي جـ ٢ ص ١٥٩ . وانظر ميزان الاعتدال جـ ٥ ص ١٠٠ – ١٠١.

(٥) تقريب التهذيب جـ ٢ ص ٢٤.

وقال ابن حبان :(سمع من أبي سعيد الخدري أحاديث فلما مات جعل يجالس الكلبي فإذا قال الكلبي قال رسول الله ﷺ حفظ ذلك ورواه عنه وكناه أبا سعيد فيظن أنه أراد (الخدري) وإنما أراد (الكلبي) لا يحل كتب حديثه : إلا على التعجب)[١].

والكلبي : هو محمد بن السائب أحد المعروفين بالكذب في الحديث[٢].

وعلى هذا فعطية شيعي مدلس مجمع على ضعفه ـ فلا يحتج بروايته.

وقد روي من طريق أخر ـ مع اختلاف يسير في اللفظ ـ أخرجه أبو بكر بن السني في عمل اليوم والليلة برقم ٨٤ من طريق الوازع بن نافع العقيلي عن أبي سلمه بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله عن بلال ﷺ[٣]. وهو حديث ضعيف أيضاً : كما قال النووي وابن تيمية[٤]؛ ذلك أن في سنده الوازع وهو ضعيف الحديث جداً ليس بشيء كما قال أبو حاتم وأبو زرعه بل قال الحاكم : روى أحاديث موضوعه ، وكذا قال غيره وقال أبن عدي : عامه ما يرويه الوازع غير محفوظ.

وقال النووي والهيثمي متفق على ضعفه ، وقال أحمد وابن معين ليس

---

(١) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج٢ ص١٨٠ .

(٢) انظر : صيانة الإنسان ص١٠٦ والتوسل للألباني ص ١٠٤ .

(٣) انظر : عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا خرج إلى الصلاة ص ٤٢ ـ ٤٣.

(٤) انظر : الأذكار للنووي ص ٣٢ وقاعدة جليلة ص ١٠٧.

بثقة[1].

وعليه فلا يحتج بالحديث على كلا الروايتين.

ثانياً : على فرض صحة الحديث فإنه لا يؤيد مدعاهم ؛ ذلك أنه توسل بحق السائلين ، وبحق ممشاه إلى المسجد - وهو حق العابدين - وحق السائلين أن يجيبهم ، وحق العابدين أن يثيبهم. وهما مما جعله على نفسه حقاً تكرماً وفضلاً. قال تعالى : ﴿ ... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾[2]. وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ...الآية ﴾[3] ، وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾[4].

وفي الصحيح من حديث معاذ : (... حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحقهم على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم)[5] فيكون

---

(١) انظر : الأذكار النووية ص ٣٢ والجرح التعديل جـ ٩ ص ٣٩ وسلسلة الأحاديث الضعيفة جـ ١ ص ٣٧ – ٣٨ وجامع الأصول جـ ٤ ص ٣١٨ (الحاشية) وقاعدة جليلة ص ١٠٧ وصيانة الإنسان ص ١٢٧ – ١٢٨.

(٢) آية ٤٧ سورة الروم.

(٣) آية ٦٠ سورة غافر.

(٤) آية ٧ سورة الزلزلة.

(٥) رواه البخاري في التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ومسلم برقم ٣٠ في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، انظر : جامع الأصول حديث ٧٠٠٥.

السائل ـ هنا ـ قد توسل بالإجابة ، والإثابة التي هي من صفات الله الفعليه والتوسل بأسماء الله وصفاته مشروع قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ... الآية﴾[(١)(٢)].

قال ابن تيمية : (وهذا الحديث هو من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد وهو ضعيف بإجماع أهل العلم وقد روي من طريق آخر وهو ضعيف أيضاً ولفظه لا حجة فيه فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم وحق العابدين أن يثيبهم وهو حق أحقه الله تعالى على نفسه الكريمة بوعده الصادق باتفاق أهل العلم)[(٣)].

الشبهة الرابعة : عن أبي أمامة قال : (كان رسول الله ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى دعا بهذا الدعاء : اللهم أنت أحق من ذكر ، وأحق من عبد ... أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض ، وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك .... الحديث)[(٤)(٥)].

---

(١) آية ١٨٠ سورة الأعراف.

(٢) انظر : الضياء الشارق ص ٥٣٣ وكشف غياهب الظلام ص ٢٦٣ وصيانة الإنسان ص ١٢٧ (الحاشية) وروح المعاني جـ ٦ ص ١٢٧ والتوسل للألباني ص ١٠٩.

(٣) قاعدة جليلة ص ١٠٧ – ١٠٨.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير جـ ٨ ص ٣١٦ – ٣١٧.

(٥) روى هذه الشبهة عنهم الشيخ محمد بشير ، والشيخ الألباني ، انظر : صيانة الإنسان ص ١٢٩ والتوسل للألباني ص ١١٠.

وجه استدلالهم : أنه ورد فيه سؤال بحق السائلين - فدل على جواز السؤال بكل عبد مؤمن - كالحديث السابق.

الجواب : يقال لهم هذا الحديث لا يحتج به لضعفه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (رواه الطبراني - وفيه فضالة بن جبير ، ضعيف مجمع على ضعفه)[1] .

وقال ابن عدي (ولفضالة عن أبي أمامة قدر عشرة أحاديث كلها غير محفوظه)[2] .

وروى الكناني عن أبي حاتم الرازي قال : (ضعيف الحديث)[3].

وقال ابن حبان : (لا يحل الاحتجاج به بحال : يروى أحاديث لا أصل لها)[4].

وقال الألباني : (الحديث شديد الضعف فلا يجوز الاستشهاد به)[5] .

وعلى هذا فالحديث شديد الضعف فلا يحتج به. ولو فرض صحته فإن قوله (وبحق السائلين عليك) إنما هو سؤال بالإجابة ، وهي من صفات

---

(١) مجمع الزوائد جـ ١٠ ص ١٢٠.

(٢) الكامل لابن عدي جـ ٦ ص ٢١.

(٣) (٤) صيانة الإنسان ص ١٣٠.

(٥) التوسل للألباني ص ١١٠.

الله الفعلية. والتوسل بصفات الله مشروع[1]. وعليه فلا دلالة في الحديث على شيء من التوسل الممنوع.

الشبهة الخامسة : عن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي رضي الله عنهما ، دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري ... يحفرون قبرها ... فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فأضطجع فيه ثم قال : (الحمد لله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، وأوسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين ... الحديث) رواه الطبراني[2].

وممن استدل به أحمد دحلان[3] والزهاوي[4] والعظمي[5] وموسى محمد علي[6].

وجه الاستدلال : قالوا ورد في الحديث (وأوسع عليها مدخلها بحق

(١) انظر : كشف غياهب الظلام ص ٢٦٣ وسلسلة الأحاديث الضعيفة جـ ١ ص ٤٦.

(٢) في المعجم الكبير جـ ٢٤ ص ٣٥١ – ٣٥٢ برقم ٨٧١ والأوسط جـ ١ ص ١٥٢ – ١٥٣ برقم ١٩١.

(٣) انظر : الدرر السنية ص ٧.

(٤) انظر : الضياء الشارق ص ٥٣٥.

(٥) انظر : كشف غياهب الظلام ص ٢٦٧.

(٦) انظر حقيقة التوسل والوسيلة ص ٤٩.

نبيك والأنبياء الذين من قبلي ...) وفي ذلك توسل بذاته وبإخوانه النبيين[١].

يقول موسى محمد علي (ففي هذا الحديث ... توسله عليه الصلاة والسلام إلى ربه بذاته ... وبإخوانه من النبيين ....)[٢].

الجواب : يقال لهم الحديث غير صحيح[٣] لأن في سنده روح بن صلاح وقد تفرد به كما قال أبو نعيم[٤]. واتفقت عبارات كثير من أئمة الجرح على تضعيف روح.

يقول ابن عدي : (روح بن صلاح ... ضعيف) . وقال الدارقطني : (ضعيف في الحديث) . وقال ابن ماكولا : (ضعفوه) . وقال أبو يونس : (رويت عنه مناكير) .

وقال ابن عدي - بعد أن خرج له حديثين - (ولروح ... أحاديث ليست بالكثيرة ... وفي بعض حديثه نكره)[٥].

وذكره ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين[٦].

---

(١) انظر : الدرر السنية ص ٧ وحقيقة التوسل والوسيلة ص ٤٩.

(٢) حقيقة التوسل والوسيلة ص ٤٩.

(٣) انظر : التوصل ص ٢٣٥.

(٤) حلية الأولياء جـ ٣ ص ١٢١.

(٥) انظر الكامل لابن عدي جـ ٣ ص ١٤٦ ولسان الميزان جـ ٢ ص ٥٧٣ – ٥٧٤.

(٦) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي جـ ١ ص ٢٨٧.

وقال الشيخ الألباني ـ بعد أن ذكر كلام بعض الأئمة فيه ـ : (فأنت ترى أئمة الجرح قد اتفقت عباراتهم على تضعيف هذا الرجل وبينوا أن السبب روايته المناكير فمثله إذا انفرد بالحديث يكون منكراً لا يحتج به)[١].

وقال الشيخ عبد الرحمن الدوسري : (هذا الحديث لا يصح دراية فإن صيغة متنه وركاكة ألفاظه وما فيه من المبالغة مما يدل على عدم ثبوته ، زيادة على غرابته وما في سنده من الضعف الذي تكلم عليه المؤلف)[٢].

مما ذكر اتضح أن الحديث لا يصح دراية ولا رواية وإنما هو منكر لا يحتج به والله أعلم.

الشبهة السادسة : عن عمر بن الخطاب مرفوعاً : (لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله : يا آدم ! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي. ادعني[٣] بحقه

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ ١ ص ٣٣ وانظر التوسل للألباني ص ١١١.

(٢) انظر : صيانة الإنسان ص ١٢٩ (المتن والحاشية).

(٣) كذا في المستدرك وفي شفاء السقام وإذ سألتني بحق

فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك) أخرجه الحاكم[١].

يقول أحمد دحلان (وقد توسل به ﷺ أبوه آدم عليه السلام قبل وجود سيدنا محمد ﷺ حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها)[٢] ثم ساق الحديث.

الجواب : يقال لهم :

أولاً : الحديث موضوع - كما قال الذهبي[٣] وغيره - فلا تقوم به حجه.

يقول الذهبي : (عبد الله بن مسلم أبو الحارث الفهري روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبراً باطلاً فيه (يا آدم لولا محمد ما خلقتك)[٤]، وكذا قال الحافظ ابن حجر في اللسان[٥].

وقال البيهقي : (إنه تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم) وهو متهم بالوضع رماه بذلك الحاكم)[٦] .

---

(١) المستدرك جـ ٢ ص ٦١٥.

(٢) الدرر السنية ص ٩.

(٣) التلخيص للذهبي (حاشية المستدرك) جـ ٢ ص ٦١٥.

(٤) ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ١٩٩.

(٥) جـ ٣ ص ٤٤٢.

(٦) التوسل للألباني ص ١١٧ .

ولا نغتر برواية الحاكم لهذا الحديث ـ فإنه مما أنكره عليه العلماء وعدوه تناقضاً منه.

يقول ابن تيمية : (ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه فإنه نفسه قد قال في كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم : وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه.

قلت[1]: وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدار قطني وغيرهم، وقال أبو حاتم بن حبان : كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم ، حتى كثر ذلك من روايته ... فاستحق الترك. وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا ما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث)[2].

ومما يؤكد بطلان هذا الحديث أنه يخالف كتاب الله في موضعين :

الأول : أنه تضمن أن الله غفر لآدم بسبب توسله بمحمد ﷺ ، والله يقول:

---

(١) ابن تيمية.

(٢) قاعدة جليلة ص ٨٥.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[1].

وقد جاء تفسير هذه الكلمات عن ابن عباس بما يخالف هذا الحديث . فقد أخرج الفريابي وعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم ، وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال : أي رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى : قال أي رب ألم تنفخ فيّ من روحك ؟ قال : بلى : قال أي رب ألم تسبق إلي رحمتك قبل غضبك؟ قال: بلى: قال: أي رب ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى: قال: أي رب أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم، قال: فهو قوله ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[2] .

وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي[3][4]".

وأخرج الثعلبي ، وابن المنذر عن ابن عباس في قوله : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن

---

(١) آية ٣٧ سورة البقرة.

(٢) تفسير الشوكاني جـ ١ ص ٧١ والمستدرك جـ ٢ ص ٥٤٥ وانظر : تفسير ابن جرير جـ ١ ص ١٩٣ وتفسير أبي السعود جـ ١ ص ٩٢ .

(٣) المستدرك جـ ٢ ص ٥٤٥ والتلخيص للذهبي جـ ٢ ص ٥٤٥.

(٤) يقول الألباني : (وقول ابن عباس هذا في حكم المرفوع من وجهين الأول : أنه أمر غيبي ، لا يقال من مجرد الرأي والثاني : أنه ورد في تفسير الآية وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع كما تقرر في محله) : التوسل له ص ١٢٦.

رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ قـال : قولـه : ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾.

وأخرج وكيع وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن مجاهد مثله ، وأخرج عبد بن حميد عن الحسن والضحاك مثله ، وأخرج ابن جرير عن مجاهد وقتاده وابن زيد مثله ، وبهذا قال كثير من المفسرين كابن جرير ، وابن سعدي ، والسيد محمد رشيد رضا ، وأبو بكر الجزائري[1].

ويؤيده قوله تعالى : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[2].

ولا منافاة بين القولين بل أحدهما يتمم الآخر ـ ذلك أنها كلها من الكلمات.

يقول ابن جرير : (حدثني المثني قال حدثنا آدم العسقلاني قال حدثنا أبوجعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ قال: إن آدم لما أصاب الخطيئة قال يا رب أرأيت إن تبت وأصلحت ؟ ،

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ وتفسير الحسن البصري جـ ٢ ص ٤٢ وتفسير مجاهد ص ٢٠٠ (الحاشية) وتفسير الشوكاني جـ ١ ص ٧١ – ٧٢ وتفسير ابن سعدي جـ ١ ص ٣٥ وتفسير المنار جـ ١ ص ٢٧٩ وأيسر التفاسير جـ ١ ص ٣٩ والدر المنثور جـ ١ ص ٥٩.

(٢) آية ٢٣ سورة الإعراف.

فقال الله إذاً أرجعك إلى الجنة. فهي من الكلمات. ومن الكلمات أيضاً ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1].

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن قتادة في قوله ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ قال: (ذكر لنا أنه قال: يا رب أرأيت إن تبت وأصلحت ؟ قال: فإني إذن أرجعك إلى الجنة ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾...)[2].

وبذلك ثبتت مخالفة هذا الحديث للقرآن ، فتأكد بطلانه.

الثاني: كذلك مما يؤكد بطلانه قوله في آخره (ولولا محمد ما خلقتك) والله يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3] فالآية تفيد أن الحكمة من الخلق إنما هي عبادة الله وحده لا شريك له ، لا من أجل ملك مقرب ولا نبي مرسل[4].

ثانياً: على افتراض أن هذا الحديث ضعيف فقط - كما يزعم بعض المخالفين - فلا يجوز الاستدلال به على مشروعية التوسل المختلف فيه ؛

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ١٩٣ وانظر: تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٨١.

(٢) الدر المنثور جـ ١ ص ٥٩.

(٣) آية ٥٦ سورة الذريات.

(٤) انظر: التوسل للألباني ص ١٢٥ - ١٢٧.

لأنه ـ على قولهم ـ عبادة مشروعة وأقل أحوال العبادة أن تكون مستحبة والاستحباب حكم شرعي من الأحكام الخمسة التي لا تثبت إلا بنص صحيح تقوم به الحجة ، فإذا كان الحديث عندهم ضعيفاً فلا حجة فيه البتة"[1].

وبذلك اتضح بطلان هذه الشبهة.

الشبهة السابعة : عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد قال : كان رسول الله ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين. وفي رواية يستنصر بصعاليك المسلمين"[2].

يقول عبد الله الحسيني : (الدليل العاشر من أدلة التوسل بسيد الأنبياء وبغيره من الأولياء والصالحين) ثم ذكر الحديث"[3].

الجواب : يقال لهم أولاً : الحديث مرسل ضعيف ، ذلك أن مداره على أمية بن عبد الله بن خالد مرفوعاً ، وأمية لم تثبت له صحبة"[4].

---

(١) التوسل للألباني ص ١٢٧ – ١٢٨ ، وصيانة الإنسان ص ١٣٥ ، ١٤٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ ١ ص ٢٩٢ برقم ٨٥٧ ، ٨٥٨ وفي رواية من طريق قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن المهلب عن أمية بن عبد الله بن خالد قال (كان النبي ﷺ يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ ١ ص ٢٩٢ برقم ٨٥٩.

(٣) إتحاف الأذكياء ص ٢٨.

(٤) التوسل للألباني ص ١١٣.

يقول ابن عبد البر في الاستيعاب[1] - بعد أن ذكر روايته لهذا الحديث - قال : (لا تصح عندي صحبته والحديث مرسل).

وقال الحافظ في الإصابة[2]. (وأمية هذا ليست له صحبة ولا رؤية).

وقال ابن حبان : (يروي المراسيل ، ومن زعم أن له صحبة فقدوهم)[3].

وقال البغوي (أمية بن خالد لا أرى له صحبة)[4].

كما أن في سنده ـ في كلا الروايتين ـ أبا إسحاق. وفيه علة العنعنة[5].

قال الألباني ـ بعد أن ذكر هاتين العلتين ـ : (... فثبت بذلك ضعف الحديث وأنه لا تقوم به حجة)[6].

ثانياً : على فرض صحة الحديث ـ فإنه لا يدل إلا على التوسل بدعاء الصالح الحي وهو مشروع.

يقول المناوي - في فيض القدير - : (كان يستفتح) أي يفتتح القتال ... (ويستنصر) أي يطلب النصرة (بصعاليك المسلمين) أي بدعاء

---

(١) جـ ١ ص ٣٨.

(٢) الإصابة جـ ١ ص ١٣٣.

(٣)(٤) الإصابة جـ ١ ص ١٣٢.

(٥) التوسل للألباني ص ١١٤.

(٦) التوسل للألباني ص ١١٤.

فقرائهم....)[١].

ويقول الألباني - بعد أن ذكر كلام المناوي - : (... وقد جاء هذا التفسير من قوله ﷺ (إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها ، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم)[٢]... فقد بين الحديث أن الاستنصار إنما يكون بدعاء الصالحين لا بذواتهم و جاههم. ومما يؤكد ذلك أن الحديث ورد في رواية قيس بن الربيع ... بلفظ (كان يستفتح ويستنصر ...) ... وبهذا يكون هذا الحديث ـ إن صح ـ دليلاً على التوسل المشروع وحجة على التوسل المبتدع...)[٣].

الشبهة الثامنة : يقول أحمد دحلان ـ وهو يتكلم عن التوسل بالذات ـ ، «ويؤيد ذلك أيضاً ما صح عنه ﷺ من قوله : (حياتي خير لكم تحدثون وأحدث لكم. ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم ، ما رأيت من خير حمدت الله تعالى ، وما رأيت من شر استغفرت لكم »[٤][٥].

---

(١) فيض القدير جـ ٥ ص ٢٧٩.

(٢) أخرجه النسائي في الجهاد باب الإستنصار بالضعيف وانظر جامع الأصول حديث ٢٧٨١.

(٣) التوسل للألباني ص ١١٤ – ١١٥.

(٤) أخرجه ابن سعد عن غالب القطان عن بكر بن عبد الله مرسلاً. طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ١٩٤ .

(٥) الدرر السنية ص ٢٢.

ويقول عبد الله محمد الحسيني (... وهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن النبي ﷺ يشفع لأمته بعد انتقاله ـ باستغفاره لهم. وعلى هذا يجوز التوسل به لأنه استشفاع ...)[1].

الجواب : يقال لهم :

أولاً : الحديث ضعيف بجميع طرقه. فالحكم عليه بالصحة غير صحيح.

يقول الألباني – بعد أن ساق كلام العلماء في هذا الحديث – : (... وجملة القول أن الحديث ضعيف بجميع طرقه. وخيرها : حديث بكر بن عبد الله المزني ، وهو مرسل ، وهو من أقسام الحديث الضعيف عند المحدثين. ثم حديث ابن مسعود : وهو خطأ. وشرها حديث أنس بطريقيه)[2].

وقال ابن عبد الهادي الحنبلي ـ في معرض رده على من استدل بهذا الحديث.

قال (... هذا خبر مرسل)[3].

وقال محمد بشير – بعد أن ذكر كلام ابن عبد الهادي في هذا الحديث –

---

(١) إتحاف الأذكياء ص ٢٤ – ٢٥.

(٢)انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ ٢ ص ٤٠٤ – ٤٠٦.

(٣) صيانة الإنسان ص ٢٥٨ .

قال (... فالحكم عليه بالصحة غير صحيح)[1].

ثانياً : أن الحديث معارض[2] بحديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن حذيفة بن اليمان أنه ﷺ قال : (ليردن على حوضي أقوام ، ثم يختلجون ، فأقول : أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) أخرجه البخاري ومسلم[3].

والشاهد من هذا الحديث قوله (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك). والحديث الضعيف يقول : (تعرض على أعمالكم) أي هو ﷺ ، يعلم ما عليه أصحابه وغيرهم من أمته من خير أو شر ، فإما أن نقول : السنة متناقضة. وهذا لا يقول به مسلم. أو نقول الحديث الضعيف غير صحيح كما قال الأئمة. وبذلك يزول الأشكال. ويتضح بطلان هذه الشبهة.

الشبهة التاسعة : يقول أحمد دحلان (ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب ﷺ التي رواها الطبراني في الكبير[4]، وفيها أن سواد بن قارب أنشد رسول الله ﷺ قصيدته التي فيها التوسل ولم ينكر عليه. ومنها قوله.

---

(١) صيانة الإنسان ص ٢٥٩.

(٢) انظر : القول الجلي ص ٤٥.

(٣) البخاري في الرقاق باب الحوض. ومسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ ، انظر : جامع الأصول جـ ١٠ ص ١٠١ حديث ٧٥٧١.

(٤) المعجم الكبير للطبراني جـ ٧ ص ١١١.

وأشـــهد أن الله لا رب غـــيره ... وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ... وإن كان فيما فيه شيب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة ... سواك بمغن عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قوله (أدنى المرسلين وسيلة) ولا قوله (وكن لي شفيعاً)[1].

الجواب : يقال لهم :

أولاً : أن الروايات التي ورد فيها الحديث كلها ضعيفة واهية.

وفي المتن : اضطراب ، وإذا كان كذلك لم تقم به حجة.

يقول ابن حجر الهيثمي بعد أن أورد الحديث بروايتين (وكلا الإسنادين ضعيف)[2] .

وقال محمد بشير- بعد أن ذكر كلام الهيثمي - (...قد ثبت منه أن كلا الإسنادين ضعيف ، وفي المتن اضطراب فتنبه)[3].

وقال الرفاعي (... كما ثبت أن كافة طرقه ورواياته التي ورد فيها ضعيفة

---

(١) الدرر السنية ص ٢٧.

(٢) مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٢٥٣.

(٣) صيانة الإنسان ص ٢٨٧.

واهية)[1].

ثانياً : على فرض صحة الحديث فإنه لا يدل على جواز التوسل بالذات ؛ إذ ليس في الأبيات التي وردت في الحديث أي معنى من معاني التوسل بالذات - كما زعم ابن دحلان - بل كل ما تدل عليه أن أعمال الرسول ﷺ : هي أعظم أعمال المرسلين فصار بذلك أدناهم وأقربهم إلى الله تعالى - كما في البيت الثاني - كما تدل على أن سواد بن قارب يخاطب الرسول ﷺ ويرجوه أن يدعو الله تعالى أن يكون له شفيعاً يوم القيامة - كما في البيت الرابع.

وهذا الخطاب في حياته. وطلب الشفاعة منه حال حياته جائز ؛ لأنه طلب لدعائه ﷺ أن يكون سواد في جملة من يشفّعه الله بهم يوم القيامة. وهي من التوسل بدعاء الصالح الحي[2].

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ : (وقول سواد بن قارب هذا من جنس طلب دعائه ﷺ في حياته)[3]، وبذلك يتضح بطلان استدلالهم بهذا الحديث على التوسل بالذات أو غيره من التوسل الممنوع. والله أعلم.

---

(١) التوصل ص ٣٠٨.

(٢) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٨٧ – ٢٨٩ والتوصل ص ٣٠٧.

(٣) مصباح الظلام ص ٢٠٥ .

الشبهة العاشرة : ما روي عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده أن أبا بكر الصديق أتى النبي ﷺ فقال : إني أتعلم القرآن ويتفلت مني فقال له رسول الله ﷺ : (قل : اللهم إني أسألك بمحمد نبيك ، وبإبراهيم خليلك ، وبموسى نجيك ، وبعيسى روحك وكلمتك ، وبتوراة موسى وإنجيل عيسى ، وزبور داود ، وفرقان محمد ، وبكل وحي أوحيته وقضاء قضيته ... الحديث)[1].

الجواب : يقال لهم الحديث غير صحيح وإنما هو مكذوب.

يقول ابن تيمية : (وهذا الحديث ذكره رزين بن معاوية العبدري في جامعه ، ونقله ابن الأثير في جامع الأصول[2]، ولم يعزه لا هذا ولا هذا إلى كتاب من كتب المسلمين ، لكنه قد رواه من صنف في عمل اليوم والليلة كابن السني ، وأبي نُعيم ، وفي مثل هذه الكتب أحاديث كثيرة موضوعة لا يجوز الاعتماد عليها في الشريعة باتفاق العلماء ، وقد رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب فضائل الأعمال ، وفي هذا الكتاب أحاديث كثيرة ... موضوعة، ورواه أبو موسى المديني من حديث زيد بن الحباب عن عبدالملك بن هارون بن عنترة وقال ... ليس بالمتصل ... يريد أنه لو كان رجاله ثقات فإن

---

(١) روى هذه الشبهة عنهم شيخ الإسلام ، انظر : قاعدة جليلة ص ٨٣.

(٢) جـ ٤ ص ٣٠٢ برقم ٢٣٠٢.

إسناده منقطع)[١].

ثم قال ابن تيمية : (عبد الملك بن هارون بن عنترة من المعروفين بالكذب)[٢].

وقال يحيى بن معين : كذاب. وقال السعدي : دجال كذاب.

وقال أبو حاتم بن حبان : يضع الحديث. وقال النسائي : متروك الحديث، وقال البخاري منكر الحديث.

وقال ابن عدي : له أحاديث لا يتابعه عليها أحد.

وقال الحاكم في كتاب المدخل : عبد الملك بن هارون بن عنترة الشيباني روى عن أبيه أحاديث موضوعة ، وقال أبو حاتم الرازي متروك الحديث[٣].

وقد ذكر السيوطي هذا الحديث في اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة وقال : عبد الملك دجال مع ما في السند من الأعضال[٤] وعلى

---

(١) قاعدة جليلة ص ٨٣ - ٨٤.

(٢) قاعدة جليلة ص ٨٤.

(٣) انظر : لسان الميزان جـ ٤ ص ٨٤ - ٨٥ والجرح والتعديل جـ ٥ ص ٣٧٤ والضعفاء والمتروكين جـ ٢ ص ١٥٣ وقاعدة جليلة ص ٨٤.

(٤) اللآليء المصنوعة جـ ٢ ص ٣٥٧.

هذا فالحديث رجاله ليسوا ثقات. ولو فرض أنهم ثقات فإنه منقطع ـ كما قال أبو موسى المديني ـ وعليه فلا يحتج به . والله أعلم.

الشبهة الحادية عشر : ما ذكره موسى بن عبد الرحمن الصنعاني صاحب التفسير بإسناده عن ابن عباس مرفوعاً أنه قال : (من سره أن يوعيه الله حفظ القرآن وحفظ أصناف العلم فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف أو في صحف قوارير بعسل وزعفران وماء مطر و ليشربه على الريق وليصم ثلاثة أيام وليكن إفطاره عليه ويدعو به في أدبار صلواته : اللهم إني أسألك بأنك مسؤول لم يسأل مثلك ولا يسأل ، وأسألك بحق محمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك ، وعيسى روحك وكلمتك ووجيهك)[1] وذكر تمام الدعاء.

الجواب : يقال لهم هذا الحديث مكذوب فلا يحتج به.

يقول ابن تيمية : (وموسى بن عبد الرحمن هذا من الكذابين).

وقال ابن عدي فيه : منكر الحديث. وقال أبو حاتم بن حبان : دجال يضع الحديث ، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في التفسير جمعه من كلام الكلبي ومقاتل ، وقال الذهبي ليس بثقة[2].

---

(١) روى هذه الشبهة عنهم شيخ الإسلام ، انظر : قاعدة جليلة ص ٨٧ – ٨٨.

(٢) انظر : قاعدة جليلة ص ٨٨ ، وميزان الإعتدال جـ ٦ ص ٥٤٩.

ومما يؤكد أن الحديث مكذوب تضمنه بعض الكلمات التي لا تبدوا إلا من كافر.

مثل قوله : (... لم يسأل مثلك ولا يسأل). فقوله (مثلك) يؤكد وضع الحديث وأن واضعه كافر ماكر خبيث. من هو هذا المثيل لله الذي لم يسأل ولا يسأل[1].

لذا ذكره ابن الجوزي في الموضوعات[2]، والسيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة[3].

الشبهة الثانية عشر : ما يرويه بعض الجهال أن النبي ﷺ قال (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم). وبعضهم يرويه بلفظ (إذا سألتم الله

---

(١) انظر التوصل ص ٣٢١.

(٢) عن ابن مسعود. وقال : هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ - والمتهم به عمر بن صبح. قال ابن حبان : يضع الحديث على الثقات . وقال ابن عدي : منكر الحديث . وقال الدار قطني : متروك وقال الأزدي : كذاب. انظر : الموضوعات جـ٢ ص٣٥٦ ، والضعفاء والمتروكين جـ ٢ ص ٢١١.

(٣) عن ابن مسعود من طريق عمر بن صبح وموسى بن إبراهيم المروزي - وقال : حديث موضوع.

وموسى بن إبراهيم المروزي كذاب كما قال يحي بن معين. وقال الدار قطني : متروك.

وقال ابن حبان : كان مغفلاً يلقن فيتلقن فاستحق الترك.

انظر اللآليء المصنوعة جـ ٢ ص ٣٥٧ ، والضعفاء والمتروكين جـ ٣ ص ١٤٤.

فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم).

أورد هذه الشبهة محمد التيجاني والسمنهودي مستدلين بها على مشروعية التوسل بالجاه[1] .

وجه استدلالهم : قالوا في الحديث أمر بالتوسل بالجاه فهو إذاً مشروع.

الجواب : يقال هذا الحديث كذب لا أصل له في شيء من كتب الحديث البته وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة[2].

قال شيخ الإسلام : (... وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث. مع أن جاهه عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين ... ولكن جاه المخلوق عند الخالق سبحانه ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ... والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب ، والله سبحانه وتعالى : لا شريك له ، كما قال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا

---

(١) انظر : بغية المستفيد ص ١٢٥ ، وسعادة الدارين ص ٢٠٥ ، كما رواها عنهم شيخ الإسلام. انظر قاعدة جليلة ص ١٢٩.

(٢) انظر : قاعدة جليلة ص ١٢٩ وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ ١ ص ٣٠ والأسنة الحداد ص ٢٣٢.

تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ... الآية ﴾[١])[٢] .

وقال الشيخ الألباني : « هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة ... إلى أن قال : فلا يلزم إذاً من كون جاهه ﷺ عند ربه عظيماً أن نتوسل به إلى الله تعالى لعدم ثبوت الأمر به عنه ﷺ)[٣] .

وقال العلامة الألوسي : « وما يذكره بعض العامة من قوله ﷺ (إذا كانت لكم إلى الله تعالى حاجة فاسألوا الله تعالى بجاهي فإن جاهي عند الله تعالى عظيم)، لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث»[٤].

مما ذكرنا أتضح أن الحديث باطل لا أصل له. لكن لا يلزم من بطلانه نفي الجاه عنه ﷺ بل نقول إن جاهه أعظم من جاه جميع الأنبياء إلا أنه لا يلزم من ذلك أن نتوسل به ؛ لأن التوسل أمر توقيفي ولم نقف على نص من الكتاب أو صحيح السنة. يثبت[٥] ذلك والله أعلم.

---

(١) آية ٢٢ – ٢٣ سورة سبأ.

(٢) قاعدة جليلة ص ١٢٩ – ١٣٠.

(٣) التوسل للألباني ص ١٢٨ - ١٢٩ وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة له ص ٣٠.

(٤) روح المعاني جـ ٦ ص ١٢٧.

(٥) انظر قاعدة جليلة ص ١٢٩ والتوسل للألباني ص ١٢٩.

الشبهة الثالثة عشر : حديث : إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور ، أو فاستعينوا بأهل القبور[1].

الجواب : يقال لهم هذا الحديث مكذوب باتفاق العلماء فلا يحتج به.

قال شيخ الإسلام ـ بعد ذكر هذا الحديث ـ (فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه ، لم يروه أحد من العلماء بذلك ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة)[2].

وقال أيضاً : (وما يرويه بعض الناس من أنه قال : (إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور) أو نحو هذا. فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء)[3].

وقال ابن القيم : وهو يعد الأمور التي أوقعت عباد القبور في الافتتان بها (... ومنها أحاديث مكذوبة وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله ﷺ تناقض دينه ، وما جاء به ، كحديث (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور)[4].

---

(١) روى هذه الشبهة عنهم شيخ الإسلام ، انظر قاعدة جليلة ص ١٥٢ والفتاوي جـ ١١ ص ٢٩٣.

(٢) قاعدة جليلة ص ١٥٢.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٣٧.

(٤) إغاثة اللهفان جـ ١ ص ٢٣٣.

ومما يؤكد أنه مكذوب ما يلي :

أولاً : أن العلة التي نهى النبي ﷺ لأجلها عن الصلاة عند القبور إنما هي لئلا تكون ذريعة إلى نوع من الشرك ، ومن المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي قد نزلت به نازلة فيدعو لاستجلاب خير أو دفع شر حاله في الافتتان بالقبور إذا رجا الإجابة عندها أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية.

فإذا كانت العلة التي لأجلها نُهي عن الصلاة عندها متحققة في حال من يتوسل بها كان نهيهم عن ذلك أوكد[1]. وعليه فكل أمر يناقض هذا النهي فهو مكذوب.

ثانياً : أن قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الإجابة رجاءاً أكثر من رجاء الإجابة في غير ذلك الموطن أمر لم يشرعه الله ولا رسوله. ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين ولا أئمة المسلمين.

وقد أجدب الصحابة مرات ومع ذلك لم يستسقوا عند قبر النبي ﷺ مما يدل على أن الحديث مكذوب[2].

ثالثاً : أن الحديث يتعارض مع النقل الصريح.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٣٧ – ٣٣٨ (بتصرف).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٣٨. (بتصرف) وانظر: إغاثة اللهفان جـ١ ص٢٢٣.

قال تعالى : ﴿... وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[1].

وقال ﷺ : (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما صنعوا)[2].

وما يتعارض مع الكتاب أو السنة الصحيحة فهو مكذوب.

الشبهة الرابعة عشر : وهي استدلالهم بآثار وحكايات ضعيفة أو موضوعة وهي مهما كثرت أو صح شيء منها فلا دلالة فيها على جواز التوسل بالجاه أو الذات أو غيرهما من التوسل الممنوع ؛ ذلك أن العقيدة الإسلامية توقيفية على الكتاب وصحيح السنة. وما سواهما إن وافق الكتاب والسنة الصحيحة أخذ به مؤيداً وليس دليلاً ، وإن خالفهما أو أحدهما فهو مردود. ونذكر شيئاً منها مع بيان درجتها من الصحة والضعف. وهل فيها دلالة على ما يزعمونه أم لا ؟

الأثر الأول : قال ابن حجر (وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري - وكان خازن عمر - قال :

---

(١) آية ١٣ - ١٤ سورة فاطر.

(٢) رواه البخاري ومسلم . انظر جامع الأصول حديث ٣٦٧٠.

(أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتي الرجل في المنام ، فقيل له : أئت عمر ... الحديث) . وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأي المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة)[1] .

وممن استدل به السبكي وأحمد بن دحلان ، والزهاوي ، و محمد الفقي، و محل استدلالهم طلبه الاستسقاء من الرسول ﷺ بعد وفاته[2].

الجواب : يقال لهم :

أولاً : عدم التسليم بصحة هذه القصة ؛ لأن مالكاً الداري غير معروف العدالة والضبط ، وهما شرطان أساسيان في كل سند صحيح ، كما تقرر في علم المصطلح. ولا ينافي هذا قول الحافظ بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان ؛ لأن التصحيح ليس نصاً في تصحيح جميع السند بل إلى أبي صالح فقط ، ولولا ذلك لقال عن مالك الداري وإسناده صحيح. وعليه فالأثر ضعيف لجهالة مالك فلا يحتج به.

ثانياً : على فرض أن القصة صحيحة فلا حجة فيها ؛ لأن مدارها على

---

(١) فتح الباري جـ ٢ ص ٤٩٥ – ٤٩٦.

(٢) انظر : شفاء السقام ص ١٤٥ والدرر السنية ص ٩ والضياء الشارق ص ٥٤٦ ، والتوسل محمد الفقي ص ١٥٤.

رجل لم يُسَم ، كما أن فيها مخالفة للسنة من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء ، ولأن عمل الصحابة على خلافها - وهم أعلم الناس بعد رسول الله بالشرع - ولذا لم ينقل عن أحد منهم أنه أتى إلى قبره ﷺ يسأله السقيا ولا غيرها ، ولو كان مشروعاً لفعلوه ولو مرة واحدة بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعباس ولم ينكر عليه أحد من الصحابة فدل ذلك على أن ما فعله عمر هو الحق وأن ما فعله هذا الرجل - لو قدر أنه صحيح - منكر ووسيلة إلى الشرك.

وأما تسمية السائل في رواية سيف المذكورة (بلال بن الحارث) . فمردودة أيضاً ؛ لأن سيفاً هذا هو ابن عمر التميمي - متفق على ضعفه عند المحدثين بل قال ابن حبان فيه « يروي الموضوعات عن الأثبات ، وقالوا : إنه كان يضع الحديث) ومن كانت هذه حاله فلا تقبل روايته لاسيما عند المخالفة[1].

الأثر الثاني : قال أحمد دحلان : (... ذكر السمهودي في خلاصة الوفاء أن من الأدلة الدالة على صحة التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته ما رواه الدارمي في سننه عن أبي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى

---

(١) انظر حاشية فتح الباري للشيخ ابن باز جـ ٢ ص ٤٩٥ ، والتوسل للألباني ص ١٣١ - ١٣٣ والكاشف للذهبي جـ ١ ص ٣٣٣.

عائشة رضي الله عنها ـ فقالت : انظروا إلى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق »[1] [2]. كما استدل به محمد الفقي[3]. وعبد الله الحسيني[4].

الجواب : يقال لهم : أولاً : هذا الأثر غير صحيح فلا تقوم به حجة لما يلي :

أ- أن في سنده أبو النعمان - محمد بن الفضل يعرف بعارم - اختلط في آخر عمره قال الذهبي : تغير قبل موته وترك الأخذ منه ـ وقال البخاري : تغير في آخر عمره ، والحكم فيمن اختلط : أن لا يقبل حديث من أخذ منه بعد الاختلاط أو أشكل أمره فلم يُدر هل أخذ منه قبل الاختلاط أو بعده ، - وهذا الأثر لا يدرى هل سمعه الدارمي منه قبل الاختلاط أم بعده - فهو إذاً غير مقبول.

ب- في سنده سعيد بن زيد ـ فيه ضعف ـ قال الذهبي : (قال : يحيى بن

---

(١) سنن الدارمي جـ ١ ص ٤٣ عن أبي النعمان ـ عن سعيد بن زيد عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء.

(٢) الدرر السنية ص ٢٠.

(٣) انظر : التوسل محمد الفقي ص ١٥٥.

(٤) انظر : إتحاف الأذكياء ص ٣٥.

سعيد : ضعيف ، وقال السعدي : ليس بحجة يضعفون حديثه ـ وقال النسائي وغيره ـ ليس بالقوي.

ج- في سنده عمرو بن مالك النكري ـ قال الحافظ في التقريب : صدوق له أوهام.

د- في سنده أبو الجوزاء ـ أوس بن عبد الله ـ قال الحافظ في التقريب : يرسل كثيراً. وقال البخاري : في إسناده نظر[١].

وقال محمد بشير ـ بعد أن تكلم ، في سند هذا الأثر ـ (فقد ثبت من هناك أن هذا الحديث ضعيف منقطع)[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء ، لينزل المطر فليس بصحيح ولا يثبت إسناده ، وإنما نقل ذلك من هو معروف بالكذب ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة ...)[٣].

ثانياً : على فرض أنه صحيح فإنه موقوف على عائشة ـ فلا يحتج به عند المحققين ؛ لأنه يصبح من الآراء الاجتهادية التي يخطئ أصحابها

---

(١) انظر : التوسل للألباني ص ١٤٠ – ١٤١ ، وصيانة الإنسان ص ٢٥٣ – ٢٥٤.

(٢) صيانة الإنسان ص ٢٥٤.

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ص ٦٨ – ٦٩.

ويصيبون، والعقيدة توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها. إضافة إلى ذلك كله فإنه يعارضه ما روي عن عمر أنه أمر بتعمية قبر دانيال خشية الافتتان به. فقد ذكر محمد بن إسحاق عن خالد بن دينار عن أبي العالية قال :(لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت ، عند رأسه مصحف له فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ... قلت : فما صنعتم بالرجل ؟. قال : حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة ، فلما كان الليل دفناه ، وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس ، لا ينبشونه ...)(١).

فأنظر ما في هذه القصة من صنع أصحاب رسول الله ﷺ وتعمية قبر هذا الرجل لئلا يفتتن به الناس(٢)، هذا يؤكد أنه مستحيل من رجال هذا صنعهم أن يبرزوا قبر رسول الله ، أو يرضوا بذلك لأجل نزول المطر كما زعم من نقل هذا الأثر.

الأثر الثالث : خبر مرثية صفية عمة الرسول ﷺ.

يقول أحمد دحلان (وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي عنها عمة رسول الله ﷺ فإنها رثته بعد وفاته ﷺ بأبيات فيها : قولها : (ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا . وكنت بنا براً ولم تك جافيا) ففيها النداء بعد وفاته مع قولها

---

(١) السير والمغازي ص ٦٦.

(٢) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٥٤ – ٢٥٥ ، والتوسل للألباني ص ١٤١ ، وإغاثة اللهفان جـ ١ ص ٢٢٢ ، ٢٢٨

(أنت رجاؤنا) وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكر عليها أحد قولها : يا رسول الله أنت رجاؤنا)"[1].

الجواب : يقال لهم :

أولاً : قيل أن هذه القصيدة ليست لصفية رضي الله عنها ، يؤيد ذلك ـ أن ابن هشام لم يذكرها في سيرته في جملة المراثي التي قيلت في رسول الله ﷺ بعد وفاته.

ثانياً : أن هذا الخبر ذكر في سنده أنه عن عروة بن الزبير قال : قالت[2] صفية ـ وفيه انقطاع بين عروة وبين صفية جدته لأبيه فقد ولد عروة سنة ٢٩هـ كما في التهذيب[3] ونحوه.

ولما كانت المرثية عقب وفاته ﷺ فتكون ولادته بعد القصيدة بتسعة عشر سنة. وصفية ماتت سنة ٢٠هـ . أي قبل ولادة عروة بتسع سنين ، وعليه فإن عروة لم يدرك صفية ، وروايته عن أبيه الزبير مرسلة ، فكيف عن أم أبيه فإنها أيضاً منقطعة ومرسلة.

---

(١) الدرر السنية ص ٢٧.

(٢) انظر : مجمع الزوائد جـ ٩ ص ٤٢.

(٣) التهذيب جـ ٢٠ ص ٢٢ وقيل ولد سنة ٢٣. انظر : التهذيب الجزء والصفحة وعلى كلا القولين فهو لم يدرك صفية ، فالرواية منقطعة مرسلة.

ثالثاً : أن في هذا البيت الذي استشهد به تحريفاً عن أصله فقد ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد[1] فقال : روى الطبراني بإسناد حسن عن عروة بن الزبير قال : قالت صفية ترثي رسول الله ﷺ : ألا يا رسول الله كنت رجاؤنا ، وكنت بنا براً ولم تك جافياً. هكذا رواه الطبراني - فحرفه أحمد دحلان فقال : (أنت رجاؤنا) ليدل هذا اللفظ على أن رسول الله ﷺ رجاء في الحياة وبعد الممات.

وإذا ثبت تحريفه بطل الاستدلال به.

أما قول صفية كما رواه الطبراني وهو (كنت رجاؤنا) فهو حجة عليهم ؛ حيث فرقت بين الحياة ، وبعد الممات. فهو في حياته كانوا يرجعون إليه فيدعو الله لهم. وإنما لجئوا إلى هذا التحريف ليثبتوا باطلهم ، وعلى هذا فإن الخبر ضعيف لا تثبت به حجة. وعلى فرض صحته ، فإنه محرف المتن واحتجوا به بعد التحريف.

رابعاً : لو قدر أنه صحيح غير محرف فإنه لا دلالة فيه على ما زعموه ؛ ذلك أن المراد من المرثية أنه ﷺ رجاء بمعنى مرجو - في الأمر الذي يقدر عليه في حياته وبعد وفاته :

فيما ثبت بالكتاب والسنة كونه رجاء فيه.

---

(١) مجمع الزوائد جـ ٩ ص ٤٢.

أما ما ورد في الخبر من النداء. فنقول :

أولاً : أن (يا) هنا للندبة لا للنداء كقول فاطمة رضي الله عنها ـ يا أبتاه أجاب رباً دعاه.

ثانياً : لو سلم ثبوت النداء منها فلا يثبت منه مطلوب الخصم ؛ ذلك أن النزاع إنما هو في نداء يتضمن الدعاء والطلب ـ مثل أن يقال : يا رسول الله أشفني أو يا رسول الله أستغفر لي ـ فالأول : شرك ، والثاني : بدعة بعد وفاته ﷺ ووسيلة إلى الشرك ـ وليس في المرثية دعاء شيء ولا طلبه. وعليه فلا دلالة في هذا الخبر على ما زعموه.

خامساً : إضافة إلى ما ذكرنا كله فإنه لا يصح الاستدلال في أمور العقيدة بمثل كلمة في جملة ينطق بها صحابي أو صحابية لاسيما في الشعر الذي اعتاد أهله المبالغة في المدح والتلهف ـ فالله لم يتعبد الأمة بغير قوله وقول رسوله ﷺ[1] .

الرابع : حكاية الإمام مالك مع المنصور في التوسل.

يقول أحمد دحلان : (وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك للخليفة المنصور ، وذلك أنه لما حج المنصور وزار قبر النبي ﷺ سأل الإمام مالكاً ـ

---

(١) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٨٩ – ٢٩٨ (المتن والحاشية) ، والتوصل ص ٣٣٠ – ٣٣٢.

وهو بالمسجد النبوي - فقال لمالك : يا أبا عبد الله استقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله ﷺ وادعو ؟.

فقال له الإمام مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك ، قال الله تعالى : ﴿... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ... الآية﴾[1] ذكرها القاضي عياض في الشفا[2] عن محمد بن حميد[3].

الجواب : يقال لهم هذه الحكاية غير صحيحة[4] عنه - لأمور منها :

أولاً: في الإسناد علل منها :

أ- أنه منقطع إذ أن فيه محمد بن حميد الرازي - لم يدرك مالكاً لا سيما في زمن أبي جعفر فإن أبا جعفر توفي سنة ١٥٨هـ وتوفي مالك سنة ١٧٩هـ وتوفي محمد بن حميد سنة ٢٤٨ هـ ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه. وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث. كذبه أبو زرعة ، وابن وارة ، وقال صالح محمد الأسدي : ما

---

(١) آية ٦٤ سورة النساء.

(٢) الشفاء جـ ٢ ص ٣٥٠ بإسناد غريب منقطع - كما قال شيخ الإسلام - انظر : قاعدة جليلة ص ٦٦-٦٧.

(٣) الدرر السنية ص ٩ – ١٠ كما استدل بها محمد الفقي . انظر : التوسل له ص ١٥٣.

(٤) انظر قاعدة جليلة ص ٧٠ والصارم المنكي ص ٣٤٥ .

رأيت أحداً أجرأ على الله منه ، وأحذق بالكذب منه. وقال يعقوب بن شيبه : كثير المناكير. وقال النسائي : ليس بثقة.

وقال ابن عبد الهادي الحنبلي (وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته. لم يسمع عن مالك شيئاً ولم يلقه بل روايته عنه منقطعة)[١].

ب-أن هذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه ولم تعرف إلا من جهة محمد بن حميد ـ وهو ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته[٢].

ج- أن في الإسناد أيضاً من لا يعرف حاله كما قال شيخ الإسلام[٣].

ثانياً : أن أصحاب مالك متفقون على أنه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة في الفقه ؛ ذلك أنهم إنما يعتمدون على رواية المدنيين والمصريين.

فكيف بمسألة فقهيه عقدية تناقض مذهبه المعروف عنه مناقضة صريحة رواها واحد من الخراسانيين لم يدركه وهو ضعيف عند أهل الحديث[٤].

---

(١) قاعدة جليلة ص٦٧ والكاشف للذهبي ج٣ ص٣٢ والصارم المنكي ص ٣٤٥.

(٢) قاعدة جليلة ص ٦٧.

(٣) قاعدة جليلة ص ٦٧.

(٤) قاعدة جليلة ص ١٢٥ (بتصرف) وانظر تقديم المحقق ص ٢٨..

ثالثاً : أن هذه الحكاية مناقضة لمذهب مالك المعروف عنه من وجوه منها :

الأول : قوله (ولم تصرف وجهك عنه ...) فإن المعروف عن مالك وغيره من الأئمة وسائر السلف من الصحابة التابعين أن الداعي إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة ويدعو في المسجد.

قال ابن تيمية : (ومذهب الأئمة الأربعة ... وغيرهم من أئمة الإسلام أن الرجل إذا سلم على النبي ﷺ وأراد أن يدعو لنفسه فإن يستقبل القبلة)[١]، أما عند القبر فيقتصر على السلام - بل كره مالك إطالة القيام لذلك[٢].

قال القاضي عياض في المبسوط عن مالك قال: (لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ، ولكن يسلم ويمضي)[٣].

الثاني: قوله (استقبله واستشفع به) كذلك مناقض لمذهب مالك وغيره من سلف هذه الأمة ، مخالف لأقوالهم وأفعالهم ؛ إذ لم يقل به أحد من السلف لا مالك ولا غيره ولم يفعلوه ، بل كانوا لا يستقبلون القبر للدعاء لأنفسهم فضلاً عن أن يستقبلوه ويستشفعوا به. ذلك أنه غير مشروع[٤].

---

(١) قاعدة جليلة ص ١٥٠.

(٢) الفتاوي جـ ١ ص ٢٣٠.

(٣) الفتاوي جـ ١ ص ٢٣٠.

(٤) انظر : قاعدة جليلة ص ٦٨ - ٧٠ ، ٧٤ - ٧٦ واقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٩٣ - ٣٩٤ وإغاثة اللهفان جـ ١ ص ٢٢٠ - ٢٢١.

ولذا قال شيخ الإسلام ـ في معرض رده على هذه الشبهة ـ (... فدل ذلك على أن ما في الحكاية المنقطعة من قوله (استقبله واستشفع به) كذب على مالك مخالف لأقواله وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم التي يفعلها مالك وأصحابه ونقلها سائر العلماء ...)[1].

رابعاً : كذلك مما يؤكد عدم صحتها أن ما نسب إلى مالك منها لم يأمر به النبي ﷺ ولا سنه لأمته ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين ولا أستحبه أحد من أئمة المسلمين لا مالك ولا غيره فكيف يجوز أن ينسب إلى مالك مثل هذا الكلام الذي لا يقوله إلا جاهل مع علو قدر مالك وتمام رغبته في إتباع السنة[2].

فتبين بما ذكرنا أنها غير صحيحة. ولو كانت صحيحة مخالفة للكتاب أو السنة لم يلتفت إليها فكيف وهي مكذوبة.

الخامس : حكاية توسل الشافعي بأبي حنيفة ، وبأهل البيت.

يقول أحمد دحلان : (وقال ابن حجر في كتابه المسمي (بالخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان) في الفصل الخامس والعشرين ... إن الإمام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي

---

(١) قاعدة جليلة ص ٧٠.

(٢) قاعدة جليلة ص ٧٤ – ٧٥.(بتصرف).

حنيفة ...)[1].

وقال أيضاً : (وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى (بالصواعق المحرقة لإخوان الضلال والزندقة) : أن الإمام الشافعي رحمه الله توسل بأهل البيت النبوي حيث قال :

آل البيت ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غدا بيدي اليمين صحيفتي[2]

الجواب : يقال لهم :

أولاً : لابد من رفع الحكايتين إلى أصحابها بسند يعتمد عليه ، وإلا فهي مجرد دعوى لا قيمة لها[3]. لاسيما إذا كان المتهم من أشد العلماء تمسكاً بالسنة و محاربة البدعة.

ثانياً : أن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن بها قبر ينتاب للدعاء البتة. بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفاً . وقد رأى الشافعي بالحجاز والشام والعراق من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء ، فما باله لم يتوخ

---

(١) (٢) الدرر السنية ص ٢٧ – ٣٨ ، كما أوردها عبد الله الحسيني مستدلاً بها في كتابه إتحاف الأذكياء ص ٤١.

(٣) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٩٨.

الدعاء إلا عند قبر أبي حنيفة ؟[١].

ثالثاً : أن الإمام الشافعي يعلم تمام العلم أنه غير مشروع في الكتاب والسنة ، ولذا ثبت عنه كراهة تعظيم قبور الصالحين خشية الفتنة بها[٢] ، فكيف يقدم على بدعة لا يقرها. هذا مستحيل من مثله.

ولذا قال ابن تيمية : بعد أن أورد هذه الحكاية (... وهذا كذب معلوم كذبه بالاضطرار عند من له أدنى معرفة بالنقل)[٣].

وقال ابن القيم : (والحكاية المنقولة عن الشافعي انه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة ، من الكذب الظاهر)[٤].

رابعاً : أن الأبيات المذكورة مكذوبة على الإمام الشافعي لخلوها من السند الصحيح ـ كما أشرت إليه آنفاً ـ ولمخالفتها لمنهجه رحمه الله ، ولو قدر أنها صحيحة فإنها لا تضمن التوسل بالذات ؛ إذ معناها : أن حب آل البيت واتباعهم وشفاعتهم والصلاة عليهم ذريعتي ووسيلتي ، وكذا قوله (أرجو بهم) أي أرجو يحبهم واتباعهم وشفاعتهم ، مثل قول عمر : (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ...) فإن المراد

---

(١) (٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٤٣ – ٣٤٤.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٤٣.

(٤) إغاثة اللهفان جـ ١ ص ٢٣٦.

أنا كنا نتوسل إليك بدعاء نبينا"[1].

مما ذكرنا اتضح أن هاتين الحكايتين مكذوبتان على الإمام الشافعي رحمه الله.

والصحيح من مثلها إذا خالف الكتاب والسنة لا يعتد به فكيف المكذوب.

ثالثاً : شبهاتهم من العقل : منها ما يلي :

الشبهة الأولى : قياس التوسل بالذات على التوسل بالعمل الصالح.

يقول السبكي : (وإذا جاز السؤال بالأعمال وهي مخلوقة فالسؤال بالنبي ﷺ أولى)[2].

ويقول أحمد دحلان : (وإذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا إلى غار ... فالتوسل به ﷺ أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته ...)[3].

الجواب : يقال لهم :

---

(١) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٩٨ – ٢٩٩.

(٢) شفاء السقام ص ١٣٦.

(٣) الدرر السنة ص ٢٦.

أولاً : أن هذا قياس ، والقياس في العقيدة باطل ؛ ذلك أنها توقيفية على الكتاب والسنة الصحيحة فلا مجال للاجتهاد فيها.

ثانياً : أنه قياس مع الفارق . فالتوسل بالأعمال : إنما هو التقرب إلى الله بما شرعه لعباده في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ؛ إذ هي التي تزكي نفس العامل وتجعله أهلاً لقبول دعائه.

أما ذات الغير فلم يشرع الله التقرب بها ، كما أنها لا تأثير لها البتة في تزكية المتقرب بها مهما كانت تلك الذات فاضلة بعملها المزكي لها ؛ ذلك أن التزكية تأتي من العمل ، لا من الذات.

ثالثاً : أن قولكم هذا يلزمنا لو قلنا أنه يجوز التوسل بعمل الغير ، ونحن لا نقول ذلك ولم يقل به أحد من السلف. فإذا كان التوسل بعمل الغير لا يجوز فالتوسل بذاته من باب أولى لا يجوز[1].

الشبهة الثانية : قياس الخالق على المخلوق :

وموجز هذه الشبهة : يقولون : إننا نتوسل بذوات الأنبياء والصالحين عند الله كما نتوسل بأصحاب الجاه والمنزلة عند الملك أو نحوه.

أي نجعل الأنبياء أو الصالحين واسطة بيننا وبين الله. كما نجعل صاحب

---

(١) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٠٩ ، ٢٨٥ (المتن والحاشية) ، والتوسل للألباني ص ١٥٢.

الجاه والمنزلة عند الملك واسطة بيننا وبينه في قضاء حوائجنا ؛ لأننا لا نقدر أن نصل إلى الله بغير ذلك"[1].

يقول محمد عطا (وإنما الطلب من هؤلاء الصالحين على سبيل التوسط بحصول المقصود من الله تعالى لعلو شأنهم عنده سبحانه)"[2].

الجواب : يقال لهم :

أولاً : هذا قياس. والقياس في العقيدة باطل إذ هي توقيفية فلا مجال للاجتهاد فيها.

ثانياً : أن فيما زعمتم تشبيه للخالق بالمخلوق وهذا باطل ، قال تعالى : ﴿...كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[3].

ثالثاً : قياسكم قياس مع الفارق ، فالمخلوق قد تعتريه علل تستلزم وجود الواسطة بينه وبين صاحب الحاجة ، من ظلم أو كبر أو جهل ، أو منفعة يتطلع إليها ، أو غيرها من العلل التي تكون حائلة دون قضاء مصالح الناس ، أما الخالق فيتنزه عن هذه العلل وغيرها ، فهو الغني القريب المجيب السميع العليم الرؤوف الرحيم.

---

(١) انظر : الدرر السنية ص ٢٦ ، وشفاء السقام ص ١٤٤ ، والتوسل للألباني ص ١٤٥ ، والقول الجلي ص ٤١.

(٢) انظر : الأقوال المرضية له ضمن (الصواعق المرسلة لابن سحمان) ص ١٤٤.

(٣) آية ١١ سورة الشورى.

رابعاً: عندما قستم الله بخلقه شبهتموه بأصحاب الصفات الدنيئة الذين لا يعطون الناس حقوقهم إلا بواسطة.

إنكم لو شبهتموه - سبحانه وتعالى - بأصحاب الصفات الفاضلة لكفرتم فكيف وقد شبهتموه بأصحاب الصفات الدنيئة[1].

قال شيخ الإسلام: (... وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه ـ كالحجاب الذين بين الملك ورعيته ـ بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك: يسألون الملوك الحوائج للناس، لقربهم منهم، والناس يسألونهم ... فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه: فهو كافر مشرك ... وهؤلاء مشبهون لله شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أنداداً ...)[2].

* * *

(١) انظر صيانة الإنسان ص ١٨٠ – ١٨٢ والتوسل للألباني ص ١٤٦ – ١٤٨. والقول الفصل النفيس ص ٧٩.

(٢) الفتاوي جـ ١ ص ١٢٦.

الخاتمة

بسم الله بدأنا وبحمده والشكر له ختمنا ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد : فإلى القارئ الكريم بعض النتائج التي توصلت إليها من هذا البحث المتواضع.

إنه من دراستي للتوسل المشروع والممنوع توصلت إلى نتائج هامة منها ما يلي :

الأولى : أن التوسل في أصل اللغة هو : التقرب إلى المطلوب .

وأن الوسيلة : في الأصل : ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به.

الثانية : أن التوسل في الشرع : هو التقرب إلى الله تعالى بما شرعه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، وأن الوسيلة : هي : ما يتقرب به إلى الله رجاء حصول مرغوب أو دفع مرهوب من فعل الواجبات والمستحبات أو ترك المنهيات.

الثالثة : أن الوسيلة تكون مشروعة وتكون ممنوعة ـ فما وافق الكتاب وصحيح السنة فهي مشروعة وما خالفهما أو أحدهما فهي ممنوعة.

وعليه فالتوسل قسمان : مشروع وممنوع.

الرابعة : أن التوسل المشروع هو ما وافق الكتاب أو صحيح السنة.

ومن أنواعـــه :

الأول : التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته.

الثاني : التوسل بالأعمال الصالحة.

الثالث : التوسل بدعاء الصالح الحي.

الرابع : التوسل بذكر الحال.

الخامسة : أن التوسل الممنوع : هو تقرب العبد إلى الله بما لم يثبت في الكتاب ولا في صحيح السنة : أنه وسيلة. وأنه نوعان :

الأول : التوسل بوسيلة نص الشارع على بطلانها مثل توسل المشركين بآلهتهم.

الثاني : التوسل بوسيلة دلت قواعد الشرع على بطلانها. ومن أنواعه :

١- التوسل إلى الله بذات مخلوق.

٢- التوسل إلى الله بجاه مخلوق أو حقه ونحوهما.

٣- التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له.

٤- أن يسأل العبد ربه حاجته مقسماً بنبيه أو وليه أو بحق نبيه أو وليه ونحوهما.

السادسة : أن التوسل الممنوع محرم ؛ ذلك أنه إما شرك كأن يعتقد في

المتوسل به شيئاً من النفع أو الضر من دون الله. أو وسيلة إلى الشرك كأن يتوسل بجاه أو ذات مخلوق ، ونحو ذلك. أو يتوجه إلى ميت طالباً أن يدعو الله له.

إذ في ذلك إطراء للمتوسل به يجر شيئاً فشيئاً إلى اعتقاد أن فيه نفعاً من دون الله ومن ثم يحصل دعاؤه فيقع في الشرك.

السابعة : أن التوسل الممنوع باطل بنوعيه :

أما الأول : فبطلانه ظاهر ولذا نص الشارع ، على بطلانه إذ هو عين الشرك.

وأما الثاني : فإنه لم يرد له دليل في الكتاب أو السنة الصحيحة.

ويؤكد ذلك أن الصحابة وغيرهم من أهل القرون المفضلة لم يعملوا به ولو كان موجوداً فيهما أو في أحدهما لعملوا به كما أنه ذريعة إلى الشرك.

الثامنة : التوسل بالذات إضافة إلى أنه لم يرد له دليل في الكتاب ولا السنة الصحيحة فإن فيه شبهاً بتوسل المشركين بآلهتهم ، كما أن فيه انتقاصاً لله تعالى وتنزيلاً له منزلة المخلوق الذي يحابي في فضله وحكمه فيعطي من له وسيط أكثر مما يعطي غيره ويحرم من ليس له وسيط لجهله بحاله. وبعده عن سماع مقاله.

التاسعة : أن في التوسل بدعاء الميت ، دعاء ميت ، وقد ورد النهي عنه

والوعيد عليه ، إذ هو شرك أو ذريعة إلى الشرك.

العاشرة : التوسل بالجاه أو الحق ونحوهما : إضافة إلى عدم ثبوته بالكتاب والسنة الصحيحة فإن فيه توسل بعمل الغير وفيه اعتداء بالدعاء ، كما أنه يتضمن أن للمخلوق حق على الله وليس على الله حق إلا ما أحقه على نفسه بوعده الصادق.

الحادية عشر : الإقسام على الله بالمتوسل به ، إضافة إلى عدم ثبوته في الكتاب والسنة الصحيحة. فإن فيه إقسام بغير الله ، وفيه تعظيم للمخلوق ورفعه فوق منزلة الخالق ؛ إذ من المسلم به أن المحلوف به يكون أعظم من المحلوف عليه.

الثانية عشر : أن من قال بشيء من التوسل الممنوع إنما تمسك بشبهات من الكتاب أو السنة أو أقوال أو أفعال الصحابة والتابعين أو العقل.

الثالثة عشر : لقد اتضح من مناقشة شبهاتهم : أن استدلالهم بالكتاب خاطئ نتج عن سوء فهمهم لكتاب الله بل هو حجة عليهم في بعض ما استدلوا به.

أما السنة وأقوال وأفعال الصحابة والتابعين فهو إما استدلال في غير محله. أو حديث أو أثر ضعيف أو موضوع.

أما شبهاتهم من العقل : فهي تستلزم القياس وهو مردود ، إذ العقيدة توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها.

كما أنها تستلزم تشبيه الله بخلقه وهو باطل ، إذ لا شبيه له سبحانه.

قال تعالى : ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ...﴾[١] .

ومما ذكرنا اتضح بطلان قول من قال بالتوسل الممنوع أو شيء منه.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

(١) آية ١١ سورة الشورى.

فهــرس المراجــع

١- القرآن الكريم.

٢- إتحاف الأذكياء - عبد الله بن محمد بن الصديق الحسيني - ط الثانية ١٤٠٥هـ - عالم الكتب بيروت لبنان.

٣- الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة - عبد الرحمن الدوسري - ط الأولى ١٤٠٢هـ - دار الأرقم الكويت.

٤- الأذكار للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي - ط الرابعة ١٣٧٥هـ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٥- أسباب النزول للسيوطي بهامش (تفسير وبيان مفردات القرآن) - ط ١٤٠٥هـ - مؤسسة الإيمان دار الرشيد دمشق بيروت.

٦- الأسنة الحداد ، سليمان بن سحمان ، ط الثانية ١٣٧٦هـ ، مطابع الرياض.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة - للحافظ أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر - ط ١٣٥٩هـ - دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

٨- أضواء البيان ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ط الأولى ١٤١٧هـ دار أحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٩- الأعلام ، خير الدين الزركلي ط السادسة ١٩٨٤م دار العلم للملايين بيروت لبنان.

١٠- أعلام الموقعين للإمام ابن القيم ط ١٣٨٨هـ الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية.

١١ - إغاثة اللهفان - للإمام ابن القيم - ط ١٣٨١هـ - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٢ - اقتضاء الصراط المستقيم - لشيخ الإسلام ابن تيمية - ط الثانية ١٣٦٩هـ - مكتبة السنة المحمدية.

١٣ - الأقوال المرضية (ضمن الصواعق المرسلة) - محمد عطا الكسم - ط الأولى ١٤٠٩هـ - دار العاصمة الرياض.

١٤ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير أبي بكر جابر الجزائري - ط الثانية ١٤٠٧هـ.

١٥ - البروق النجدية - علي بن علي النجدي القصيمي - ط ١٣٥٠هـ - مطبعة المنار بمصر.

١٦ - بغية المستفيد بشرح منية المريد محمد العربي السائح الشرقي العمري التيجاني ط الأولى ١٣٨٠هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الناشر : دار الجيل بيروت لبنان.

١٧ - تطهير الجنان - أحمد بن حجر بوطامي - ط الرابعة ١٣٩٦هـ - الدار السلفية الكويت.

١٨ - تفسير أبي السعود - أبي السعود محمد بن محمد العمادي - ط الأولى ١٩٨٣م - دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

١٩ - تفسير الحسن البصري جمع وتحقيق - د/ عمر يوسف كمال - ط الأولى ١٤١٣هـ - الجامعة العربية.

٢٠ - تفسير ابن سعدي - عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي - ط ١٣٩٨هـ - مؤسسة مكة للطباعة والإعلام - مكة المكرمة.

٢١- تفسير الشوكاني (فتح القدير) . محمد بن على الشوكاني . ط ١٤٠١هـ . دار الفكر.

٢٢- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) ـ محمد بن جرير الطبري . ط ١٤٠٦هـ دار المعرفة بيروت لبنان.

٢٣- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ـ محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . ط ١٣٨٧هـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة.

٢٤- تفسير ابن عباس ، عبد الله بن العباس ﷺ (بهامش الدرر المنشور) دار المعرفة بيروت لبنان.

٢٥- تفسير ابن كثير . أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ط ١٣٨٨هـ دار المعرفة بيروت لبنان.

٢٦- تفسير ابن مسعود . إعداد محمد أحمد عيسوى . ط الأولى ١٤٠٥هـ . مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

٢٧- تفسير مجاهد . للإمام مجاهد بن جبر . تحقيق / محمد عبد السلام أبو الخيل . ط الأولى ١٤١٠هـ . دار الفكر الإسلامي الحديثة . مدينة نصر.

٢٨- تفسير المنار . محمد رشيد رضا . ط الثانية . دار المعرفة بيروت لبنان.

٢٩- تفسير النسفي . أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي. الناشر . دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

٣٠- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة بيروت لبنان.

٣١- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية ط ١٣٤٦هـ المطبعة السلفية بمصر.

٣٢- التلخيص ـ للإمام الحافظ الذهبي (مطبوع مع المستدرك للحاكم) الناشر : مكتبة المطبوعات الإسلامية بيروت لبنان.

٣٣- التوسل والزيارة في الشريعة الإسلامية ـ محمد الفقي ـ ط الأولى ١٣٨٨هـ ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣٤- التوسل أنواعه وأحكامه ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط الخامسة ١٤٠٦هـ ـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان.

٣٥- التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع ـ محمد نسيب الرفاعي ـ ط الرابعة.

٣٦- تهذيب شرح الطحاوية ـ هذبه د/ محمد صلاح محمد الصاوي / ط الأولى ١٤١٠هـ دار الفرقان ـ مطبعة المدني ـ المؤسسة السعودية بمصر القاهرة.

٣٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ للحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي ط الأولى ١٤١٣هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

٣٨- تيسير العزيز الحميد للشيخ / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

٣٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري ط ١٣٨٩هـ الناشر : مكتبة الحلواني ـ مطبعة الملاح ـ مكتبة دار البيان.

٤٠- الجرح والتعديل ـ عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي ـ ط الأولى ١٣٧١هـ ـ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٤١- الجواب المختار لهداية المحتار ـ محمد صالح العثيمين ـ ط الأولى ١٤١٠هـ

ـ مطبعة دار طيبة الرياض.

٤٢ – حقيقة التوسل والوسيلة موسى محمد علي ط الثانية ١٤٠٥هـ عالم الكتب بيروت لبنان.

٤٣ – حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ـ ط ١٣٥٧هـ ـ المكتبة السلفية ـ دار الفكر.

٤٤ – الدرر السنية ـ أحمد بن زيني دحلان ـ ط ١٣١٩هـ المطبعة الميمنية ـ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بمصر.

٤٥ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله ـ ط ١٣١٤هـ ـ المطبعة الميمنية بمصر ـ الناشر : دار المعرفة بيروت لبنان.

٤٦ – ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي ـ ط الأولى ١٤٠٨هـ ـ دار القلم بيروت لبنان.

٤٧ – رسالة الشرك ومظاهره مبارك محمد الميلي ط الأولى ١٤٠٩هـ مكتبة الإيمان للطبع والنشر والتوزيع.

٤٨ – روح المعاني ـ لشهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ـ النشرة الثانية إدارة الطباعة المنيرية ـ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٤٩ – روضة الناظر ـ لابن قدامه المقدسي ط الخامسة ١٣٩٥هـ المطبعة السلفية.

٥٠ – سعادة الدارين ـ إبراهيم السمنهودي المنصوري ـ ط ١٣١٩هـ ـ مطبعة جريدة الإسلام بمصر.

٥١ – سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ

ط الرابعة ١٣٩٨هـ المكتب الإسلامي.

٥٢- سنن الدارمي - عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي الدارمي - ط ١٣٩٨هـ دار الفكر القاهرة.

٥٣- السير والمغازي، محمد بن إسحاق المطلبي - ط الأولى ١٣٩٨هـ - دار الفكر.

٥٤- شرح صحيح مسلم - للإمام النووي - ط ١٤٠١هـ - دار الفكر للطباعة والنشر.

٥٥- شرح الطحاوية - علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - ط الرابعة ١٣٩١هـ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٥٦- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - القاضي عياض - المطبعة العثمانية ١٣١٣هـ.

٥٧- شفاء السقام في زيارة خير الأنام - أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي - ط الأولى ١٣١٨هـ - المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق (مصر).

٥٨- الصارم المنكي في الرد على السبكي - أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبدالهادي الحنبلي - ط ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض المملكة العربية السعودية عام ١٤٠٣هـ.

٥٩- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - المكتبة الإسلامية - إستانبول تركيا.

٦٠- صفة الصفوة - جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي - ط الثالثة ١٤٠٥هـ - دار المعرفة بيروت لبنان.

٦١- الصواعق المرسلة الشهابية سليمان بن سحمان - النشرة الأولى ١٤٠٩هـ - دار

العاصمة الرياض.

٦٢- صيانة الإنسان ـ محمد بشير السهسواني الهندي ـ ط الخامسة ١٣٩٥هـ ـ مطابع نجد الرياض.

٦٣- الضعفاء والمتروكين ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ط الأولى ١٤٠٦هـ ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٦٤- الضياء الشارق ـ للشيخ سليمان بن سحمان ـ ط الخامسة ١٤١٤هـ ـ رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٦٥- الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد ـ ط ١٤٠٠هـ ـ دار بيروت للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٦٦- عمل اليوم والليلة أبو بكر بن السني تحقيق عبد القادر عطا ط ١٣٩٩هـ دار المعرفة - بيروت لبنان.

٦٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تصوير ط الأولى ١٣٩٨هـ مطابع دار العربية بيروت لبنان.

٦٨- الفتاوى الكبرى لابن تيمية دار الكتب الحديثة مطبعة العاصمة القاهرة ١٣٨٥هـ.

٦٩- فتاوى اللجنة الدائمة ـ جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش ط الأولى ١٤١١هـ.

٧٠- فتح الباري ـ للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ تصحيح الشيخ عبد العزيز بن باز ـ نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٧١- الفروق للإمام شهاب الدين الصنهاجي القرافي ـ دار المعرفة ـ بيروت لبنان.

٧٢- فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير ـ للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي ط الأولى ١٤١٥هـ ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧٣- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٧٤- قاعدة جليلة لابن تيمية تحقيق : ربيع هادي المدخلي ط الأولى ١٤١٢هـ

٧٥- القاموس المحيط ـ محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ـ ط ١٣٩٨هـ ـ دار الفكر بيروت لبنان.

٧٦- القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي ـ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام خضر نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٧٧- القول الفصل النفيس ـ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ـ ط ١٤٠٥هـ دار الهداية الرياض.

٧٨- الكاشف للإمام الذهبي ـ ط الأولى ١٤٠٣هـ ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧٩- الكامل في ضعفاء الرجال ـ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ـ ط الثالثة ١٤٠٩هـ دار الفكر.

٨٠- كشف غياهب الظلام ـ سليمان بن سحمان ـ ط الثانية ١٣٧٦هـ ـ مطابع الرياض.

٨١- كشف ما ألقاه إبليس ـ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ـ النشرة الأولى

١٤١٥هـ دار العاصمة الرياض.

٨٢- اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة - للعلامة جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ط الثانية ١٣٩٥هـ - دار المعرفة بيروت لبنان.

٨٣- لسان العرب - للعلامة محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ابن منظور) دار لسان العرب بيروت لبنان.

٨٤- لسان الميزان - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ط الأولى ١٤٠٨هـ - دار الفكر بيروت لبنان.

٨٥- النهاية في غريب الحديث والأثر - للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري (ابن الأثير) - ط الأولى ١٣٨٣هـ - الناشر : المكتبة الإسلامية.

٨٦- مجمع الزوائد - علي بن أبي بكر الهيثمي - ط ١٤٠٦هـ - مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

٨٧- المستدرك على الصحيحين - للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري الناشر : مكتبة المطبوعات الإسلامية بيروت لبنان.

٨٨- مصباح الظلام. عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ ، صححه وعلق عليه محمد حامد فقي مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر.

٨٩- المعجم الأوسط - للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني - ط الأولى ١٤٠٥هـ - مكتبة المعارف بالرياض.

٩٠- المعجم الكبير - للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - ط الثانية ١٩٨٤م.

٩١- الموافقات في أصول الشريعة - لابن إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي

الغرناطي ـ دار الفكر العربي.

٩٢- الموضوعات ـ عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ـ ط الأولى ١٤١٥هـ ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

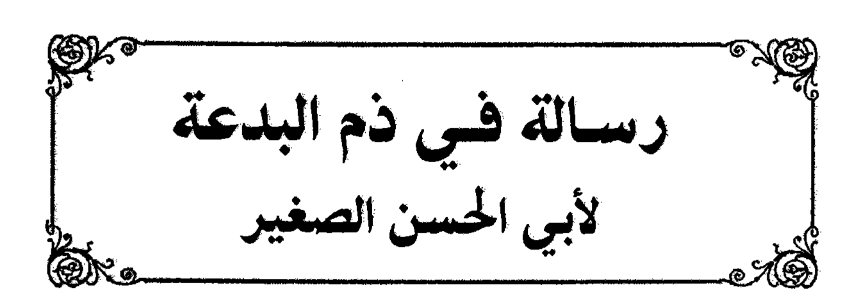
٩٣- ميزان الاعتدال ـ محمد بن أحمد الذهبي ـ ط ١٣٨٢هـ دار إحياء الكتب العربية . وط ١٤١٦هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

* * *

فهــرس الموضوعــات

الموضوع	الصفحة

* * *



رسالة في ذم البدعة
لأبي الحسن الصغير

تحقيق

د. عواد عبدالله المعتق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فإلى القارئ الكريم رسالة في ذم البدعة وأهلها.

لعلي بن محمد بن عبدالحق الزرويلي أبي الحسن، المعروف بالصغير، قاضي معمر من كبار المفتين في المغرب، ومن علماء أهل السنة.

ولاه السلطان «أبو الربيع» القضاء بفاس فحسنت سيرته وكان يدرّس بجامع الأجدع فيها، له مؤلفات منها.. «التقييد على المدونة» خمسة أجزاء - في الصادقية بتونس باسم شرح تهذيب المدونة في فقه المالكية، وفتاوى وتقييدات قيدها عنه تلاميذه. وأبرزت تأليفاً ومنها: هذه الرسالة - عاش أكثر من مائة عام وتوفي في سنة ٧١٩هـ[1].

وهذه الرسالة: إجابة على طلب بعض الإخوان من أهل السنة. وهو طلبهم أن يكتب ما انتهى إليه من الآيات والأحاديث والآثار المروية في ذم البدعة وأهلها؛ نظراً لانتشار بعض البدع في ذلك الزمان وذلك المكان وخصوصاً بدعة طائفة من الصوفية الذين قرروا أن التوبة لا تتم إلا بصفة

---

(١) انظر: الأعلام، ج ٤، ص ٣٣٤.

معينة تتضمن كثيراً من المحدثات المخالفة للسنة وما كان عليه السلف .

ونظراً لأهمية هذه الرسالة في محاربة البدعة وأهلها ، ولأنه لم يسبق تحقيقها ، لذا رأيت إخراجها للقارئ الكريم مستعيناً بالله تعالى ثم متبعاً المنهج الآتي :

* منهج التحقيق :

لقد قمت بالتحقيق معتمداً بعد الله على أربع نسخ خطية :

الأولى : رمزت لها – الأصل – مكانها دار الكتب الوطنية بتونس ضمن مجموع تحت رقم ٣٠٤٦ .

الثانية : ورمزت لها – ب – ومكانها دار الكتب الوطنية بتونس برقم ١٠١٠٠ .

الثالثة : ورمزت لها – ج – ومكانها مركز الملك فيصل برقم ١٠٨١٧ .

الرابعة : ورمزت لها – د – ومكانها مركز الملك فيصل برقم ١٢٩٢٤ ضمن مجموع .

أما المنهج :

– فقد اعتمدت منهج النص الوافي المختار – في المتن وخلافه في الحاشية؛ لأني أبحث عن نص المؤلف رحمه الله – ففي أي نسخة وجدت النص الوافي الصحيح أثبته في المتن ، وأشرت إلى النسخ الأخرى في الحاشية للتوضيح .

- نسبت الآيات القرآنية إلى أماكنها من كتاب الله ، كما قمت بتخريج الأحاديث والآثار .

- وثّقت أقوال الأئمة التي استشهد بها المؤلف بإرجاعها إلى مصادرها أو مصادر أخرى موثوقة .

- عرّفت بالأعلام الواردة في هذه الرسالة ، قمت بالتعليق على بعض الكلمات التي فيها غموض وتحتاج إلى توضيح .

وأخيراً أسأله تعالى أن يتقبل صوابي ويتجاوز عن خطئي إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم ، « وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

قال الشيخ الفقيه العالم العلامة الورع الزاهد أبو الحسن علي الشهير بالصغير الفاسي تغمده الله في رحمته وأسكنه فسيح جناته بمنه »(١).

الحمد لله وحده حمداً يوافي نعمه ويكافي شكره ومزيداً ، وصلواته على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد :

فقد سألني بعض إخواننا وفقهم الله أن أكتب ما انتهى إلينا من الآثار المروية عن النبي ﷺ وأقوال العلماء رضي الله تعالى عنهم في ذم البدعة وأهلها أخمد الله نارها ، ودمرهم وقطع آثارهم ، فأجبتهم إلى ذلك(٢) ، رغبة في ارتجاع(٣) الناس إلى السنة(٤) ، أحياها(٥) الله ، ونصر أهلها ، وأيد نورها ،

---

(١) ما بين القوسين زيادة من (ب) وفي (د) (قال الشيخ الفقيه العالم الورع المتبع أبوالحسن علي الملقب الصغير ..) وفي الأصل – ج – مكانها بياض .

(٢) وفي الأصل – ب – ج – (لذلك) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٣) وفي (د) (في الارتجاع إلى السنة) .

(٤) وفي الأصل (للسنة) وفي ج (السنة) وما هو مثبت أظهر كما في (ب) (د).

(٥) وفي الأصل – ب – ج – (وإحيائها) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

ورجاءً في الأجر العظيم الذي لا يعطيه[١] الله تعالى إلا لمن أحياها ، فقد قال رسول الله ﷺ : « من أحيا سنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد »[٢] ، بلغ الله الآمال ، وأصلح الأحوال (والأعمال)[٣]. علماً[٤] أن العلماء رضي الله تعالى عنهم قد ألفوا في هذا الشأن كثيراً. ومن تواليفهم أخرجت[٥] هذا الكتاب واختصرته (وهو المسئول أن يمدنا بحسن توفيقه وأن ييسرنا لما فيه

---

(١) وفي الأصل – ج – (أعطاه الله تعالى لمن أحياها). وفي (ب) (الذي يعطيه) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٢) أخرجه البيهقي في كتاب المدخل من حديث أبي هريرة بلفظ (القائم بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد) انظر : الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٨٠ ، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ٣٢٦ بلفظ (من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد) وقال : ضعيف جداً ، كما أورده المنذري في الترغيب والترهيب عن ابن عباس بلفظ (من تمسك بسنتي ... الحديث) وقال : رواه البيهقي من رواية الحسن بن قتيبة.

ثم قال : ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به إلا أنه قال : له أجر شهيد ، انظر : الترغيب والترهيب رقم (٥). وأخرجه أبو نعيم في الحلية ج٨ ص ٢٠٠ بلفظ (المتمسك بسنتي.. الحديث) وقال : (غريب من حديث عبدالعزيز عن عطاء) .

(٣) زيادة من (ب) .

(٤) وفي (ب – ج) (على) .

(٥) وفي الأصل (ب – ج) (استخرجت) .

رشدنا وهو على كل شيء قدير[1]) وبالله تعالى التوفيق .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

* * *

(١) ما بين القوسين زيادة من (ب) .

الباب الأول : في البدعة[1]:

اعلم أن البدعة : ما خرج عن الكتاب والسنة والإجماع .

وسنبين ذلك إن شاء الله تعالى ، فنقول – وبالله التوفيق – :

البدعة فتنة وبلاء[2] عظيم على هذه الأمة ، وهي من الذنوب التي لا يكفرها إلا الخلود[3] في النار – نسأل الله العافية – وسبب ذلك مخالفتهم في العقائد ، فإن[4] سلف العلماء قد ألفوا الكتب في الرد عليهم ، وقد بقيت الآن آثارهم[5]. بل كلامنا في شرذمة غلبت[6] وانتشرت في مغربنا هذا في البوادي والحواضر ، وفي البوادي أكثر ، وتلك طريقة[7] أحدثها رجال

---

(١) وفي الأصل – ب – ج – (باب في البدعة) .

(٢) وفي (د) (ووبال) .

(٣) لعل مراده البدعة الشركية شركاً أكبر؛ ذلك أن البدع التي لا تتضمن شركاً أكبر لا يخلد صاحبها في النار قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ الآية ٤٨ النساء .

(٤) وفي (الأصل – ب – ج) (لأن) وما هو مثبت أظهر كما في (ج) .

(٥) وفي الأصل – ج (وقد قبل اليوم آثارهم) وفي (د) (فبقيت آثارهم في شرذمة قليلة فانتشروا) .

(٦) وفي هامش (ب) (متغيبة) .

(٧) وفي الأصل – ب – ج (وذلك طريق) وما وهو مثبت أظهر كما في (د).

ليأكلوا بها حطام[1] الدنيا ، فجمعوا العوام والجهال من الذكور والإناث الذين صدورهم فارغة وعقولهم قاصرة ، فدخلوا عليهم من جهة الدين وتقرر عندهم أن التوبة إنما هي بحلق الرؤوس وتلقيم اللقمات ، والمبيتات والاجتماع عند حلق رأس التائب والوليمة للتوبة ، والذكر بالمداولة ، والترونسين[2] والشطح[3] والزعقات واستعمال العباءات والكتفات[4] والتسابيح والتمنعات[5] والاعتراف بأن سيده فلاناً شيخه في ذلك ، وأن لا شيخ له سواه. فأخذوا في علل الناس ، فإذا أشربوا على العمار[6]. أخذوا في الذكر على المداولة ، فتذبح لهم البقر والغنم ، ولهم خدام ، بعضهم على خيولهم (وبعضهم مشاة)[7] ، ويأخذون[8] من موضع إلى موضع ، ومن بلد

---

(١) وفي (د) (ليأكلوا أموال الناس بالباطل) .

(٢) وفي الأصل (والتدوس) وفي ج – د (والتدوير) وما هو مثبت أظهر كما في (ب) والترونين : هي أصوات يصدرونها مع التمايل أثناء جلوسهم وقيل أثناء الرقص أو في مقدمته لا معنى لها تشبه النياحة .

(٣) الشطح : قال الجرجاني : (هو عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهي من زلات المحققين ..) انظر : التعريفات ص ١٣٣ . والمراد بها هنا : الرقص مع التصفيق بالأيدي .

(٤) وفي هامش (ب) قال : هي : التصنعات .

(٥) وفي هامش (ب) قال : هي : العكوفات .

(٦) وفي هامش (ب) قال : هي : العمران .

(٧) زيادة من (ب) .

(٨) وفي (ج) (ويؤخذون) وهو خطأ .

إلى بلد يتوبون الناس ، وزعموا أنهم أظهروا الدين بذلك وأحيوه ، وألقوا عندهم أن العلماء قطعوا طريق الله وحذروهم منهم[١] ، فاعتقد بعضهم عداوتهم فافترقوا[٢] بكثرة أشياخهم على طوائف شتى كل طائفة تحيد[٣] إلى شيخها وتطعن في الطائفة الأخرى وشيخها ، فتوارثت[٤] لأجل ذلك المشاحنة والمباغضة بين الأشياخ حتى يود كل واحد منهم لو شرب دم الآخر بسبب حطام الدنيا ، فباعوا الآخرة بالدنيا ، فأضلوا من مخلوقات الله كثيراً ، فأفسدوا بذلك (دينهم)[٥] وإيمانهم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾[٦].

وقال رسول الله ﷺ : «كل الناس يطمع في مغفرة الله وتنالهم شفاعتي (يوم القيامة)[٧] كل من مات منهم على توبة إلا من مات منهم على بدعة

(١) وفي (ب) (فحذروهم) .

(٢) وفي (ج) (وافترقوا) .

(٣) وفي (الأصل – ج) تجر .

(٤) وفي (الأصل – ج) (وتوارثت) .

(٥) زيادة من (ب) .

(٦) سورة البقرة ، الآية ١٧٤ .

(٧) ساقط من (الأصل – ب) .

شرعها للناس وسنها لهم »[١].

وقال ﷺ : « رجلان لا تنالهم شفاعتي يوم القيامة إمام ضال [٢] ، وغالٍ في الدين ... الحديث » [٣].

وقال ﷺ : « لا يقبل الله لصاحب بدعة صوماً ولا حجاً ولا صلاة ولا عمرة ولا صرفاً ولا عدلاً يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين »[٤].

وقال ﷺ : « من فارق الجماعة[٥] فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه »[٦].

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وقد روى ابن وضاح حديثاً بمعناه قال : حدثنا أسد قال : حدثنا عبدالله بن خالد عن أبي عبدالسلام قال سمعت بكر بن عبدالله المزني أن النبي ﷺ ، قال : (حلت شفاعتي لأمتي إلا صاحب بدعة) . وقال الشيخ بدر عبدالله البدر (إسناده ضعيف لإرساله) انظر : ما جاء في البدع لابن وضاح ص ٨١ (المتن والحاشية) كما أورده الشاطبي في الاعتصام برقم ٦٧ .

(٢) وفي السنة (إمام ظلوم غاشم) .

(٣) رواه الطبراني في في المعجم الكبير ج٢٠ ص٢١٤، وابن أبي عاصم في السنة برقم ٤١ ، وقال الألباني: حديث صحيح وإسناده ضعيف انظر : ظلال الجنة ج١ ص٢٣ .

(٤) رواه ابن ماجة عن حذيفة برقم ٤٩ ، انظر : كنز العمال حديث ١١٠٨ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ج ١ ص ٨٧ .

(٥) وفي سنن أبي داود (شبراً) .

(٦) أخرجه أبو داود في السنة باب قتل الخوارج برقم (٧٥٨) ، وأحمد ج٥ ص ١٨٠ .
انظر : جامع الأصول حديث ٧٦ .

أراد عليه السلام عقيدة الإسلام والتابع للسنة والتارك للبدعة .

وقال ﷺ : « من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، قيل له : وما غش أمتك يا رسول الله؟[١] قال : أن يبتدع بدعة يحمل[٢] الناس عليها»[٣][٤] .

وقال ﷺ : « إن لله ملكاً ينادي كل يوم : من خالف سنة النبي ﷺ لن تناله شفاعته »[٥] .

وحكى أبو حامد[٦] في الإحياء أن إبليس لعنه الله بعث[٧] جنوده في وقت

---

(١) وفي الكنز (قالوا يا رسول الله وما الغش) وفي الإحياء (قيل يا رسول الله وما غش أمتك) .

(٢) وفي الأصل – ج – (يحمده) .

(٣) وفي الكنز (فيعملوا بها) .

(٤) رواه الدارقطني في الأفراد عن أنس بسند ضعيف جداً. انظر : كنز العمال حديث ١١١٨ ، والإحياء ج ١ ص ١٣٨ ، (المتن والحاشية) تخريج الحافظ العراقي ، كما ذكره إدريس الحنفي في اللمع ج ١ ص ٤٣ .

(٥) أورده الغزالي في الإحياء – وقال الحافظ العراقي (لم أجد له أصلاً) انظر : الإحياء ج١ ص ١٣٨ (المتن والحاشية) .

(٦) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (أبو حامد) فيلسوف متصوف ولد سنة ٤٥٠هـ ، وتوفي سنة ٥٠٥هـ ، له نحو مئتي مصنف انظر : ترجمته في الأعلام ج٧ ص ٢٢ ، والوفيات ج١ ص ٤٦٣ .

(٧) وفي الأصل – ب– (حث) .

الصحابة رضي الله عنهم فرجعوا منتكسين [١] ، فقال ما شأنكم؟ فقالوا [٢] : ما رأينا مثل هؤلاء القوم ما[٣] نصيب منهم شيئاً ، وقد أتعبونا ، فقال : إنكم لن تنالوا[٤] منهم شيئاً قد صاحبوا نبيهم وشاهدوا نزول[٥] الوحي ، ولكن سيأتي بعد هؤلاء[٦] قوم فتنالون منهم حاجتكم ، فلما جاء التابعون بعث[٧] جنوده فرجعوا إليه منتكسين ، قال : ما شأنكم. قالوا : ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات ، قال[٨] : إنكم لن تصيبوا[٩] من هؤلاء شيئاً لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ، ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم ، وتلعبون بهم لعباً ، وتقودونهم[١٠] بأزمة أهوائهم[١١] كيف

---

(١) وفي (د) (منكسين) وفي الإحياء (محسورين) .

(٢) وفي الإحياء (قالوا) وهو أظهر .

(٣) (ما) ساقط من (ج) .

(٤) وفي الإحياء (لا تقدرون عليهم) .

(٥) وفي الإحياء (تنزيل ربهم) .

(٦) وفي الإحياء (بعدهم) .

(٧) وفي الإحياء (بث) .

(٨) وفي الإحياء (فقال) .

(٩) وفي الإحياء (لن تنالوا) .

(١٠) وفي (ب) (وتقودوهم) .

(١١) وفي الأصل (ب) (بأزمتهم إلى أهوائهم) وفي ج - د (بأزمتهم إلى هواهم) والتصحيح من الإحياء .

شئتم ، لا يستغفرون[1] فيغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات ، قال : فجاء قوم بعد القرن الأول[2] فبث فيهم الأهواء وزين لهم[3] البدع فاستحلوها[4] واتخذوها ديناً لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلطت[5] عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا[6] .

وقال الفضيل[7] بن عياض : « صاحب البدعة لا تأمنه على دينك ولا تشاوره في أمرك ولا تجلس إليه ، فإن من جالس صاحب البدعة ورثه الله العمى »[8] يعني عمى القلب .

---

(١) وفي الإحياء (إن استغفروا لم يغفر لهم) وما هو مثبت أظهر .

(٢) وفي الأصل – ب – (القرون) والتصحيح من الإحياء .

(٣) وفي الأصل (ب) (فهم) والتصحيح من الإحياء .

(٤) وفي الأصل – ب – ج – (واستعملوها) وما هو مثبت أظهر كما في الإحياء .

(٥) كذا في د وفي الأصل – ب – ج – (فصالت) وفي الإحياء (فسلط) .

(٦) انظر : الإحياء ج ١ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٧) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن سعود بن بشر التميمي الطالقاني – الأصل الزاهد المشهور القدوة الثبت – ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد وارتحل في طلب العلم فقدم الكوفة وسمع الحديث بها ثم انتقل إلى مكة وجاوربها إلى أن مات في المحرم من سنة ١٨٧هـ. انظر : ترجمته في الوفيات ج٤ ص ٤٧–٥٠ وسير أعلام النبلاء ج٨ ص ٤٢١–٤٤٢ والحلية ج٨ ص ٨٤ .

(٨) ذكره أبو نعيم في الحلية ج٨ ص ١٠٣ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ١٣٨ ، وابن بطة في الإبانة ص ١٥٧ .

وقال الفضيل بن عياض : « من أحب صاحب بدعة[١] أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه »[٢] .

وقال الفضيل : « إذا علم الله تعالى من رجل بغض صاحب بدعة غفر (الله)[٣] له ولو قل عمله »[٤] ، وقال رسول الله ﷺ : «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة »[٥] .

---

(١) وفي الأصل - ب - ج - (من تراحب بصاحب) وهو خطأ .

(٢) أورده أبو نعيم في الحلية ج٨ ص ١٠٣ ، وابن بطة في الإبانة ج١ ص ٥٩ (الحاشية) ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٢٣ ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ج٨ ص٣٥ .

(٣) ساقط من (الأصل - ج) .

(٤) أورده ابن بطة في الإبانة ص ١٦١ وأبو نعيم في الحلية ج٨ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، والسيوطي في الأمر بالاتباع ص ٦٨ وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٢٤ .

(٥) ذكره الطبراني في الأوسط برقم ٤٣٦٠ ، من طرق عن هارون بن موسى حدثنا أبو صخرة عن حميد عن أنس مرفوعاً قال الألباني : هذا إسناد صحيح قال الهيثمي : في مجمع الزوائد ج١٠ ص ١٨٩ (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة ، ورواه ابن أبي عاصم في السنة برقم ٣٧ من طريق بقية بن الوليد حدثني محمد بن عبدالرحمن حدثني حميد عن أنس. وقال الألباني : حديث صحيح. انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث ١٦٢٠ والسنة لابن أبي عاصم ج١ ص ٢١ وظلال الجنة ج ١ص ٢١ ، كما أورده الشاطبي في الاعتصام برقم ٧٣ .

وقال سفيان الثوري [١] : « من اتبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع »[٢] ، ولا يرفع لصاحب بدعة عمل إلى الله تعالى ، ومن عظم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام »[٣] .

وقال مالك[٤] رضي الله تعالى عنه : « لا تجالسوهم إلا أن تغلظوا عليهم ، ولا يعاد مريضهم ولا تحدث عليهم الأحاديث »[٥] .

---

(١) هو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم ، أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته وهو أحد الأئمة المجتهدين ولد سنة ٩٧هـ ، وتوفي سنة ١٦١هـ ، على القول الصحيح. انظر : ترجمته في وفيات الأعيان ج٢ ص ٣٨٦ ، وسير أعلام النبلاء ج٧ ص ٢٢٩ ، والأعلام ج٣ ص ١٠٤ .

(٢) ذكره إدريس الحنفي في اللمع ج١ ص ٤٣ .

(٣) من قوله (ولا يرفع لصاحب بدعة... إلى نهاية الكلام) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ١٣٩ ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص٢٣، ٢٤ ، وذكره ابن بطة في الإبانة ص ١٥٣-١٥٩ من مقولات القاضي عياض .

(٤) هو شيخ الإسلام إمام دار الهجرة أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي أحد الأئمة الأعلام ولد سنة ٩٣هـ ، على القول الصحيح وتوفي في ربيع الأول سنة ١٧٩هـ ، سمع الزهري ونافعاً مولى ابن عمر رضي الله عنهما وروى عنه الأوزاعي ويحيى بن سعيد وجماعة. من مصنفاته الموطأ انظر : سير أعلام النبلاء ج٨ص ٤٨-١٣٥ ، والوفيات ج٤ ص١٣٥-١٣٩ .

(٥) ذكره الشاطبي في الاعتصام بلفظ (لا تجالس القدري ولا تكلمه إلا أن تجلس إليه

وقال الشافعي[١] : « إذا سمعتم[٢] الرجل يسمي الله[٣] بغير اسمه ، والشيء بغير الشيء فاشهدوا له بالزندقة »[٤] .

وقال العرباض بن سارية رضي الله عنه : « صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا « بوجهه »[٥] فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون

(فتغلظ عليه) انظر : الاعتصام ج١ ص ١٠١ ، ١٠٢ ، كما ذكر ابن رشد جزءاً منه في البيان والتحصيل ج١٧ ص ٣٨٠ .

(١) هو أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي إمام الأئمة اعتبره الإمام أحمد مجدد المائة الثانية وقد اتفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه وحسن سيرته ولد رحمه الله سنه ١٥٠هـ بمدينة غزة وتوفي بالقرافة الصغرى بمصر سنة ٢٠٤هـ ، انظر : تاريخ بغداد ج٢ ص ٥٦ ، والوفيات ج٤ ص ١٦٣-١٦٩ ، والحلية ج٩ ص ٦٣ ، والأعلام ج٦ ص ٢٦ .

(٢) وفي (ج) (إذا سمعتم من الرجل) .

(٣) (الله) زيادة من (د) .

(٤) وفي الإحياء ج١ ص ١٦٤ ، وقواعد العقائد ص ٨٥ بلفظ (إذا سمعت الرجل يقول : الاسم هو المسمى أو غير المسمى ، فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له) وفي جامع بيان العلم لابن عبدالبر : قال يونس بن عبدالأعلى : سمعت الشافعي يقول : (إذا سمعت الرجل يقول : الاسم غير المسمى ، والاسم المسمى فاشهدوا بأنه من أهل الكلام ولادين له) انظر : قواعد العقائد ص٨٥ (الحاشية).

(٥) ساقطة من النسخ الأربع .

ووجلت منها القلوب » . قال رجل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا [1] تعهد إلينا؟ قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن كان عبداً حبشياً..[2] فعليكم [3] بسنتي وسنة الخلفاء..[4] من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم و محدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، والضلالة وأهلها في النار »[5] .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح [6].

وقال ﷺ : « قليل في سنة خير من اجتهاد في بدعة »[7] .

---

(١) وفي الأصل (فما) وهو خطأ .

(٢) فيه سقط (فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً) .

(٣) وفي الأصل – ب – ج (وعليكم) وهو خطأ .

(٤) فيه سقط (الراشدين المهديين) .

(٥) رواه أحمد في المسند ج٤ ص ١٢٦ – ١٢٧ ، وأبوداود في السنة باب لزوم السنة حديث ٤٦٠٧ والترمذي في العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع حديث ٢٦٧٨ ، وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين حديث ٤٢ ، والبغوي في شرح السنة ج١ ص ٢٠٥ حديث ١٠٢ ، وابن أبي عاصم في السنة ج١ ص١٧ – ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٠ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص٧٤ – ٧٥ ، وانظر : جامع الأصول ج١ ص ٢٧٨ – ٢٧٩ (المتن والحاشية) .

(٦) انظر : سنن الترمذي كتاب العلم باب ١٦ حديث ٢٦٧٦ .

(٧) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب برقم ١٢٧٠ مرسلاً عن الحسن ، والرافعي في

وفي الموطإ : قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد»[١].

وفي صحيح البخاري ومسلم قال النبي ﷺ : « من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد »[٢].

وقال ﷺ : « افترقت بنوا إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل : فمن هم يا رسول الله؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابي» أخرجه أبو داود[٣]

تاريخ قزوين ج١ ص٢٥٧ مرفوعاً من حديث أبي هريرة ، والديلمي في الفردوس برقم ٤٠٩٨ مرفوعاً من حديث ابن مسعود بلفظ (عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة) وانظر : كنز العمال ، حديث ١٠٩٦ ، قال أحمد الشافعي في فتح الوهاب : (ورواه الرافعي في تاريخ قزوين من حديث أبي هريرة ، ورواه الديلمي في الفردوس من حديث ابن مسعود والصحيح أنه من حديثه موقوفاً. كذلك أخرجه الحاكم وصححه والطبراني في الكبير وغيرهما) انظر : فتح الوهاب ج٢ ص٢٩٥ والطبراني في الكبير حديث ١٠٤٨٨ والحاكم ج١ ص١٠٣ .

(١) هو حديث عائشة الآتي ذكره انظر : فتح الباري ج١٣ ص ٢٤٨ ، والاعتصام ج١ ص٨٣ ، وج٢ ص٣٠٧ والسنة لابن أبي عاصم ج١ ص ٢٨ . ولم أقف عليه في الموطإ .

(٢) أخرجه البخاري في البيوع باب النجش ، وفي الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود برقم ٢٦٩٧ ، ومسلم في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة برقم ١٧١٨ ، وأبو داود في السنة باب لزوم السنة من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : وانظر : جامع الأصول ج١ ص٢٨٩ ، ٢٩٠ برقم ٧٥ .

(٣) وهم في عزوه لأبي داود فلم يعزه ابن الأثير في جامع الأصول إلا للترمذي ، كذلك

والترمذي [1].

وقال ﷺ: « من أهان [2] مبتدعاً أمنه الله يوم الفزع الأكبر »[3].

وقال ﷺ: « من صافح مبتدعاً فقد نقض الإسلام عروة عروة »[4].

علاء الدين الهندي في كنز العمال. انظر: جامع الأصول حديث ٧٤٩١، وكنز العمال حديث ٣٠٨٣٧.

(١) أخرجه: الترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة برقم ٦٤٣، وقال: هذا حديث حسن مفسر غريب. انظر: جامع الأصول ج ١٠ ص ٣٣، ٣٤ (المتن والحاشية)، والبغوي في شرح السنة ج١ ص ٢١٣ وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٥، والحاكم في المستدرك ج١ ص ١٢٨- ١٢٩ وذكره الآجري في الشريعة ص ١٥، ١٦، والسيوطي في الأمر بالاتباع ص ٤٣- ٤٤، عن عبدالله بن عمرو، ولأصل الحديث شواهد كثيرة منها حديث معاوية بن أبي سفيان أخرجه أبو داود، وحديث أبي هريرة: أخرجه أبو داود والترمذي وحديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري ومسلم. انظر: جامع الأصول حديث ٧٤٨٩، ٧٤٩٠، ٧٤٩٣.

(٢) وفي الأصل – ب – (من أعان على) والصواب ما هو مثبت كما في (ج) (د) وكما في الحلية والإحياء.

(٣) أورده أبو نعيم في الحلية والغزالي في الإحياء بلفظ (... ومن أهان صاحب بدعة.. الحديث) وقال الحافظ العراقي (رواه أبونعيم في الحلية والهروي في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف) انظر: الحلية ج٨ ص ٢٠٠، والإحياء ج٢ ص ١٦٩ (المتن والحاشية) كما ذكره إدريس الحنفي (التركماني) في اللمع ج ١ ص ٤٣.

(٤) أخرجه ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٢٣ من مقولات سفيان الثوري كما ذكره السيوطي في الأمر بالاتباع ص ٦٧ من مقولات سفيان الثوري أيضاً.

وقال أُبيّ بن كعب[1] : «الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة»[2].

وقال ابن عباس[3] رضي الله تعالى عنهما : « النظر[4] إلى الرجل من أهل

(١) هو أبي بن كعب الأنصاري الصحابي الجليل سيد القراء وأول من كتب للنبي ﷺ شهد بيعة العقبة الأولى وشهد بدراً وما بعدها وتوفي رضي الله عنه سنة ١٩هـ ، وقيل سنة ٢٠هـ ، وقيل سنة ٢٢هـ ، في خلافة عمر وهو اختيار ابن عبد البر ، ورجح الواقدي وأبو نعيم موته سنة ٣٠هـ ، والله أعلم. انظر : الإصابة ج١ ص ٣١ ، ٣٢ ، وأسد الغابة ج١ ص ١٢٦-١٣٥ والاستيعاب ج١ ص ٢٧-٣٠ .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٥٤ وأبو نعيم في الحلية ج١ ص ٢٥٢-٢٥٣ ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٦ وذكره البغوي في شرح السنة ج١ ص ٢٠٨ ، وابن القيم في إغاثة اللهفان ج١ ص ١٥١ ، والشاطبي في الاعتصام ج١ ص ٦٣ ، والسيوطي في مفتاح الجنة ص ٦٣ ، وأبو الليث في تنبيه الغافلين ص ٢٨٧ .

(٣) هو عبدالله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ العباس بن عبدالمطلب وهو حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير ولد بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين وصحب النبي ﷺ نحو من ثلاثين شهراً وحدث عنه وعن بعض الصحابة وكان انتقاله إلى المدينة المنورة سنة الفتح وقد أسلم قبل ذلك قيل إنه توفي سنة ٦٧هـ ، وقيل سنة ٦٨هـ ، وله من العمر ٧١سنة ، ومسنده ١٦٦٠ حديثاً. انظر : سير أعلام النبلاء ج٣ ص ٣٣١-٣٥٩ وصفة الصفوة ج١ ص ٧٤٦-٧٥٨ والاستيعاب ج٣ ص ٩٣٣-٩٣٩ .

(٤) وفي الأصل – ب – (من النظر) وهو خطأ .

السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة خير من عبادة سنة »[1][2].

وقال أبو يزيد [3] البسطامي : « إذا رأيتم من يطير في الهواء[4] فلا يغرنكم بفعله »[5] يريد إذا لم يتبع السنة .

وقال الأوزاعي[6] : « رأيت ربي سبحانه في المنام فقال

---

(١) (سنة) غير موجودة في شرح أصول اعتقاد أهل السنة - والإبانة ، وتلبيس إبليس ، ومفتاح الجنة .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص٥٥ ، وذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٦ ، والسيوطي في مفتاح الجنة ص ٦٣ وفي الأمر بالاتباع له ص ٤٩ ، وعثمان فودي في إحياء السنة ص ٥٩ .

(٣) وهو طيفور بن عيسى البسطامي أبو يزيد ويقال بايزيد ، زاهد مشهور له أخبار كثيرة نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها ولد فيها سنة ١٨٨هـ وتوفي فيها سنة ٢٦١هـ ، انظر : الأعلام ج٣ ص ٢٣٥.

(٤) في (الهواء) غير موجودة في (ج) .

(٥) ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان ، وأبو نعيم في الحلية ، والقشيري في الرسالة له ، والشاطبي في الاعتصام بلفظ : (لو نظرتم إلى الرجل أعطى من الكرامات حتى يرفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة . انظر : إغاثة اللهفان ج١ ص ١٤٤ ، والحلية ج١٠ ص ٤٠ والرسالة للقشيري ص ١٤ ، والاعتصام ج ١ ص ٧٢ .

(٦) هو أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي إمام أهل الشام - وكان ممن لا يخاف في الله لومة لائم سمع من الزهري وعطاء وروى عنه الثوري وأخذ عنه ابن المبارك وجماعة كثيرة ولد ببعلبك سنة ٨٨هـ ، وقيل سنة ٩٣هـ ، نشأ بالبقاع ثم نقلته

لي[١] : يا عبدالرحمن أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فقلت : بفضلك يا رب، وقلت يا رب[٢] أمتني على الإسلام، فقال: وعلى السنة»[٣] .

وقال الجنيد[٤] : « الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على المقتفين آثار الرسول الله ﷺ والتابعين للسنة »[٥] .

وقال أيوب[٦] السختياني : « ما زاد صاحب بدعة اجتهاداً إلا زاد من الله

أمه إلى بيروت وبها توفي سنة ١٥٧هـ ، انظر : الأعلام ج٣ ص ٣٢٠ ، والحلية ج٦ ص ١٣٥-١٤٩ .

(١) (لي) ساقطة من الأصل – ب – ج .

(٢) وفي (ج – د) (وقلت يا رب) غير موجودة .

(٣) أخرجه ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٦ وذكره أبو نعيم في الحلية ج٦ ص ١٤٢ – ١٤٣ والسيوطي في الأمر بالاتباع ص ٥٠ .

(٤) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزار القواريري الزاهد المشهور أصله من نهاوند ومولده ومنشأه في العراق ، وكان شيخ وقته وفريد عصره تفقه على أبي ثور، وقيل بل كان فقيهاً على مذهب سفيان الثوري توفي سنة ٢٩٧هـ ، وقيل سنة ٢٩٨هـ ، ببغداد . انظر : الوفيات ج١ ص ٣٧٣-٣٧٥ والحلية ج ١٠ ص ٢٥٥ وتاريخ بغداد ج٧ ص ٢٤١ .

(٥) أخرجه ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٩ ، وأبو نعيم في الحلية ج١٠ ص ٢٥٧ ، وذكره السيوطي في مفتاح الجنة ص ٧١ وفي الأمر بالاتباع له ص ٥٣ ، والشاطبي في الاعتصام ج١ ص ٧٣ .

(٦) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري ، أبو بكر : سيد فقهاء عصره تابعي

بعداً »[1] .

وقال سفيان الثوري[2] : « البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها[3] ، والمعصية يتاب منها »[4] .

وقال ابن سيرين[5] : « بالله الذي لا إله إلا هو لقد يفسد في دينه ما لا

من النساك الزهاد من حفاظ الحديث ، كان ثبتاً ثقة روي عنه ٨٠٠٠ حديث ، ولد سنة ٦٦هـ ، وتوفي سنة ١٣١هـ ، انظر : الأعلام ج٢ ص٣٨ .

(١) أخرجه ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٢٢ وابن وضاح في البدع ص ٦٨. وذكره الشاطبي في الاعتصام ج١ ص٦٥، ٨١، ٩٠ . والسيوطي في الأمر بالاتباع ص ٦٦ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٥١٧ .

(٣) لعل مراده في الغالب؛ لأن من وقع فيها تكون في نظره حقاً فلا يتركها. أما المعصية فيعلم أنها معصية فيتوب عنها ولذلك نرى بعض من وقع في بدعة الاعتزال لما اتضح له بطلانها رجع عنها كالأشعري والباقلاني وغيرهما .

(٤) أخرجه ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٢٢ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ١٣٢ ، وأبو نعيم في الحلية ج٧ ص ٢٦ ، وذكره البغوي في شرح السنة ج١ ص ٢١٦ ، وابن تيمية في الفتاوى ج١١ ص ٤٧٢ ، والسيوطي في الأمر بالاتباع ص ٦٧ .

(٥) هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء أبو بكر إمام وقته في علوم الدين بالبصرة تابعي من أشرف الكتاب ولد في البصرة سنة ٣٣هـ ، وتفقه وروى الحديث واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا وتوفي بالبصرة سنة ١٣٣هـ ، انظر : الأعلام ج٦ ص ١٥٤ .

يصلح »[1].

وقال: عبادة الجاهل في حجرة إذا قام اهتزت »[2][3].

ومما كان ينشد مالك[4] رضي الله تعالى عنه « بيتاً، كان يردّده كثيراً »[5].

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع[6]

وعن ابن مسعود[7] رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته[8] حواريون وأصحاب يأخذون بسنته

---

(١) أخرجه أبو شامة في الباعث بلفظ (والله ما عمل عامل بغير علم إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح) انظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٢١٣.

(٢) وفي (د) (متى قام انحرفت).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) سبقت ترجمته ص ٥١٧.

(٥) ما بين قوسين زيادة من (ج).

(٦) ذكره الشاطبي في الاعتصام والقاضي عياض في ترتيب المدارك ج١ ص ١٦٩ وابن عبدالبر في الانتقاء ص ٣٧.

(٧) هو عبدالله بن مسعود الهذلي صحابي من السابقين إلى الإسلام هاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها أول من جهر بالقرآن بمكة، ومن فقهاء الصحابة توفي في المدينة سنة ٣٢هـ، انظر: الإصابة ج٤ ص ٢٣٢-٢٣٦ وصفة الصفوة ج١ ص ٣٩٤-٤٢٢.

(٨) في الأصل ب- د- (إلا كان في أمته) والصواب ما هو مثبت كما في (د) وصحيح مسلم.

ويقتدون بأمره ثم أنها تخلف[١] من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده[٢] فهو مؤمن[٣] ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، (ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن)[٤] ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[٥].

وجاء في تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ... الآية﴾[٦]، قال عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه : « خط لنا رسول الله ﷺ خطاً وخط عن يمينه وعن شماله خطوطاً – وقال : هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » يريد أهل البدعة[٧].

---

(١) في الأصل ب– ج– د (ثم إنه تختلف) وهو خطأ .

(٢) في الأصل ب –ج – د (بقلبه) وهو خطأ .

(٣) في الأصل ب –ج – د (موفق) وهو خطأ .

(٤) ما بين قوسين ساقط من (الأصل – ب –ج – د) .

(٥) أخرجه مسلم في الإيمان – باب كون النهي عن المنكر من الإيمان . عن عبدالله بن مسعود ، والإمام أحمد في المسند ج١ ص٤٥٨ . انظر : جامع الأصول حديث ١٠٨ ، وكنز العمال حديث ٥٥٣٢ .

(٦) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣ .

(٧) كذا في (د) وفي الأصل –ب –ج –(احبسوا أراد من الإنسان يريدون بها أهل البدعة) وفي إحياء السنة (أحسبه قال : (من الإنسان) يريد به أهل البدعة. وهو الأظهر .

ثم تلى هذه الآية : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ يعني الخط[١] ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ يعني الخطوط ﴿فَتَفَرَّقَ[٢] بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[٣] .

قال عبدالله بن عمر[٤] لعبدالله بن مسعود : يا أبا عبدالرحمن ما الصراط المستقيم ؟ قال : هو ورب الكعبة الذي وجدت[٥] عليه أباك حتى دخل

---

(١) يعني الخط غير موجودة في (ج) .

(٢) وفي (ب) : (فيفرق) وهوخطأ ، وفي (ج) ساقط قوله تعالى : ﴿فتفرق بكم عن سبيله﴾ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح ، المسند بشرح الشيخ شاكر ج٦ ص ٨٩ ، وأورده اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ص ٨٠ ، ٨١ والآجرى في الشريعة ص ١٠ ، والبغوي في شرح السنة ج١ ص ١٩٦-١٩٧ ، وابن وضاح في ما جاء في البدع ص ٧٣ ، وابن بطة في الإبانة ص ١١٤ ، وأبوشامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٥٧. وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٤ ، والحاكم في المستدرك ج٢ ص ٣١٨ ، والشاطبي في الاعتصام ج١ ص ٤٢ ، وابن أبي عاصم في السنة ج١ ص ١٣ ، وقال الألباني : حديث صحيح. انظر : ظلال الجنة في تخريج السنة ج١ص ١٣ ، وانظر : إحياء السنة ص ٥١ .

(٤) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبدالرحمن صحابي ولد سنة ١٠ قبل الهجرة ونشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة أفتى الناس في الإسلام ٦٠ سنة وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة توفي سنة ٧٣هـ. انظر : الأعلام ج٤ ص ١٠٨ .

(٥) كذا في النسخ الأربع – وفي الاعتصام (ثبت) .

الجنة ثم حلف على ذلك ثلاثاً)[١] .

وقال مجاهد[٢] وزيد[٣] بن أسلم : صراط الله الإسلام والسنة ، والسبل : البدعة[٤][٥]؛ لقوله عزوجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[٦]. يعني: يا محمد .

الباب الثاني[٧] :

في الرد عليهم وذكر صفاتهم ، وبيان الحق الذي هو السنة والباطل

---

(١) أخرجه الشاطبي في الاعتصام ج١ ص ٤٢ .

(٢) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم تابعي مفسر من أهل مكة أخذ التفسير عن ابن عباس ولد سنة ٢١هـ ، وتوفي سنة ١٠٤هـ . انظر : الأعلام ج٥ ص ٢٧٨ .

(٣) هو زيد بن أسلم العدوي العمري مولاهم أبو أسامة أو أبو عبدالله فقيه مفسر من أهل المدينة ، وكان ثقة كثير الحديث له حلقة بالمسجد النبوي ، وله كتاب في التفسير رواه عنه ولده عبدالرحمن توفي سنة ١٣٦هـ ، انظر : الأعلام ج٣ ص ٥٦- ٥٧ .

(٤) كذا في النسخ الأربع . وفي إحياء السنة (البدع والأهواء) .

(٥) انظر : إحياء السنة ص ٥١ ، وتفسير مجاهد ج١ ص ٢٢٧ ، وتفسير ابن مسعود القسم الثاني ص ١٠ ، وما جاء في البدع ص ٧٥ .

(٦) سورة الأنعام ، الآية ١٥٩ .

(٧) كذا في (د) وفي الأصل - ب - ج - (باب الرد عليهم) .

الذي هو البدعة « بدليل من الكتاب والسنة والإجماع »[١].

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ... الآية﴾[٢].

وقال جل وعلا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... الآية﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ[٤] وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦].

ومن السنة قال مالك بن أنس: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام »[٧].

---

(١) ما بين قوسين زيادة من (ب - د).

(٢) سورة الحشر، الآية ٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٤) قوله تعالى: ﴿ يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و.. ﴾ ساقط من الأصل - ب - ج.

(٥) سورة النساء، الآية ١١٥.

(٦) سورة النور، الآية ٦٣.

(٧) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجامع باب النهي عن القول في القدر بلاغاً، لكن

وقال عمر[1] رضي الله تعالى عنه في آخر عمره في خطبة خطبها: « أيها الناس[2] قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم[3] على الواضحة إلا أن تضلوا[4] بالناس يميناً وشمالاً، وضرب بإحدى يديه على الأخرى »[5].

يشهد له حديث ابن عباس عند الحاكم ج١ ص ٩٣ بسند حسن فيتقوى به انظر: جامع الأصول ج١ ص ٢٧٧ (المتن والحاشية).

(١) هو عمر بن الخطاب القرشي العدوي (أبو حفص) ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، أسلم بعد رجال سبقوه فكان إسلامه عزاً ظهر به الإسلام بدعوة النبي ﷺ وهاجر مع المهاجرين الأولين شهد كل مشهد شهده رسول الله ﷺ وتوفي ﷺ وهو عنه راض، وولي الخلافة بعد أبي بكر باستخلافه له سنة ١٣هـ، فسار بأحسن سيرة، وفتح الله له الفتوح بالشام والعراق ومصر، ودون الدواوين، وأرخ التاريخ من الهجرة، وأول من تسمى بأمير المؤمنين، وتوفي مقتولاً سنة ٢٣هـ، طعنه أبو لؤلؤة المجوسي، ومدة خلافته عشر سنين ونصف، انظر الإصابة ج٢ ص٥١١ - ٥١٢، والاستيعاب ج٢ ص٤٥٠-٤٦٦.

(٢) (أيها الناس) ساقطة من الأصل - ب - ج.

(٣) وفي الأصل - ب - ج - (وتركتكم) وفي (د) غير واضحة والصواب ما هو مثبت كما في جامع بيان العلم وفضله والاعتصام. وكما يظهر من الكلام قبلها.

(٤) وفي الأصل - ب - ج (لاتضلوا) والصواب ما هو مثبت كما في (د) وجامع بيان العلم وفضله، والاعتصام، وكما يدل عليه سياق الكلام.

(٥) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص ١٨٧، وابن أبي زيد في الجامع ص ١١٩ - ١٢٠ والشاطبي في الاعتصام ج١ ص ٦٠.

فلا عمل إلا عمل رسول الله ﷺ ثم عمل أصحابه من بعده وغير ذلك ضلال وبدعة .

وقال الحسن[١] : « لا يصلح قول إلا بعمل ، ولا يصلح عمل[٢] إلا بنية ولا يصلح قول ولا عمل ولا نية[٣] إلا بموافقة السنة »[٤].

وقال أويس القرني لهرم[٥] بن حيان[٦] في وصيته : إياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تشعر فتدخل النار يوم القيامة في أول من يدخل»[٧] .

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن – يسار – البصري تابعي كان إمام أهل البصرة قال ابن سعد: « وكان الحسن عالماً عالياً رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً ولد رحمه الله سنة ٢١هـ ، وتوفي سنة ١١٠هـ ، انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ ص ١٥٦-١٧٨ ، والأعلام ج٢ ص٢٢٦ .

(٢) كذا في (الأصل ب – ج) وفي مفتاح الجنة (ولا يصلح قول وعمل) وهو أظهر .

(٣) كذا في (الأصل ب – ج) وفي مفتاح الجنة (ولا يصلح قول وعمل ونية) وهو أظهر .

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص٥٧ ، وذكره السيوطي في مفتاح الجنة ص ٦٣ ، ٦٤ ، وأبو الليث في تنبيه الغافلين ص ٢٨٧ .

(٥) وفي الأصل (مرة) وفي (ب) (لهرمز) والصواب ما هو مثبت كما في (ج – د) وكما في تاريخ دمشق .

(٦) هو هرم بن حيان العبدي الأزدي من بني عبدالقيس قائد فاتح من كبار النساك من التابعين عده ابن أبي حاتم من الزهاد الثمانية توفي بعد ٢٦هـ. انظر : الأعلام ج٨ ص ٨٢ .

(٧) أورده ابن عساكر في تاريخه ج٥ ص ٨٥ ، وأبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ٢٨٩ ، وعثمان فودي في إحياء السنة ص ٦٠ .

وقال النبي ﷺ في حديث طويل : « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق فإن أردتم[1] أن تسكنوا بحبوحة[2] الجنة ونعيمها فالزموا السنة والجماعة ، وإياكم و محدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[3] .

---

(١) وفي تنبيه الغافلين (فإن سركم) وهو أظهر .

(٢) (بحبوحة) زيادة من (د) .

(٣) أخرجه أبو الليث السمرقندي في كتابه تنبيه الغافلين ص ٢٨٨ ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ، ولم أقف عليه بهذا اللفظ فيما سواه من كتب السنة لكن لما أورده من الحديث شواهد منها : ما رواه البخاري ومسلم وأبو داود عن سويد بن غفلة قال : قال علي رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (سيخرج قوم في آخر الزمان... إلى أن قال : يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية... الحديث) انظر: جامع الأصول حديث ٧٥٥٢.

ومنها ما رواه مسلم عن عبدالرحمن بن شماسة رضي الله عنه قال : قال كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبدالله بن عمرو ابن العاص فقال عبدالله : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق... الحديث) وفي رواية عن عبدالله بن مسعود قال : قال ﷺ : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » انظر : جامع الأصول حديث ٧٩١٦، ٧٩١٧ .

ومنها ما أخرجه الديلمي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة.. الحديث » انظر : كنز العمال حديث ١٠٣٣ . كما أخرجه ابن الجوزي عن عمر انظر : تلبيس إبليس ص ١٤.

ومنها حديث العرباض بن سارية قال : « صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم... إلى أن

فإن قيل لأي شيء أنكرتم التوبة بالاجتماع[1] والوليمة عليها وحلق الرؤوس واتخاذ الشيخ في ذلك ؟ .

فالجواب : أن تقول : إنما أنكرنا ذلك على تلك الصفة؛ لأنه من المحدثات التي نهانا النبي ﷺ عنها ، إذ لم ترو عنه ولا عن أحد من أصحابه ، ولا عن أحد[2] من التابعين ولا العلماء الذين يجب الاقتداء بهم .

قال أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه : « كلما جاء وراء قدر الضرورة والحاجة فهو من اللهو واللعب »[3].

فإن قيل : ولأي شيء تنكرون في[4] رد العصاة للتوبة والطريق إلى الله ؟

قال : فقال رجل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال : أوصيكم بتقوى الله... إلى أن قال : فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم و محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد وابن ماجه. انظر : جامع الأصول ج٢ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ (المتن والحاشية) .

(١) وفي الأصل – ب – (والجماعة) وما هو مثبت أظهر كما في (ج) – (د) .

(٢) (أحد) غير موجودة في (ج – د) .

(٣) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٨١ بلفظ (كل ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو) .

(٤) كذا في الأصل ب – ج – وأقول – لعل (في) زائدة وتكون صياغة الكلام (ولأي شيء تنكرون رد العصاة للتوبة) وفي (د) (ولأي شيء لا تنكر المعصية من العصاة ، والمبتدع تنكرون عليه) .

فالجواب : أن نقول : إنما ردوهم من المعصية إلى البدعة ، وقطعوهم عن طريق الله تعالى ، وقد اتفق العلماء أن العاصي أحسن حالاً من المبتدع؛ لأن العاصي يزعم أنه عاص ويقول[١] : نتوب ونرجع إلى الله تعالى .

وأما المبتدع : فيزعم أنه على الحق حتى يموت على بدعته ، ومن مات مبتدعاً وجد قبره حفرة من حفر النار .

فإن قيل : هذه بدعة مستحسنة فالجواب : أن نقول له : بل تلك بدعة مستخشنة[٢] وإنما البدعة المستحسنة : ما استحسنه الصحابة وعلماء الأمة جميعاً .

قال أبو حامد[٣]: قال أبو سليمان[٤] الداراني: «لا ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير[٥]

---

(١) وفي (د) (ويرجو من الله التوبة) .

(٢) كذا في (ب – ج – د) وفي الأصل بياض – ولعل الأولى مستقبحة بدليل الكلام قبلها وبعدها . ذلك أن الحسن نقيضه القبيح .

انظر : لسان العرب مادة حسن .

(٣) سبقت ترجمته ص ٥١٣ .

(٤) هو عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي (أبو سليمان) زاهد مشهور من أهل داريا (بغوطة دمشق) كان من كبار المتصوفين له أخبار في الزهد توفي سنة ٢١٥هـ . انظر : الأعلام ج٣ ص ٢٩٣– ٢٩٤ .

(٥) وفي الأصل (ب) (الخيرات) والصواب ما هو مثبت كما في (ج) (د) وكما في الإحياء.

أن يفعله حتى يسمع به[١] في الآثار[٢]»[٣].

فإن قيل : وكيف ذلك؟ وفينا من يسرد الصيام ويحج ويغزو ويقوم الليل ويطعم الطعام ويفعل المعروف .

فالجواب : أن نقول له ذلك باطل مع البدعة لما تقدم في الحديث. وفي كتاب مناطق الحكماء : وثلاثة ردية. البدعة والزنا ، والمال الممزوج ، لا ينفع[٤] مع واحد منهن – الصلاة ولا الصوم ولا الحج ولا عمل صالح حتى يتوب من ذلك[٥] .

ووقف مالك رضي الله تعالى عنه عند زمزم فقال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني « أنا أعرفه بنفسي »[٦] ، فأنا مالك بن أنس أنا النذير لكل من حج هذا البيت – وهو على بدعة فلا يعني نفسه

---

(١) وفي الأصل (ب) (له) والصواب ما هو مثبت كما في (ج) (د) وكما في الإحياء .

(٢) كذا في النسخ الأربع وفي الإحياء (في الأثر) .

(٣) إحياء علوم الدين ج١ ص ١٣٧ .

(٤) وفي الأصل – ب – ج (لا ينبغي) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٥) لم أقف على هذه المقولة – وفيها إجمال : إن كان مراد قائلها البدعة المكفرة – والمعصية من زنا ومال ممزوج – مستحلاً لها فكلامه في محله . وإن كان مراده أيّة بدعة ولو لم تكن مكفرة ، وأي فاعل لهذه المعصية ولو لم يكن مستحلاً لها . فهذا مذهب الخوارج الذين يكفرون بالكبائر مما دون الشرك .

(٦) زيادة من (ج) .

باطلاً [١][٢]. فإن قيل فما تقول في الترونين؟ إذ هو ما هو مما يحرك الخشوع ويرقق القلب. فالجواب أن نقول له الترونين حرام، وقد نهى عنه ﷺ، وهو سنة إبليس لعنه الله، حين طرد من الجنة، وهو من عمل الجاهلية. قال في كتاب البر: حدثنا أبو إسحاق عن أبيه. قال: سمعت مقاتل بن سليمان[٣] يقول: نزل[٤] آدم بأرض قفر خالية يبكي على نفسه لعظيم ما حل به من المعصية، وما نزل به[٥]. فلذلك يحب الله تعالى البكائين من خلقه؛ لأنه سنة آدم، وكره الله النواحين؛ لأنه من سنة إبليس لعنه الله، فكان [٦] ينوح على نفسه إلى يوم القيامة.

فإن قيل: فالشطح والاهتزاز مما يحرك الخشوع ويهيج الوجد فلم

---

(١) (باطلاً) ساقطة من الأصل (ب).

(٢) أورده عثمان فودي في إحياء السنة ص ٦١.

(٣) هو مقاتل بن سليمان البلخي صاحب التفسير والمناكير واختلف العلماء في أمره فمنهم من وثقه ومنهم من نسبه إلى الكذب توفي سنة ١٥٠هـ، بالبصرة.
انظر: الجرح والتعديل ج٨ ص ٣٥٤، ٣٥٥، ووفيات الأعيان ج٥ ص ٢٥٥-٢٥٧.

(٤) وفي (د) (أنزل) وهو أظهر.

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ لكن وردت روايات كثيرة تدل على بكاء آدم عليه السلام حين أهبط إلى الأرض منها: ما أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس قال: «بكى آدم حين هبط من الجنة بكاء لم يبكه أحد... الحديث» انظر: الدر المنثور ج١ ص ٥٨.

(٦) وفي (ج) (وكان).

أنكرتموه ؟

فالجواب : أن نقول الرقص والتواجد[1] أول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار ظلوا يرقصون حوله ويغنون[2]، وهو دين الكفار ، وعباد العجل ، وقد تقدم في حديث العرباض بن سارية أنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب[3]. ولم يقل صرخنا ولا زعقنا ، ولا ضربنا على رؤوسنا ، ولا ضربنا على صدورنا ، ولا رقصنا كما يفعل كثير من الجهال يصرخون عند الموعظة ويزعقون ويتعانقون[4].

وهذا كله من الشيطان لعنه الله يلعب بهم ، وهذا[5] كله بدعة وضلالة.

---

(١) التواجد : هو استدعاء الوجد تكلفاً بضرب اختيار وليس لصاحبه كمال الوجد لأن باب التفاعل أكثره لإظهار صفة ليست موجودة كالتغافل والتجاهل. والوجد : هو الخشوع ، انظر : التعريفات ص ٧٣ ومعجم مصطلحات الصوفية ص ٥١ ، ص ٢٦٤. يقول ابن القيم : « والتواجد يكون بما يتكلفه العبد من حركات ظاهرة . ثم قال : ولا يسلم لصاحبه بل ينكر عليه لما فيه من التكلف والتصنع المباين لطريقة الصادقين » انظر : مدارج السالكين ج٣ ص ٦٨- ٦٩ .

(٢) وفي (ب) (يعثون) وهو خطأ .

(٣) سبق تخريجه ص ٥١٩ .

(٤) وفي الأصل ب – ج (ويتناغصون) والصواب ما هو مثبت كما في (د) .

(٥) وفي (ب) (فهذا) .

يقال لمن فعل هذا : أكان[1] النبي ﷺ أصدق الناس موعظة وأنصح الناس لأمته وأرق الناس قلباً ، وأصحابه أرق الناس قلوباً وخير الناس ممن جاء بعدهم ، ولا يشك عاقل في هذا ، فما صرخوا عند موعظة ولا زعقوا ولا رقصوا ، ولو كان هذا صحيحاً لكانوا[2] أحق الناس بهذا أن يفعلوه بين يدي رسول الله ﷺ لكنه بدعة وباطل ومنكر بيِّن[3].

فإن قيل : وكيف أنكرتم[4] المحدثات وقد أحدثت المحاريب[5] والحصر بعد النبي ﷺ وجمع المصاحف وغير ذلك ؟

فالجواب : أن نقول أيها السائل أظنك نائماً لا تعقل الذرة من الفيل ، ألم يقل النبي ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي »[6] .

وقال ﷺ : «اقتدوا بمن بعدي أبي بكر وعمر»[7] . وقال ﷺ : «أصحابي

---

(١) وفي (د) (يقال لم لم يفعل هذا النبي ﷺ) .

(٢) وفي (ج) (لكان) وهو خطأ .

(٣) (لكنه بدعة وباطل ومنكر بين) ساقط من (ج) .

(٤) وفي الأصل (ب - ج) (ينكرون) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٥) وفي الأصل (ب - ج) (أحدثوا المحراب) وما هو مثبت أظهر كما في (د).

(٦) سبق تخريجه ص ٥١٩.

(٧) أخرجه الترمذي في المناقب باب مناقب عبدالله بن مسعود والإمام أحمد في المسند ج٥ ص ٣٩٩. وهو حديث حسن كما قال الترمذي أنظر : جامع الأصول : ج٨ ص ٥٧٣ (المتن والحاشية) وذكره أبو نعيم في الحلية ج٩ ص ١٠٩ وابن أبي عاصم في

كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »[1] . وقال : « مثل أصحابي كمثل سفينة نوح عليه السلام من دخل فيها نجا ومن تخلف عنها غرق »[2] وهذه هي البدعة

السنة ج٢ ص ٥٤٥ وقال الألباني : حديث صحيح. انظر : ظلال الجنة في تخريج السنة ج٢ ص ٥٤٥ .

(١) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله من حديث سلام بن سليم عن الحارث بن غصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « ثم ذكره قال أبو عمر : هذا إسناد لا تقوم به الحجة؛ لأن الحارث بن غصين مجهول . وقال عبدالقادر الأرناؤوط : إسناده ضعيف وقال الألباني موضوع. انظر : جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص ٩٠- ٩١ ، وجامع الأصول ج٨ ص ٥٥٦- ٥٥٧ (المتن والحاشية) وسلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ٥٨ . وذكره العجلوني في كشف الخفاء وقال : رواه البيهقي ، وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم . انظر : كشف الخفاء حديث ٣٨١ .

(٢) رواه البزار ج٢ص ٢٤٥ برقم ٢٦١٥ ، وذكره الطبراني في الكبير برقم ٢٦٢٨ ، ١٢٣٨٨ . وأبو نعيم في الحلية ج٤ ص ٣٠٦ ، والقضاعي عن ابن عباس بلفظ (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق) وفيه عندهم الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف . انظر : مسند الشهاب ج٢ ص ٢٧٣.

كما رواه الحاكم في المستدرك عن أبي ذر بلفظ (مثل أهل بيتي...) وقال : هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقد تعقبه الذهبي فقال (مفضل ابن صالح – أحد رجال السند – خرج له الترمذي فقط وضعفوه) انظر المستدرك ج٢ ص ٣٤٣ (المتن والحاشية) وفتح الوهاب ج٢ ص٣٣٠، ٣٣١. وكنز العمال حديث ٣٤١٥١.

المستحسنة ، فإن قيل : وتشكيل المصاحف ليس من عمل الصحابة بل ذلك حدث بعدهم ؟

فالجواب : أن نقول : هذا مما اجتمعت عليه الأمة. وقد تقدم أن البدعة : مما خرج عن الكتاب والسنة والإجماع وهي أيضاً بدعة مستحسنة ، بل لا يقال في ذلك بدعة . لأن البدعة ما خرج عن الأدلة الثلاث [1].

فإن قيل : فمن أين لكم أن تقولوا : إن المبتدع الذي يموت على بدعته يبتليه الله بسوء الخاتمة ، ولا تناله شفاعة الشافعين ؟

فالجواب : أن نقول له : لنا هنا من الأحاديث الصحاح (الواردة عن رسول الله ﷺ)[2] وقد تقدم[3] عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رجلان من أمتي لا تنالهم شفاعتي ...» وكل الناس يطمع في مغفرة الله وتنالهم شفاعتي يوم القيامة كل من مات منهم على توبة ، إلا من مات منهم على بدعة...)[4].

---

(١) كذا في النسخ الأربع – ولعل الأولى الثلاثة .

(٢) زيادة من (ب) .

(٣) (وقد تقدم) غير موجودة في (ب) .

(٤) إشارة إلى حديثين تقدما ، وهما : « رجلان لا تنالهم شفاعتي يوم القيامة إمام ضال وغالٍ في الدين » وحديث « كل الناس يطمع في مغفرة الله وتنالهم شفاعتي يوم القيامة كل من مات منهم على توبة إلا من مات منهم على بدعة شرعها للناس وسنها لهم » وقد تقدم تخريجهما ص٥١٢ .

وقال أبو حامد : الأسباب التي تورث سوء الخاتمة ، فذكر منها : البدعة[١][٢].

وذكر أبو الليث[٣] ذلك[٤] أيضاً .

وقال أبو حامد : « جمع عالم[٥] في بني إسرائيل ثمانين تائباً من « أهل العلم »[٦] وقد كان أحدث شيئاً من هذه المحدثات فتاب إلى الله تعالى من ذلك وندم[٧] واستغفر ربه فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان : « قل للعالم : لو جمعت ذلك ومثله معه ، أو قال : لو شفع أهل السماوات وأهل الأرض ما قبلت شفاعتهم فيك؛ لأنك أضللت عبادي وأدخلتهم النار ولو كان الذي

---

(١) وفي الأصل (ب - ج) (فذكر منهم المبتدع) وما هو مثبت أظهر كما في (د).

(٢) انظر : الإحياء ج ٥ ص ٢٣ ، ٣٧ .

(٣) هو أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي من أئمة الحنفية مات سنة ٣٧٣هـ له مصنفات منها : تفسير القرآن ، وعمدة العقائد ، وخزانة الفقه ، وقرة العيون ، وتنبيه الغافلين ، وبستان العارفين . عقد باباً في تنبيه الغافلين سماه : باب العمل بالسنة ، وذكر فيه آيات وأحاديث وآثار فيها الأمر بلزوم السنة والتحذير من البدعة . انظر : تنبيه الغافلين ص ٢٨٧- ٢٨٩ ، والأعلام ج ٨ ص ٢٧.

(٤) (ذلك) زيادة من (د) .

(٥) (عالم) ساقطة من (ب) .

(٦) (أهل العلم) مكانها بياض في (الأصل - ج) .

(٧) وفي (ب) (وندب) وهو خطأ .

بيني وبينك لغفرته لك » نقلته بالمعنى [1].

فإن قيل : لأي شيء أنكرتم [2] ذكر الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ والتوبة والاجتماع على الموائد والمحبة في ذات الله تعالى والبكاء من خشية الله تعالى ، والتزاور [3] بين الإخوان ؟

فالجواب : أن نقول [4] : إنما أنكرنا هذه الخصال على الجملة بل ذكرنا منها صفة فعلها على ما وصفنا قبل هذا ، إنما أنكرنا [5] من الذكر [6] ما يكون بالمداولة ، لا الذكر بنفسه ، وأنكرنا الاجتماع على التوبة والجهر فيها ، والوليمة عليها لا التوبة بنفسها ، وأنكرنا الاجتماع على الموائد لأنهم يحيون بذلك بدعتهم ، ويزيدون فيها ، ولا ينكر إطعام الطعام على غير هذه الصفة ، وأنكرنا محبة البدعة ، ولا ينكر ذلك [7] بين أهل السنة ؛ لأن ذلك يورث الدرجات العلى في الجنة ، وأنكرنا البكاء في ملأ من الناس بالنياح والصراخ لا البكاء من خشية الله تعالى ؛ لأن الدمعة من البكاء من خشية الله

---

(١) انظر : الإحياء ج ٤ ص ٤٩ .

(٢) وفي الأصل- ب- ج (ولأي شيء ينكر في ذكر الله) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٣) وفي الأصل- ب- (والمتزاورين) وما هو مثبت أظهر كما في (ج)(د) .

(٤) (أن نقول) زيادة من (د) .

(٥) وفي الأصل- ب- ج (كرهنا) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٦) وفي (د) بل أنكرنا منها صفة من الذكر مما يكون بالمداولة .

(٧) أي المحبة في ذات الله .

تطفىء بحوراً من النيران ، ولا يكون ذلك - والله تعالى أعلم - إلا في الخلاء ، وكذلك الزيارة جائزة بين أهل السنة ، ولها فضل عظيم ، وأما بين أهل البدعة فهي حرام ؛ لأن ذلك يهيج بدعتهم وضلالتهم[1].

ويقال للمبتدع الذي أحدث ما ليس عليه الأمة مثل ما ذكرنا من التحريم في اللقمة والاجتماع للتوبة وغير ذلك .

فيقال له : هذا دين أو ليس بدين ؟ فإن قال : دين فقد كفر بالله ورسوله ؛ لأنه كذّب[2] الله عز وجل في كتابه . إذ قال[3] عز وجل : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[4] وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام خائناً[5] في رسالته إذ يقول فعله ولسان مقاله[6] هذا من[7] الدين لم يكمل ولم يأت به الرسول ، ولو لم يقله بلسانه قاله بفعله ولسان حاله .

---

(١) وفي (د) (ومقالاتهم) .

(٢) وفي (د) (لأنه كذب على الله ...) .

(٣) وفي (د) (لقوله تعالى) .

(٤) سورة المائدة ، الآية ٣ .

(٥) وفي الأصل - ب - (خاتماً) وهو خطأ .

(٦) وفي الأصل ب - ج (ولسان حاله بغير هذا) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٧) (من) ساقطة من (ب) .

قال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله[1] تعالى عنهما: «لم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا فرض ولا ندب، وترك ﷺ أمته على الواضحة من بيان الكتاب والسنة ولله الحمد. ومن[2] أحدث في هذه الأمة اليوم شيئاً لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان[3] الرسالة؛ لأن الله تعالى قال: في كتابه العزيز: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[4] فما لم يكن يومئذ ديناً لم يكن اليوم ديناً»[5].

فإن قيل: لأي شيء أنكرتم التسابيح والكثرفات[6][7] والعباء إذ فيها إعانة على الطاعة؟

---

(١) وفي تفسير الطبري وابن عطية (وقال ابن عباس والسدي). انظر تفسير الطبري ج ٦ ص٥١-٥٢. وانظر: تفسير ابن عطية ج٤ ص ٣٤٥، وتفسير الخازن ج٢ ص٢١٧.

(٢) (من) ساقطة من الأصل- ب-ج) والصواب ما هو مثبت كما في (د).

(٣) (خان) ساقطة من الأصل- ب)، وفي (ج) مكانها بياض والصواب ما هو مثبت كما في (د).

(٤) سورة المائدة، الآية ٣.

(٥) مقولة للإمام مالك. انظر: الاعتصام ج ١ ص ٥، ٣٥، ٣٠١، ٣٢٧.

(٦) كذا في (الأصل- ب) وفي (د) (الكهوفات) ولعلها الكتفات كما يظهر من الكلام في أول المخطوطة. ومن الكلام بعدها.

(٧) (الكثرفات) غير موجودة في (ج).

فالجواب : أن نقول : أنكرنا هذه الأشياء وإن كان[1] فيها إعانة على الدين مخافة الشهرة والشهرة حرام .

قال النبي ﷺ : « من لبس ثياب[2] شهرة[3] ألبسه الله لباس[4] الذل يوم القيامة »[5] وصغره وحقره ؛ لأنها من التصنعات ، والتصنعات بدعة.

وقد كان يوسف بن أسباط[6] يقول : لأن ألقى الله بجميع الذنوب أحب إليّ من أن ألقاه بذرة من التصنعات[7] ، ولعل من ألقى على نفسه

---

(١) (كان) ساقطة من الأصل - ب - .

(٢) كذا في النسخ الأربع - ولعلها ثوب كما في سنن أبي داود وغيره .

(٣) (شهرة) ساقطة من (ب) - وفي (ج - د) (بشهرة) وما هو مثبت أظهر ، كما في الأصل ، وسنن أبي داود .

(٤) وفي مسند أحمد ، وسنن أبي داود (ثوب مذلة) وهو أظهر .

(٥) رواه أبو داود في كتاب اللباس باب لبس الشهرة. وأحمد في المسند ج٢ ص ٩٢ وابن ماجة في كتاب اللباس باب من لبس شهرة من الثياب . وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٢٣٨ . وقال عبدالقادر الأرناؤوط : إسناده حسن ، حسنه المنذري وغيره ، انظر جامع الأصول ج ١٠ ص ٦٥٧ (المتن والحاشية) وكنز العمال حديث ٤١٢٠١ .

(٦) من المشهورين بالزهد من قرية يقال لها شيح . قال أبو نعيم : أدرك من الأعلام حبيب بن حيان و محل بن خليفة والسري بن إسماعيل وعائذ بن شريح وسفيان الثوري وزائدة وغيره . وروي عنه أحاديث وآثار . وقال ابن الجوزي توفي سنة ١٩٩هـ .
انظر: صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٦١- ٢٦٦ . والحلية ج ٨ ص ٢٣٧- ٢٥٣ .

(٧) لم أقف عليه بهذا اللفظ . وفيه إجمال يتضح مما رواه أبو نعيم في الحلية أن يوسف بن

سيما[1] الصالحين وزي المتعبدين هو بخلاف ذلك عند الله ، أما يستحي منه. وعلى أن الكف إنما يراد للميزان[2] ، والميزان يتحفظ به على أوقات الصلاة[3] ففيه تشبيه للكفار وهي القناديس التي نهي عنها ؛ لأنهم يحملون فيها أصنامهم ويسجدون لها من دون الله .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من تشبه بقوم حشر معهم »[4].

وقد تكلم العلماء رضي الله تعالى عنهم في الميزان ، فأنكره ابن العربي ، ورخص[5] فيه أبو حامد[6] ، وأما على الصفة المخصوصة المشهورة فلا تحل

أسباط قال : (لا يقبل الله عملاً فيه مثقال حبة من رياء) انظر : الحلية ج ٨ ص ٢٤٠ ، وصفة الصفوة ج ٤ ص ٢٦٣ .

(١) وفي (ب) (سيم) وما هو مثبت أظهر كما في الأصل- ج - .

(٢) وفي (ج) (الميزان) .

(٣) أي يعرف به دخول وقت بعض الصلوات كالظهر والعصر عن طريق الظل.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ وإنما أخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب في لباس الشهرة برقم ٤٠٣١ ، والإمام أحمد في المسند ج٢ ص ٥٠ ، وابن كثير في تفسيره ج ١ ص ١٥٣ عن ابن عمر بلفظ (من تشبه بقوم فهو منهم) وصححه ابن حبان . انظر : جامع الأصول ، حديث رقم ٨٢٨٧ ، وكنز العمال حديث ٢٤٦٨٠ ، وكشف الخفاء ٢٤٣٦ وإحياء علوم الدين تخريج الحافظ العراقي ١/ ٣٤٢ ، والأحاديث المشكلة في الرتبة ص ٢٤١ .

(٥) وفي الأصل- ب- وأرخص) وما هو مثبت أظهر كما في (ج) .

(٦) انظر الإحياء ج ١ ص ١٩٤ .

لأجل الشهرة . وإن كان كما يفعله سائر الناس مثل الجبة فلا بأس بها[١].

فإن قيل : لأي شيء أنكرتم علينا الاجتماع في أيام المواسم ؟ كليلة النصف من شعبان ، وسبعة وعشرين من رمضان ، وعاشوراء ، أليس أنكم تقولون بكثرة الناس تكثر الأجور ، وربما يكون في الجماعة الكثيرة رجل مقبول فنجد[٢] من بركته ؟

فالجواب : أن نقول : قيام غير رمضان من الليالي لا يجوز في جماعة إلا في اليسير من الناس كالاثنين والثلاثة ؛ لأن الجمع الكثير يؤدي إلى السمعة، والشهرة كما يصنعون في النصف من شعبان وسبعة وعشرين من رمضان ، وعاشوراء وبعض المساجد خصوصاً ، كما ذكرت[٣]. بل ينهون عن ذلك ويفرق جمعهم ، وقد أفتى[٤] أبوعمران[٥] الفاسي رحمه الله تعالى بأن

---

(١) من قوله (لأنها من التصنعات... إلى قوله : فلا بأس بها) غير موجودة في (د) .

(٢) وفي الأصل – ب – ج – (فيجد) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٣) (كما ذكرت) غير موجودة في (د) .

(٤) انظر : أبو عمران الفاسي– عبدالله كنون ص ٩ ، ١٠ .

(٥) هو موسى أبو عمران بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي ، وغفجوم فخذ من زناته قبيلة من البربر أصله من فاس وبيته منها بيت مشهور معروف ، ولد سنة ٣٦٣هـ واستوطن القيروان وحصلت له بها رئاسة العلم وسمع بها من بعض العلماء ورحل إلى قرطبة فتفقه فيها عند بعض العلماء ، ثم رحل إلى المشرق ودخل العراق فسمع من بعض علمائها وسمع بالحجاز ومصر ، ثم رجع إلى القيروان فاستوطنها وبها توفي سنة

تهدم تلك المواضع ويبدد شملهم . والتنفل في البيوت أفضل إلا في رمضان ما لم يكن ممن يعمل ذلك في المساجد فيصلي في بيته أفضل له .

فإن قيل : لأي شيء أنكرتم السلام على المبتدعة ، ومخالطتهم و محبتهم والجلوس معهم وهل في ذلك إثم أم لا ؟

فالجواب : أن نقول إنما أنكرنا ذلك لما تقدم من الأحاديث قال النبي ﷺ : « من صافح مبتدعاً فقد نقض الإسلام عروة عروة »[1] .

وقال الفضيل : « من جالس صاحب بدعة أورثه الله العمى »[2]. أي عمى القلب عن الطاعة والهدى .

وقال : « من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله ، وأخرج نور الإسلام من قلبه »[3]. بل يهجرون زجراً[4] وردعاً وغضباً لله تعالى ، ولأنه لا يؤمن على مخالطهم[5] أن يلقوا عليه شبهة فتتمكن من قلبه. ولذلك قال بعضهم : لا

٤٣٠هـ انظر : ترتيب المدارك ج ٣ - ٤ ص ٧٠٢-٧٠٦ . وسير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٥٤٥-٥٤٨ .

(١) سبق تخريجه ص٥٢١.

(٢) سبق تخريجه ص ٥١٥ .

(٣) سبق تخريجه ص ٥١٦.

(٤) وفي (ج) (جزرا) وهو خطأ .

(٥) وفي الأصل - ب - ج (مخالتطهم) وما هو مثبت أظهر كما في (د) وكما يظهر من الكلام بعدها .

تمكن[1] زائغ القلب من دينك »[2][3]؛ لأنه ينسب إليهم لقوله عليه الصلاة والسلام : « المرء على دين خليله ... الحديث »[4] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اختبروا الناس بإخوانهم »[5].

وقال : « جليس القوم منهم »[6] .

وإن قال قائل : [7] عرفت بدعتهم ولا تغتر نفسي بغرورهم ، بل نأكل معهم ونأخذ من أموالهم وأسكت عن حالهم ، وندعهم في أهوائهم ، وأي شيء علي في ذلك واستسخاري بهم ؟

فالجواب : إن هذا المسكين غره سراب الطمع ووقع في مهوات لا قعر

---

(١) وفي الأصل- ب- (لا تكن) وما هو مثبت أظهر كما في- ج- د ، وكما يظهر من الكلام قبلها وبعدها وكما في الجامع.

(٢) كذا في جميع النسخ- ولعلها (من أذنيك) كما في الجامع .

(٣) قال مالك : (وكان يقال لا تمكن زائغ القلب من أذنيك فإنك لا تدري ما يعلمك من ذلك) ، انظر : الجامع لابن أبي زيد ص١٢٠.

(٤) أخرجه أبوداود برقم ٤٨٣٣ في الأدب باب من يؤمر أن يجالس ، والترمذي برقم ٢٣٧٩ ، في الزهد باب رقم ٤٥ ، وقال الأرناؤوط : إسناده حسن . انظر : جامع الأصول حديث ٤٩٦٧ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) وفي الأصل- ب- ج (وإن قال أما أنا فطالب) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

لها ، فأهلكته شهوته مع الهالكين وخسر مع الخاسرين ، ولا يدري أن النبي ﷺ قال : « إذا ظهرت البدعة للعالم فسكت[1] فعليه لعنة الله »[2] وأي شيء أعظم من المداهنة على عرض الدنيا ، وكذلك الجاه عندهم به يهلك . وفي فتاوى بعض الفاسيين أن من جلس معهم أو مشى معهم أو تكلم معهم أو أكل معهم أو حضر في مجلسهم فقد نقض الإسلام عروة عروة . قال : وكان أهل السنة وأهل الشرع والورع إذا نظروا إليهم يثبون منهم كما يثب البعير إذا انحل عقاله .

فإن قال قائل : [3] صف لنا هؤلاء القوم مع بدعتهم حتى يتبينوا فيقع

---

(١) وفي الأصل- ب- ج (إذا ظهرت البدع في العالم فعليه ...) وهو خطأ .

(٢) أخرجه نصر المقدسي والشاطبي بلفظ : عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا ظهرت البدع في أمتي وشتم أصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

قيل للوليد بن مسلم ، ما إظهار العلم ؟ قال : إظهار السنة ، انظر : مفتاح الجنة ص ٦٦ والاعتصام ج ١ ص ٦٠ .

وابن عساكر عن معاذ بلفظ : « إذا ظهرت البدع ولعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فلينشره فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد ».انظر : كنز العمال حديث ٩٠٣ .

(٣) (فإن قال قائل) زيادة من (ب) ، وفي (الأصل- ج) (فاوصف لنا) ، وفي (د) : (فإن قيل صف لي هؤلاء القوم) .

الاحتزاز منهم ، ونأمن[1] من[2] غوائل[3] مكرهم وشؤمهم ؟

فالجواب : أن نقول أيها السائل ما أراك تعقل المعقولات ولا تفهم الواضحات ، ولا يكفيك ما ذكرت لك من صفاتهم وحالهم حتى تقول في صفتهم صفهم[4] لنا ، ولكن أريد أن[5] أزيدك بياناً ووضوحاً فاعلم أنه جاء في بعض الأخبار عن ابن عباس[6] عن النبي ﷺ أنه قال : سيأتي أقوام يستبدعون البدائع ، يحلقون رؤوسهم ويسمون أنفسهم مرابطين ، يلبسون الدنافس[7] ويجعلون في أعناقهم القناديس[8] ، ويلبسون التلاليس يأكلون أموال الناس بالبدايع ويجعلون لهوهم بالبنادير[9][10] ، ويشطحون ويرقصون فإذا رأيتهم على[11]

---

(١) وفي الأصل - ب - (ونؤمن) وما هو مثبت أظهر كما في (ج ، د) .

(٢) (من) غير موجودة في (ب) .

(٣) (غوائل) غير موجودة في (ج) .

(٤) (صفهم) ساقطة من الأصل - ب - .

(٥) (أريد أن) زيادة من (ج - د) .

(٦) لم أقف له على أصل .

(٧) وفي (ب - ج) (الدنافيس) .

(٨) قال في حاشية (ب) هي السبح .

(٩) وفي (ب) (البنادير) .

(١٠) هي الدف .

(١١) وفي (ب) (في) .

تلك الحالة فلا تخاطبهم[1] لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾[2] . وقوم يستبدعون العبايات والتسابيح[3] ويخيرون شيخهم على الأشياخ ، ويجعلون صديقهم في شيخهم ويتبركون[4] فيما بينهم ، فإذا التقوا[5] يقول كل واحد منهم شيخي أفضل من شيخك. والله تبارك وتعالى يقول[6] : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[7] وأيضاً لا فضل لأحد منهم على أحد[8] فإذا رأيتهم[9] كل واحد منهم يقول[10] شيخي شيخي نزلوا[11] منزلة : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا

---

(١) وفي الأصل (ج) (فلا تخاطبوهم) وما هو مثبت أظهر كما في (ب) وكما يظهر من الكلام قبلها وفي (د) (فلا تخالطوهم) .

(٢) آية ٥١ الأعراف .

(٣) وفي الأصل- ب- ج (التسبيحات) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٤) وفي (ب) (ويتركون) .

(٥) وفي (د) (فإذا لقي بعضهم بعضاً) .

(٦) (يقول) ساقطة من (ب) .

(٧) آية ١٣ سورة الحجرات .

(٨) (وأيضاً لا فضل لأحد منهم على أحد) غير موجودة في (د) .

(٩) وفي (د) فإذا رأيتم .

(١٠) (يقول) ساقطة من (ج) .

(١١) وفي (ج) (تركوا) وهو خطأ .

ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[١] .

وقيل لمالك رحمه الله تعالى : « هنا قوم يأكلون كثيراً ويشربون كثيراً ويرقصون كثيراً ». فقال « في جوابه »[٢] - على جهة الإنكار - : مجانين هم أم صبيان ؟ ثم قال : لا يفعل هذا أهل[٣] العقل والمروءة ، فتبسم استهزاءً منهم بهم[٤] . فقال رجل للسائل : إنك لمشؤوم علينا ، الإمام مالك لم يضحك منذ ثلاثين سنة إلا هذه الساعة[٥].

وقال الإمام الطرطوشي[٦] حين وصف له حالهم : (هذا مذهب جهالة وبطالة[٧] وبدعة وضلالة وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ)[٨] .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٦٧ .

(٢) زيادة من (ج) .

(٣) (أهل) ساقطة من (ج) .

(٤) انظر : ترتيب المدارك ج ١ ص ١٨٠ .

(٥) انظر : ترتيب المدارك ج ١ ص ١٨٠ .

(٦) هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي ، أبوبكر الطرطوشي من فقهاء المالكية الحفاظ من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس ولد سنة ٤٥١هـ تفقه ببلاده ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦هـ فحج وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان ، وسكن الإسكندرية فتولى التدريس بها وتوفي سنة ٥٢٠هـ وكان زاهداً . من كتبه سراج الملوك ، والبدع والحوادث انظر : الأعلام ج ٧ ص ١٣٣- ١٣٤ .

(٧) في الصواعق (مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة...) .

(٨) ذكرها محمد صفي الدين الحنفي في كتابه الصواعق المحرقة ص ٣٤ .

فإن قيل قد نهي عن الغيبة ، ولم تغتابوهم[١]؟ .

فالجواب : أن نقول لا غيبة فيهم إذا ذكروا في حال بدعتهم وزيغهم بل الخائض فيهم مأجور ليقع الحذر منهم ومن مذهبهم الفاسد .

قال النبي ﷺ: «إذا ذكر الفاجر بما فيه ليحذره الناس فليس ذلك بغيبة»[٢]

---

(١) وفي (د) (فإن قيل قد نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة فلا تغتابوهم) .

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء بلفظ (أترعوون عن ذكر الفاجر ، اهتكوه حتى يعرفه الناس ، اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس) .

قال الحافظ العراقي : أخرجه الطبراني وابن حبان في الضعفاء ، وابن عدي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله (حتى يعرفه الناس) .

ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا في الصمت ، انظر : إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٢١ (المتن والحاشية) .

كما ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ٥٨٣ . بلفظ (أتَرِعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس)وقال : موضوع إلى أن قال : وقال ابن حبان : (والخبر في أصله باطل) . ثم قال الألباني : (وقد روي بلفظ آخر : وهو (ليس لفاسق غيبة) وقال : باطل . رواه الطبراني في المعجم الكبير وأبو الشيخ في التاريخ ص ٢٣٦ إلى أن قال : (والحديث ذكره ابن القيم في الموضوعات في كتابه المنار) .

وقال : (قال الدار قطني والخطيب : قد روي من طرق وهو باطل » . انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ج ٢ ص ٥٢- ٥٤ .

وقال شيخ الإسلام : (ليس هو من كلام الرسول ﷺ ولكنه مأثور عن الحسن البصري أنه قال : أترغبون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس ... ثم قال شيخ

وإنما الغيبة إذا ذكروا[1] بشيء من أبدانهم ، وأما في بدعتهم فلا .

فإن قيل : هؤلاء القوم يحبون نبيهم ويصلون عليه ويرجون شفاعته ولهم نية خالصة في عبادتهم وأفعالهم لله تعالى .

فالجواب : أن نقول ما قال الحسن [2][3] :« لا يغرنكم قول من يقول المرء مع من أحب » ، فإنك لا تلحق الأبرار إلا « أن تعمل »[4] بعملهم واتباع سنتهم. فإن اليهود أحبوا موسى عليه الصلاة والسلام ، وليسوا معه إذ لم يتبعوه وأهل البدع يحبون[5] أنبيائهم وليسوا معهم إذ لم يتبعوهم بل كذبوا .
ولقد أحسن من قال :

من يدّع حب المرء ولم يكن ... بسنته مستمسكاً فهو كاذب
علامة صدق المرء في الحب أن يرى ... على منهج كانت عليه الحبايب

الإسلام : وهذان النوعان يجوز فيهما الغيبة بلا نزاع بين العلماء ، أحدهما : أن يكون الرجل مظهراً للفجور ، مثل : الظلم والفواحش والبدع المخالفة للسنة ...) انظر الفتاوى ج ٢٨ ص ٢١٩ .

(١) وفي (ب) (ج) (ذكر) وهو خطأ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٥٣٢ .

(٣) انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٨٠ ، والحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب ص ١٣٣ .

(٤) (أن تعمل) زيادة من (د) .

(٥) وفي الأصل - ب - (محبون) وما هو مثبت أظهر كما في (ج) (د) .

ولا يرجون شفاعته ؛ لأنهم قد خرجوا عن ملته ، والنية لا تنفع إلا مع اتباع السنة . وقد كان للكافر نية خالصة مع ضميره[١] ، ولا ينفعه ذلك .

فإن قيل : كيف يسمون هؤلاء القوم[٢] الذين على هذه الصفة ؟

فالجواب : أن نقول خوارج ، قال إسماعيل[٣] بن إسحاق القاضي في أحكام القرآن له : « كل من[٤] ابتدع في الدين بدعة فهو من الخوارج »[٥] وبهذا قال بعض الفقهاء المتأخرين وأفتى[٦] بقتلهم .

فإن قيل : وكيف ذلك وهم يدعون[٧] الكرامات[٨] والفراسات ، ويرون

---

(١) وفي (ج) (صحيحة) وهو خطأ .

(٢) (القوم) ساقطة من (ج) .

(٣) هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي فقيه على مذهب مالك . من بيت علم وفضل . ولد سنة ٢٠٠هـ في البصرة واستوطن بغداد ولي قضاء بغداد والمدائن والنهروانات ثم ولي قضاء القضاء إلى أن توفي فجأة ببغداد سنة ٢٨٢هـ من مؤلفاته المبسوط وأحكام القرآن . انظر : الأعلام ج ١ ص ٣١٠ .

(٤) وفي (ب) (كل مبتدع من الدين) .

(٥) وفي الاعتصام ج ١ ص ٤٥ قال إسماعيل بن إسحاق : (ظاهر القرآن يدل على أن كل من ابتدع في الدين بدعة من الخوارج وغيرهم فهو داخل في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ الآية ، ١٥٩ الأنعام .

(٦) وفي (د) (وأفتوا) .

(٧) وفي (د) (وهم يرون) .

(٨) وفي الأصل - ب - (الكرامة) وما هو مثبت أظهر كما في (ج) .

بنور الله وتظهر لهم بركات وإشارات يقيناً[1] بلا شك ولا ارتياب ، وهل يكون مثل هذا إلا لأهل الاستقامة ومن هو على الصراط المستقيم والمنهج[2] القويم ؟

فالجواب : أن نقول ظهور هذه الأشياء لا يخلو من أحد أمرين إما أن تظهر على يد متبع ، أو على يد مبتدع. فإن ظهرت على يد متبع فلا شك في صحتها وصحة استقامته وإخلاصه إن شاء الله تعالى؛ لأن كل ما يقع للنبي ﷺ من المعجزات جاز أن تكون للولي كرامات[3] ، وإن ظهرت هذه الأشياء على يد مبتدع ، فلا يشك عاقل أنما هو مكر من الله تعالى واستدراج، علم الله تعالى شقاوته وأراد[4] ضلالته ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿...سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5] ولا يغتر العاقل بذلك ولو رأيتموه يطير في الهواء ويمشي[6] على الماء.

قال أبو يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه : « إذا رأيتم من يطير في

---

(١) وفي (ب) (ويقيناً) بزيادة الواو وهو خطأ .

(٢) وفي (ج) (المنهاج) .

(٣) وفي (ج) (جاز للولي أن تكون كرامة) .

(٤) وفي (ب) (وأرد) وهو خطأ .

(٥) آية ١٨٢ سورة الأعراف ، وآية ٤٤ سورة القلم .

(٦) وفي (د) (ولو رأيتموهم يطيرون في الهواء ويمشون على الماء) .

الهوى فلا يغرنكم بفعله حتى تروه واقفاً عند الأمر والنهي »[١] .

ألم تعلم[٢]أن إبليس يطير في الهوى ويغوص في الماء[٣] ويخترق الأراضين السفلى ، وأن الرجل الكافر الذي يدعي الربوبية وينسب إلى نفسه الألوهية سُخّرت له الجمادات ، وأحييت له الأموات ، واليهودي السامري[٤] حين[٥]ألقى الحلي في النار فأخرج الله له عجلاً جسداً له خوار. والنمرود[٦]بن كنعان - لعنه الله - حين ارتفع في تابوته في الهوى فكان يرمي إلى السماء بنشابه ليقتل إله إبراهيم بزعمه فكانت[٧] قد ترجع[٨]إليه النشابة

(١) سبق تخريجه ص ٥٢٣ .

(٢) وفي الأصل- ب- ج (ولتعلم) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٣) (في الماء) زيادة من ج - د .

(٤) وفي (ج) (والسامري) ، بزيادة الواو- وهو خطأ .

(٥) (حين) زيادة من (ج) .

(٦) هو النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح . قاله مجاهد وقال غيره : هو نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح . قال مجاهد وغيره : كان أحد ملوك الدنيا زمن إبراهيم عليه السلام وكان قد طغا وتجبر وادعى لنفسه الربوبية جرت بينه وبين إبراهيم مناظرة ، انقطعت بقول إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . انظر : البداية والنهاية ج ١ ص ١٤٨-١٤٩ .

(٧) وفي الأصل- ب - (فكان) وفي (ج) (وكان)- وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٨) وفي الأصل- ب- (يرجع) وما هو مثبت أظهر كما في (ج) (د) .

مخضوبة[1] بالدم ، وقال : قتلته. فكان ذلك فتنة واستدراجاً من الله تعالى ليزيد في كفره وطغيانه.

فإذا كانت[2] هذه الخوارق العظيمة يظهر مثلها على يد هؤلاء الضالين ، فكيف يغتر عاقل بها أو بما[3] يحدثون[4] من[5] الأوهام والخيال[6] على يد[7] أهل البدع والضلالة ، فكل ما يظهر من هذا على يد من هو غير متبع للسنة فهو فتنة وبلية يضل بها الله من خالف أمره واتبع هواه ، وقد يلبس ملبس كاذب على العوام والجهّال بخدَّيم من الجن فيكون معه[8] مطيعاً سميعاً لما يأمر[9] فيرون ذلك من الكرامات وبركات الصالحين وليس كذلك بل الحق[10] عبد الجن

---

(١) وفي (ج) (مخضبة) وما هو مثبت أظهر كما في الأصل (ب) (د) .

(٢) وفي (ج) (كان) وهو خطأ .

(٣) وفي الأصل- ب- ج (أولى) وهو خطأ .

(٤) كذا في النسخ الأربع ولعل الأولى (يحدث) .

(٥) (من) زيادة من (د) .

(٦) وفي (د) (والحيل) .

(٧) وفي الأصل- ب (إلا على يد) وما هو مثبت أظهر كما في (ج- د) .

(٨) وفي (د) (يكون له مطيعا) .

(٩) وفي الأصل- ج (لما به) وهو خطأ وفي (ب) (لمآ ربه) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(١٠) (الحق) زيادة من (ب) .

إلى أن كفر بالله ورسوله ، بل ويشترط عليه الجني[1] أن يسجد له من دون الله ويترك الصلاة أربعين يوماً وغير ذلك فيلتزم له شروطه ، ويلتزم الآخر بشروطه. وهذا هو اللعب بالله تعالى ، هذا كله لغرض من أغراض الدنيا الفانية ، فباع نصيبه به من الدار الباقية.

فإن قيل : ما تقول في الشيخ الذي يتوّب الناس ، وهل تكون[2] التوبة بلا شيخ ، وكيف ذلك ، وهم يقولون : من[3] لا شيخ له فشيخه إبليس ؟ .

فالجواب : أن نقول لا شيخ اليوم إلا في أمرين : في تعليم العلم ، وتعليم الصنعة لا غير.

وأما الشيخ في البدايع المذكورة فهو ضال مضل وغوايته أشد على الناس من إبليس اللعين؛ لأن إبليس يخدع الناس بالوسوسة ، وهذا الشيخ المبتدع يخدعهم بالمشاهدة وكل من مات ماتت ذنوبه ، إلا الشيخ المبتدع الذي يدعو الناس إلى البدعة فإنه وإن[4] مات لم تمت ذنوبه .

قال رسول الله ﷺ : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم

---

(١) (الجني) ساقطة من (ب) .

(٢) وفي (ج) (وهل تكون له) وما هو مثبت أظهر كما في الأصل ب - د .

(٣) وفي (ج) (ومن) .

(٤) وفي الأصل (ب) (لو) وما هو مثبت أظهر كما في (ج) .

القيامة[1] من غير أن ينقص من أوزارهم شيء »[2] .

وقال أبو حامد : « طوبى لمن مات وماتت ذنوبه ، وهؤلاء الأشياخ المبتدعة ولو ارتحلوا من الدنيا ففي كل يوم[3] بل في[4] كل ساعة تلحقهم جبال من الذنوب والخطايا لما أحدثوه في دين الله ، وغيرّوه[5] على حسب كثرة تلاميذهم[6] وقلّتهم ، وهذا البلاء العظيم نسأل الله العافية منه.

وأما قولكم : وهل تكون التوبة بلا شيخ ، ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان[7].

---

(١) قوله (من سن ... إلى يوم القيامة) ساقط من (ج) .

(٢) أخرجه مسلم في الزكاة باب الحث على الصدقة برقم ١٠١٧ ، والترمذي برقم ٢٦٧٥ ، والنسائي في الزكاة باب التحريض على الصدقة ج ٥ ص ٧٥ -٧٧ ، وابن ماجة برقم ٢٠٣ ، وأحمد ج ٤ ص ٣٥٧- ٣٥٩ ، والبغوي برقم ١٦٦١ وقال هذا صحيح . وذكره الشاطبي في الاعتصام برقم ٦٩ ، وانظر : جامع الأصول حديث ٤٦٦٣ ، وكنز العمال حديث ٤٣٠٧٨ ، وشرح السنة ج ٦ ص ١٦٠-١٦١ .

(٣) (يوم) ساقطة من (ب) .

(٤) (في) غير موجودة في (ج) .

(٥) وفي الأصل- ب (وغيره) وهو خطأ .

(٦) وفي الأصل- ب- ج (تلاميذه) وما هو مثبت أظهر كما في (د) وكما يظهر من الكلام قبلها .

(٧) وفي (د) (إبليس) .

فاعلم أن هذه الكلمة يخدع[1] الأشياخ[2] بها[3] العوام الجهّال ، ومن هذا الباب يدخلون عليهم . إنما[4] التوبة هي التي تكون بين العبد وخالقه سراً لا يطلع عليها أحد بأن يذكر ما سلف من ذنوبه ويخاف أن يأخذ بسطوة الانتقام ، ويندم على ما فات ، ويرجع إلى الله تعالى كالعبد الآبق من مولاه متضرعاً باكياً راجياً داعياً ليتقبلها منه وأن لا يعاقبه ، ويتوب أن[5] لا يفعل معصية أبداً ، ولا يعود إلى[6] شيء من ذنوبه حتى يعود اللبن في الضرع .

وأما قولك : ومن لا شيخ له فشيخه إبليس فهذا صحيح ، ولكن ليس على الوجه المذكور فعلي[7] هذا بل جاء[8] ذلك في تعليم العلم والدين؛ لأنه يسأل العلماء حتى يعلم أمر دينه فكل من تعلم منه مسألة فأكثر فهو شيخه حتى يكون له أشياخ كثيرة من قديم الزمان إلى يوم القيامة .

---

(١) وفي (ب) (يحدث) وهو خطأ .

(٢) وفي (د) (المبتدع) .

(٣) (بها) ساقطة من (ج) .

(٤) وفي (د) (وإنما) وهو أظهر .

(٥) وفي (ج) (وأن لا يفعل) .

(٦) وفي الأصل - ب - ج (في) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٧) كذا في الأصل - ب - ج ، وفي (د) غير موجودة - ولعل الأولى (قولي) .

(٨) (جاء) ساقطة من (ب) .

فإن قيل : فما تقول في الشيوخ المتصوفة كأبي القاسم الجنيد[1] ، والحارث المحاسبي[2] ، وابن عطاء[3] ، وعمرو بن عثمان[4] ، وذي النون[5] المصري ، وبشر الحافي[6] ، ومعروف الكرخي[7] ،

---

(١) سبقت ترجمته ص ٥٢٤ .

(٢) هو أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد المشهور، له كتب في الزهد والأصول، توفي رحمه الله سنة ٢٤٣هـ. انظر : ترجمته في : وفيات الأعيان ج٢ ص٥٧-٥٨ والحلية ج ١٠ ص ٧٣-١٠٩ ، وفي تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢١١ .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي البغدادي٦ من الزهاد ، حدّث عن يوسف بن موسى القطان ، وعنه محمد بن علي بن حبيش. توفي في ذي القعدة سنة ٣٠٩هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٢٥٥-٢٥٦ ، وصفة الصفوة ج ٢ ص ٤٤٤-٤٤٦ .

(٤) هو عمرو بن عثمان بن كرب (أبو عبدالله) المكي ، الزاهد ، قيل كان من أئمة الفقه ، وكان ينكر على الحلاج ويذمه توفي ببغداد سنة ٢٩٦هـ وقيل ٢٩٧هـ. انظر : سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٥٧-٥٨ ، وصفة الصفوة ج ٢ ص ٤٤٠- ٤٤٢ .

(٥) هو ثوبان بن إبراهيم الأخميمي المصري أبو الفياض ، أو أبو الفيض : أحد الزهاد العباد المشهورين ، من أهل مصر. كانت له فصاحة وحكمة وشعر . توفي بمصر سنة ٢٤٥هـ انظر : الأعلام ج ٢ ص ١٠٢ .

(٦) هو بشر بن الحارث بن علي بن عبدالرحمن المروزي أبو نصر المعروف بالحافي : من كبار الصالحين ، له في الزهد والورع أخبار ، وهو من ثقات رجال الحديث من أهل مرو، ولد سنة ١٥٠هـ سكن بغداد وبها توفي سنة ٢٢٧هـ انظر: الأعلام ج ٢ ص٥٤ .

(٧) هو معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ : أحد الأعلام الزهاد والمتصوفين ، ولد في كرخ ونشأ وتوفي ببغداد سنة ٢٠٠هـ اشتهر بالصلاح. انظر : الأعلام ج٧ ص٢٦٩ .

وسري السقطي[١]، وأبي بكر الشبلي[٢]، وسهل بن عبدالله[٣]، وأبي يزيد البسطامي[٤]، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين أو لم يكونوا شيوخاً لأهل التصوف ؟

وما لكم أنكرتم الأشياخ[٥] إلا في تعليم العلم أو تعلم الصناعة ؟

فالجواب : أن نقول : زلَّت بك[٦] الأقدام أيها السائل ، رأيت سراباً ظننته ماءً ، لو كان لك[٧] فهم وعقل ذكي حين قلت أنا في الجواب عن الشياخة :

---

(١) هو سري بن المغلس السقطي أبو الحسن ، من كبار المتصوفة ، بغدادي المولد والوفاة وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته وهو خال الجنيد وأستاذه . قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السريّ ، توفي سنة ٢٥٣هـ . انظر : الأعلام ج ٣ ص ٨٢ .

(٢) هو دلف بن جحدر الشبلي ، ناسك كان في مبدأ أمره والياً في دنباوند (من نواحي رستاق الري) وولي الحجابة للموفق العباسي ، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة فاشتهر بالصلاح – أصله من خراسان ونسبته إلى قرية (شبلة) من قرى ما وراء النهر. ومولده بسرى من رأى سنة ٢٤٧هـ، ووفاته ببغداد سنة ٣٣٤هـ. انظر: الأعلام ج٢ ص٢٤١.

(٣) هو سهل بن عبدالله بن يونس التستري (أبو محمد) : أحد أئمة الصوفية وعلمائهم له كتاب في تفسير القرآن ، وكتاب رقائق المحبين ، وغير ذلك. ولد سنة ٢٠٠هـ . توفي سنة ٢٨٣هـ ، انظر : الأعلام ج٣ ص١٤٣ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٥٢٣.

(٥) وفي الأصل – ب – (ومالكم في كريم للشياخة) وما هو مثبت أظهر كما في (ج– د) .

(٦) وفي الأصل – ب – (بذلك) وهو خطأ .

(٧) (لك) زيادة من (ج) .

لا شيخ اليوم تعلمه ، أن تلك الشياخة أعني في التصوف انقطعت بقولي : لا شيخ اليوم ، إذ[1] قيّدت ولم أطلق ، نعم إن هؤلاء المذكورين مشائخ علماء حكماء كل واحد منهم له فنون من العلم ، منهم من هو[2] مقدم في الفقه ومنهم من هو مقدم في القراءة ، ومنهم من هو مقدم في اللغة ، لكنهم انتقلوا من درجة إلى درجة أعلى منها ، وهو الكلام فيما يفسد الأعمال ويصلحها في الأمور الباطنة كالرياء ، والفجور[3] « وغير ذلك »[4] ، ويتكلمون في التوبة الحقيقية والفرق بين خاطر الخلق وخاطر الملك ، وخاطر النفس ، وخاطر الشيطان ، أخذوا طريقتهم عن الحسن[5] البصري رضي الله عنه ، وأخذ الحسن عن علي[6] رضي الله عنه ، وعبدالله بن

---

(١) وفي (ب- ج) (إذا) وهو خطأ .

(٢) (منهم من هو) زيادة من (د) .

(٣) وفي (د) (والعجب) وهو أظهر .

(٤) (وغير ذلك) زيادة من (د) .

(٥) سبقت ترجمته ص ٥٣٢ .

(٦) هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي ، أبو الحسن أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة وابن عم النبي ﷺ وصهره ، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة ولد بمكة سنة ٢٣ قبل الهجرة ، وربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه ، وولي الخلافة بعد مقتل عثمان سنة ٣٥هـ وأقام علي بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبدالرحمن بن ملجم غيلة سنة ٤٠هـ . انظر : ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

مسعود[١]، وحذيفة اليماني[٢]، ويتعلمون رياضة[٣] النفوس وميل الطبائع من الخلق السوء إلى الخلق الحسن، ومن البخل إلى الكرم إلى غير ذلك[٤] من الخير؛ لأن هذا كله من باب تعلم العلم، فتكون الشياخة منحصرة في أمرين كما ذكرت لك.

فإن قيل: فنحن من التابعين لهؤلاء ومقتفين لآثارهم وإن كنا لا نبلغ مبلغهم.

فالجواب: أن نقول: أيها السائل ما أبعد فهمك حيث تشبهت بالقوم المنقطعين إلى الله تعالى الذين طلقوا الدنيا ثلاثاً، وانقطعوا إلى الله تعالى بالكلية، وأماتوا نفوسهم بالرياضة والمجاهدة الطويلة، وسلبوها من الحظوظ الشهوانية، لم يرو عنهم أنهم رقصوا، ولا شطحوا، ولا تابعوا[٥]، ولا حلقوا، ولا لقموا، ولا وسموا، ولا هم[٦] من القوم المنهمكين في

---

(١) سبقت ترجمته ٥٢٦.

(٢) هو حذيفة بن حسل بن جابر العبسي أبو عبدالله، صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين لم يعلمهم أحد غيره، ولاه عمر المدائن بفارس، وبها توفي سنة ٣٦هـ. انظر: ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٧١.

(٣) (رياضة) ساقطة من (ب).

(٤) وفي (د) وغير ذلك.

(٥) وفي الأصل (د) (ولا تألفوا) وفي (ج) (ولا تنابلوا) وما هو مثبت أظهر كما في (ب).

(٦) وفي - د- (ولا كانوا).

اللذات وأغراض النفوس ، وكثرة الاتباع والانكباب على حطام الدنيا وأعراضها[١] وقلة معرفتهم وكثرة لهوهم ولعبهم وتقبيل الأرض بين يدي الشيوخ اللاهين ، ومن ليس فيه مناقب الصالحين ، وكثرة الشهوات ، والرياء ، وكثرة جهلهم بالسنة والفرايض ، وجهلهم بمعرفة الله تعالى ، وهم مجوس هذه الأمة ، إذ لا مستند لبدعتهم . فإن تشبيهك القوم بالقوم كمن شبه الملائكة بالحدادين ، فما لحماقتك دواء ولا يرجى لعلتك شفاء ، بل بينهم مسافة تزيد على مسيرة مائة ألف مضروبة في مائة ألف ألف للطير السريع [٢] ، والعجب العجب ممن يشبه الخوارج اللعنة بأهل التصفية المرضية الذين قلوبهم كقلوب الأنبياء .

والله ما يظن مثل هذا ولا يتوهمه إلا جاهل أحمق بيّن الحماقة. ولا أظن يتوهم هذا من خلق الله إلا أن يكون غبياً منهم ، ومن طائفتهم وجليسهم ، يا عجباً كيف افترقوا على طوائف كل طائفة تنسب[٣] إلى شيخ وطريقته ، فمن أين لهم اختصاص بطريق غير طريق أهل السنة . وما أكثر طرقهم أقل الله مثلهم في الوجود ، فإن طريقة رسول الله ﷺ واحدة ، وهي طريقة جميع

---

(١) وفي (ج) (وأغراضها) .

(٢) وفي الأصل (بياض) وفي (ب) (لنظر المصرع) وفي (ج) (لنظر المسوع) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٣) وفي (ج) (تنهب) وهو خطأ ، وفي (د) (تنتسب إلى شيخ وطريقه) وهو أظهر .

الأنبياء ، فمن أين تكلف[١] أن يخص نفسه بطريق غير طريق نبينا محمد ﷺ وهذا هو الافتراء على الله ورسوله .

فإن قيل : فما تقول في الصباح والمساء بين الناس[٢] ؟

فالجواب : أن نقول هذا بدعة تميت السنة وهو السلام ، وأما تقبيل اليد : فلا يجوز إلا للعالم ، وقيل ممنوع مطلقاً؛ لأنه جاء تقبيل اليد أحد السجدتين[٣].

ومن البدع التي تميت السنة قولهم : الصلاة رحمكم الله عند دخول الوقت ، ليجتمع للصلاة؛ لأن هذه البدعة تميت الأذان الذي هو من أفضل شعائر الإسلام. وما أشبه ذلك على أن المساء والصباح تحية ، الأولى تركه، وإن يشإ الإنسان قدم السلام ثم ثنى بالمساء والصباح ، والصباح دعاء وتركه أحسن ، إذ لا يؤجر إلا على السلام .

فإن قيل : قد قلتم إنه لا يقتدى إلا بالعلماء في الدين ، وهؤلاء شيوخنا علماء ؟ .

فالجواب : أن نقول إن العقلاء ينظرون للأشياء[٤] ويميزون بين الأموات

---

(١) كذا في الأصل – ب – وفي (ج) (لكلب) وفي (د) لكلب من الكلاب .

(٢) (بين الناس) زيادة من (د) .

(٣) (لأنه جاء تقبيل اليد أحد السجدتين) غير موجودة في (د) .

(٤) كذا في (الأصل – ب –) وفي (ج) (الأشياء) وفي (د) (إلى الأشياء) وهو أولى .

والأحياء ، فما كل سحاب أبرق وأمطر ، ولا كل عود أورق وأثمر[١] ، ولا كل مستدير هلال ، ولا كل أخضر حلال ، إنما يقتدى بالفقيه العالم المدرس العامل[٢] بالكتاب والسنة ، العارف بهذه[٣] الآداب في الملبس والمسكن والقوت ، المؤثر للعزلة والخمول ، الذي يعرض عن الهوى والفضول ، ويواظب على الذكر والصلاة ، ويكثر الصمت ويقلل الكلام ، ويكتفي[٤] بما وجد، ويقلل المنام، ويوصي[٥] بالمعروف ، ويحفظ الحدود[٦] ، قليل الطمع ، شديد الورع ، لا يفرح بالدنيا إذا أقبلت ، ولا يحزن عنها[٧] إذا أدبرت ، همه وهمته في آخرته ، يكره ظهور حسناته كما يكره ظهور[٨] سيئاته، يكره[٩] الجاه ، ويحب في الله ، ويبغض في الله مشهور في العلم ،

---

(١) وفي (ج) (فما كل سحاب وبرق مطر ولا كل عود وورق ثمر) .

(٢) وفي الأصل ب-ج (العالم) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٣) وفي (د) (العارف بها المتعبد في المجالس) .

(٤) وفي (ج) (ويكفي) وهو خطأ .

(٥) وفي (ج-د) (ويوفي بالعهود) .

(٦) وفي (ج) (ويحافظ عن الحدود) وهو خطأ .

(٧) كذا في الأصل- ب-ج (ولعل الأولى عليها) ، وفي (د) (ولا يحزن إذا أدبرت) وهو أظهر .

(٨) وفي الأصل-ب-ج (المرء) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٩) وفي (ب) (ويكره) .

يستفاد[١] منه كل خير .

وأما من[٢] ينتمي إلى طريق العبادة ويدعو الناس إليها ويحب الاجتماع والمبيتات وظهور المنزلة عند الناس وتعظيمه في قلوب الأمراء وشيوخ العامة، ولم يتخذ الاتباع بل هو راغب في أموال الناس والابتداع ، ويبغض العلماء ويذكرهم بالسوء وأنهم قطّاع طريق الله والدين ، فلا يُقتدى بهم[٣] ، فهو ومن اقتدى به من أهل النار إلا من تاب عن ذلك وخرج بالظاهر والباطن .

فإن قيل : فإن كان الشيخ ضالاً مضلاً وهو عالم بضلالته ، وأن فعله[٤] ذلك ليس سبيل المؤمنين ، وإنما فعل ذلك لأجل منفعة دنيوية ، فلبّس على العوام بذلك فلم لا يكون من أهل النار إلا لعلمه ولاقتحام[٥] المحظور ومداهنته واستغراره ، وأما العوام الجهال الذين ظنوا أن ذلك هو الحق المبين والصراط المستقيم فلم لا يعذرون ؟

فالجواب : أن نقول لو لم يعذب الله إلا الضال المغر[٦] ما دخل النار إلا

---

(١) وفي (ج) (مستفاد) .

(٢) وفي (ج) (وأما ما) وهو خطأ .

(٣) وفي (الأصل - ج) (به) .

(٤) وفي الأصل - (فعل) وهو خطأ .

(٥) وفي (ب - ج) (والاقتحام) وهو خطأ .

(٦) ولعل الأولى (المضل) .

إبليس ، لكن الضال والمضل في النار ، ألم تسمع قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا[1] ﴿٦٨﴾ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا[3] مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[4] .

فإن قيل : هذا الطريق مسلوك وعليه خلق كثير فاتّبعناه وما أحدثنا نحن شيئاً فيكون جميع هؤلاء مع كثرتهم وفيهم علماء وصلحاء وقوّام الليل وصوام النهار وحجاج لبيت[5] الله الحرام ، وغزاة في سبيل الله وفعّال[6] المعروف ووجوه البر ، والدنيا عامرة بالفقهاء والسلاطين والخدام[7] والحكام ولم ينهوا[8] عن ذلك لو كان ذلك[9] باطلاً .

---

(١) وفي (ب) (كثيراً) وهو خطأ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآيات ٦٦- ٦٨ .

(٣) وفي (ب) (أضلونا) وهو خطأ .

(٤) سورة فصلت ، الآية ٢٩ .

(٥) وفي ب-ج (بيت) .

(٦) وفي (ج) (وأفعال) وهو خطأ .

(٧) (والخدام) زيادة من (ج) .

(٨) وفي (ج) (ولم ينه) وهو خطأ .

(٩) وفي الأصل- ب -ج (إن كان باطلاً) وما هو مثبت أظهر كما في (د) وكما يظهر من الكلام قبلها .

فالجواب : أن نقول قولك : وجدنا الطريق مسلوكاً واتبعناه. فهذا الجواب قديم أصله من الكفار لما عرض عليهم الإسلام .

قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[١]، ولا شك أن السنة في البدايع كالإسلام في الأديان . فمن خرج من البدعة إلى السنة وتلقاها بالقبول كمن خرج من الكفر إلى الإسلام « ومن خرج من السنة إلى البدعة وتلقاها بالقبول كمن خرج من الإسلام إلى الكفر »[٢] .

وأما قولك[٣] : ما أحدثنا نحن[٤] شيئاً.

فجوابه[٥] : أنه أحدثه بدعي عدو لدين الله واتبعته أنت[٦].

وأما[٧] الاستدلال بكثرة القوم الضالين فلا يغتر به عاقل؛ لأن أهل الكفر أكثر من أهل الإيمان والإسلام بأضعاف مضاعفة ، ألم تسمع قول النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم ، فيقول: لبيك وسعديك - زاد

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٢٣ .

(٢) ما بين قوسين زيادة من (ب) .

(٣) (قولك) ساقطة من الأصل .

(٤) وفي (ج) (ما أحدثنا شيئاً نحن) .

(٥) وفي الأصل- ج (حوابه) وما هو مثبت أظهر كما في (ب) .

(٦) (أنت) زيادة من (ب) .

(٧) وفي (ج) (وأن) وهو خطأ .

في رواية: والخير في يديك - فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار (قال يا رب وما بعث النار)[١] ؟ قال : أخرج[٢] من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار ... الحديث »[٣] .

وأما قولك : فيهم علماء وصلحاء إلى آخر ما ذكرت .

فجوابه : تقدم .

وأما قولك : ولم ينههم الفقهاء ولا السلاطين .

فالجواب : أن الفقهاء إذا سئلوا عن هذه العلة لم يجيبوا فيها إلا بالحق كما وصفت لك ، ولهم فيها تواليف عدة[٤] بالرد والإنكار، والقتل والنفي[٥].

---

(١) ما بين قوسين ساقط من الأصل و (ب) و (ج).

(٢) وفي الأصل - ب - ج (اختر) والصواب ما هو مثبت كما في (د) وكما في الصحيحين.

(٣) رواه البخاري في تفسير سورة الحج باب قوله تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾. وفي الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج. وفي الرقاق، باب قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ وفي التوحيد باب قوله الله تعالى : ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ ، ومسلم برقم ٢٢٢ في الإيمان باب قوله : «يقول الله لآدم : أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين » .

(٤) (عدة) زيادة من (د) .

(٥) وفي الأصل (ج) (البغي) والصواب ما هو مثبت كما في (ب) (د) .

وأما السلطان : فهو مشغول عنهم[1] بدنياه ، وبعض السلاطين قد أمروا بقتلهم ونفيهم قبل هذا الزمان .

والبدعة ضلالة قديمة وشجرة تعرقت وتفرعت[2] ، وانتشرت في البلاد[3] كما انتشر الكفر فلا تزول إلى يوم القيامة إلا من وفقه الله يقتدي بالسنة وأهلها. وترك السنة أعظم وزراً من كل معصية ، لا من الزنى ولا من شرب الخمر ولا من قتل النفس ، عصمنا الله وإياكم منها بمنه وكرمه .

قال الفقيه العالم الصالح الزاهد الورع أبو عبدالله محمد الفشتالي[4] رحمه الله تعالى : ضرر هذه المعاصي إنما هو في الفروع التي هي أعمال الجوارح الظاهرة ، وضرر هذه البدعة إنما هو في الأصول[5] التي هي العقائد

(١) وفي (ج) (عليهم) وهو خطأ .

(٢) وفي الأصل (متعرقة ومفترقة) وفي (ج) (متعلقة ومتفرقة) وما هو مثبت أظهر كما في (ب) وكما يظهر من الكلام بعدها .

(٣) (في البلاد) زيادة من (ب) .

(٤) هو محمد بن أحمد بن عبدالملك أبو عبدالله الفشتالي : قاضي فاس ، من العلماء بفقه المالكية ولاه سلطان المغرب قضاء فاس سنة ٧٥٦هـ وكان يوجهه في السفارة عنه إلى الأندلس ، له مؤلفات منها كتاب يعرف بوثائق الفشتالي . توفي سنة ٧٧٧هـ . انظر : الأعلام ج ٥ ص ٣٢٨ .

(٥) وفي الأصل - ب - ج (الأقوال) وهو خطأ .

الباطنة ، إذا انقطع[1] الأصل ذهب الفرع والأصل ، وإذا انقطع[2] الفرع وبقي الأصل يرجى أن يحيى الفرع ولم تبطل بالكلية منفعة الأصل .

تم بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

* * *

(١) وفي الأصل - ب- ج (انقضى) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

(٢) وفي الأصل - ب- ج (انصرف) وفي (ج) (ضرّ) وما هو مثبت أظهر كما في (د) .

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ...الآية﴾	١٧٤	البقرة	٥١١
﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ...الآية﴾	٤٨	النساء	٥٠٩
﴿ومن يشاقق الرسول ...الآية﴾	١١٥	النساء	٥٣٠
﴿... اليوم أكملت لكم دينكم...الآية﴾	٣	المائدة	٥٤٤،٥٤٥
﴿وأن هذا صراطي مستقيما...الآية﴾	١٥٣	الأنعام	٥٢٧
﴿إن الذين فرقوا دينهم...الآية﴾	١٥٩	الأنعام	٥٢٩،٥٥٧
﴿الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً...الآية﴾	٥١	الأعراف	٥٥٣
﴿... سنستدرجهم من حيث لا يعلمون... الآية﴾	١٨٢	الأعراف	٥٥٨
﴿...فليحذر الذين يخالفون عن أمره...الآية﴾	٦٣	النور	٥٣٠
﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة...الآية﴾	٢١	الأحزاب	٥٣٠
﴿ يوم تقلب وجوههم في النار ...الآية﴾	٦٦	الأحزاب	٥٧٢
﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا ...الآية﴾	٦٧	الأحزاب	٥٧٢
﴿ربنا ءاتهم ضعفين من العذاب ...الآية﴾	٦٨	الأحزاب	٥٧٢
﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا ...الآية﴾	٢٩	فصلت	٥٧٢
﴿...إنا وجدنا آباءنا على أمة ...الآية﴾	٢٣	الزخرف	٥٧٣
﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ...الآية﴾	٦٧	الزخرف	٥٥٤
﴿... إن أكرمكم عند الله أتقاكم ...الآية﴾	١٣	الحجرات	٥٥٣
﴿...وما ءاتكم الرسول فخذوه ...الآية﴾	٧	الحشر	٥٣٠
﴿...سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ...الآية﴾	٤٤	القلم	٥٥٨

* * *

فهرس الأحاديث النبوية

* * *

فهرس المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإبانة على أصول الديانة عبيد الله محمد بن بطة العكبري ، المكتبة الفيصلية مكة المكرمة.

٣- الأحاديث المشكلة في الرتبة – محمد درويش الحوت. عالم الكتب – ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٤- إحياء السنة وإخماد البدعة – الشيخ عثمان فودي ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية بالقاهرة ط الثانية ١٤٠٦هـ

٥- إحياء علوم الدين – للإمام أبي حامد الغزالي دار المعرفة بيروت – لبنان مصورة عن طبعة لجنة الثقافة الإسلامية ١٣٥٦هـ.

٦- الإستيعاب في أسماء الأصحاب يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان .

٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة – لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي محمد الجزري دار الشعب ١٩٧٠م.

٨- الإصابة في تمييز الصحابة – أحمد بن علي بن محمد الكناني المعروف بابن حجر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٣٥٩هـ .

٩- الاعتصام – أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان ط الأولى ١٤١٧هـ .

١٠- الأعلام – خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط السادسة ١٩٨٤م .

١١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم ط ١٣٨١ هـ .

١٢- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، جلال الدين السيوطي دار ابن القيم للنشر والتوزيع ط الثانية ١٤١٦هـ .

١٣- الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء ، أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر ، دار الكتب العليمة بيروت ، لبنان .

١٤- الباعث على إنكار البدع والحوادث ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة ، دار الراية الرياض ط الأولى ١٤١٠هـ .

١٥- البداية والنهاية ، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، مكتبة المعارف بيروت، لبنان ط الخامسة ١٤٠٤هـ.

١٦- البيان والتحصيل ، أبي الوليد ابن رشد القرطبي ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط ١٤٠٦هـ .

١٧- تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

١٨- تاريخ دمشق ، محمد بن بكر المعروف بابن منظور (ابن عساكر) ، دار الفكر، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

١٩- تاريخ قزوين (التدوين في أخبار قزوين) ، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني ، مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة ، ط ١٤٠٤هـت المطبعة العزيزية .

٢٠- ترتيب المدارك ، عياض بن موسى اليحصبي ، دار مكتبة الحياة بيروت ، لبنان ط ١٣٨٨هـ .

٢١- الترغيب والترهيب ، للحافظ أبي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، المكتبة العصرية بيروت ، لبنان ط ١٤٠٥هـ .

٢٢- التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح ، بيروت ط١٩٧٨ م.

٢٣- تفسير الخازن ، للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، دار الكتب العليمة بيروت ، لبنان ط الأولى ١٤١٥هـ.

٢٤- تفسير الطبري ، محمد بن جرير الطبري ، دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٦هـ.

٢٥- تفسير ابن عطية ، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، مؤسسة دار العلوم الدوحة قطر ط الأولى ١٣٩٨هـ.

٢٦- تفسير القرآن الكريم ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار المعرفة بيروت لبنان ط ١٣٨٨هـ.

٢٧- تفسير مجاهد ، للإمام مجاهد بن جبير ، دار الفكر الإسلامي الحديثة ط الأولى ١٤١٠هـ.

٢٨- تفسير ابن مسعود ، عبد الله بن مسعود جمع وتحقيق محمد أحمد عيسوي ، شركة الطباعة العربية السعودية ط الأولى ١٤٠٥هـ .

٢٩- تلبيس إبليس ، عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٠- تنبيه الغافلين ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي الحنفي ، دار التراث العربي بيروت ، لبنان ط ١٤٠٢هـ.

٣١- الجامع في السنن والآداب ، لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ،

مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ط الثالثة ١٤٠٦هـ .

٣٢- جامع الأصول للإمام مجد الدين ، أبي السعدات المبارك بن محمد (ابن الأثير الجزري) مطبعة الملاح ط الأولى ١٣٨٩هـ .

٣٣- جامع بيان العلم وفضله ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٣٤- الجرح والتعديل ، محمد بن إدريس الرازي ، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان ط الأولى .

٣٥- الحكم الجديرة بالإذاعة ، لابن رجب (ضمن مجموع) تحقيق محمد حامد فقي ، مطبعة أنصار السنة .

٣٦- حلية الأولياء ، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني ، دار الكتب العليمة بيروت لبنان.

٣٧- الحوادث والبدع ، لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، دار ابن الجوزي ، ط الثانية ١٤١٧هـ .

٣٨- الدر المنثور ، لجلال الدين السيوطي ، دار المعرفة بيروت لبنان ط ١٣١٤هـ المطبعة الميمنية .

٣٩- الرسالة القشيرية في علم التصوف ، عبد الكريم بن هوازن القيشري ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده .

٤٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني الدر السلفية الكويت المكتبة الإسلامية ، ط الثانية ١٤٠٤هـ .

٤١- سلسلة الأحاديث الضعيفة ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي

ط الأولى ١٣٩٩هـ.

٤٢- سنن الترمذي ، الجامع الصحيح ، للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الفكر ط الثانية ١٣٩٤هـ.

٤٣- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، ط الأولى ١٣٨٨هـ

٤٤- سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجة) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ط مصطفى البابي الحلبي.

٤٥- السنة ، لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني. المكتب الإسلامي ط الأولى ١٤٠٠هـ .

٤٦- سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط ١٤٠٢هـ

٤٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ط ١٤٠٢هـ .

٤٨- شرح السنة ، الحسين بن مسعود البغوي ، المكتب الإسلامي ط الأولى ١٣٩٠هـ .

٤٩- الشريعة ، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ط الأولى ١٤٠٣هـ

٥٠- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، المكتبة الإسلامية محمد أوزيدبير ط ١٩٨١م .

٥١- صحيح مسلم ، محمد بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت لبنان ط الأولى ١٣٧٤هـ.

٥٢- صفة الصفوة ، لجمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي ، دار المعرفة العربية بيروت لبنان ط الثالثة ١٤٠٥هـ.

٥٣- الصواعق المحرقة ، لمحمد صفي الدين الحنفي ، عالم الكتب الرياض ط الأولى ١٤١٠هـ .

٥٤- الطبقات الكبرى لابن سعد ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ط ١٣٧٧هـ.

٥٥- ظلال الجنة في تخريج السنة ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، لبنان ط الأولى ١٤٠٠هـ.

٥٦- أبو عمران الفاسي : عبد الله كنّون ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ودار الكتاب المصري بالقاهرة.

٥٧- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، مطابع دار العربية بيروت لبنان تصوير ط الأولى ١٣٩٨هـ.

٥٨- فتح الباري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تصحيح الشيخ عبد العزيز بن باز ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء بالمملكة العربية السعودية ١٣٧٩هـ.

٥٩- فتح الوهاب ، أحمد بن محمد بن الصديق الحسيني الشافعي عالم الكتب ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٦٠- الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط الأولى ١٤٠٦هـ

٦١- قواعد العقائد للإمام الغزالي ، عالم الكتب ط الثانية ١٤٠٥هـ .

٦٢- كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، لإسماعيل بن محمد العجلوني ، مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ، ط الرابعة ١٤٠٥هـ.

٦٣- كنز العمال لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ، ط الخامسة ١٤٠٥هـ.

٦٤- لسان العرب للعلامة ابن منظور ، دار لسان العرب بيروت لبنان.

٦٥- اللمع في الحوادث والبدع ، لإدريس بن بيركين بن عبد الله التركماني الحنفي، ط ١٤٠٦هـ القاهرة .

٦٦- ما جاء في البدع لمحمد بن وضاح القرطبي ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ط الأولى ١٤١٦هـ.

٦٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، مؤسسة المعارف بيروت لبنان ط١٤٠٦هـ .

٦٨- مدارج السالكين للإمام ابن القيم ، در الكتاب العربي بيروت لبنان ، ط الثانية ١٣٩٣هـ.

٦٩- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧٠- المسند للإمام أحمد بن حنبل (بشرح الشيخ أحمد شاكر) . دار المعارف ط ١٣٦٨هـ.

٧١- مسند الشهاب ، لأبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤٠٥هـ

٧٢- المعجم الأوسط للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني ، مكتبة المعارف ،

الرياض ط الأولى ١٤٠٥هـ .

٧٣- المعجم الكبير للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني ، مكتبة ابن تيمية ط الثانية ١٤٠٤هـ .

٧٤- معجم مصطلحات الصوفية د/ عبد المنعم الحنفي ، ط الثانية ١٤٠٧هـ .

٧٥- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، جلال الدين السيوطي ، ط الثالثة ١٣٩٩هـ مطابع الرشيد المدينة المنورة .

٧٦- المقاصد الحسنة ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط الأولى ١٣٩٩هـ.

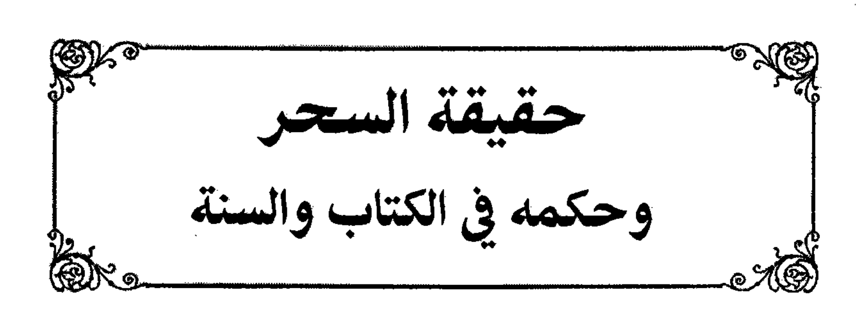
٧٧- الموطأ للإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧٨- وفيات الأعيان ، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، دار صادر بيروت لبنان ، ط ١٣٩٧هـ.

* * *

فهرس الموضوعات

* * *



إعداد

د. عواد عبدالله المعتق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد :

فنظراً لكثرة المشعوذين في كل زمان وخصوصا في هذا الزمان الذي كثرة فيه المشكلات النفسية حتى أصبحت سمة هذا العصر . وأخذ كثير ممن ابتلوا بمثل هذه المشكلات - وخصوصا من يغلب عليهم الجهل أو قلة الإيمان - أخذوا يلجئون إلى المشعوذين الذين يدعون الطب عن طريق الكهانة أو السحر يبحثون عندهم عن حل لمشكلاتهم النفسية ظناً أن لديهم حلاً لها أو علاجاً لأثرها . ومعلوم ما في هذا من الخطر على الإسلام والمسلمين لما فيه من التعلق بغير الله ومخالفة أمره وأمر رسوله ﷺ . لما ذكرت رأيت أن أكتب لمحة موجزة عن السحر مبيناً فيها حقيقته وحكم تعلمه وتعليمه والعمل به - وعقوبة الساحر وتوبته - ثم علاجه . وقد جعلتها في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة .

المقـــدمة : في أهمية الموضوع وبعض الدوافع التي دفعتني لإعداده .

المبحث الأول : في تعريف السحر وأنواعه .

المبحث الثاني : السحر له حقيقة أم لا ؟

المبحث الثالث : حكم السحر والسحرة .

المبحث الرابع : في علاج السحر .

الخــاتمة : في ذكر أهم النتائج التي توصلت إليها .

وأخيراً أسأل الله أن يتقبل صوابه ويتجاوز عن خطئه إنه سميع مجيب .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

المبحث الأول : في تعريف السحر وأنواعه

أولا: تعريف السحر :

السحر لغة : هو الأخذة ، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر ، والجمع أسحار ، وسحور . وسحره يسحره سَحراً وسِحراً وسَحّره ، ورجل ساحر من قوم سحرة وسحّار ، وسَحّار من قوم سحّارين ، ولا يكسر .

والسحر أيضا : البيان في فطنة كما جاء في الحديث أنه ﷺ قال : (إن من البيان لسحرا)[1] .

قال ابن الأثير : يعني إن من البيان لسحرا : أي منه ما يصرف قلوب السامعين وإن كان غير حق . وقيل معناه إن من البيان ما يكسب من الإثم ما يكتسبه الساحر بسحره فيكون في معرض الذم . ويجوز أن يكون في معرض المدح ، لأنه تستمال به القلوب ويرضى به الساخط ويستنزل به الصعب .

قال الأزهري : وأصل السَّحر : صرف الشي عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق وخيّل الشيء على غير حقيقته قد

---

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح باب الخطبة ، ومسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة

سحر الشيء عن وجهه أي صرفه .

قال الفراء : في قوله تعالى : ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[1] معناه فأنى تصرفون[2] .

كما يأتي السحر ويراد به الخديعة . يقال سحره بالطعام والشراب : أي خدعه ، والسحور المفسد من الطعام أو المكان .

يقال : سحر المطر الطين والتراب : أفسد فلم يصلح للعمل[3] .

السحر في الاصطلاح :

عرف السحر اصطلاحاً بتعاريف كثيرة مختلفة متباينة ، ذلك لكثرة الأنواع الداخلة تحته ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعًا لغيرها[4] .

ولاختلاف المذاهب فيه بين الحقيقة والتخييل . فمثلاً البعض يعرفه بتعاريف لا تصدق إلا على ما لا حقيقة له من أنواع السحر ، أو ما هو سحر في اللغة .

ومن هؤلاء أبو بكر الرازي حيث قال : هو كل أمر خفي سببه وتخيل

---

(١) آية ٨٩ المؤمنين .

(٢) لسان العرب ج٢ ص. ١٠٦ .

(٣) انظر لسان العرب مادة سحر ج٢ ص.١٠٦- ١٠٧ ، والقاموس المحيط ج٢ ص٤٥.

(٤) أضواء البيان ج٤ ص ، ٤٤٤.

على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع[1] .

وعرفه البعض بما له حقيقة وأثر كابن قدامة حيث قال : السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه[2] .

وعرفه أحد العلماء المعاصرين - تعريف جمع فيه القسمين .فقال : هو عبارة عن أمور دقيقة موغلة في الخفاء يمكن اكتسابها بالتعلم تشبه الخارق للعادة وليس فيها تحد ،أو تجري مجرى التمويه والخداع تصدر من نفس شريرة تؤثر في عالم العناصر بغير مباشرة أو بمباشرة[3] .

ونستخلص من هذه التعاريف وغيرها تعريفاً لعله يكون جامعاً بلفظ موجز إن شاء الله .

فنقول : السحر : هو كل ما فيه مخادعة أو تأثير في عالم العناصر نتيجة الاستعانة بغير الله من شيطان أو نحوه ، يشبه الخارق للعادة وليس فيه تحد يمكن اكتسابه بالتعلم .

---

(١) أحكام القرآن له ج١ ص٥٠.

(٢) الكافي ج٤ ص١٦٤ وانظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٣٣ .

(٣) السحر بين الحقيقة والوهم ص ٣٨ .

ثانياً : أنواع السحر :

السحر أنواع كثيرة منها : ماله حقيقة ، ومنها ما ليس له حقيقة ، ومنها ما هو سحر في اللغة (وهو السحر المجازي) ، ولذا اختلفت تقسيمات العلماء للسحر فبعضهم جمع الجميع كالرازي وبعضهم اقتصر على ما هو سحر في عرف الشرع[1] . وبعضهم اقتصر على ماله حقيقة فقط . وإليك شيء من هذه الأنواع بشيء من الإيجاز .

القسم الأول :- ما هو سحر في الشرع - ومنه ما له حقيقة ، ومنه ما ليس له حقيقة - ومن أنواعه ما يلي :

النوع الأول : سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية . ذلك أن الوهم والنفس لهما تأثير على الإنسان ، وبناءاً على ذلك يقوم الساحر بأقوال وأفعال مخصوصة تقوي النفس حتى تؤثر في الآخرين بقدرة الله تعالى .

وقد ذكر الرازي وجوها كثيرة تؤكد أن للوهم والنفس تأثيراً ، منها :

الأول : أن الإنسان يمكنه أن يمشي على الجذع الموضوع على وجه الأرض ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدوداً على نهر أو نحوه ذلك أن توهم السقوط متى قوي أوجبه .

الثاني : قد أجمع الأطباء على نهي المرعوف عن النظر إلى الأشياء

---

(١) المراد في عرف الشرع : بحيث يحكم على صاحبه شرعاً بأنه ساحر .

الحمر خشية أن يؤثر هذا على نفسه فيستمر رعافه وعلى نهي المصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان أو الدوران لأن هذا يؤثر في نفسه فيتمادى به صرعه .

كل ذلك دليل على أن التصورات النفسية التي تعرض للنفس تؤثر في صاحبها

الثالث: التجربة والعيان شاهدان بأن هذه التصورات مبادئ قريبة لحدوث الكيفيات في الأبدان فإن الغضبان تشتد سخونة مزاجه حتى أنه يفيده سخونة قوية .وذلك دليل على أن النفوس لها تأثير في بدن صاحبها وإذا جاز كون التصورات مبادئ لحدوث الحوادث في البدن فأي استبعاد من كونها مبادئ لحدوث الحوادث خارج البدن .

الرابع : ومما يؤكد أن النفس قد تؤثر بالآخرين الإصابة بالعين[1] .

وقد اتفق النقل والعقل على ذلك . قال ﷺ : (العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين)[2] .

ثم قال[3] : النفس التي تفعل هذه الأفاعيل قد تكون قوية جداً تستغني في

---

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٣ ، ص ٢٠٨-٢٠٩ (بتصرف) .

(٢) رواه مسلم والترمذي جامع الأصول حديث ٥٧٣٧.

(٣) الرازي.

هذه الأفاعيل عن الاستعانة بالآلات ... وقد تكون ضعيفة فتحتاج إلى الاستعانة بهذه الآلات .

وتحقيقه أن النفس إذا كانت متعلية على البدن شديدة الانجذاب إلى عالم السموات صارت كأنها روح من الأرواح السماوية فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم ، وإذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تأثير البتة إلا في هذا البدن ... ثم أرشد إلى أنه لا بد لمزاولة هذه الأعمال من انقطاع المألوفات والمشتهيات وتقليل الغذاء والانقطاع عن مخالطة الخلق ، وكلما كانت هذه الأمور أكثر كان ذلك التأثير أقوى[1] .

والحق أن هذا الساحر لم يؤثر على الآخرين بنفسه فقط بل هناك معين ، وهذا المعين إنما هو شيطان ، ذلك أن الساحر عندما خرج عن حد الاعتدال المشروع في تلبية رغبات الروح والجسد وأشقى نفسه في معصية الله ، تعلت روحه على بدنه وقويت حتى أصبح من السهل على الأرواح التعامل معها ، ومن ثم تولتها الأرواح الشيطانية لكونها خبيثة ورغبتها في هذا السلوك ، وذلك بتحقيق أمور لا تستطيعها في حال اعتدالها ، لتستمر في هذا الطريق الباطل مع عدم شعورها بعون تلك الأرواح . ولذا يمكن أن

---

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٣ ، ص ٢٠٩ .

يطلق على ما تحققه من أمور أحوال شيطانية[1] أعاذنا الله منها .

النوع الثاني : السحر الذي يستعان فيه بالكواكب ومنه :

١- سحر الكلدانيين وأهل بابل وغيرهم ، وهؤلاء كانوا قوما صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويعتقدون أنها المدبرة للعالم وان حوادث العالم كلها من أفعالها ، ومنها يصدر كل مظهر خير وشر، وقد بعث الله إليهم إبراهيم عليه السلام مبطلاً لمقالتهم ونظراً لاعتقادهم أنها مدبرة من دون الله فهم يزعمون أن لها إدراكات روحانية فإذا قوبلت ببخور خاص ولباس خاص على الذي يباشر البخور مع إقدامه على أفعال خاصة ، وألفاظ يخاطب بها الكواكب كانت روحانية الفلك مطيعة له متى ما أراد شيئا فعلته له على حد زعمهم . والحق أن الروحانيات التي قضت حوائجهم إنما هي الشياطين أعاذنا الله منها ليستمروا في باطلهم فيضلوا ويضلوا[2] .

٢- ومنه نوع يسمى بالطلاسم : وهو عبارة عن نقش أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب - على زعم أهلها - في جسم من المعادن أو غيرها تحدث به خاصية ربطت في مجاري العادات ، ولابد مع ذلك من نفس صالحة لهذه الأعمال فإن بعض النفوس لا تجري الخاصية المذكورة

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ، ص١٤٥ ، والسحر بين الحقيقة والخيال . ص ٢١ .

(٢) تفسير الرازي ج٣ ص ٢٠٦ وأضواء البيان ج ٤ ص٤٥٣ وتيسير العزيز الحميد ص٣٨٧ ، وأحكام القرآن ج١ص٥٢.

على يده[1] .

وهذا النوع من السحر يحصل في الغالب إما من محتال ذكي مع مغفل فنتيجة تصديقه يحصل الشعور النفسي بتأثيره . وأما من صاحب علاقة بالشياطين ، وإنما يستعمل هذا الطلسم لإخفاء ضلاله وكفره وكلاهما محرم . فالأول كذب وغش ، والثاني شرك ظاهر من فاعله[2] . وعليه فليس للكواكب فيه أي اثر .

٣- ومنه : النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترابها وافتراقها معتقدين أن لكل نجم منها تأثير حال انفراده كما أن له تأثير حال اجتماعه بغيره ، على الحوادث الأرضية من غلاء الأسعار ورخصها ووقوع الحوادث وهبوب الرياح ونحو ذلك وقد ينسبون إليه ذلك مطلقاً[3] .

٤- ومنه النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين معتقدين التأثير ، في اقتران القمر بكل منها ومفارقته وأن في تلك المقارنة أو المفارقة سعوداً أو نحساً أو تأليفا أو تفريقاً وغير ذلك[4] .

---

(١) أضواء البيان ج٤ ص٤٥٣ ، والفصل ج٥ ص٤.

(٢) انظر السحر بين الحقيقة والخيال ص ٢٧.

(٣) انظر معارج القبول ج٢ ص٥٦٠، والفتاوى ج٣٥ص١٩٢ .

(٤) معارج القبول ج٢ص٥٦٠.

٥- ومنه ما يفعله من يستخدم الأرقام لحروف أبجد هوز .... المسمى بعلم الحرف . وهو أن يكتب حروف أبجد هوز ... إلخ . ويجعل لكل حرف منها قدراً من العدد معلوماً ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها ويجمع جمعاً معروفاً عنده ويطرح طرحاً خاصاً ويثبت اثباتاً خاصاً ، وينسبه إلى الأبراج الإثني عشر المعروفة عند أهل الحساب ، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان وكثير منهم يفرق بين المرء وزوجته بذلك بدعوى أنهم إن جمعهم بيت لا يعيش أحدهم ، وقد يتحكم بذلك في الغيب فيدعي أن هذا يولد له وهذا لا . وهذا يكون غنياً وهذا يكون فقيراً ونحو ذلك . كأنه هو الكاتب ذلك للجنين في بطن أمه لا والله لا يدريه الملك الذي يكتب حتى يسأل ربه فكيف بهذا الكاذب المفترى ولا شك في تحريم هذا العمل وكذب مدعيه وان أحكامه رجم بالغيب(١).

النوع الثالث: الاستعانة بالأرواح الأرضية ، وهم الجن . وهم على قسمين : مؤمنين - وكفار ، وهم الشياطين . أما المؤمنون فمن المعلوم أنهم لا يعملون فعل محرم أو يعينون عليه . إذاً فالاستعانة إنما هي بالشياطين .

واتصال النفوس الناطقة بها سهل ، لما بينهما من المشابهة والقرب .

---

(١) معارج القبول ج٢ ص٥٥٩ - ٥٦٠، ٥٦٢ وتيسير العزيز الحميد ص ٣٦٣-٣٦٤.

وهذا الاتصال يحصل بشي من الرقى والدخن والتجريد[1].

قال الرازي : (إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد ، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل تسخير الجن)[2] .

وعندما يتحقق الاتصال تحصل الاستعانة ثم الإعانة لكن ذلك لا يكون دون الشرك بالله تعالى .

وأصحاب هذا النوع قد يخفون استعانتهم بالشياطين بما يزعمونه من أن لكل نوع من الملائكة أسماء أمروا بتعظيمها ومتى أقسم عليهم بها أطاعوا وفعلوا ما طلب منهم ولا يخفى بطلان هذا الزعم ، وأن ما يحصل من تعظيم وقسم إنما هو متوجه إلى الشياطين[3].

النوع الرابع : العقد والنفث فيه قال تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾[4] .

والنفاثات في العقد : هن السواحر اللاتي يعقدن الخيوط وينفثن[5] في

---

(١) انظر تفسير الرازي ج٣ ص٢١٠ ، وتفسير ابن كثير ج١ ص١٤٥ .

(٢) تفسير الرازي ج٣ ص٢١١.

(٣) أضواء البيان ج٤ ص٤٥٣.

(٤) آية ٤ سورة الفلق.

(٥) النفث : هو النفخ مع الريق وهو دون التفل .

كل عقدة حتى ينعقد ما يردن من السحر وذلك إذا كان المسحور غير مباشر، أما إذا كان مباشر فينفثن عليه مباشرة . وذلك كله بعد أن تتكيف نفس الساحر بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري . ويطلق البعض على هذا النوع الرقى لشبهها بها في الصورة ومن هذا النوع سحر لبيد بن الأعصم اليهودي للرسول ﷺ ، والشرك في هذا النوع ظاهر ذلك أنه استعانة بالأرواح الخبيثة وهم الشياطين(١) .

النوع الخامس : الهيمياء : بكسر الهاء على وزن كبرياء ، وهو ما تركب من خواص سماوية تضاف لأحوال الأفلاك يحصل لمن عمل له شي من ذلك أمور معلومة عند السحرة ، وقد يبقى له إدراك وقد يسلبه بالكلية فتصير أحواله كحالات النائم من غير فرق حتى يتخيل مرور السنين الكثيرة في الزمن اليسير وحدوث الأولاد وإنقضاء الأعمار وغير ذلك في ساعة ونحوها من الزمن اليسير ، ومن لم يعمل له ذلك لا يجد شيئاً مما ذكر وكل ما يتصوره المسحور في هذه الحالة من الأوهام التي لا حقيقة لها(٢) .

النوع السادس : السيمياء : بكسر السين وهو عبارة عما تركب من

---

(١) انظر بدائع الفوائد ج٢ ص٢٢١ ومعارج القبول ج٢ ص٥٦٣ ، وأضواء البيان ج٤ ص٤٥٢.

(٢) أضواء البيان ج٤ ص٤٥٢، وحاشية ابن عابدين ج١ ص٤٥.

خواص أرضية كدهن خاص أو كلمات خاصة توجب إدراك الحواس الخمسة أو بعضها بما له وجود حقيقي ، أو بما هو تخييل صرف "[1].

وهذا النوع تخييلي . يأتي بأحد أمرين :

إما بتأثير عقاقير بخواصها . وهذا ليس سحراً في الشرع .

وإما بكلمات خاصة ، وهذا لا يحصل بمجرد الكلام وإنما هو بمعين من الشياطين يكون منه التخييل على الحواس بعد ذلك الكلام الذي يستدعي به الساحر ذلك المعين وهذا الكلام تذلل للشياطين يعاوضون عنه الساحر بما يريد من الخداع . ولا شك في حرمته لكونه شركاً[2] .

القسم الثاني : ما هو سحر في اللغة : وهو (السحر المجازي) ومداره على قوة البيان وخفة اليد ، والحيل والاكتشافات التي سبق بها الساحر عصره وإنما ادخل هذا القسم في فن السحر للطافة مأخذه ، ذلك أن السحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه[3] . وهو أنواع منها:

الأول : الأخذ بالأبصار والشعبذة ، وهذا النوع مبني على مقدمات :

أحدها : أن أغلاط البصر كثيرة ومن أمثلة ذلك أن راكب السفينة إذا نظر

---

(١) أضواء البيان ج٤ ص٤٥٢ ، وحاشية ابن عابدين ج١ ص٤٥ .

(٢) انظر السحر بين الحقيقة والخيال ص٣٣.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج١ ص١٤٧ .

إلى الشط رأي السفينة واقفة والشط متحرك ومثلها السيارة ونحوها . وذلك دليل على أن الساكن يرى متحركاً والمتحرك يرى ساكناً .

ثانيها : أن القوة الباصرة إنما تقف على المحسوسات وقوفاً تاماً إذا أدركت المحسوسات في زمان له مقدار ما ،أما إذا أدركت المحسوس في زمان قصير جداً ثم أدركت بعده محسوس آخر وهكذا فانه يختلط البعض بالبعض .

وثالثها :أن النفس إذا كانت مشغولة بشي فربما حضر عند الحس شي آخر ولا يشعر الحس به ألبته .

مثاله: أن الإنسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه إنسان آخر ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه ، إذ أن قلبه مشغول بشي آخر . ثم بعد أن فصّل الرازي في تلك المقدمات قال :إذا عرفت هذه المقدمات سهل عند ذلك تصور كيفية هذا النوع من السحر ، وذلك أن المشعبذ الحاذق يظهر عمل شي يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئا آخر بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفياً لتفاوت الشيئين :

أحدهما : اشتغالهم بالأمر الأول .

والثاني : سرعة الإتيان بهذا العمل الثاني وحينئذ يظهر لهم شي آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جداً ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر

إلى ضد ما يريد أن يعمله ، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه لفطن الناظرون لكل ما يفعله[١] .

وهذا النوع - كما نرى - تخييل لا حقيقة له وهو محرم ، لما يتضمنه من الكذب والخداع وقد قال البعض[٢] بأن سحر سحرة فرعون من هذا النوع والأظهر - والله أعلم - أنه ليس من هذا النوع ذلك أن سحرة فرعون لم يكن منهم حركات سوى إلقاء الحبال والعصي ثم تراءى للناس أنها متحركة فكان سحرهم بفعل آخر أثر على الأعين ، وهو من نوع الاستخدامات[٣].

الثاني : الاستعانة بخواص الأدوية والأطعمة والملابس ونحوها . وهو ضرب من الاحتيال يقوم به بعض من يدعي السحر .

فمن ذلك أن يدعي القدرة على فعل أمور خارقة ، فيستخدم خواص بعض المواد التي خلقها الله مما عرف خاصيته ولم يعلمه بقية الناس .

ومن أمثلة ذلك دخول بعض هؤلاء النار بعد أن يدهنوا جلودهم بمواد لها خاصية مقاومة النار ،أو يلبس ثياب لا تحرقها النار ، فيظن الرائي الجاهل أنه فعل أمراً خارقاً ، ولو علم بما فعل لزال العجب ، كذلك من هذا النوع أن يجعل في طعام من يريد إيذاءه بعض الأدوية أو الأطعمة المبلدة

---

(١) تفسير الرازي ج٣ ص٢١١.

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص١٤٦.

(٣) انظر : السحر بين الحقيقة والخيال ص ٣٥.

المزيلة للعقل أو الدخن المسكرة ، فإذا تناولها الضحية تبلد عقله وقلت فطنته فيتصرف تصرفاً غير سليم فيقول الناس أنه مسحور ، وقد يستعين بهذه الأدوية ونحوها في مسك الحيات ، ثم يزعم أمام جهلة الناس أنها أحوال له[1] .

الثالث : السعي بالنميمة وإغراء بعض الناس ببعض من وجوه لطيفة خفية وهذا شائع بين الناس[2] وخصوصاً ضعاف الإيمان منهم .

قال أبو الخطاب في عيون المسائل : (ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس)[3] .

وإنما أطلق على النميمة للإفساد سحراً ،لأنها تحول ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة بوسيلة خفية كاذبة .

وقال ابن كثير : (النميمة على قسمين تارة تكون على وجه التحريش بين الناس وتفريق قلوب المؤمنين فهذا حرام متفق عليه ، فأما إذا كانت على وجه الإصلاح بين الناس ،أو على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة فهذا أمر مطلوب كما فعل نعيم بن مسعود)[4].

---

(١) انظر تفسير الرازي ج٣ ص ٢١٢ وتفسير ابن كثير ج١ ص١٤٦ وعالم السحر والشعوذة ص ١٤٤.

(٢) انظر تفسير الرازي ج ٣ ص ٢١٣ .

(٣) فتح المجيد ص ٢٣٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ج١ ص١٤٧ .

الرابع : تعليق القلب: وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف اسم الله الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك ، وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة ، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل ما يشاء[1] .

قال الرازي : وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم علم أن لتعلق القلب أثراً عظيماً في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار [2] .

* * *

(١) تفسير الرازي ج٣ ص٢١٣.

(٢) تفسير الرازي ج٣ص٢١٣.

المبحث الثاني : السحر له حقيقة أم لا ؟

أختُلف في السحر هل له حقيقة أم لا حقيقة له بل مجرد تخييل ؟ على قولين وإليك رأي كل من الفريقين مع بيان الرأي الصائب إن شاء الله .

القول الأول : قول أهل السنة والجماعة :

وهو أن للسحر حقيقة وأثر ثابت بالكتاب والسنة .

قال النووي: (والصحيح أن السحر له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء...)[١] .

وقال القرطبي رحمه الله : (ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة ...)[٢] .

وقال أيضاً : (وعندنا أنه حق وله حقيقة يخلق الله عندها ما يشاء)[٣] .

وقال الإمام المازري : (مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ....)[٤] .

---

(١) فتح الباري ج١٠ ص٢٢٢.

(٢) تفسير القرطبي ج٢ ص٤٤.

(٣) تفسير القرطبي ج٢ ص٤٦.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٤ ص١٧٤.

وقال الإمام ابن القيم : (وقد دل قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾[١] ، وحديث عائشة رضي الله عنها على تأثير السحر وأن له حقيقة)[٢].

* **أدلة أهل السنة :**

لقد استدل أهل السنة على أن للسحر حقيقة وأثر بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة ، ومن الواقع واليك شيئا منها :

أولا : الأدلة من الكتاب. منها ما يلي :

١- قوله تعالى : ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

---

(١) آية ٤ سورة الفلق .

(٢) التفسير القيم ص ٥٧١.

(٣) آية ١٠٢ سورة البقرة .

وجه الاستدلال : الآية تدل على أن للسحر حقيقة من وجوه :

الأول: أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر فيها عن السحر وأنه مما يعلم ويتعلم وأن متعلمه يكفر بذلك وهذه الصفات لا تكون إلا لما له حقيقة ، مما يدل على أن له حقيقة[1] .

الثاني : أن الله تعالى قد أخبر في هذه الآية بان للسحر آثار محسوسة كالتفريق بين المرء وزوجه والأثر دليل على وجود المؤثر وأن له حقيقة[2] .

الثالث: كما أخبر الله تعالى في هذه الآية بان للسحر ضرر لا يتحقق إلا بإذنه ، والاستثناء دليل على حصول الآثار بسببه والضرر أو الأثر لا يكون إلا مما له حقيقة[3] .

٢- قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾[4] .

وجه الاستدلال : أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ في هذه السورة بالاستعاذة من

---

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج١٤ ص ١٧٤ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ج٢ص٤٦ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ج١٤ ص ١٧٤ وأضواء البيان ج٤ ص٤٣٧ .

(٣) تفسير الرازي ج٣ ص٢١٣.

(٤) سورة الفلق .

شر النفاثات في العقد وهن السواحر كما فسرها جمهور المفسرين[1] ، مما يدل على أن للسحر حقيقة وأثر[2] ، إضافة إلى ذلك أن هذه السورة وسورة الناس باتفاق جمهور المفسرين سبب نزولهما[3] سحر لبيد بن الأعصم اليهودي لرسول الله ﷺ ولو لم يكن له حقيقة وأثر لما أنزلت هاتان السورتان لإبطال أثره .

ثانياً: الأدلة من السنة : وهي كثيرة منها ما يلي :

١ - أخرج البخاري بسنده إلى عيسى بن يونس عن هشام عن أبيه عن

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٧٣ ومختصر تفسير الطبري ص٧٠٧ والتفسير القيم ص٥٦٣ .

(٢) انظر أضواء البيان ج٤ ص٤٣٧ ، ونيل الأوطار ص ٣٦٣ والمغني ج٨ص١٥١ وشرح المهذب ج١٩ ص٢٤٠ وفتح المجيد ص٢٢٢

(٣) أسباب النزل للنيسابوري ص٣٤٧ وأسباب النزول للسيوطي ص٥٥٠ والتفسير القيم ص٥٦٧ وتفسير القرطبي ج٢ص٥٤٦ وقد يقول قائل كيف أن سورة الفلق مكية ويكون سبب نزولها ماوقع من سحر للنبي ﷺ في المدينة ؟ ويجاب على ذلك بأن سورة الفلق ليست مكية وإنما هي من السور المختلف فيها والأرجح انها مدنية كما في الصحاح ، قال الألوسي بعد أن حكى الخلاف ورجح أنها مدنية قال : فلا يلتفت لمن قال بمكيتها وحتى لو سلمنا بأنها مكية فإنه لا يلزم منه أنها لا تكون علاجاً للسحر. انظر الناسخ والمنسوخ ص ١٤٤ ، وروح المعاني ج٣٠ص ٢٧٨، والسحر بين الحقيقة والوهم ص٦٩

عائشة رضي الله عنها قالت : سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - وهو عندي لكنه دعا ودعا، ثم قال : يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب[1] .

قال : ومن طبه ؟ قال لبيد بن الأعصم .قال في أي شي ؟ قال في مشط ومشاطة[2] وجف طلع[3] نخلة ذكر . قال : وأين هو ؟ قال في بئر ذروان[4] . فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه ، فجاء فقال: يا عائشة كأن مائها نقاعة الحنا[5] وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين[6] . قلت : يا رسول الله

---

(١) المطبوب : المسحور .

(٢) المشط : ما يسرح به الشعر ، المشاطة هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند تسريحه .

(٣) وعاء طلع النخل : هو الغشاء الذي يكون عليه ويطلق على الذكر والأنثى ، ولذا قيده في الحديث بالذكر .

(٤) وهي بئر في المدينة في بستان بني رزيق.

(٥) الماء الذي ينقع فيه الحنا أي أحمر .

(٦) أي كأن نخلها الذي يشرب من مائها - وقد التوى سعفه -.
رؤوس الشياطين : أي في قبحه .

أفلا استخرجته ؟ قال : قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً . فأمر بها فدفنت[١] .

وفي رواية لمسلم : (فقلت : يا رسول الله أفلا أحرقته)[٢] .

ويقول الإمام النووي عن الروايتين : كلاهما صحيح : فطلبت أن يخرجه ثم يحرقه والمراد إخراج السحر[٣] .

وفي رواية عمرة عن عائشة : (فنزل رجل فاستخرجه) وفيه من الزيادة أنه (وجد في الطلعة تمثالاً من شمع تمثال رسول الله ﷺ وإذا فيه إبر مغروزة ، وإذا به وتر فيه إحدى عشر عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع إبرة وجد لها ألماً ثم يجد بعدها راحة)[٤] .

وجه الاستدلال : الحديث كما نرى يروي واقعة سحره عليه الصلاة والسلام ابتداءً من تغير عادته ﷺ حتى أنه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله وانتهاءً بقراءة المعوذتين وحل العقد ونزع الإبر وما بين ذلك من دعائه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الطب باب السحر ٥٧٦٣ ومسلم في كتاب السلام باب السحر . انظر مسلم المطبوع مع شرح النووي ج١٤ ص ١٧٤ – ١٧٨ .

(٢) رواه مسلم في كتاب السلام باب السحر . صحيح مسلم بشرح النووي ج١٤ ص١٧٧ (المتن) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٤ ص١٧٧ (الشرح) .

(٤) فتح الباري ج١٠ ص ٢٣٠ .

ﷺ ثم نزول الملكين ونقاشهما فيما حصل له ﷺ ثم ذهابه إلى البئر في جماعة من أصحابه وإخبار عائشة فيما حصل . وطلبها رضي الله عنها استخراجه ، وقوله ﷺ : (إن الله شفاني) كل هذا لا يكون إلا فيما له حقيقة وأثر بيّن[1].

٢- ما رواه البخاري بسنده إلى أبي الغيث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال: (الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)[2] .

وجه الاستدلال : أن الرسول ﷺ أمرنا باجتناب السبع الموبقات وعد منها السحر بل جعله في المرتبة الثانية بعد الشرك بالله . مما يدل على أن له حقيقة .

---

(١) انظر : التفسير القيم ص ٥٧١ والتفسير الكبير للرازي ج٣ص٢١٣ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ج١٤ ص١٧٤ وتفسير القرطبي ج٢ص٢١٣ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الوصايا . باب قوله تعالى : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) برقم ٢٦١٥ ورواه مختصرا بلفظ (اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر) في كتاب الطب باب الشرك والسحر من الموبقات برقم ٥٤٣١.

٣- قول الرسول ﷺ : (من تصّبح بسبع تمرات عجوة [١] لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر)[٢] .

وجه الاستدلال: أن الرسول ﷺ أرشدنا إلى ما فيه وقاية من السحر ولا يتوقى إلا شيء له حقيقة وأثر بين ، كما أنه قارنه بالسم والسم متفق بأن له حقيقة وأثر فكذلك إذاً السحر[٣].

ثالثاً: الدليل من الواقع :

كذلك من أدلة أهل السنة على أن للسحر حقيقة : الواقع المشاهد وما اشتهر بين الناس من عقد الرجل عن امرأته حين يتزوجها فلا يقدر على إتيانها . وحل عقده فيقدر عليها بعد عجز عنها حتى صار متواتراً لا يمكن جحده .

وروي من أخبار السحرة ما لا يكاد يمكن التواطؤ على الكذب فيه[٤] .

كل هذا دليل ظاهر على أن للسحر حقيقة ، والله اعلم .

---

(١) ضرب من أجود تمر المدينة وألينه . انظر فتح الباري ج١٠ ص ٢٣٨.

(٢) رواه البخاري في كتب الطب باب الدواء بالعجوة للسحر برقم ٥٧٦٩، ومسلم في كتب الأشربة باب فضل تمر المدينة . انظر : صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ج١٤ص٢.

(٣) انظر : السحر بين الحقيقة والخيال ص٦٦.

(٤) انظر: المغني لابن قدامة ج٨ ص١٥١ .

القول الثاني : وهو قول عامة المعتزلة ، وجماعة من العلماء كأبي منصور الماتريدي وابن حزم وأبو جعفر الأستراباذي من الشافعية وأبو بكر الجصاص، وغيرهم .

ويتلخص رأيهم في أن السحر لا حقيقة له وإنما هو تمويه وتخييل فلا تأثير له لا في مرض ولا حل ولا عقد ولا غير ذلك ، وعلى ذلك فهم ينكرون من أنواع السحر ما كان له حقيقة ويجعلونه ضرباً واحداً وهو سحر التخييل .

يقول القاضي عبد الجبار : (إن السحر في الحقيقة لا يوجب المضرة لأنه ضرب من التمويه والحيلة ...)[1] .

ويقول أبو منصور الماتريدي : (والأصل أن الكهانة محمول أكثرها على الكذب والمخادعة والسحر على التشبيه والتخييل)[2] .

ويقول ابن حزم : (... وقد نص الله عز وجل على ما قلنا فقال تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[3] فأخبر الله تعالى أن عمل أولئك السحرة إنما كان تخيلاً لا حقيقة...)[4] .

---

(١) انظر : متشابه القرآن ج١ص١٠١.

(٢) التوحيد له ، ٢٠٩.

(٣) آية ٦٦ سورة طه .

(٤) الفصل له ج٥ ص٥٠٦ وانظر المحلى له ج١ص٣٦.

وقال ابن حجر : (واختلف في السحر : فقيل هو تخييل فقط ولا حقيقة له وهذا اختيار أبي جعفر الاستراباذي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية وابن حزم الظاهري وطائفة)[١] .

وقد أيدوا قولهم هذا بشبهات نقلية وعقلية.

وإليك شيئاً منها مع المناقشة :

أولاً: الشبهات النقلية ، منها ما يلي :

الشبهة الأولى : قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[٢] .

وجه الاستدلال : قالوا الآية تدل على أن السحرة حاولوا إرهاب الناس وتخويفهم بأن خيلوا لأعين الناظرين أمراً لا حقيقة له مما يدل على أن السحر لا حقيقة له[٣].

الشبهة الثانية : قوله تعالى : ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾[٤] .

---

(١) فتح الباري ج١٠ ص٢٢٢ ، وانظر أحكام القرآن للجصاص ج١ ص٥٢، ٥٩ .

(٢) آية ١١٦ سورة الأعراف .

(٣) انظر : أضواء البيان ج٤ ص٤٣٧ والفصل ج٥ص٦ .

(٤) آية ٦٦ سورة طه

الشبهة الثالثة : قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[1].

وجه الاستدلال : يقول ابن حزم: (وقد نص الله عز وجل على ما قلنا فقال تعالى : ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[2] فأخبر تعالى أن عمل أولئك السحرة إنما كان تخييلاً لا حقيقة له .

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[3] فأخبر تعالى أنه كيد لا حقيقة له)[4].

الجواب يقال لهم :

أولاً : الآيات دليل على أن للسحر حقيقة إذ أنها دلت على أن للسحر أثر في نظر المسحور حتى تخيل الشيء على خلاف ما هو عليه وهو تأثير في إحساسهم ، وإذا جاز ، فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم ؟ وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير الواقع في صفة أخرى من صفات النفس والبدن ؟ وعليه فالآيات حجة عليكم لا لكم .

---

(١) آية ٦٩ سورة طه.

(٢) آية ٦٦ سورة طه.

(٣) آية ٦٩ سورة طه.

(٤) الفصل ج٥ ص٥ – ٦ .

ثانياً: على التسليم بدلالة الآيات على التخييل فقط فإن هذا لا يمنع أن يكون غير التخييل من جملة السحر ؛ لأنها لم تحصر السحر في التخييل ، وإنما دلت على أن سحر سحرة فرعون ونحوهم كان من هذا النوع ونحن لا ننكر أن يكون التخييل من أنواع السحر وعلى ذلك فلا حجة في الآيات على نفي حقيقة السحر وتأثيره[1]، والله أعلم .

ثانياً : الشبهات العقلية : منها ما يلي :

الشبهة الأولى : قالوا إن في القول بأن للسحر أثراً خارقاً للعادة يلزم منه أن يكون هناك موجوداً مثلاً لله تعالى . كما أنه لا يمكن العلم معه بالفرق بين ما يختص الله بالقدرة عليه وبين مقدور العباد[2] .

الجواب : يقال لهم هذه الشبهة باطلة ولا يلزم من القول بأن للسحر أثراً ما زعمتم ، ذلك أن أهل السنة لما قالوا بأن للسحر أثراً لم يطلقوا القول بحصول كل اثر أو بحصول اثر يصل إلى مرتبة الخلق والإيجاد ، ذلك أن الموجد الحق هو الله وحده لا شريك له .

قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ...الآية ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿وَخَلَقَ

---

(١) انظر التفسير القيم ص ٥٧١-٥٧٢ ، وتفسير القرطبي ج٢ ص ٤٦ .

(٢) انظر تفسير الرازي ج٣ ص٢٠٦-٢٠٧ ومتشابه القرآن ج١ ص١٠٢ .

(٣) آية ٦٢ سورة الزمر

كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ... الآية﴾[2]، والقول بأن أثر السحر يصل إلى درجة الخلق شرك في الربوبية ، أعاذنا الله منه .

وإنما قالوا له أثر على النفس والبدن يؤدي إلى المرض .

فهو سبب قد ربط الله به بعض المسببات في حدود قدرة الخلق من الجن والإنس وبما أن قدرة الشياطين تختلف عن قدرة الإنس لذا قد يظن الجاهل أن حصول الأثر المناقض للعادة فوق قدرة الخلق والواقع أنه في حدود قدرة الخلق من الجن والإنس ، ولذا يمكن معارضته بمثله وأقوى منه[3].

وإذا كان كذلك فلن يلزم من القول بان للسحر أثراً ما زعمتم، والله أعلم .

الشبهة الثانية : يروي الرازي عن القاضي أنه قال (أنا لو جوزنا ذلك[4] لتعذر الاستدلال بالمعجزات على النبوات ، لأنا لو جوزنا استحداث الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية لم يمكنا القطع بأن هذه الخوارق التي ظهرت على أيدي الأنبياء عليهم السلام صدرت عن

---

(١) آية ٢ سورة الفرقان .

(٢) آية ١٧ سورة النحل .

(٣) النبوات ص ٢٥٨، ٢٧٧- ٢٧٨، ٢٨١.

(٤) أن يكون للسحر أثر خارق للعادة.

الله تعالى بل يجوز فيها أنهم أتوا بها من طريق السحر وحينئذ يبطل القول بالنبوات من كل الوجوه)[1].

الجواب : يقال لهم العادة تنخرق على يد النبي والولي والساحر .

ولكن النبي يتحدى بها الخلق ويستعجزهم عن مثلها ويخبر عن الله تعالى بخرق العادة بها لتصديقه فلو كان كاذباً لم تنخرق العادة على يديه . ولذا لا يمكن معارضته بمثله أو أقوى منه ؛ إذ أنه ليس في مقدور الجن والإنس .

قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2] .

أما الولي والساحر : فلا يتحديان الخلق ولا يستدلان على نبوة ولو ادعيا شيئاً من ذلك لم تنخرق العادة لهما .

وأما الفرق بين الولي والساحر فمن وجوه منها :

الأول : وهو المشهور ، إجماع المسلمين على أن السحر لا يظهر إلا على فاسق أو كافر ، والكرامة لا تظهر إلا على ولي .

الثاني : أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد .

---

(١) تفسير الرازي ج٣ ص٢٠٦ ، وانظر: ص ٢١٤ من نفس الجزء، والفصل ج٥ ص٧ ومتشابه القرآن ج١ ص١٠٢

(٢) آية ٨٨ سورة الإسراء .

والكرامة لا تفتقر إلى شي من ذلك . وفي كثير من الأوقات تقع الكرامة اتفاقا من غير أن يستدعيها أو يشعر بها .

الثالث: أن ما يأتي به السحرة ، يمكن معارضته بمثله وأقوى منه كما هو الواقع بخلاف الكرامات فهي كالمعجزات لا يمكن لأحد أن يعارضها بمثلها أو أقوى منها .

الرابع : إن ما يأتي به السحرة لا يخرج عن كونه مقدوراً للإنس والجن بخلاف الكرامات فهي كالمعجزات لا يقدر عليها إلا الله[1].

الشبهة الثالثة : يروي الرازي عن القاضي أنه قال: «... لو جوزنا أن يكون في الناس من يقدر على خلق الجسم والحياة والألوان لقدر ذلك الإنسان على تحصيل الأموال العظيمة من غير تعب . لكنا نرى من يدعي السحر متوصلاً إلى اكتساب الحقير من المال بجهد جهيد فعلمنا كذبه »[2] .

الجواب :يقال لهم هذه الشبهة باطلة ولا تلزمنا لأنا لم نطلق الحكم بحصول كل تأثير مهما كان بل قلنا في نطاق معين لا يتجاوز التصرف في الأعراض من باب التأثير على القلوب بالحب والبغض وعلى الأبدان بالألم والسقم . أما أن يقلب الجماد حيواناً أو عكسه أو الحديد ذهباً أو نحوه

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج١٤ ص١٧٥-١٧٦ ، والنبوات لابن تيمية ص ٢٨١-٢٨٢ ، وفتح الباري ج١٠ ص ٢٢٣ .

(٢) تفسير الرازي ج٣ ص٢٠٦.

فليس في مقدور الساحر[1] .

وبذلك يزول اللبس وتبطل هذه الشبهة . والله أعلم .

والأظهر في هذه المسألة – والله أعلم – أن السحر المذموم صاحبه ليس كله حقيقة وليس كله تخييلاً . بل منه ما هو حقيقة كما دلت عليه أدلة أهل السنة ، ومنه ما هو تخييل كما دلت عليه الآيات التي استدل بها المخالفون . وبذلك يتضح عدم التعارض بين الأدلة النقلية . وعلى هذا جماهير العلماء من المسلمين[2] .

* * *

(١) انظر فتح الباري ج١٠ ص٢٢٣ .

(٢) أضواء البيان ج٤ ص٤٣٧-٤٣٨ ، ص٤٥٥، وتيسير العزيز الحميد ص٣٣٤.

المبحث الثالث : حكم السحر والسحرة

سنتناول في هذا المبحث إن شاء الله ما يلي :

أولاً: حكم تعلم السحر وتعليمه .

ثانياً : حكم العمل به .

ثالثاً : عقوبة الساحر .

رابعاً : توبة الساحر .

أولاً : حكم تعلم السحر وتعليمه :

اختلف العلماء في حكم تعلم السحر وتعليمه على أقوال .

الأول : قول الجمهور من علماء أهل السنة ، قالوا إن تعلم السحر وتعليمه حرام . قال ابن قدامه رحمه الله : « ... فإن تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم »[1] .

لكن ما هي درجة هذا التحريم ؟

إن قصد من تعلمه العمل به وكان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر ، أو تعلمه معتقداً إباحته فهو كفر ، وإلا فهو فسق .

قال الإمام الشافعي : « إذا تعلم السحر قيل له صف لنا سحرك ؟ فإن

(١) المغني لابن قدامة ج٨ ص١٥١.

وصف ما يستوجب الكفر مثل سحر أهل بابل من التقرب للكواكب وأنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر وإلا فلا »[1].

وقال النووي رحمه الله وهو يتكلم عن السحر : «... وأما تعلمه وتعليمه فحرام فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر وإلا فلا »[2] .

وقال أبو حيان : « وأما حكم السحر فما كان منه يعظّم به غير الله من الكواكب والشياطين وإضافة ما يحدثه الله إليها فهو كفر إجماعاً لا يحل تعليمه ولا العمل به وكذا ما قصد بتعلمه سفك الدماء والتفريق بين الزوجين والأصدقاء ، وأما إذا كان لا يعلم منه شيئا من ذلك بل يحتمل فالظاهر أنه لا يحل تعلمه والعمل به»[3] .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب : (وقد نص أحمد على أنه يكفر بتعلمه وتعليمه)[4] .

الأدلة : وقد أيدوا قولهم بأدلة كثيرة منها ما يلي :

---

(١) أضواء البيان ج٤ ص٤٥٥.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٤ ص١٧٦.

(٣) روائع البيان ج١ ص٨٤.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٣٣٥.

الأول: قوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ...الآية﴾[1] .

قال ابن حجر : (فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك ، ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر)[2] .

الثاني : قوله تعالى : ﴿... وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ... الآية﴾[3] .

قال بن حجر : (الآية فيها إشارة إلى أن تعلم السحر كفر)[4] .

الثالث: قوله تعالى : ﴿...وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ...الآية﴾[5] .

قال الشوكاني : (الآية فيها تصريح بأن السحر لا يعود على صاحبه بفائدة ولا يجلب إليه منفعة بل هو ضرر محض وخسران بحت)[6] .

---

(١) آية ١٠٢ سورة البقرة.

(٢) فتح الباري ج١٠ص٢٢٥.

(٣) آية ١٠٢ سورة البقرة.

(٤) فتح الباري ج١٠ص٢٢٥.

(٥) آية ١٠٢ سورة البقرة.

(٦) تفسير الشوكاني ج١ص١٢١ .

وإذا كان كذلك فتعلمه لا يجوز؛ لأنه وسيلة إلى هذا الضرر والخسران .

الرابع : قوله تعالى : ﴿... وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : (... قد دللنا فيما مضى على أن معنى (شروا) باعوا فمعنى الكلام إذاً ولبئس ما باع به نفسه من تعلّم السحر لو كان يعلم سوء عاقبته)[2] .

الخامس : ما روى عبد الرازق عن صفوان بن سليم قال : قال رسول الله ﷺ: (من تعلم شيئاً من السحر قليلاً كان أو كثيراً كان آخر عهده من الله)[3] .

القول الثاني : جواز تعلم السحر عند الضرورة :

قال ابن حجر : (وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأمرين ، إما لتمييز ما فيه كفر من غيره ، وإما لإزالته عمن وقع فيه)[4] .

ثم قال ابن حجر : (فأما الأول : فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا يستلزم منعاً كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان ، لأن كيفية ما يعمله الساحر إنما هي حكاية قول أو

---

(١) آية ١٠٢ سورة البقرة.

(٢) تفسير الطبري ج ١ص ٣٧١.

(٣) مصنف عبد الرازق ج ١٠ ص ١٨٤ حديث ١٨٧٥٣ وانظر كنز العمال ج٦ح١٧٦٥٣.

(٤) فتح الباري ج ١٠ص ٢٢٤

فعل بخلاف تعاطيه والعمل به .

وأما الثاني : فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلاً وإلا جاز للمعنى المذكور)[١] .

القول الثالث : جواز تعلم السحر مطلقاً:

وإلى هذا ذهب الرازي في تفسيره حيث قال : (العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور اتفق المحققون على ذلك؛ لأن العلم لذاته شريف وأيضاً لعموم قوله تعالى : ﴿...هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...الآية﴾[٢] .

ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة ، والعلم بكون المعجز معجزاً واجب وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب ، فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً وما يكون واجباً كيف يكون حراماً وقبيحاً)[٣] .

وهذا قول باطل ولذا رد عليه بعض الأئمة كابن كثير في تفسيره حيث قال - بعد أن عرض رأيه - : (وفي كلام الرازي نظر من وجوه :

أحدها : قوله : العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور اتفق المحققون

---

(١) فتح الباري ج١٠ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢) آية ٩ سورة الزمر.

(٣) تفسير الرازي ج٣ ص٢١٤.

على ذلك .

أ- أما قوله (ليس بقبيح : إن عنى به ليس بقبيح عقلاً فمخالفوه من المعتزلة يمنعون هذا وإن عني أنه ليس بقبيح شرعاً ففي الكتاب والسنة ما يبطل زعمه ، فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ...الآية﴾ [1] .

ففي هذه الآية تبشيع لتعلم السحر.

ومن السنة ما جاء في الصحيح [2] : (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) [3].

وفي السنن : (من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر ...الحديث) [4] تبشيع

---

(١) آية ١٠٢ سورة البقرة .

(٢) إن كان يعني أنه صحيح فلا مانع وان كان يعني أنه ورد في الصحيحين أو أحدهما فليس كذلك .

(٣) رواه احمد في المسند ج٢ ص٤٢٩ والحاكم في المستدرك ج١ص٨ عن أبي هريرة انظر: كنز العمال ، حديث ١٧٦٧٨ .

(٤)رواه النسائي في التحريم باب الحكم في السحرة ج٧ص١١٢ وفي سنده عباد بن ميسرة وهو لين الحديث ، انظر جامع الأصول حديث ٣٠٧١ .

لتعلم السحر أيضاً.

ب- وأما قوله (لا محظور) فيقال : كيف لا يكون محظوراً مع ما ذكرناه من الآية والحديث وما ورد فيهما من التبشيع له .

ج- وأما قوله (اتفق المحققون على ذلك) فيقال : اتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسألة أئمة العلماء أو أكثرهم وأين نصوصهم على ذلك ؟

ثانياً : أ- أن إدخال السحر في عموم قوله تعالى : ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... الآية ﴾ (١) فيه نظر، لأن هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين العلم الشرعي والعلم بالسحر ليس من العلم الشرعي فلم قلت أنه منه ؟

ب- ثم ترقيته إلى وجوب تعلمه بأنه لا يحصل العلم بالمعجز إلا به : ضعيف بل فاسد لما يلي :

١- إن أعظم معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، والعلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلاً.

---

(١) آية ٩ سورة الزمر .

٢- أن من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون المعجز ويفرقون بينه وبين غيره ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه[١] ، وبذلك يتبين بطلان قوله . والله اعلم .

كما تعقبه الألوسي في تفسيره[٢] .

وبذلك يتضح أن القول الأول هو الصحيح للأدلة الدالة من الكتاب والسنة .

وأما القول الثاني : فيمكن إرجاعه إلى القول الأول ، كما تعقبه ابن حجر بأنه يشترط سلامة الاعتقاد في الأول وان لا يكون بنوع فيه كفر في الثاني

وأما القول الثالث : فلا صحة له كما رد عليه ابن كثير والألوسي .

ثانياً: حكم العمل بالسحر :

محرم بالكتاب والسنة بلا خلاف بين أهل العلم ولكن ما هي درجة هذا التحريم؟

إن كان فيه اعتقاد أو قول أو فعل يقتضي الكفر مثل : اعتقاد أن الكواكب السبعة أو غيرها مدبرة مع الله .

أو أن الساحر قادر على خلق الأجسام أو اعتقد أن فعله مباحاً أو تضمن

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص١٤٤- ١٤٥ . بتصرف .

(٢) روح المعاني ج١ ص٣٣٩- ٣٤٠ .

تقرباً إلى الشياطين بشي من الأوراد الكفرية ، أو الذبح لها ونحو ذلك فهو كفر

أما إذا لم يكن فيه شيء من ذلك وهو ما يسمى بالسحر المجازي مثل : السحر بالأدوية .والتدخين ، وسقيا شيء يضر ، أو بالحركات الخفية ونحو ذلك فليس بكفر وإنما هو فسق[1] .

يقول النووي : (علم السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع ، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات ، ومنه ما يكون كفراً ومنه ما لا يكون كفراً ، بل معصية كبيرة ، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كافر ، وإلا فلا)[2] .

ويقول ابن قدامة : (والساحر الذي يركب المكنسة وتسير به في الهواء ونحوه يكفر ويقتل ، فأما السحر بالأدوية والتدخين وسقيا شيء يضر فلا يكفر)[3] .

الأدلة : وهي كثيرة منها ما يلي :

١) ما سبق ذكره آنفا في أدلة الجمهور الدالة على تحريم تعلم السحر

---

(١)انظر : تفسير ابن كثير ج١ ص ١٤٧ ، وتفسير الرازي ج٣ص ٢١٤-٢١٥ وشرح النووي على صحيح مسلم ج١٤ص١٧٦ ، والمقنع لابن قدامة ج٣ص ٥٢٣ — ٥٢٤ والتنقيح المشبع ص ٣٨٣ .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم ج١٤ ص١٧٦.

(٣) المقنع ج٣ص٥٢٣-٥٢٤ .

وتعليمه ، ذلك أن كل دليل يدل على تحريم تعلم السحر فدلالته على تحريم العمل به أولى .

٢) ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى : ﴿...وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾(١) .

وجه الدلالة : أن الله سبحانه وتعالى نفى الفلاح عن الساحر نفياً عاماً حيث توجه وسلك وذلك دليل كفره ، لأن الفلاح لا ينفى بالكلية نفياً عاماً إلا عمن لا خير فيه وهو الكافر ، ذلك أنه قد عرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه أن لفظه (لا يفلح) يراد بها الكافر . كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾(٣) إلى غير ذلك من الآيات(٤).

٣- قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ

---

(١) آية ٦٩ طه.

(٢) آية ٦٩- ٧٠ يونس.

(٣) آية ١٧ يونس .

(٤) انظر أضواء البيان ج٤ ص٤٤٢-٤٤٣ .

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(١) .

وجه الدلالة : أن الآية تدل على نفي الإيمان عن السحرة ، إذ أن لو حرف امتناع ، فيثبت نقيضه وهو الكفر(٢) .

قال ابن عباس : (كل شيء في القرآن لو فإنه لا يكون أبداً)(٣) .

وقال الشوكاني : (ولو أنهم آمنوا واتقوا ما وقعوا فيه من السحر والكفر)(٤) .

وقال ابن كثير : (وقد استدل بقوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ من ذهب إلى تكفير الساحر كما هو رواية الإمام أحمد وطائفة من السلف)(٥) .

٤- قوله ﷺ : (من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)(٦) ، في الحديث - كما نرى - تحذير من إتيان العرافين أو السحرة أو الكهنة وتصديقهم - مشيراً إلى أن تصديقهم

---

(١) آية ١٠٣ سورة البقرة.

(٢) انظر تفسير القرطبي ج٢ص٤٧-٤٩ واحكام القرآن ج١ص٦٣-٦٤.

(٣) الدر المنثور ج١ص١٠٣ .

(٤) فتح القدير ج١ص١٢١.

(٥) تفسير ابن كثير ج١ص١٤٤.

(٦) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد . وقال: رواه البزار ورجاله ورجال الصحيح خلا هبيرة بن مريم ، وهو ثقة . انظر : مجمع الزوائد ج٥ ص١٢١

كفر بما أنزل على محمد ﷺ وإذا كان هذا حال الآتي فكيف حال المأتي.

والكفر هنا ظاهره الكفر الحقيقي وهو الكفر الأكبر، وقيل الكفر المجازي وهو الكفر الأصغر، وقيل من اعتقد أن العراف أو الساحر أو الكاهن يعرفان الغيب ويطلعان على الأسرار الإلهية كان كافراً كفراً أكبر كمن اعتقد تأثير الكواكب، وإلا فلا[1].

٥- قوله ﷺ: (ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ... الحديث)[2].

في الحديث إشارة إلى براءة المصطفى ﷺ ممن يفعل شيئا من هذه الأفاعيل التي منها السحر ولا يتبرأ ﷺ من فاعل فعل مباح.

٦- قوله ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله ما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)[3].

---

(١) نيل الوطار ج٧ ص٣٦٨.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد. قال: رواه البزار ورجاله ورجال الصحيح خلا اسحاق بن الربيع. وهو ثقة انظر: مجمع الزوائد ج٥ ص١٢٠ .وكشف الاستار ج٣ ص٤٠٠ (المتن والحاشية)

(٣) رواه البخاري في الوصايا باب قوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً)

في هذا الحديث قد عد المصطفى ﷺ السحر من السبع الموبقات وأمر باجتنابها لما يترتب على فعلها من ضرر في الدنيا وعذاب في الآخرة .

٧- قوله ﷺ : (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق بشيء وكل إليه)[١] .

وجه الدلالة : أن في الحديث تصريح بأن فاعل السحر قد أشرك .

هذا شي من الأدلة من الكتاب والسنة . كلها صريحة بتحريم السحر وعده إما كفراً أو معصية كبيرة - مما يدل على أن السحر قد يكون كفراً ، وذلك إذا كان فيه ما يقتضي الكفر، ويكون فسقاً إذا لم يكن فيه شي من ذلك وهو السحر المجازي ، والله أعلم .

ثالثاً: عقوبة الساحر :

نظراً لتعدد أنواع السحر لذا اختلف العلماء في عقوبة الساحر على قولين:

القول الأول : وهو ما ذهب إليه جمهور أهل السنة من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار ورواية عن الإمام الشافعي أنه متى ما ثبتت جريمة السحر

ومسلم في الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها ، وأبو داؤد ، والنسائي . انظر : جامع الأصول حديث ٨٢٢٩.

(١) أخرجه النسائي في التحريم باب الحكم في السحرة وفي سنده عباد بن ميسرة المنقري وهو لين الحديث ، جامع الأصول حديث ٣٠٧١ .

بحق إنسان بإقرار أو ببينة وجب قتله مطلقاً من غير استتابة إلا أن يأتي تائباً قبل أن يقدر عليه .

يقول الإمام أبو حنيفة : (يقتل الساحر إذا علم أنه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله إني اترك السحر وأتوب منه . فإذا أقر أنه ساحر فقد حل دمه ، وإن شهد عليه شاهدان أنه ساحر فوصفوا ذلك بصفة يعلم أنه ساحر قتل ولا يستتاب ، وإن أقر فقال : كنت أسحر وتركت هذا منذ زمان قبل منه ولم يقتل ، وكذا لو شهد عليه أنه كان مرة ساحر وأنه ترك منذ زمان لم يقتل إلا أن يشهدوا أنه الساعة ساحر وأقرّ بذلك فيقتل)(١) .

وحكى محمد بن شجاع عن علي الرازي قال : سألت أبا يوسف عن قول أبي حنيفة في الساحر : يقتل ولا يستتاب. لِمَ لمْ يكن ذلك بمنزلة المرتد ؟ فقال الساحر جمع مع كفره السعي في الأرض بالفساد والساعي بالفساد إذا قتل قتل(٢) .

وقال الإمام مالك : (الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله كالزنديق)(٣) .

وقال أيضاً : (فإذا جاء الساحر أو الزنديق تائباً قبل أن يشهدوا عليهما

---

(١) أحكام القرآن ج١ ص٦٠ . وانظر : تفسير الرازي ج٣ص٢١٥ .

(٢) أحكام القرآن ج١ص٦١.

(٣) فتح الباري ج١٠ص٢٢٤ ، ونيل الأوطار ج٧ص٣٦٣ .

قبلت توبتهما)[١] .

وقال ابن قدامة : (... وحد الساحر القتل روي ذلك عن عمر وعثمان بن عفان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبد الله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبد العزيز وهو قول أبي حنيفة ومالك ... إلى أن قال : وهل يستتاب الساحر ؟

فيه روايتان : أحدهما : لا يستتاب ، وهو ظاهر ما نقل عن الصحابة فإنه لم ينقل عن أحد منهم أنه استتاب ساحراً)[٢] .

وقال عياض : (وبقول مالك قال أحمد وجماعة من التابعين)[٣] .

وقال القرطبي : (اختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم ... فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته ؛ لأنه أمر يستسر به كالزنديق والزاني ... ، وهو قول أحمد بن حنبل وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة...)[٤] .

وقد أيدوا قولهم بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة وأفعال الصحابة والتابعين منها ما يلي :

---

(١) تفسير القرطبي ج٢ ص٤٩.

(٢) المغني لابن قدامة ج٨ص١٥٣.

(٣) فتح الباري ج١٠ ص٢٢٤.

(٤) تفسير القرطبي ج٢ ص٤٧-٤٨.

الأول : قال تعالى : ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ...الآية﴾[1] .

وجه الدلالة : أن الآية تدل على أن السحر كفر من وجوه - أحدها : نفي الكفر عن سليمان عليه السلام في معرض اتهامه بالسحر وإثباته للشياطين لتعليمهم الناس السحر دليل على أن السحر كفر .

ثانيها : تحذير الملكين من تعلم السحر بأنه كفر[2] . وعليه فإن الساحر يقتل لأنه كافر .

الثاني : قوله ﷺ فيما رواه الترمذي عن الحسن عن جندب أنه ﷺ قال : (حد الساحر ضربة السيف)[3] .

---

(١) آية ١٠٢ سورة البقرة .

(٢) المغني ج٨ص١٥٢ وتفسير القرطبي ج٢ ص ٤٧، ٤٩ وأحكام القرآن للجصاص ج١ص٦٣.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الحدود باب ماجاء في حد الساحر ج٤ ص٦٠ وضعف إسناده حيث قال : (لا نعرفه مرفوعاً : إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم يضّعف في الحديث من قبل حفظه ... والصحيح عن جندب موقوف) انظر نيل الأوطار ج٧ص٣٦٢-٣٦٣ ، وعلى هذا فهو عند الترمذي المرفوع ضعيف والصحيح أنه

ولجندب راوي الحديث قصة توضح معنى الحديث وتؤكده وهي : أن ساحراً كان عند الوليد بن عقبة يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فعجبنا فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله[1] فثبت بهذا أن عقوبة الساحر هي القتل .

الثالث : ما روي عن بجالة بن عبدة قال : كنت كاتباً لجزي بن معاوية عم الأحنف بن قيس فأتى كتاب عمر قبل موته بسنة (أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ...) فقتلنا ثلاث سواحر في يوم [2] .

الرابع : ما روي عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها وكانت قد دبّرتها فأمرت بها فقتلت . رواه مالك في الموطأ[3] .

موقوف . ورواه أيضاً الحاكم في المستدرك في كتاب الحدود باب حد الساحر ضربة بالسيف ج٤ ص٣٦٠ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ويرجح ما قاله الحاكم العمل بمدلوله عند كثير من الصحابة والتابعين - كعمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد وعمر بن عبد العزيز وغيرهم - انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢ ص٤٨ وأحكام القرآن ج١ ص٦٠.

(١) رواه البخاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي ، انظر تيسير العزيز الحميد ص٣٤٣

(٢) رواه أبو داود في كتاب الإمارة باب في أخذ الجزية من المجوس ج٣ص١٦٨ وأحمد في مسنده ج١ ص١٩٠- ١٩١ وانظر : نيل الأوطار ج٧ ص ٣٦٢ والمغني ج٨ ص١٥٣.

(٣) الموطأ : كتاب العقول باب ما جاء في الغيلة والسحرة ج٢ص٦٢٨.

الخامس : ما ذكره ابن حزم عن يحي بن أبي كثير قال : إن غلاماً لعمر بن عبد العزيز أخذ ساحرة فألقاها في الماء فطفت فكتب إليه عمر بن عبد العزيز إن الله لم يأمرك أن تلقيها في الماء فإن اعترفت فأقتلها[1] .

كما روي قتل السحرة عن غير هؤلاء من الصحابة والتابعين من الصحابة: عثمان وابن عمر وأبي موسى وقيس بن سعد ، ومن التابعين سبعة منهم عمر بن عبد العزيز[2] .

وكما نرى قتل الساحر مذهب عدد من كبار الصحابة ولم يعلم لهم مخالف من الصحابة[3] .

وعند علماء الأصول أن الصحابي إذا قال قولاً أو فعله واشتهر ولم يعلم له مخالف فإنه يعد اجماعاً سكوتياً[4] ويؤكد هذا أنه مذهب جماعة من التابعين

قال ابن قدامة – بعد أن ذكر من قال بوجوب قتل الساحر من الصحابة وهذا اشتهر فلم ينكر فكان إجماعا[5] .

---

(١) المحلى لابن حزم ج١١ ص ٣٩٥.

(٢) انظر تفسير القرطبي ج٢ص٤٨ ، وأضواء البيان ج٤ ص٤٦١.

(٣)انظر : أضواء البيان ج٤ص٤٦٠.

(٤) أصول الفقه الإسلامي ص ٢٣٩.

(٥) المغني لابن قدامة ج٨ ص ١٥٣.

وبذلك ثبت في الكتاب والسنة والإجماع من الصحابة والتابعين قتل الساحر مطلقاً عند الجمهور .

قال الإمام : الشنقيطي: (فهذه الآثار التي لم يعلم أن أحداً من الصحابة أنكرها على من عمل بها مع اعتضادها بالحديث المرفوع المذكور هي حجة من قال بقتله مطلقاً ، والآثار المذكورة والحديث فيهما الدلالة على أنه يقتل ولو لم يبلغ به سحره الكفر لأن الساحر الذي قتله جندب كان سحره من نحو الشعوذة ... وقول عمر (اقتلوا كل ساحر) يدل على ذلك بصيغة العموم)[1] .

القول الثاني : وهو مذهب الإمام الشافعي وابن المنذر ورواية عن الإمام أحمد[2] أن الساحر إذا عمل بسحره ما يبلغ الكفر وجب قتله كفراً بعد الاستتابة أما إذا لم يبلغ الكفر وقتل نفساً قتل قصاصاً . وما سوى ذلك يعزر

يقول السبكي : (وأما مذهب الشافعي فحاصله أن الساحر له ثلاثة أحوال حال يقتل كفراً وحال يقتل قصاصاً ، وحال لا يقتل أصلاً بل يعزر . أما الحالة التي يقتل فيها كفراً فقال الشافعي رحمه الله أن يعمل بسحره ما يبلغ الكفر .

(١) أضواء البيان ج٤ ص ٤٦١

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ج٨ ص١٥٣.

وشرح أصحابه ذلك بثلاثة أمثلة :

أحدها : أن يتكلم بكلام هو كفر ، ولا شك أن ذلك موجب للقتل ومتى تاب منه قبلت توبته وسقط عنه القتل وهو يثبت بالإقرار وبالبينة .

المثال الثاني : أن يعتقد ما يوجب الكفر مثل التقرب إلى الكواكب السبعة ، وأنها تفعل بأنفسها ، فيجب عليه أيضاً القتل ... وتقبل توبته . ولا يثبت هذا القسم إلا بالإقرار .

المثال الثالث : أن يعتقد أنه حق يقدر به على قلب الأعيان فيجب عليه القتل ... ولا يثبت ذلك أيضاً إلا بالإقرار، وإذا تاب قبلت توبته وسقط عنه القتل . وأما الحالة التي يقتل فيها قصاصاً فإذا اعترف أنه قتل بسحره إنساناً... وأنه مات به وأن سحره يقتل غالباً فها هنا يقتل قصاصاً ولا يثبت هذه الحالة إلا الإقرار ولا يسقط القصاص بالتوبة . وأما الحالة التي لا يقتل فيها أصلاً ولكن يعزر فهي ما عدا ذلك)[1] .

وقال القرطبي : (نقل عن ابن المنذر أنه قال : (إذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفراً وجب قتله إن لم يتب وكذلك لو ثبتت عليه بينة ، ووصفت البينة كلاماً يكون كفراً ، وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله ، فإن كان أحدث في المسحور جناية توجب القصاص

---

(١) فتاوى السبكي ج٢ ص٣٢٤.

اقتص منه إن عمد ذلك)[١]

أدلتهم : وقد استدل الشافعي ومن وافقه على هذا القول بأدلة منها ما يلي:

١- ما رواه الشافعي في مسنده من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إيمان ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس)[٢]

يقول السبكي بعد إيراد الحديث : (القتل في الحالة الأولى بقوله (كفر بعد إيمان) ، وفي الحالة الثالثة بقوله (أو قتل نفس بغير نفس) وامتنع في الثانية لأنها ليست بإحدى الثلاث ، فلا يحل دمه عملاً بصدر الحديث[٣] .

٢- ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها باعت مدبرة لها سحرتها[٤] .

وجه الدلالة : أنه لو وجب قتلها تأجل بيعها قاله ابن المنذر وغيره[٥] .

---

(١) تفسير القرطبي ج٢ص ٤٨.

(٢) مسند الشافعي ص ١٦٤ ورواه الترمذي في الفتن باب ما جاء لا يحل دم امرىء إلا بإحدى ثلاث . والنسائي في تحريم الدم باب ما يحل به دم المسلم (بنحوه) . انظر : جامع الأصول حديث ٧٧٣١ عن ابي أمامه عن عثمان أنه ﷺ قال : ... .

(٣) فتاوى السبكي ج٢ ص٣٢٤.

(٤) المغني ج٨ ص ١٥٣ ، وأضواء البيان ج٤ ص٤٦١ .

(٥) انظر : أضواء البيان ج٤ ص٤٦١.

٣- ما ورد في الصحيحين وغيرهما : أن لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي ﷺ فلم يقتله[١] فوجب أن يكون المؤمن كذلك لقوله عليه الصلاة والسلام (لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين)[٢].

٤- ما رواه ابن حزم عن ربيعة بن عطاء أن رجلاً عبداً سحر جارية عربية فكانت تتبعه فرفع إلى عروة بن محمد وكان عامل عمر بن عبد العزيز فكتب إليه عمر بن عبد العزيز أن يبيعه بغير أرضها وأرضه ثم أمره أن يدفع ثمنه إليها[٣]، فعمر كما نرى أمر بتعزير فقط دليل على أنه لا يقتل . وقد أستدل به الشافعية على الحالة الثالثة .

مما ذكرنا يظهر - والله أعلم - أنه لا خلاف في قتل الساحر الذي بلغ بسحره الكفر أو قتل بسحره نفساً اللهم - إلا أن الجمهور قالوا يقتل حداً والشافعي ومن معه قالوا : يقتل كفراً أو قصاصاً .

وإنما الخلاف في الساحر الذي لم يبلغ بسحره الكفر ولم يقتل نفساً . فالجمهور - كما نرى- قالوا بقلته مطلقاً . والشافعي ومن معه قالوا لا يقتل،

---

(١)سبق تخريجه ، وانظر فتح الباري ج١٠ ص٢٣١ .

(٢) رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن حبان والدارقطني عن انس كنز العمال حديث ٣٧٤ ، ورواه النسائي في كتاب الايمان وشرائعه باب على من يقاتل الناس ج٨ ص ١٠٩ وانظر: جامع الأصول حديث ٣٨.

(٣) المحلى لابن حزم ج١١ ص ٣٩٥.

إنما يعزر .

وقد رجح البعض[1] رأي الجمهور لاتفاق الكتاب والسنة وفعل الصحابة له من غير نكير . ولذا أجابوا عن أدلة الشافعي ومن معه بما يلي :

أما الدليل الأول : فأجيب عنه : بأن الساحر عند الجمهور كافر ، ذلك أن السحر في الشرع لا يتحقق إلا بالتقرب إلى الشياطين وعبادة الكواكب ونحو ه، وذلك عين الكفر ، وعليه فهو حلال الدم وعلى فرض أنه ليس بكافر فإن هذا الدليل عام .

وأدلة قتل الساحر خاصة . والخاص يقضي على العام[2] .

أما الدليل الثاني : فقيل لعل الأمة التي سحرة عائشة كان سحرها ليس فيه كفر كالأدوية ونحوها . أو أن السحر لم تعلمه وإنما عمل لها أو أنها تابت فسقط عنها القتل والكفر بتوبتها[3] .

أما الدليل الثالث : فأجيب عنه بما يلي :

١-الرسول ﷺ لم يترك قتل لبيد لأنه ليس بواجب وإنما ترك قتله خشية أن تثار فتنة بين الناس ، وهي أعظم من قتل واحد . وهو ما أشار إليه النبي

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ٣٤٢ وأضواء البيان ج٤ ص٤٦٢.

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٣٥ وأضواء البيان ج٤ ص٤٦٢ .

(٣) انظر المغني ج٨ ص ١٥٣ .

ﷺ في قوله : (قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس شراً)[١] .

أو يكون في قتله تنفير عن الدخول في الإسلام .

قال القرطبي : (لا حجة على مالك من هذه القصة ؛ لأن ترك قتل لبيد بن الأعصم كان لخشية أن يثير بسبب قتله فتنة ، أو لئلا ينفر الناس عن الدخول في الإسلام وهو من جنس ما راعاه ﷺ من منع قتل المنافقين حيث قال : (لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)[٢] .

٢- على فرض أنه ﷺ ترك قتله لأنه ليس بواجب فوجب أن يكون المؤمن كذلك ، لقوله ﷺ : (لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم) يقال استدلال غير مسلم ؛ لأن المراد بالحديث: المنقادون للدين الإسلامي فأصبحوا مسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ويدل على ذلك أول الحديث قال ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ... حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين)[٣] وعلى هذا فليس المراد أهل الكتاب[٤] .

---

(١) جزء من حديث سبق تخريجه.

(٢) فتح الباري ج١٠ ص ٢٣١.

(٣) سبق تخريجه.

(٤)انظر السحر بين الحقيقة والخيال ص ١٦٩ .

وأما الدليل الرابع : فأجيب عنه بما يلي :

١- أن هذا الخبر غير صحيح ؛ لأنه يتنافى مع رأي عمر إذ أنه من أصحاب القول الأول .

٢- على فرض صحة هذا الخبر فإنه مؤول بالسحر المجازي الذي يقوم على حسن البيان ونعومة الألفاظ التي تستمال بها القلوب . وهو ما أشار إليه النبي ﷺ في قوله (إن من البيان لسحرا)[1] ، ويؤكد ذلك استدلال الشافعية به على الحالة الثالثة ، وهي التعزير .

ورجح البعض رأي الشافعي ومن معه ، بأن دماء المسلمين حرام إلا بيقين ولا يقين مع الاختلاف[2] .

وأقول : الذي يظهر - والله اعلم - أن الخلاف بين الجمهور والشافعي ومن معه فيما يتأتى به السحر الحقيقي . فالجمهور : يرون أن السحر الحقيقي لا يتأتى إلا بالتقرب إلى الشياطين وعبادة الكواكب ونحو ذلك ، وذلك عين الكفر . ولذا كان حقه القتل مطلقاً والشافعي ومن معه يظنون أنه يتأتي بدون الشرك ولذا فصّلوا فيه . والحق أن السحر أنواع :

---

(١) رواه الترمذي في الأدب باب ما جاء إن من الشعر لحكمه ، وأبوداود في الآداب باب ما جاء في الشعر وانظر : جامع الأصول حديث ٣٢١٩.

(٢) تفسير القرطبي ج٢ ص ٤٨ ، وأضواء البيان ج٤ ص ٤٦٢.

الأول : ما له حقيقة .

والثاني سحر التخييل .

وهذان يطلق عليهما السحر الحقيقي ، ولا يتأتيان إلا بقول أو فعل أو اعتقاد مكفر كالتقرب إلى الشياطين وعبادة الكواكب ونحو ذلك ولذا فهو كفر يقتل صاحبه .

الثالث: السحر المجازي : وهذا يتأتى بالأدوية وبالكلام وخفة الحركة ونحو ذلك ولذا فهو ليس بكفر بل معصية حق صاحبها التعزير إذا لم يقتل نفساً[1] ، والله اعلم .

*** حكم المرأة المسلمة الساحرة :**

اختلف في حكمها ، فذهب الأئمة الثلاثة أحمد والشافعي ومالك إلى أن حكم المرأة الساحرة حكم الرجل .

وذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن حكمها الحبس حتى ترجع إلى الإسلام بالتوبة ، لأنها مرتدة أو تموت[2] .

والأظهر - والله أعلم - الأول ؛ بدليل قول عمر : (اقتلوا كل ساحر

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ص ٣٣٥ وعالم السحر والشعوذة ص ٢٤٠-٢٤١ وأحكام القرآن ج١ص٦٣.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ج١ص١٤٧ والروضة الندية ج٢ص٤١٩ .

وساحرة) حيث لم يفرق بينهما ، ولأن لفظ من في قوله ﷺ : (من بدل دينه فاقتلوه)[١] تشمل الأنثى على أظهر القولين وأصحهما إن شاء الله تعالى[٢] .

* حكم ساحر أهل الكتاب :

ذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنه يقتل . لعموم ما تقدم من الأخبار التي دلت على قتل الساحر المسلم ، ولأنه جناية أوجبت قتل المسلم فأوجبت قتل الذمي كالقتل[٣] .

وذهب الأئمة الثلاثة : مالك والشافعي وأحمد ، وابن شهاب الزهري إلى أنه لا يُقتل إلا أن يقتل بسحره ، وهو مما يقتل غالباً لما يلي :

١ - أن لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي ﷺ فلم يقتله.

٢ - أن الكتابي مشرك ، والشرك أعظم من السحر ولا يقتل به[٤] .

وقد رجح البعض[٥] رأي الجمهور، ولذا أجابوا عن أدله أبي حنيفة بما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري في استتابة المرتد باب حكم المرتد، والترمذي في الحدود باب ما جاء في المرتد وانظر : جامع الصول حديث ١٨٠١.

(٢) انظر أضواء البيان ج٤ ص٤٥٩ .

(٣) المغني لابن قدامة ج٨ص١٥٥ ، وتفسير ابن كثير ج١ ص١٤٧ ، وفتح الباري ج١٠ ص٢٣٦.

(٤) المغني لابن قدامة ج٨ص١٥٥ ، وتفسير ابن كثير ج١ ص١٤٧ ، وفتح الباري ج١٠ ص٢٣٦ .

(٥) مثل ابن قدامة : المغني ج٨ ص١٥٥.

١- أما الأخبار التي وردت في قتل الساحر المسلم ، فلأن المسلم يكفر بسحره . والكتابي كافر أصلي .

٢- أما قوله : (بأن السحر جناية أوجبت قتل المسلم فأوجبت قتل الذمي كالقتل) . فيقال : هذا القياس ينتقض باعتقاد الكفر والتكلم به . وينتقض بالزنى من المحصن فإنه لا يقتل به الذمي ويقتل به المسلم[1] .

ورجح البعض[2] رأي أبي حنيفة وأجابوا عن استدلال الجمهور بقصة لبيد أنه ﷺ لم يقتله ، لأنه لا ينتقم لنفسه ، ولأنه خشي أن تثور بسبب قتله فتنه ، ولئلا يكون في قتله تنفير عن الإسلام[3] ، ولعل قول الجمهور أولى ، لأنه غير مسلم فلا يؤاخذ بمخالفة تعاليم الإسلام . ما لم يكن في ذلك نقض للعهد .

رابعاً: توبة الساحر :

ذكرنا آنفا عند الكلام على عقوبة الساحر أن مذهب الإمام أبي حنيفة ، ومالك وأبي ثور ورواية عن أحمد ، وعدد من كبار الصحابة ، وجماعة من التابعين أن الساحر يقتل بدون استتابة وذكرنا جملة من أقوالهم التي تؤكد ذلك وقد استدلوا على ذلك بأدلة منها :

---

(١) المغني ج٨ ص١٥٥.

(٢) مثل الامام الشنقيطي . اضواء البيان ج٤ ص٤٧١.

(٣) انظر فتح الباري ج١٠ ص٢٣٦ وأضواء البيان ج٤ ص٤٧١.

الأول : قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا...الآية﴾[١] .

وجه الدلالة : أن الآية دلت على أن الكفار لا ينفعهم الإيمان بعد رؤية العذاب . فكذلك الساحر بعد الشهادة عليه قد رأى البأس فلا ينفعه الإيمان ولا تقبل توبته[٢] .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣] .

وجه الدلالة : أن الله أطلق في هذه الآية الحكم على المحاربين والذين يسعون في الأرض فساداً إلا من تاب قبل أن يقدر عليه . ومثل ذلك الساحر، إذ هو من الذين يسعون في الأرض بالفساد إذا تاب قبل أن يقدر عليه قبلت توبته وإلا فلا[٤] .

الثالث : فعل الصحابة في السحرة حيث قتلوهم من غير استتابة[٥] .

---

(١) آية ٨٥ سورة غافر .

(٢) انظر تفسير القرطبي ج٢ ص٤٩ ج١٥ ص ٣٣٦ .

(٣) آية ٣٣-٣٤ المائدة .

(٤) انظر : فتح القدير ج٢ ص٣٦ وتفسير الرازي ج٣ص٢١٥ والإنسان بين السحر والعين والجان ص ١٠٧ .

(٥) انظر: تفسير القرطبي ج٢ ص٤٩ والمغني ج٨ ص١٥٣ وتيسير العزيز الحميد ٣٤٢.

الرابع: أن السحر أمر باطن لا يظهره صاحبه فلا تعرف توبته كالزنديق[١].

الخامس : أن السحر معنى في القلب ، وعلم لا يزول بالتوبة ، فيشبه من لم يتب[٢] .

وذهب الإمام الشافعي ، ورواية عن الإمام أحمد[٣] إلى أن الساحر يستتاب ويمهل ثلاثة أيام فإن تاب قبلت منه .

وقد استدلوا بأدلة منها :

الأول: قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٤] .

وجه الدلالة : أن الله تعالى علق الغفران على الانتهاء عن الكفر والانتهاء لا يكون إلا بالتوبة . وعليه فالسحر كغيره من أنواع الكفر الانتهاء عنه بالتوبة سبب للمغفرة[٥] .

الثاني : قوله تعالى : ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ

---

(١) تفسير القرطبي ج٢ ص٤٩ والمغني ج٨ ص١٥٣ وتيسير العزيز الحميد ٣٤٢.

(٢) تفسير القرطبي ج٢ ص٤٩ والمغني ج٨ ص١٥٣ وتيسير العزيز الحميد ٣٤٢.

(٣) تفسير بن كثير ج١ ص ١٤٧ وأضواء البيان ج٤ ص ٤٥٦ .

(٤) آية ٣٨ الأنفال.

(٥) انظر : تفسير القرطبي ج٧ ص٤٠١-٤٠٣ وجواهر الإكليل ج٢ ص ٢٨١ .

وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾(١) .

وجه الدلالة : الآيات تدل على الوعيد باللعنة والخلود بالنار للمرتد ، إلا من تاب وذلك دليل على قبول توبة المرتد ، وإذا كان كذلك فالساحر كغيره من المرتدين يستتاب وتقبل توبته .

يقول القرطبي : (ويدخل في الآية بالمعنى كل من راجع الإسلام وأخلص)(٢) .

الثالث: أن الله تعالى قد أخبر أن سحرة فرعون قد آمنوا وقبل توبتهم ، قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ...الآية ﴾(٣) وعليه فإن المعرفة بالسحر لا تمنع قبول التوبة .

الرابع : أن ذنب الساحر ليس بأعظم من الشرك ، والمشرك يستتاب .

الخامس : أن الساحر لو كان كافراً فأسلم صح إسلامه وتوبته .

---

(١) آية ٨٦- ٨٩ آل عمران .

(٢) تفسير القرطبي ج٤ ص١٢٩ -١٣٠ .

(٣) آية ٧٨ طه .

السادس : أن الكفر والقتل إنما هو بعمله السحر لا بعلمه بدليل الساحر إذا أسلم . والعمل به يمكن التوبة منه ، وكذلك اعتقاد ما يكفر باعتقاده يمكن التوبة منه كالشرك[1] .

ولعل القول الأول هو الأولى لظاهر عمل الصحابة ، وأما قياسه على المشرك فلا يصح لأنه أكثر فساداً وكذلك لا يصح قياسه على ساحر أهل الكتاب أو الكافر لأن الإسلام يجبّ ما قبله[2] .

وهذا الخلاف - إنما هو في ثبوت حكم التوبة في الدنيا من سقوط القتل ونحوه . أما فيما بينه وبين الله تعالى وسقوط عقوبة الدار الآخرة عنه فلا خلاف في صحة توبته إن كان صادقاً فإن الله تعالى لم يسد باب التوبة عن أحد من خلقه ، ومن تاب إلى الله قبل توبته لا خلاف في ذلك[3] .

* * *

(١) انظر المغني ج٨ ص١٥٣ - ١٥٤ وتيسير العزيز الحميد ص٣٤٣.

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ص٣٤٣.

(٣) المغني ج٨ ص١٥٤ .

المبحث الرابع : علاج السحر (النشرة)

تقديم : السحر - كما هو معلوم - داء يؤثر يقتل ويمرض ويفرق بين المرء وزوجه . ولما كان كذلك اقتضى أن يسعى في علاجه من باب الأخذ بالأسباب المؤدية إلى الشفاء ؛ لأن الله تعالى ما أنزل داءاً إلا وأنزل له دواء قال ﷺ: (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء)[1] .

وقال ﷺ فيما روي عن أسامة بن شريك قال: قالت الأعراب : يا رسول الله : ألا نتداوى ؟ قال : (نعم ، يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء ، أو قال : دواء ... الحديث)[2] .

وعلى هذا فالسحر داء كغيره يبحث له عن دواء ، ويطلق على ذلك الدواء إذا وجد (النشرة) .

ما هي النشرة ؟

النشرة لغة : مصدر نشر ينشر نشراً ، وهو في لغة العرب يرد لمعان منها :

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء برقم ٥٦٧٨ واحمد ج١ ص٣٧٧ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الطب باب ما جاء في الدواء والبحث عنه ج٤ ص ٣٨٣ وقال حديث حسن صحيح ، وأبوداود برقم ٣٨٥٥ في الطب باب ما جاء في الرجل يتداوى - وانظر : جامع الأصول حديث ٥٦٢٨ .

الريح الطيبة .

قال مرقش :

النشر مسك والوجوه دنانير وأطراف الأكف عَنم

ومنها : الإحياء . يقال : نشر الله الميت ينشره نشراً ونشورا : أحياه كما قال تعالى : ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[1].

ومنها البسط. تقول نشرت الثوب : أي بسطته .

ومنها : الإذاعة . يقال نشرت الخبر أنشره نشراً أي أذعته .

ومنها : النحت أو القطع ، نقول : نشرت الخشبة بالمنشار أي نحتها أو قطعتها[2].

والمراد هنا بالنشرة : هي حل السحر عن المسحور برقيه أو علاج وسميت بذلك ؛ لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي يكشف ويزال[3].

* حكمها :

حل السحر عن المسحور إما أن يكون بسحر مثله ، وهذا لا يجوز لما فيه من التقرب إلى الشياطين .

---

(١) آية ١٥ سورة الملك .

(٢) انظر لسان العرب ، مادة نشر .

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٦٧ والنهاية في غريب الحديث والأثر ج٥ ص٥٤ .

وإما أن يكون بالرقية الشرعية والأدوية المباحة ، وهذا جائز .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : (النشرة حل السحر عن المسحور وهي: نوعان ، حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يحمل قول الحسن[1] فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور .

والثاني : النشرة بالرقية والتعويذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز)[2] .

وقال الشيخ حافظ حكمي : (يحرم حل السحر عن المسحور بسحر مثله، فإنه معاونة للساحر وإقرار له على عمله وتقرب إلى الشياطين بأنواع القرب ليبطل عمله عن المسحور ...)[3] .

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - : (وقال بعض الحنابلة يجوز الحل بسحر ضرورة . والقول الآخر : أنه لا يحل ، وهذا الثاني هو الصحيح)[4] .

---

(١) هو الحسن البصري روي عنه أنه قال : (لا يحل السحر إلا ساحر) انظر : فتح الباري ج١٠ ص٢٣٣ وتيسير العزيز الحميد ص٣٦٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٣٦٧.

(٣) معارج القبول ج١ ص٥٣٠ .

(٤) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن ابراهيم ج١ ص١٦٥ .

صفتها : للنشرة الجائزة صفات كثيرة منها ما يلي :

الأولى : الرقى والأوراد المشروعة .

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (ومن الأدعية الثابتة عنه ﷺ في علاج الأمراض من السحر وغيره وكان ﷺ يرقى بها أصحابه (اللهم رب الناس أذهب البأس إشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءاً لا يغادر سقماً)[1].

ومن ذلك الرقية التي رقى بها جبريل عليه السلام النبي ﷺ وهي قوله : (بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، بسم الله أرقيك)[2] وليكرر ذلك ثلاثاً[3] .

وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال : (بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تقرأ في إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور) .

١- قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ

---

(١)رواه البخاري في الطب باب رقية النبي ﷺ برقم ٥٤١٠.

(٢) رواه مسلم في السلام باب الطب والمرض والترمذي في الجنائز باب ما جاء في التعوذ للمريض .

(٣) انظر رسالة في حكم السحر والكهانة للشيخ عبد العزيز بن باز ص١٤-١٥ ، وانظر جامع الأصول حديث ٥٧١٥ .

كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1]

٢- وقوله تعالى : ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2] .

٣- وقوله تعالى : ﴿ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[3][4] .

وقال ابن القيم : (ومن أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة ، فالقلب إذا كان ممتلئاً من الله معموراً بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من

---

(١) آية ٨١ – ٨٢ يونس .

(٢) آية ١١٨–١٢٥ الأعراف .

(٣) آية ٦٩ طه.

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٦٨.

إصابة السحر له . ومنه أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه)[١] .

الثانية : استخراج السحر وإبطاله :

والمقصود بذلك البحث عن موضع السحر ثم استخراجه و إتلافه ، وبذلك يبطل السحر – إن شاء الله – .

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – : (روي عن رسول الله ﷺ في علاج السحر نوعان :

أحدها : وهو أبلغها استخراجه وإبطاله كما صح عنه ﷺ أنه سأل ربه سبحانه وتعالى في ذلك فدل عليه فاستخرجه من بئر ، فكان في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر . فلما استخرجه ذهب ما به حتى كأنما نشط من عقال . فهذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب ، وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ)[٢] .

وروى البيهقي في الدلائل عن عمرة عن عائشة قصة سحر لبيد للنبي ﷺ وفيه : فأتاه جبريل بالمعوذتين فقال : يا محمد ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾[٣]

---

(١) فتح الباري ج١٠ ص٢٣٥ وانظر : الطب النبوي ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) الطب النبوي ص ١٢٤-١٢٥ وفتح الباري ج١٠ ص٢٠٠.

(٣) آية ١ سورة الفلق .

وحل عقدة ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾[1] وحل عقدة حتى فرغ منها ثم قال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾[2] وحل عقدة حتى فرغ منها وحل العقد كلها[3] .

الثالثة: العلاج باستعمال أدوية مباحة نص عليها رسول الهدى ﷺ منها : التصبح كل يوم بسبع تمرات من عجوة المدينة .

عن عامر بن سعد عن أبيه قال : قا ﷺ : (من اصطبح كل يوم بتمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل) وفي رواية : (بسبع تمرات)[4] .

والعجوة : ضرب من أجود تمر المدينة وألينه .

والاصطباح : تناول الشيء صباحاً[5] .

وقال ابن حجر : (ثم هل هو خاص بزمان نطقه ﷺ أو في كل زمان ؟ هذا محتمل ويرفع هذا الاحتمال التجربة المتكررة فمن جرب ذلك فصح معه عرف أنه مستمر وإلا فهو مخصوص بذلك الزمان)[6] .

---

(١) آية ٢ سورة الفلق .

(٢) آية ١ سورة الناس .

(٣) دلائل النبوة ج٧ص٩٤ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الطب باب الدواء بالعجوة للسحر برقم ٥٤٣٥-٥٤٣٦ .

(٥) انظر : فتح الباري ج١٠ ص٢٣٨.

(٦) انظر : فتح الباري ج١٠ ص٢٤٠ .

الرابعة : العلاج بالاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر وهي الحجامة .

قال ابن القيم : (... النوع الثاني : الاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر فإن للسحر تأثيراً في الطبيعة وهيجان أخلاطها وتشويش مزاجها، فإذا ظهر أثره في عضو وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو نفع جداً .

وقد ذكر أبو عبيد[1] : في كتاب غريب الحديث له بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : (أن النبي ﷺ احتجم على رأسه بقرن حين طب)[2] . قال أبو عبيد : معنى طب : سحر)[3] .

الخامسة : استعمال ورق السدر مع الرقية .

وبيانه : أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آيه الكرسي والمعوذتين وآيات السحر الواردة في الأعراف ، ويونس ، وطه ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل بالباقي . وهو علاج لأشر أنوع السحر وهو السحر الذي يربط الرجل عن زوجته.

---

(١) هو القاسم بن سلام.

(٢) انظر غريب الحديث له ج٢ ص٤٣ وتهذيب الآثار للطبري ج٢ ص١٢٤.

(٣) زاد المعاد ج٣ص١٠٤.

يقول القرطبي : (وروي عن ابن بطال قال : (وفي كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ، ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى - وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله)[1] .

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله : (ومن علاج السحر - بعد وقوعه - أيضاً وهو علاج نافع للرجل إذا حبس عن جماع أهله ، أن يأخذ سبع ورقات من السدر الأخضر فيدقها بحجر ونحوه ويجعلها في إناء ويصب عليها من الماء ما يكفيه للغسل ويقرأ فيها آية الكرسي ، وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، وآيات السحر التي في سورة الأعراف ، وهي قوله تعالى : ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[2] .

والآيات التي في سورة يونس : وهي قوله تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٤٩-٥٠ وانظر : تفسير ابن كثير ج١ ص١٤٨ .

(٢) آية ١١٧-١٢٢ سورة الأعراف .

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾(١) .

والآيات التي في سورة طه : وهي قوله تعالى : ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾(٢) .

وبعد قراءة ما ذكر في الماء يشرب بعض الشيء ويغتسل بالباقي وبذلك يزول الداء إن شاء الله(٣) .

* * *

(١) آية ٧٩-٨٢ يونس .

(٢) آية ٦٥-٦٩ سورة طه .

(٣) رسالة في حكم السحر والكهانة للشيخ عبد العزيز بن باز ص ١٥-١٧ .

الخاتمة

بسم الله بدأنا وبحمده والشكر له ختمنا ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد : فإنه من خلال كتابتي لهذا البحث المتواضع توصلت إلى نتائج هامة منها ما يلي :

الأولى : أن السحر في اللغة - يرد لمعان منها : الأخذة ، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر ، ومنها البيان في فطنة ، ومنها الخديعة .

الثانية : أن السحر في الاصطلاح عرف بتعاريف كثيرة مختلفة ومتباينة بسبب كثرة الأنواع الداخلة تحته ولاختلاف المذاهب فيه بين الحقيقة والتخييل منها ما يصدق على ما لا حقيقة له أو ما هو سحر في اللغة ، ومنها - ما يصدق على ما له حقيقة وأثر ، ومنها- ما يصدق على الأمرين وهو الأولى.

الثالثة : أن السحر أنواعه كثيرة منها ما له حقيقة . ومنها ما ليس له حقيقة ومنها ما هو سحر في اللغة وهو السحر المجازي .

الرابعة : أن القول الصحيح في السحر أن له حقيقة وأثر ثابتة في الكتاب والسنة وهو قول أهل السنة والجماعة .

الخامسة : أن تعلم السحر وتعليمه حرام وهو قول الجمهور من علماء أهل السنة .

السادسة : أن العلم بالسحر محرم بالكتاب والسنة بلا خلاف بين أهل العلم لكنه يكون كفراً إذا تضمن قول أو فعل أو اعتقاد يقتضي الكفر - وهو السحر الحقيقي - ويكون فسقاً إذا لم يكن فيه شيء من ذلك وهو السحر المجازي

السابعة : أن مذهب جمهور أهل السنة من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار ورواية عن الإمام الشافعي أنه متى ثبتت جريمة السحر بحق إنسان وجب قتله مطلقاً.

الثامنة : أن الأظهر في حكم المرأة المسلمة الساحرة هو حكم الرجل .

التاسعة : أن ساحر أهل الكتاب لا يقتل إلا أن يقتل بسحره وهو مما يقتل غالباً وهو قول الجمهور .

العاشرة : أن الساحر يقتل بدون استتابة وهو قول الجمهور .

الحادي عشر : أن السحر كغيره يبحث له عن علاج ويطلق على دوائه إذا وجد النشرة والمراد بالنشرة : هي حل السحر عن المسحور .

الثانية عشر : أن حل السحر عن المسحور إما أن يكون بسحر مثله وهذا لا يجوز لما فيه من التقرب إلى الشياطين . وإما أن يكون بالرقية الشرعية والأدوية المباحة وهذا جائز

الثالثة عشر : أن للنشرة الجائزة صفات كثيرة منها :

١- الرقى بالأوراد المشروعة .

٢- استخراج السحر وإبطاله .

٣- العلاج باستعمال أدوية مباحة نص عليها المصطفى ﷺ مثل التصبح بسبع تمرات .

٤- العلاج بالاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر وهي الحجامة .

٥- استعمال ورق السدر مع الرقية .

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فهرس المصادر والمراجع

١ - أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص . ط الأولي ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

٢-أسباب النزول للسيوطي - (بهامش قرآن تفسير وبيان) دار الرشيد دمشق بيروت .

٣- أسباب النزول للنيسابوري - لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري عالم الكتب بيروت لبنان .

٤- أصول الفقه الإسلامي لبدران أبو العينين بدران . الناشر مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية .

٥- أضواء البيان - للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ط.١٤٠٣هـ المطابع الأهلية للأوفست الرياض .

٦- الإنسان بين السحر والعين والجان - لزهير الحموي -ط الأولى ١٤١٠هـ مكتبة دار التراث الكويت .

٧- بدائع الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية - دار الفكر.

٨- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . ط ١٤٠٦هـ دار المعرفة . بيروت لبنان.

٩-التفسير القيم للإمام ابن القيم - ط -١٣٩٨هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

١٠- التفسير الكبير، فخرالدين الرازي -ط- الثالثة دار إحياء التراث العربي

بيروت لبنان .

١١- تفسير ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ، ط ١٣٨٨هـ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان .

١٢- التنقيح المشبع - لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي ، الناشر المؤسسة السعيدية بالرياض .

١٣- التوحيد لأبي منصور الماتريدي تحقيق د/ فتح الله خليف. الناشر دار الجامعات المصرية الإسكندرية .

١٤- تهذيب الآثار محمد بن جرير الطبري . مطابع دار الصفاء ١٤٠٢هـ.

١٥- تيسير العزيز الحميد . لسليمان بن عبد الله بن محمدبن عبدالوهاب مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

١٦-الجامع لأحكام القرآن . لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط الأولي مكتبة السلام العالمية القاهره - دار الثقافة القاهرة .

١٧-جامع الأصول لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ابن الأثير الجزري) ط. ١٣٩٠هـ مكتبة الحلواني مطبعة الملاح مكتبة دار البيان.

١٨-جواهر الإكليل. لصالح عبد السميع الآتي الأزهري دار المعرفة بيروت لبنان.

١٩-حاشية رد المحتار على الدر المختار . لمحمد أمين بن عابدين .ط الثانية ١٣٨٦هـ مصطفى البابي .

٢٠-الدر المنثور . لجلال الدين السيوطي - دار المعرفة للطباعة والنشر .بيروت لبنان .

٢١-دلائل النبوة لأبي بكر بن الحسين البيهقي -ط الأولى ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٢٢-رسالة في حكم السحر والكهانة للشيخ عبد العزيز بن باز .ط ١٤١٥هـ . مطابع القصيم .

٢٣-روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن لمحمد علي الصابوني . الناشر دار التراث العربي مطبعة نهضة مصر .

٢٤-روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي دار الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

٢٥-الروضة الندية شرح الدرر البهية لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي بن حسن القنوجي البخاري . المكتبة العصرية بيروت لبنان .

٢٦-زاد المعاد في هدي خير العباد . للإمام ابن قيم الجوزية ط.الثانية ١٣٩٢هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٧-السحر بن الحقيقة والخيال - لأحمد بن ناصر الحمد .ط. الأولى ١٤٠٨هـ مكتبة التراث بمكة .

٢٨-السحر بن الحقيقة والوهم لعبد السلام عبد الرحيم السكري .ط١٤٠٧هـ مطبعة دار الكتب الجامعية الحديثة - طنطا .

٢٩-سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي ط.١٣٨٢هـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣٠-سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي تحقيق - محمد

محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية صيدا ، بيروت .

٣١-سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي . الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٣٢-شرح صحيح مسلم للإمام النووي ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

٣٣-شرح المهذب لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي،دار الفكر

٣٤-صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل البخاري .ط الأولى ١٤٠١هـ دار القلم دمشق بيروت .

٣٥-صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت لبنان .

٣٦-الطب النبوي لابن قيم الجوزية .ط التاسعة ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة عالم الكتب الرياض .

٣٧-عالم السحر والشعوذة د/ عمر سليمان الأشقر .ط الأولى ١٤١٠هـ مكتبة الفلاح للنشروالتوزيع ، الكويت ،دار النفائس الكويت.

٣٨- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (الهروي) ط. الأولى ١٣٨٤هـ مطبعة مجلس دائرة المعارف - بحيدر آباد الدكن .

٣٩-الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ

٤٠-فتاوى السبكي لأبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي . ط الأولى ١٤١٢هـ دار الجيل بيروت لبنان .

٤١-فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم . جمع وترتيب ابن قاسم ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة .ط الأولى ١٣٩٩هـ

٤٢-فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني . نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

٤٣-فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .ط ١٤٠٣هـ نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية.

٤٤-الفصل – لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري – ط الأولى مطبعة التمدن ١٣٢١هـ دار الفكر .

٤٥-القاموس المحيط – لمجد الدين محمدبن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي . دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ.

٤٦- الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي .

٤٧-كشف الأستار عن زوائد البزار ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ط.الأولى ١٤٠٤هـ مؤسسة الرسالة .

٤٨-كنز العمال ، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ط. الخامسة ١٤٠٥هـ ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

٤٩-لسان العرب لابن منظور ، دار لسان العرب بيروت – لبنان .

٥٠-متشابه القرآن ، لعبد الجباربن أحمد الهمذاني – دار الثقافة بالقاهرة ،دار النصر للطباعة بالقاهرة .

٥١-مجمع الزوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي - مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٤٠٦هـ .

٥٢-المحلى، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان .

٥٣- مختصر تفسير الطبري .لابن صمادح الأندلسي دار الشروق القاهرة .

٥٤- المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٥٥-المسند ، لأحمد بن حنبل .ط الخامسة ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي .بيروت لبنان .

٥٦-مسند الشافعي . لمحمد بن إدريس الشافعي ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ

٥٧-المصنف ، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني .ط الأولى ١٣٩٢هـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان .

٥٨- معارج القبول ، لحافظ بن أحمد الحكمي ط. الأولى ١٤١٠هـ دار ابن القيم المملكة العربية السعودية ، الدمام .

٥٩-المغني ، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، ط. مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

٦٠- المقنع ، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ط. ١٤٠٢هـ ، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

٦١-الموطأ للإمام مالك رواية يحي الليثي . إعداد أحمد راتب عمر موسى ط. السابعة ١٤٠٤هـ دار النفائس بيروت لبنان .

٦٢-الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأبي القاسم هبة الله بن سلامة ط. الأولى ١٤١٤هـ دار الحكمة للطباعة والنشر . دمشق سورية .

٦٣-النبوات للإمام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . مكتبة الرياض الحديثة .

٦٤-النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) المكتبة العلمية بيروت لبنان .

٦٥-نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار . لمحمد بن علي الشوكاني ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضــوع	الصفحة

* * *